

نَهْائِيَةُ الرَّبِّ

فِي

فُتُورِ الرَّبِّ

تَأَلِيفُ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوِيرِيِّ

٦٧٧ - ٧٢٣ هـ

الجزء العشرون

مراجعة

أبراهيم مصطفى

تحقيق

محمد رفعت فتح الله

معين التاريخ
لأهل التاريخ



المنشأة المصرية للكتاب

١٩٧٥

جمهورية مصر العربية

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

يصدرها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بإشراف

الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

(٦٧) تَمَّ النَّسَبُ الْخَامِسُ مِنَ النَّسَبِ (٦)

(٦٨) تَمَّ النَّسَبُ الْخَامِسُ مِنَ النَّسَبِ الْخَامِسِ مِنَ النَّسَبِ الْخَامِسِ

(٦٩) تَمَّ النَّسَبُ الْخَامِسُ مِنَ النَّسَبِ الْخَامِسِ مِنَ النَّسَبِ الْخَامِسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى (١)

ذكر خلافة علي بن أبي طالب

رضى الله عنه

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ،
أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أسلمت ، وهاجرت ، وهي أول
هاشمية ولدت (هاشمياً ، وهو أول خليفة أبواه) (٢) هاشميان ،
ثم ابنه الحسن ، ثم محمد الأمين ، رضى الله عنهم (٣)

ذكر صفته

رضى الله تعالى عنه

قال ابن الأثير الجَزَرِيُّ في تاريخه (٤) : كان - رضى الله عنه -
شديد الأذمة ، قصير القامة (٥) ، كبير البطن ، أضلَع الرأس ،
عريض اللحية .

(١) ذكر هذا الافتتاح في نسخة (ص) ، ولم يثبت في نسخة (ك) و (ن) .

(٢) سقط هذا من نسخة (ك) ، وثبت في (ص) و (ن) .

(٣) جاء في أسد الغابة ج ٥ ص ١٧٠ أن فاطمة بنت أسد هي أول هاشمية ولدت لهاشم
وهي أيضا أول هاشمية ولدت لخليفة ، ثم يبعثها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولدت الحسن ، ثم زينة امرأة الرشيد ولدت الأمين ، لا تعلم غيرهن ، ثم إن هؤلاء الثلاثة
لم تصف لهم الملائكة .

(٤) الكامل ج ٣ ص ١٩٩ .

(٥) الذي قاله ابن الأثير في تلويحه : هو إل القصر أقرب ، وهذا هو المناسب لما يأتي .

وقال أبو عمر ابن عبد البر^(١) رحمه الله : أَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ فِي صِفَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ رَبِيعَةً^(٢) مِنَ الرِّجَالِ ، إِلَى الْقِصْرِ مَا هُوَ ، أَدْعَجٌ^(٣) الْعَيْنَيْنِ ، حَسَنَ الْوَجْهِ ، كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَذْرِ حُسْنًا ، ضَخَمَ الْبَطْنَ عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْنِ ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ^(٤) ، أَغْيَدَ^(٥) ، كَانَ عُنُقَهُ لِابْرِيقُ فُضَّةٍ ، أَضْلَعَ لَيْسَ فِي رَأْسِهِ شَعْرٌ إِلَّا مِنْ خَلْفِهِ ، كَبِيرَ اللَّحْيَةِ ، لِمَنْكِبَيْهِ مُشَاشٌ^(٦) كَمُشَاشِ السَّبْعِ الضَّارِي ، لَا يَبِينُ^(٧) عَضْدُهُ مِنْ سَاعِدِهِ ، قَدْ أَدْمَجَتْ أَدْمَا جَا^(٨) إِذَا مَشَى تَكْفًا^(٩) ، وَإِنْ أَمْسَكَ بِذِرَاعِ رَجُلٍ أَمْسَكَ بِنَفْسِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَنَفَّسَ ، وَهُوَ إِلَى السُّمَنِ مَا هُوَ . شَدِيدُ السَّاعِدِ وَالْيَدِ ، إِذَا مَشَى إِلَى الْحَرْبِ هَرَوَلٌ^(١٠) ، ثَبَتَ الْجَنَانُ^(١١) قَوًى شَجَاعٍ ، مَنْصُورٌ عَلَى مَنْ لَاقَاهُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) فِي كِتَابِهِ «الاسْتِيعَابُ فِي أَسْمَاءِ الْأَصْحَابِ» ج ٣ ص ٥٧ ، ثُمَّ انْظُرْ (وَقَعَةُ صَفِين) ص ٢٦٢ .

(٢) لَيْسَ بِالطَّرِيلِ الْبَائِتُ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْبَائِتُ : وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي وَصْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا يُقَدِّمُ ج ١٨ ص ٢٣٧ ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الطُّوْلِ ، وَعَلِيًّا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَصْرِ .

(٣) شَدِيدُ سَوَادِ الْعَيْنَيْنِ مَعَ مَسْتَهْمَا .

(٤) أَيْ أَتَمَّاهُمَا تَحِيلَانِ إِلَى الْفَلْظِ .

(٥) مَائِلَ الْمُتَقَلِّبِينَ الْأَحْطَافِ .

(٦) الْمَشَاشُ : رَمُوسُ الْعَظْمِ .

(٧) فِي الْاسْتِيعَابِ «لَا يَبِينُ» . وَهَذَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٨) أَوْرَدَ صَاحِبُ الرِّيَاضِ النَّفْرَةَ ج ٢ ص ١٥٦ صَفْحَةً عَلَى وَضْعِ اللَّهِ عَنْهُ مَشْتَمَلَةً عَلَى مِثْلِ مَا هُنَا ، ثُمَّ قَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِمَّا : «يُرِيدُ أَنْ عَظْمَى عَضْدِهِ وَسَاعِدُهُ لِيَتَمَيَّزَا قَدْ انْدَجَا . وَهَكَذَا هُوَ فِي صِفَةِ الْأَسَدِ ، وَالضَّارِي : الْمُتَوَدِّعُ لِلصَّيْدِ » ١٠ «فَيَكُونُ» أَدْمَجَتْ «بِشَدِيدِ الدَّالِ بِمَعْنَى «انْدَجَتْ» : وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «أَدْمَجَتْ» يَقُومُ الْهَمْزَةُ وَسُكُونُ الدَّالِ وَكُسْرُ الْمِيمِ . لِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ : رَجُلٌ مَدْمُجٌ يَسْكُونُ الدَّالَ أَيْ كَالْحَبْلِ الْمَحْكَمِ الْفَتْلُ .

(٩) أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ كَأَنَّهُ يَجِيلُ إِلَى قَدَامٍ مِنْ سُرْعَةِ مَشْيِهِ .

(١٠) أَسْرَعَ فِي الْمَشْيِ دُونَ أَنْ يَمْلَأَ .

(١١) ثَابِتُ الْقَلْبِ .

ذكر نبذة من فضائله

رضى الله تعالى عنه

هو - رضى الله عنه - أول من أسلم ، عند بعضهم ، على ما فى ذلك من الاختلاف فيه وفى أبى بكر ، رضى الله عنهما ، وأيّهما سبق إلى الإسلام ... وقد ذكرنا ذلك كله فى ابتداء السيرة النبوية ، فى السفر الرابع عشر من هذه النسخة^(١) ، فإلا فائدة فى إعادته ، فلنذكر من فضائله خلاف ذلك :

أجمعوا^(٢) على أنه - رضى الله عنه - صلى إلى القبتين ، وهاجر وشهد جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا غزوة تبوك^(٣) ، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام خلفه بالمدينة على عياله ، وقال له : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبئ بعدى . رواه جماعة من الصحابة^(٤) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار^(٥) ، قال فى كل واحد منهما لعلى : « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » ، وآخى بينه وبين نفسه . ولذلك قال على لأصحاب السورى^(٦) : أنشدكم^(٧) الله ، هل

(١) أنظر ص ١٨٠ من السفر السادس عشر من هذه النسخة المطبوعة .

(٢) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٣ .

(٣) تبوك : موضع بين وادى القرى والشام ، وقد سبق « ذكر غزوة تبوك » فى الجزء

السابع عشر ص ٣٥٢ .

(٤) أنظر صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٧٥ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢ وغيرهما .

(٥) سقطت هذه الجملة من (ك) ، وثبتت فى (س) ، (ن) كما فى الاستيعاب ج ٣ ص ٣٥

وقد سبق فى نهاية الأرب ج ١٦ ص ٣٤٧ قوله : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى

المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض . وآخى بين المهاجرين والأنصار » .

(٦) روى ابن عبد البر بسنده عن أبى الطفيل قوله : لما احتضر عمر جعلها شورى بين عمر

وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد : فقال لهم على : أنشدكم الله . . الخ

(٧) أنشدكم : أسألكم . وأسألفكم .

فيكم أحدُ آخَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينه - إذ آخَى بين المسلمين - غيرى ؟ قالوا : اللهم لا وربنا . وكان يقول : أنا عبدُ الله وأخو رسولِ الله ، لا يقولها أحدٌ غيرى إلا كذاب .

وروى بُريدة وأبو هُريرة وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم ، كلٌ منهم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم غدير خُتم^(١) : « من كنتُ مولاهُ فعليُّ مولاهُ » وفي رواية بعضهم « اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه » .

وقد ذكرنا^(٢) في غزوة خيبر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لأُعطينَ الرابَةَ غداً رجالاً يحبُّ الله ورسولَه ، وبحبِّه الله ورسولَه ليس بفرار ، يفتح الله على يديه » وأنه أعطى الرابَةَ لعلّ ، ففتح الله على يديه .

وبعنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمَن ، وهو شاب ، ليَقضَى بينهم ، فقال : يا رسولَ الله إنِّي لأدري ما التقضاء ؟ فصرَب

(١) « غم » اسم رجل صباغ . أضيف إليه الغدير الذي بالبحفة بين مكة والمدينة . وقد جاء في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٩ قول البراء بن عازب : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فنزلنا بغدير غم ، فنودي فينا : « الصلاة جامعة » وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة ، فصل الظهر ، وأخذ بيد علي وقال : ألتئمتم له من أول بنائزتين من أنفسكم قالوا : بلى ، فأخذ بيد علي وقال : اللهم من كنت مولاهُ فعليُّ مولاهُ ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وجاءت في صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٧٩ رواية أخرى عن زيد ابن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً يباهي يدهي « غما » بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال في آخر الحديث : أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي . وانظر البداية والنهاية ج ١٧ ص ٣٤٦ .

(٢) ج ١٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وانظر في صحيح البخاوي الحديثين ٣٤٦٥ ، ٣٤٦٦ ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٧٦ .

رسولُ الله عليه الصلاة والسلام صدره بيده وقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَسَدِّدْ لِسَانَهُ » ^(١) ، قال عليُّ فوالله ما شككتُ بعدها في قضاء بينِ اثْنَيْنِ .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٢) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ وعليًّا وحسنا وحسينا في بيت أم سلمة وقال : اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ ^(٣) وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ^(٤) .

قال أبو عمر : وروى طائفة من الصحابة أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ : لا يحبُّكَ إلاَّ مؤمنٌ ولا يُبْغِضُكَ إلاَّ منافقٌ .

وقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام : « يَهْلِكُ ^(٥) فِيكَ رَجُلَانِ : مُجِبُّ مُطَرٍّ ^(٦) وَكَذَّابٌ مُفْتَرٍ ^(٧) » .

وقال له : « تَفْتَرِقُ فِيكَ أُمَّتِي كَمَا افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي

عِيسَى .

(١) سد لسانه : قومه ووقفه لحداد ، أى للصواب .

(٢) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٣) الرِّجْسُ : الإثم ، أو كل مستقذر من عمل ، كما ذكره النووي .

(٤) هذا الحديث ذكره الترمذي في صحيحه برواية أخرى فانظره بشرح النووي

ج ١٥ ص ١٩٤ ، وهناك ج ١٥ ص ١٧٥ رواية تملن بآية أخرى .

(٥) كذا جاء في (ن) و(ص) والاعتصام ج ٣ ص ٣٧ ، وفي (ك) : « هلك » .

(٦) « مطر » من الإطراء : وهو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه .

(٧) « مفتر » من الافتراء ، وهو اختلاق الكذب . . وقد روى أحمد عن علي بن رضى الله عنه قوله « يهلك في رجلان : يحب مفطر بما ليس في ، ومبغض يحمله شئاً على أن يهني » .

وفي شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ١ ص ٣٧٢ رواية لقول علي « يهلك في رجلان : يحب

غال ومبغض قال » . وجاء في نهج البلاغة ج ٣ ص ٣٠٦ قول علي « وسيلك في صنفان : يحب

مفطرًا يلعب به الحب إلى غير الحق . ومبغض مفطرًا يلعب به البغض إلى غير الحق .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا مدينة العلم ، وعلى بابها ، فمن أراد العلم فليبتئ منه بابها » .

وقال في أصحابه : « أقضاهم على » .

وقال عمر رضي الله عنه : « على أقضانا » .

وكان عمر يتعوذ بالله من مَغْضَلَةٍ ليس لها أبو حَسَن ^(١) !

وقال علي في التي وضعت لستة أشهر ^(٢) ، فأراد عمر ^(٣) رجمها :

إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ^(٤) ،

[ويقول ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ ^(٥)] ^(٦) .

وكان - رضي الله عنه - أعلم الناس بالقرائن ^(٧) ، وله في ذلك أخبار .

منها ما رواه أبو عمر ابن عبد البر ^(٨) بسنده عن زُرَّ بن حُبَيْش

قال : جلس رجلان يتغذيان ، مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر

ثلاثة أرغفة ، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مرَّهما رجل ، فسلم ،

(١) في النهاية ولسان العرب : (مغضلة) أراد المسألة الصعبة أو الخطئة الضيقة المخارج

من الإغصان أو التفضيل ، ويريد بأي حسن عن أبي طالب .

(٢) ذكر الطبري وابن كثير في تفسيرهما أن امرأة من جهينة تزوجت رجلاً من قبيلتها ثم ولدت لستة أشهر بعد دخولها عليه .

(٣) تبع المزيل أبو عمر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩ ولكن الذي رواه الطبري وابن كثير في تفسيرهما عن الجهني أن الذي أراد الرجم هو عثمان رضي الله عنه .

(٤) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

(٥) الآية ١٤ من سورة لقمان .

(٦) زيادة - عن ابن جرير وابن كثير في تفسيرهما - يتم بها الاستدلال ، وجاء في رواية

أخرى قوله تعالى « حولين كاملين » .

(٧) القرائن : علم قصة الموارث . وهي مأخوذة في اللغة من القرض : بمعنى التقدير ، لأن الموارث مقدرة .

(٨) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤١ - ٤٢ .

فقال له : [اجلس] ^(١) للغداء . فجلس وأكل معهما ، واستوفوا
 في أكلهم الأربعة الثمانية ، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم ، وقال
 خذوا هذه عوضاً مما أكلتُ لكما وثلثته من طعامكما . [فتنازعا ،] ^(٢)
 وقال صاحب الخمسة الأربعة : لي خمسة دراهم ولك ثلاثة . فقال
 صاحب الأربعة الثلاثة : لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين .
 فارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقصا عليه قصتهما ،
 فقال لصاحب الثلاثة [الأربعة] ^(٣) : قد عرض عليك صاحبك
 ما عرض وخبره أكثر من خبزك فارض بالثلاثة . فقال : لا والله لارضيته
 منه إلا بمر الحق . فقال علي : ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد
 وله سبعة . فقال الرجل : « سبحان الله يا أمير المؤمنين ! هو يعرض
 علي ثلاثة فلم أرض وأشرت علي بأخذها فلم أرض ، وتقول لي
 الآن : إنه لا يجب لك إلا درهم واحد ! » فقال له [علي] ^(٤) :
 « عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً ، فقلت : لا أرضى
 إلا بمر الحق ، ولا يجب لك في مر الحق إلا واحد . » فقال له الرجل :
 فعرفني ^(٥) الوجه في مر الحق حتى أقبله . فقال : « ليس للثمانية
 الأربعة أربعة وعشرون ثلثاً ؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس . ولا نعلم
 الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل ، فتحملون [في] ^(٦) أكلكم علي
 السواء . » قال : بلى . قال : فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، [وإنما لك
 تسعة أثلاث . وأكل صاحبك ثمانية أثلاث] ^(٧) . وله خمسة

(١) زيادة من الاستيعاب .

(٢) كذا جاء الاستيعاب . وفي النسخة (ك) : « تعرفني » . وفي النسخة (ن) - تعرفني

عبر منقوطة الحرف الأول .

عشرَ ثُلثًا ، أكل منها ثمانية وتبقى [له] ^(١) سبعة ، وأكل لك واحدا من تسعة ، فلك واحدٌ بواحدك ، وله سبعة [بسبعته] ^(١) . فقال له الرجل : رَضِيتُ الآن ! .

وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَتْ : تَرَكَ أَخِي سِتِّمِائَةَ دِينَارٍ وَأَعْطَيْتُ دِينَارًا ! (وَنَظَلَمْتُ مِنْ ذَلِكَ) فَقَالَ : لَعَلَّ أَخَاكَ تَرَكَ زَوْجَةً وَأُمًّا وَبَنَتَيْنِ وَائْتَنِي عَشْرَ أَخَا وَأَنْتِ . قَالَتْ : نَعَمْ . فَقَالَ : قَدْ أَسْتَوْفَيْتِ حَقَّكَ (٢) . وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَشْهُورَةٌ مَسْطُورَةٌ فِي كُتُبِ الْفَقْهِ ، وَتُسَمَّى « الدِّينَارِيَّة » وَ « الْمَنْبَرِيَّة » ^(٣)

وهو - رضى الله عنه - وَمَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هُوَ وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَسَالِمُ بْنُ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ غُبَابَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ^(٤) .

وعن ^(٥) محمد بن سيرين قال : لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ

(١) زيادة من الاستيعاب .

(٢) للزوجة خمسة وسبعون دينارًا (الثمن) ولأُمُّ مائة دينار (السُّلَس) والبنتين أربعين دينارًا (الثلثان) .

فلم يبق إلا خمسة وعشرون دينارًا ، لإخوتها أربعة وعشرون - كل منهم ديناران - ولها دينار واحد .

(٣) تطلق « المنبرية » في كتب الفقه والميراث على مسألة أخرى للإمام هل أيضًا وقد كان يُخْطَبُ عَلَى مَنْبَرِ الْكُوفَةِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي الْخَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ١ ص ٦ : « وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْمَنْبَرِيَّةِ صَارَتْ مِنْهَا تِسْعًا ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَوْ أَفْكَرَ الْفَرَّاسُ فِيهَا فَكَّرَا طَوِيلًا لَا تَحْسُنُ مِنْهُ بَعْدَ طَوْلِ النَّظَرِ هَذَا الْجَوَابُ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ قَالَهُ بِدِيَّةٍ وَاقْتَضَبَهُ ارْتِجَالًا ؟ ! » .

(٤) كَانَ سَالِمُ بْنُ مَعْلٍ مِنَ الْفَرَسِ ، وَأَحْتَقَتْهُ مَوْلَاهُ زَوْجَةُ أَبِي حَذِيفَةَ ، فَتَوَلَّى أَبَا حَذِيفَةَ ، وَتَبَنَاهُ أَبُو حَذِيفَةَ إِلَى أَنْ جَاءَ حُكْمُ النَّبِيِّ . « وَقَدْ صَارَ سَالِمٌ مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ وَقُرَأَتْهُمْ الْمَرْوُفِينَ .

(٥) رَوَى صَاحِبُ الْاِسْتِيعَابِ ج ٢ ص ٢٥٣٤ هَذَا الْخَبْرَ بِسَنَدِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي الْخَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٦ وَالسُّيُوطِيُّ فِي الْإِيتْقَانِ ج ١ ص ٥٩ وَصَاحِبُ تَرْيَاضِ النَّفْسَةِ ج ١ ص ١٦٨ .

الله عنه أبطاً [على] (١) عن بيعته وجلس في بيته ، فبعث (٢)
إليه أبو بكر : ما بَطَّأ بك عني ؟ أكرهت إمارتي ؟ فقال : ما كرهت
إمارتك ، ولكني آليت أن لا أرتدى ردائي - إلا لأى صلاة - حتى أجمع
القرآن ! قال ابن سيرين : فبلغني أنه كتبه على تنزيله ، ولو وجد
ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير .

وفى على - رضى الله عنه - يقول إسماعيل بن محمد الجيمري
من أبيات :

سائل قريشاً بها إن كنت ذاعمه (٣) :
مَن كان أثبتّها في الدين أوتادا ؟
مَن كان أقدمها سلفاً (٤) وأخبرها
علماً وأظهرها أهلاً وأولادا ؟
مَن وحدّ الله إذ كانت مكدبة
تدعو مع الله أوثاناً وأنسدادا ؟
مَن كان يُقَدِّم في الهيجاء إن نكلوا (٥)
عنها وإن بخلوا في أزمة جادا ؟

(١) سقط هذا من (ص) . وثبت في (ك) و (ن) كما في الاستيعاب .
(٢) جاء قبل هذا عند ابن أبي الحديد قوله : « يقول لأبي بكر : إنه كره إمارتك »
(٣) العمه : التردد والتخير .
(٤) كذا جاء في المخطوطة و « السلم » قد جاء في الشعر بمعنى الإسلام ، كقول امرئ
القيس بن هاجر :

فلست مبداً بالله رباً ولا مستبدلاً بالسلم ديناً
وجاء بيت إسماعيل الجيمري في الاستيعاب ج ٣ ص ٦٧ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٠ بلفظ « من كان
أقدم إسلاماً وأخبرها »
(٥) الهيجاء : الحرب . ونكلوا : تأخروا وجبنوا .

مَنْ كَانَ أَغْدَلَهَا حُكْمًا وَأَبْسَطَهَا
 علما وَأَصْدَقَهَا وَعَدًّا وَإِعْمَادًا ؟
 إِنْ يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَعلُّوا أَبَا حَسَنِ
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ لِلْأَبْرَارِ حُسْنًا !
 إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ أَقْوَامًا ذَوِي صَلَافٍ ^(١)
 ذَوِي ^(٢) عِنَادٍ لِحَقِّ اللَّهِ جُعَادًا !
 وفضائله - رضى الله عنه - ومآثره كثيرة ، وفيما أوردناه
 منها وما نُورِدهُ بعدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - كفايةً عَنْ بَسْطِ . . فلنذكر
 بَيَعَتَهُ رضى الله عنه .

ذكربيعة على

رضى الله تعالى عنه

بُيُوعَ لَهُ - رضى الله عنه- [بالخلافة ^(٣)] يَوْمَ قُتِلَ عُمَانُ ^(٤) وَقِيلَ :
 بَلْ بُيُوعَ لَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَخَمِيسَ بَقِيَّةٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ
 وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي كَيْفِيَةِ بَيْعَتِهِ :

فَقِيلَ : لِأَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ - رضى الله عنه - اجتمع أصحاب
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَاتَّوَأَ عَلَيْهِ ،

(١) الصلف : ادعاء ما لا يوجد إعجاب وتكبرا ، والتكلم بالمكروه .

(٢) فِي (ك) : « ذَوِي » . وَ (ن) وَ (ص) : « ذَوِي » . وَ فِي الْإِسْتِيعَابِ
 وَأَسَدُ الْغَابَةِ : « وَذَا » .

(٣) زِيَادَةُ مِنَ الْإِسْتِيعَابِ ج ٣ ص ٥٥ حَيْثُ نَقَلَ الْمُؤَلِّفُ مِنْهُ هُنَا .

(٤) قَتَلَ عُثْمَانَ رضى الله عنه يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثَلَاثِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ
 وَثَلَاثِينَ .

وقالوا [له] ^(١) : إنه لأبد للناس من إمام ، فقال : لاحتاجة لي
في أمركم ، من اخترتم ورضيته . قالوا : لا نختار غيرك . فقال :
لا تفعلوا ، فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً . فقالوا : والله
ما نحن بفاعلين حتى نبأيعك . قال : ففى المسجد ، فإن بيئتي
لا تكون خفياً ^(٢) ، ولا تكون إلا [عن رضا المسلمين .] ^(٣)
وكان في بيته ، وقيل : في حائط ^(٤) لبني عمرو بن مبلول ، ^(٥)
فخرج إلى المسجد يتوكل على قوس ، فبايعه الناس .

وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ، فنظر إليه حبيب بن
ذؤيب ، فقال : « إنا لله ^(٦) ! أول من بدأ البيعة ^(٧) يد شلاء ! » ^(٨)
لا يتم هذا الأمر . وببايعه الزبير ، فقال لهما : إن أحببتمنا أن
نبايعاني وإن أحببتمنا بايعتكما . فقالا : بل نبايعك . وقالوا بعد
ذلك : إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا ، وعرفنا أنه لا يبايعنا .

(١) كذا جاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٨ حيث نقل المؤلف عنه هنا . وفي المخطوطة
وأثرو وقالوا : .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل : « خفيه » .

(٣) هكذا جاءت الرواية في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٥٠ وهي الأصل ، ونقلها
ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤ . وجاء في المخطوطة والكامل « في المسجد »
وقد سبق ذكر « المسجد » في هذا الكلام .

(٤) الحائط - ههنا - : البستان من التخل ونحوه إذا كان عليه جدار .

(٥) فرع من الخرج ، وقد كان أكثر الأنصار - من الأوس والخزرج - يؤيدون عليا .

(٦) هكذا جاء في المخطوطة فيما لابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٩٨ وجاء في رواية أخرى
لابن الأثير - بعد ذلك - - ص ٩٩ : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٧) هكذا جاء في المخطوطة فيما لابن الأثير في الرواية الأولى . وفي الرواية الأخرى :
« أول يد بايعت » .

(٨) كان طلحة قد أبل في يوم أحد - يلاه حسنا ، ووق الذي بنفسه ، فالتقى النبل عنه
بيده حتى شلت أصابه . وسبب المؤلف ذلك في ذكر مقتل طلحة .

وبابِعه الناس ، وجاءوا ، بسَعْد بن أبي وقَّاص^(١) ، فقال له
عليّ : بابِيع . فقال : « لا ، حتّى يُبابِع الناس ، والله ما عليك منى بأس »
قال : خلّوا سبيلَه .

وجاءوا بابنِ عُمَر^(٢) ، فقال مثلَ قوله^(٣) ، فقال : انثنى
بكفيل^(٤) ، فقال : لا أرى كفيلًا . قال الأَشْثَرُ : دَغْنِي أَضْرِبْ
عُنْفَه [عليّ]^(٥) : « دَعُوهُ ، أنا كفيلُه ، - إنَّكَ - ما علمتُ -
سَيِّئُ الخُلُقِ صغيرًا وكبيرًا » .

وبابِعه الأنصارُ إلا نَفَرًا يسيرًا ، منهم حَسَّان بن ثابت ، وكَعْبُ
بن مالك ، ومَسْلَمَة بن مُخَلَّد ، وأبو سعيد الخُدْرِي^(٦) ومحمد بن
مَسْلَمَة ، والتُّعْمَان بن بَشِير ، وزَيْد بن ثابت ورافع بن خَلِيج ،
وفَضالة بن عُبَيْد ، وكَعْب بن عُجْرَة ، كانوا^(٧) عُثْمَانِيَّة .

ولم يبابِع أيضًا عبد الله بن مَلَام ، وصُهَيْب بن سنان ، ومَسْلَمَة^(٨) .

(١) سعد هو أحد السقة الذين جعل فيهم عمر الشورى ، كطلحة والزبير ، ولما قتل عثمان
احتزل الفتنة ولزم بيته . .

(٢) كان عبد الله بن عمر من أهل الودج ، ولوعه اشكت عليه حروب علي وقصدته :
انظر الانبياء ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) أى قال : « لا حتّى يبابِع الناس » .

(٤) أى : ضلّح ألا ترح ، وفي تاريخ ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٥١ « ابني بحميل » ،
وه الحميل « بمعنى الكفيل » ، وفي شرح ابن أبي الحديد لنج البلاة ج ١ ص ٣٤٠ « فأعطى
حميلًا ألا ترح » .

(٥) الزيادة عند ابن جرير وابن الأثير .

(٦) هو سعد بن مالك ، نسب إلى جدّه « الأبيجر » الذى يقال له غدره » .

(٧) هكذا في النسختين (ن) و (ص) . وفي « ك » : « وكانوا » .

(٨) في المخطوطة « مسلمة » والتصويب من الكامل والقاموس وشرحه ، ونجد ترجمته
في الاستيعاب ج ٢ ص ٨٦ والإصابة برقم ٣٣٨١ ج ٢ ص ٦٥ .

ابن سلامة بن وقش، وأسامه بن زيد، وقدامة بن مقعون، والمغيرة ابن شعبة .

وأخذ النعمان بن بشير قميص عثمان الذي قُتل فيه وأصابه امرأته نائلة^(١)، وسار بهم^(٢) إلى الشام .

وقيل في بيعته : إنَّ عثمان لما قُتل بقيت المدينة خمسة أيام . وأميرها الغافقي بن حرب ، وهم يلتمسون من يُجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، فأتى المصريون علياً فباعدهم ، وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم ، وأتى البصريون طلحة فباعدهم ؛ وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين فيمن يلى الخلافة ، فأرسلوا إلى سعد يطلبونه^(٣) فقال : إني وابن عمر لاجحة لنا فيها ، وأتوا ابن عمر فلم يجبههم ، فبقوا حيارى ، وقال بعضهم لبعض : لئن رجع الناس إلى أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلافَ وفساد الأمة ، فجمعوا أهل المدينة وقالوا لهم : يا أهل المدينة ، أنتم أهل السورى ، وأنتم تعقِدون الإمامة ، وحكمكم جائز على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ، ونحن لكم تبع ، وقد أجلناكم^(٤) يومكم ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن^(٥) علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً . فغشي الناس علياً ، فقالوا : نُبائعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القُرى ! فقال على :

(١) لما جاء المعتدون ليقتلوا عثمان انكبت عليه زوجته نائلة وازنت . السيف يدها فقطع أصابعها .

(٢) كذا وقع في المخطوطة . وفي الكامل : « به » .

(٣) بعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا : إنك من أهل السورى فأتهم فبايعك .

(٤) كذا في النسختين (ن) و (س) والكامل لابن الأثير . وفي (ك) : « أجلنا لكم » .

(٥) في الكامل : « لنقتلن غدا » .

« دَعُونِي وَاتَّعِسُوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجْهٌ وَلَهُ أَلْوَانٌ ، لَا تَقُومُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَلَا تُثَبِّتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ » فقالوا : « نَنْشُذُكَ اللَّهُ ! ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى الْإِسْلَامَ أَلَّا تَرَى الْفِتْنَةَ ؟ أَلَا تَخَافُ اللَّهَ ؟ » قال : « قَدْ أَجَبْتُكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَإِنَّمَا أَنَا كَأَحَدِكُمْ ^(١) إِلَّا أَنِّي مِنْ أَسْمَعِكُمْ وَأَطُوعِكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ ... ثُمَّ افْتَرَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَاتَّعَدُوا الْقَدَّ .

وتشاورَ النَّاسُ فيما بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا إِنْ دَخَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَقَدْ اسْتَقَامَت ، فَبَعَثَ الْبَصْرِيُّونَ إِلَى الزُّبَيْرِ حُكَيْمَ بْنَ جَبَلَةَ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ فَجَاءُوا بِهِ يَحْدُوثُهُ ^(٢) بِالسَّيْفِ ، [فَبَايَعَ] ^(٣) . وَبَعَثُوا إِلَى طَلْحَةَ الْأَشْثَرَفِي نَفَرٌ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : دَغْنِي أَنْظِرْ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ . فَلَمْ يَدْعُهُ ، فَجَاءَ بِهِ يَقْتُلُهُ تَلًّا ^(٤) عَنِيْفًا فَبَايَعَ .. فَكَانَ الزُّبَيْرُ يَقُولُ : جَاعَتْنِي لَصٌّ مِنْ لَصُوصِ عَبْدِ الْقَيْسِ فَبَايَعْتُ وَالسَّيْفُ عَلَى عُنُقِي !

وَأَهْلُ مِصْرَ فَرِحُوا لِمَا ^(٥) اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ خَشِعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ أَنْ صَارُوا تَبَعًا لِأَهْلِ مِصْرَ ، وَازْدَادُوا بِذَلِكَ عَلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ غَيْظًا .

(١) كَذَا فِي (ك) . وَفِي (ص) : « أَحَدِكُمْ » كَمَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْهَدِيدِ ج ١ ص ٥٦ .

وَج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) يَحْدُوثُهُ : يَسُوقُونَهُ .

(٣) ثُبُتَتْ فِي النُّسَخَةِ (ك) وَسَقَطَتْ مِنْ (ن) .

(٤) أَيْ يَدْفَعُهُ دَفْعًا .

(٥) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « بَعَا » .

قال (١) : ولما أصبح يوم البيعة - وهو يوم الجمعة - حضر الناس المسجد ، وجاء على رضى الله عنه ، فصعد المنبر وقال : « أيها الناس عن ملائكة وإذن (٢) إن هذا أمركم ، ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم ، وقد افترقنا بالأمس على أمر : وكنت كارهاً لأمركم ، فبئيتم إلا أن أكون عليكم ، ألا وإنه ليس لي دوتكم إلا ما نبيح مالهكم معي وليس لي أن أتحذد درهماً دوتكم ، فإن شئتم قعدت لكم ، وإلا فلا أجد (٣) على أحد . » فقالوا : نحن على ما فارقناك عليه بالأمس . فقال : اللهم اشهد .

قال : ولما جاءوا بطلحة ليبايع قال : إنما أبايع كرها . فبايع . . ثم جرى بالزبير ، فقال مثل ذلك وبايع ، وفي الزبير اختلاف . . ثم جرى بعده بقوم كانوا قد تخلفوا ، فقالوا : نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزير والدليل . فبايعهم . . ثم قام العامة فبايعوا . . وتفرقوا إلى منازلهم .

ورجع على إلى بيته ، فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة ، فقالوا : « يا علي . إننا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل . » فقال : « يا إخوتاه ، إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكن كيف أصنع بقوم يعلكوننا ولا نملكهم ؟

(١) القائل ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٩٩ وأما ذلك في روايه الطبري ج ٣

ص ٥٦ .

(٢) أي : عن تشاور من مقدمكم وجماعتكم .

(٣) كذا في (ن) و (ص) أي : أغضب . وفي تاريخ الطبري : « أجد » بمعنى أغضب

أيضا . وفي تاريخ ابن الأثير و (ك) : « آخذ » .

هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم^(١)، وثابت^(٢) إليهم أعرابكم^(٣) وهم خلا لاكم^(٤) يسومونكم^(٥) ماشاءوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا. قال: «فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه أبداً إلا أن يشاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن هؤلاء القوم مادة^(٦). إن الناس من هذا الأمر - إن حرك - على أمور: فرقة ترى ماترون، وفرقة ترى مالا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق. فاهلكوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا».

واشتد على علي قريش، وحال بينهم وبين الخروج [وتركها]^(٧) على حالها، وإنما هبجه على ذلك حرب بني أمية وتفرق القوم.

وحكى أبو عمر ابن عبد البر^(٨) قال: لما بايع الناس على بن أبي طالب دخل عليه المغيرة بن شعبه^(٩)، فقال له: «يا أمير المؤمنين، إن لك عندي نصيحة». قال: وما هي؟ قال: «إن

(١) «عبدان» بضم العين أو كسرهما مع سكون الياء: جمع عبد.

(٢) ثابت: رجعت واجتمعت.

(٣) كذا في النسخة (ن) وهو مثل ما في تاريخي ابن جرير وابن كثير ووقع في

(س) و(ك): «أعرابكم».

(٤) هكذا جاء في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٤٥٨، ي: هم بينكم. وفي المخطوطة

هنا «غلاصكم». وفي تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٠: «غلاصكم».

(٥) يسومونكم: يكلفونكم.

(٦) أي: ما أعينوا.

(٧) زيادة من ابن الأثير.

(٨) في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٠.

(٩) للمغيرة بن شعبه أحد دعاة العرب للشهودين في ذلك العهد، وهم: معاوية

ابن أبي سفيان، وعمر بن العاص، وزيد، والمغيرة.

أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة على الكوفة ، والزبير على البصرة ، وابعث إلى معاوية بعهد على الشام حتى تلتزمه طاعتك ، فإذا استقرت لك الخلافة قاذرأهم ^(١) كيف شئت برأيك » . فقال [على] ^(٢) : « أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما ، وأما معاوية فلا يراني الله مستعملاً له ولا مستعيناً به مادام على حاله ، ولكنني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ^(٣) ، فإن أبي حاكمته إلى الله تعالى » . فانصرف عنه المغيرة مغضباً لما لم يقبل منه نصيحته . . . فلما كان الغد أتاه فقال : « يا أمير المؤمنين ، نظرت فيما قلت بالأمس وما جاوبتني به ، فرأيت أنك قد وقفت للخير وطلبت الحق » . ثم خرج ^(٤) عنه ، فلقية الحسن وهو خارج ، فقال لأبيه : ما قال هذا الأغور ؟ (يعني المغيرة) ، وكان المغيرة قد أصيبت عينه يوم البرموك) قال : أتاني أميس بكذا وأتاني اليوم بكذا . قال : نصحك والله [أميس] ^(٥) وخذعك اليوم . فقال له على : إن أقررت معاوية على ما في يده كنت متخذ المصلين غصداً ^(٦) .

(١) ادراهم : ادفهم .

(٢) زيادة من الاستيعاب .

(٣) في الاستيعاب : « السامون » .

(٤) كذا جاء في (ك) والاستيعاب . وفي (س) : « وانصرف » .

(٥) سقط « أميس » من النسخة (ك) . وثبت في (س) .

(٦) في القرآن الكريم : ﴿ وما كنت متخذ المصلين غصداً ﴾ في الآية ٥١ من سورة

وقال المغيرة في ذلك :

[نصحتُ علياً في ابنِ هند نصيحةً]

فردَّ (١) فلا يسمع لها الدهر ثانياً

وقلتُ له : أرسل إليَّ بهمه

على الشام حتى يستقر معاوية

ويعلم أهل الشام أن قد ملكته

فأم ابن هند بعد ذلك هاوية

وتحكُّم (٢) فيه ما تريد فإنسه

لداهية - فارقت به - وابن داهية

فلم يقبل النصح الذي جثته به

وكانت له تلك النصيحة كافية

وروي (٣) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - نحوه ، إلا أنه

قال « أتيت علياً بعد قتل عثمان ، عند (٤) عودي من مكة (٥) ،

فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به ، فخرج من عنده ، فقلتُ

له : ما قال لك هذا ؟ فقال : قال لي قبل مرَّته هذه « إنَّ لك حقَّ

الطاعة والنصيحة ، وأنت بقيَّة الناس ، وإنَّ الرأى اليوم يُحرز (٦) به

(١) في مروج الذهب ج ، ص ١٦ : « فردت » .

(٢) سقط هذا البيت من نسخة الاستيعاب التي بأيدينا ومن مروج الذهب .

(٣) في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠١ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٦٠ .

(٤) كذا في تاريخ الطبري وابن كثير : وجاء في المخطوطة « بعد » .

(٥) كان عثمان - قبل مقتله - قد دعا ابن عباس واستعمله على الحج ، فذهب إلى مكة

واقام للناس الحج ، ثم رجع إلى المدينة بعد قتل عثمان بخمسة أيام .

(٦) كذا جاء في النسخة (ص) . وفي النسخة (ك) : « تحرز » .

ما في غد ، وإن الصباغ اليوم يَصْبِغُ به ما في غد ، أَقَرُّ مُعَاوِيَةَ وابنِ عامِرٍ
وعُمَالِ عُثْمَانَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى تَأْتِيكَ بَيْعَتُهُمْ [وَيَسْكُنَ النَّاسُ] ^(١)
ثُمَّ اغْرِلْ مَنْ شِئْتَ « فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ : لَا أَدَاهُنُ فِي دِينِي
وَلَا أُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي أَمْرِي » ^(٢) . قَالَ « فَإِنْ كُنْتَ أَبَيْتَ عَلَى فَاغْرِلْ
مَنْ شِئْتَ وَاتْرُكْ مُعَاوِيَةَ ، فَإِنْ فِي مُعَاوِيَةَ جُرْأَةٌ ، وَهُوَ فِي أَهْلِ الشَّامِ
يُسْتَمْعَمُ مِنْهُ ، وَلَكَ حِجَّةٌ فِي إِثْبَاتِهِ ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [كَانَ] ^(٣)
قَدْ وَلَّاهُ الشَّامَ » فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا أَسْتَعْمَلُ مُعَاوِيَةَ يَوْمَئِذٍ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ
مِنْ عِنْدِي وَأَنَا أَعْرِفُ فِيهِ أَنَّهُ بَرِيٌّ أَتَى مُخْطِئًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ الْآنَ فَقَالَ :
« إِنِّي أَشْرْتُ عَلَيْكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ بِالَّذِي أَشْرْتُ ، وَخَالَفْتَنِي فِيهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ تَصْنَعَ الَّذِي رَأَيْتَ ، فَتَعَزَّلْهُمْ وَتَسْتَمِينَ بَعَنَ تَثِيقُ
بِهِ ، فَتَمَدَّ كَفَى اللَّهُ ، وَهُمْ أَهْوَنُ مُسَوِّكَةً مِمَّا كَانَ » .. قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ : فَقُلْتُ لَعَلِّي : أُمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَى فَقَدْ نَصَحَكَ ، وَأُمَّا الْمَرَّةُ الثَّانِيَّةُ
فَقَدْ خَشَّكَ . قَالَ : وَلِمَ نَصَحْنِي ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ
أَهْلُ دُنْيَا ، فَمَتَى تُثَبِّتَهُمْ لِأَيِّالُوا ^(٤) مِنْ وَلَى هَذَا الْأَمْرَ ، وَمَتَى تَعَزَّلَهُمْ
يَقُولُوا « أَخَذَ هَذَا الْأَمْرَ بَغِيرُ سُورَى ، وَهُوَ قَتَلَ صَاحِبَنَا » وَيُقُولُوا ^(٥)
عَلَيْكَ ، فَيَنْتَقِضَ عَلَيْكَ أَهْلُ الشَّامِ [وَأَهْلُ الْعِرَاقِ ، مَعَ أَتَى لَا آمَنُ
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ أَنْ يَكْرَأَ عَلَيْكَ] ^(٦) وَأَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تُثَبِّتَ

(١) ثبت هذا في النسخة (ك) . وسقط من (ن) .

(٢) الدينه : الخصلة المذمومة .

(٣) ثبت « كان » في (ن) و (د) . وسقط من (ك) .

(٤) وقع في المخطوطة هنا « لا يبين » مع ظهور الجزم بحذف النون في « يقولوا »
بعد « متى » الثانية .

(٥) هذا هو الظاهر المناسب للعطف عن « يقولوا » . ووقع في المخطوطة « ويؤيدون » .

(٦) ثبت هذا في النسخة (ن) كما في تاريخي الطبري وابن الأثير . وسقط من (ك) .

مُعَاوِيَةَ ، فَإِنَّ بَابِعَ لَكَ فَعَلَى أَنْ أَقْلَعَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ . قَالَ [عَلِيٌّ] ^(١) :
وَاللّٰهُ لَا أُعْطِيهِ إِلَّا السَّيْفَ اِنَّهُ تَمَثَّلُ :

وَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مُتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ^(٢) بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلُهَا ^(٣)

فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، لَسْتُ صَاحِبَ
رَأْيٍ فِي الْحَرْبِ ، أَمَّا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« الْحَرْبُ خَدْعَةٌ » ^(٤) ؟ فَقَالَ : بَلَى . فَقُلْتُ : أَمَّ ^(٥) وَاللّٰهُ لَئِنْ
أَعْطَيْتَنِي لِأَصْدِرْنَهُمْ بَعْدَ ^(٦) وَرُودِ ، وَلَأَتْرُكْنَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي دُبُرِ الْأُمُورِ
لَا يَعْرِفُونَ مَا كَانَ وَجْهُهَا ، فِي غَيْرِ نَقْصَانٍ عَلَيْكَ وَلَا لِإِثْمٍ لَكَ .
فَقَالَ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، لَسْتُ مِنْ هُنَيَّاتِكَ ^(٧) وَلَا مِنْ هُنَيَّاتِ مُعَاوِيَةَ
فِي شَيْءٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَطَقْتُ ، وَالْحَقُّ بِمَا لَكَ يَبْتَنِّعُ ^(٨) ، وَأَغْلِقْ بِأَبَاكَ

(١) ثبت هذا في تاريخي الطبري وابن الأثير . وسقط من المخطوطة .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) وتاريخي ابن جرير وابن الأثير ، وجاء في (ص) : « م » .
وجاء في ديوان الأعشى ص ١٧٥ : « فَمَا »

(٣) القول : ما اغتال النفس وأهلكها . يقال « غالته غول » إذا وقع في مهلكة .
والبيت للأعشى في ختام قصيدة .. وقد أثنى بعل بن أبي طالب في تمثله بهذا البيت أبو العباس
السفاح : فإنه لما خرج يدعو إلى البيعة قال : من أحب الحياة ذل ، ثم تمثل يقول الأعشى : فد
ميتة : إن منها . . . الخ .

(٤) « خدعة » يسكون الدال مع فتح الخاء أو ضمه أو كسرهما ، أو بفتح الدال مع ضم
الخاء : والمراد أن أمر الحرب يتنقضى بخدعة .

(٥) « أم » كذا جاء في المخطوطة . وهي بمعنى « أما » الاستغاثية التي تجوز للتنبيه وتكثر
قبل القسم : ولكن ألفها الأخيرة حذفت عن قلة ، وقد جاءت « أما » في تاريخي الطبري وابن
الأثير .

(٦) كذا في (ن) كما جاء ابن عذابة في الأثير وغيره ، أي : أن ما يكون من حالة معهم حيث
كحال من يرجع قوماً عن الماء بعد وروده . وفي (ك) و(ص) : « بغير » .

(٧) « هنيات » تصغير « هنات » أو هنوات ، وكل من هذه الكلمات تذكر عند إرادة
خصال غير حسنة .

(٨) ينبح : قرية ذات نخيل وزرع ومياه في غرب المدينة المنورة ، هل شاطئ البحر
وفيها مال لمل .

عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَجُولُ جَوْلَةً وَتَضْطَرُّبُ وَلَا تَجِدُ غَيْرَكَ ، فَإِنَّكَ
وَاللَّهِ لَشَنْ نَهَضْتَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْيَوْمَ ^(١) لِيَحْمِلَنَّكَ النَّاسُ دَمَ عُثْمَانَ
غَدًا ! . فَأَبَى عَلَى ، وَقَالَ : تُشِيرُ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِيعَنِي
قَالَ : فَقُلْتُ « أَفْعَلْ » ، إِنَّ أَيْسَرَ مَالِكَ عِنْدِي الطَّاعَةُ . فَقَالَ لَهُ
عَلِيٌّ : تَسِيرُ لِي الشَّامَ فَقَدْ وَكَيْتُكَهَا . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَا هَذَا
بِرَأْيِ ، مُعَاوِيَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ عُثْمَانَ ، وَعَامِلُهُ ،
وَلَسْتُ أَمْنُ أَنْ يَضْرِبَ عُتْقَى بِعُثْمَانَ ، وَإِنْ أَدْنَى مَا هُوَ صَانِعٌ أَنْ يَحْبِسَنِي
فَيَتَحَكَّمَّ عَلَيَّ لِقَرَابَتِي مِنْكَ . وَإِنْ كُلُّ مَا حُمِلَ عَلَيَّ حُمِلَ عَلَيْكَ ^(٢) ،
وَلَكِنْ اكْتَسَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَعَنَّهُ وَعِذَّهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا !
وَخَرَجَ الْمُغِيرَةُ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ .

ذكر تفريق علي عماله وخلاف معاوية

رضي الله عنهما

وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ فَرَّقَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عُمَّالَهُ عَلَى
الْأَمْصَارِ ، فَبِعَثَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَعُمَارَةُ بْنُ شِهَابٍ
عَلَى الْكُوفَةِ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْيَمَنِ ، وَقَبَيْسُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى
مِصْرَ ، وَسَهْلُ ^(٣) بْنُ حُنَيْفٍ عَلَى الشَّامِ .
فَإِذَا سَهْلٌ فَإِنَّهُ خَرَجَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَبُوكَ ^(٤) لِقَبِيئَةَ خَبَلٍ ^(٥)
فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَمِيرٌ . قَالُوا : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ ؟ قَالَ : عَلَى

(١) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) وَتَارِيخِي الطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ . وَفِي النُّسخَةِ (ك) : « الْقَوْمُ »

(٢) كَذَا جَاءَ فِي الْمخطُوطَةِ . وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ : « وَإِنْ كُلُّ مَا حُمِلَ عَلَيْكَ حُمِلَ عَلَيَّ »

(٣) أَخُو عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، وَهُمَا صَحَابِيَانِ .

(٤) مَوْضِعٌ بَيْنَ وَادِي الْقُرَى وَالشَّامِ ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ .

(٥) أَيُّ : فَرَسَانِ خَبَلٍ .

الشام . قالوا : إن كان عُثْمَانُ بَعَثَكَ فَحَيَّ هَلَا بِكَ ^(١) ، وإن كان بَعَثَكَ غَيْرُهُ فَارْجِعْ . قال : أَوْ مَا سَمِعْتُمْ بِالَّذِي كَانَ ؟ قالوا : بَلَى ... فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ .

وَأَمَّا عُمَارَةُ فَلَمَّا بَلَغَ زُبَاةُ ^(٢) لَقِيَهُ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ يَطْلُبُ بَشَارَ عُمَانَ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَرِيدُونَ بِأَمِيرِهِمْ بَدَلًا ، فَإِنَّ أَبَيْتَ ضَرَبَتْ عُنُقَكَ ... فَرَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ .

وَأَمَّا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ فَإِنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى أَيْلِهِ ^(٣) لَقِيَتْهُ خَيْلٌ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ . قَالُوا امْضِ . فَمَضَى حَتَّى دَخَلَ [مِصْرَ] ^(٤) ، فَاتَّفَقَ أَهْلُ مِصْرَ فِرْقًا : فِرْقَةٌ دَخَلَتْ فِي الْجَمَاعَةِ فَكَانُوا مَعَهُ ، وَفِرْقَةٌ اعْتَزَلَتْ بِخَرْنِبَا ، ^(٥) وَقَالُوا : « إِنْ قُتِلَ قَتْلَةً عُثْمَانُ فَنَحْنُ مَعَكُمْ ، وَإِلَّا فَنَحْنُ عَلَى جَدِيلَتِنَا » ^(٦) حَتَّى تُخْرِكَ ^(٧)

(١) حى هلا : كلمة يقال عند الدعاء إلى الشيء ، والإقبال عليه ، أى : أنك حيثما أهل هذا .

(٢) زبالة : قرية بطريق مكة من الكوفة : وكانت بها أسواق .

(٣) أيله : مدينة مروفة على خليج العقبة ، وكانت مقصودة : لمن كانوا يقدمون من الحجاز إلى القسطنطينية بطريق البحر .

(٤) كذا في النسخة (ن) وتاريخ ابن الأثير ، وسقطت هذه الكلمة من (ك) .

(٥) جاء في هامش النسخة (مر) مانصه : « بخربنا » بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح النون والياء الموحدة ، بعدها ألف ، وهو تابع لابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٠٥ حيث ذكر هذا الضبط ، ولكن المحققين لا يصححون هذا ، بل يرون أنها « خربنا » بفتح الخاء أو كسرهما مع كسر الراء وسكون الباء قبل التاء المثناة الفوقية ، وكذلك تكررت في مواضع من الجزء الأول من النجوم الزاهرة ، وقال ياقوت في معجم البلدان : « خربنا : قال نصر : موضع من أرض مصر ، لأهلها حديث في قصة علي ومحمد بن أبي بكر ، وهو خطأ ، وقد سألت عنه أهل مصر فلم يعرفوا إلا خربنا » ، وقال في موضع آخر : « خربنا : هكذا ضبط في كتاب ابن عبد الحكم ، وقد ضبط الحازمي بالنون ثم الباء ، هو خطأ » . والمعروف الآن أن « خربنا » قرية تابعة لمحافظة البحيرة ، وأنها بكسر الخاء والياء مع سكون الراء .

(٦) الجديلة : الحال والطريقة .

(٧) تخرك : نصاب السيوف ، وهذه الكلمة جاءت في النسخة (ن) ، وفي (ك) « تخرك »

«ونصيب حاجتنا» ، وفرقة قالت نحن مع علي مالم يُقَدَّ من إخواننا^(١) وهم في ذلك مع الجماعة . . . فكذب قيس إلى علي بذلك .

وأما عثمان بن حنيف فسار حتى دخل البصرة ، ولم يرده أحد ولا وجد لابن عامر^(٢) في ذلك رأيا ولا استقلالاً بحرب ، وافترق الناس بها : ففرقة دخلت في الجماعة ، وفرقة اتبعت القوم ، وقالت فرقة « ننظر ما يقول أهل المدينة فنصنع ما صنعوا » .

وأما عبيد الله بن عباس فانطلق إلى اليمن ، فخرج يعلى بن منية^(٣) بعد أن جمع المال - ولحق بمكة ، وأنفق المال في حرب الجمل .

قال^(٤) : ولما رجع سهل بن حنيف دعا علي طلحة والزبير فقال « إن الأمر الذي كنت أحذركم قد وقع ، وإن الذي قد وقع لا يُدْرَك إلا بإماتة^(٥) » ، وإنها فتنة كالنار كلما سُعِرَتْ ازدادت اضطرابا ، واستثارت . فقالوا^(٦) : - رائذن لنا تخرج من المدينة ، فيما أن نكائر ، وإما أن تدعنا . فقال : سأمسك الأمر ما أستمسك ، فإذا لم أجد بدا فآخر الداء الكى ! .

(١) أي : مالم يقتل إخواننا بما فعلوه في الخليفة عثمان بن عفان .

(٢) ابن عامر : عبدالله بن عامر بن كريز ، وكان ابن خال عثمان بن عفان ، وقد ولاه عثمان البصرة .

(٣) هو يعلى بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الخنثلي حليف قريش ، ينسب حينئذ إلى أبيه « أمية » وينسب حينئذ إلى أمه « منية » وصيقت النسيان قريبا في وقعة الجمل ، وقد استعمله عمر بن الخطاب على بعض اليمن فحصى لنفسه حصى ، فمزله عمر ، ثم استعمله عثمان ابن عفان على صنعاء اليمن ، وانظر الاستيعاب ج ٣ ص ٦٦١ وتهذيب الأسماء ج ٢ ص - ١٦٥ والإصابة ج ٣ ص - ٦٦٨ .

(٤) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٠٣ .

(٥) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل : « إماتته » .

(٦) كذا جاء عند ابن الأثير ، وفي المخطوطة : « فقالوا » .

وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى ، فأجابيه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة ، وبين الكارّة منهم [للذي كان] ^(١) والراضى ومن بين ذلك ، حتى كان على [كانه] ^(٢) يشاهدهم .. وكان رسوله إلى أبي موسى معبد الأسلمي .

وكان رسوله إلى معاوية سيرة الجهى ، فلم يُجبه معاوية بشيء وكلما تنجز جوابه لم يزد على قوله :

أَدِمَّ إِدَامَةً حِضْنٍ أَوْ خُذَا ^(٣) بِيَدِي
حَرْبًا ضَرُوسًا تَشُبُّ الْجَزَلَ وَالضَّرْمَا ^(٤)
فِي جَارِكُمْ وَابْنِكُمْ إِذْ كَانَ مَقْتُلُهُ
شَنْعَاءَ ^(٥) شَيَّبَتِ الْأُصْدَاغَ وَاللِّمَامَا
أَغْيَى الْمَسُودُ بِهَا وَالسَّيِّدُونَ فَلَمْ
يُوجَدَ لَهَا غَيْرُنَا مَوْتَى وَلَا حَكَمَا

حتى إذا كان [الشهر الثالث من مقتل عثمان] ^(٦) في صَفَر دعا معاوية رجلا من بنى عَبَس ، اسمه قَبِيصَة ، فدفع إليه طُومارا ^(٧) مخنوما ، عنوانه « من معاوية إلى علي » وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

(٢) كذا جاء في المخطوطة كالكمال ، وفي تاريخ ابن جرير الطبرى ج ٣ ص ٤٦٤ : « أوجدا » .

(٣) تشب : توفد . والجزل : الخطب اليابس الغليظ . والضرم : السيف الذى فى طرفه نار ، والجرم .

(٤) كذا جاء فى النسخة (ن) . وفى (ك) : شنما .

(٦) الزيادة من ابن الأثير .

(٧) الطومار : الصغيفة .

على أسفل الطُّومار . وأوصاه بما يقول ، وأعاد رسول على معه ، فقدمَا
 المدينة في شهر ربيع الأول ، ودخل العَبَسِيُّ كما أمره مُعاوية ، والناسُ
 تنظر إلى الطُّومار ، حتى دَفَعَهُ إلى عليٍّ ، ففَضَّضَهُ ، فلم يجد فيه كتاباً
 فقال للرسول : ما وراءك ؟ قال : وأنا آمِنُ ؟ قال : نعم ، إن الرُّسُلَ
 لا تُقْتَلُ . قال تركتُ قومًا لا يَرْضَوْنَ إلَّا بالقَوْدَ (١) . قال : مِمَّنْ ؟
 قال : « مِنْ خِيْط . رَكِبْتِكَ ! وتركتُ ستين ألفَ شيخٍ يَبْكِي تحت
 قميص عُثْمان ، وهو منصوبٌ لَهُمْ ، قد أَلْبَسُوهُ مِنْبَرًا دِمَشْقِي ! »
 قال : « أَمْنِي يطلبون دَمَ عُثْمان ؟ أَلَسْتُ مَوْتُورًا بِتِرَةٍ (٢) عُثْمان ؟ اللَّهُمَّ
 إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمان ! نجا - والله - قَتَلَهُ عُثْمان إلَّا أَنْ يَشَاءَ
 الله فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا أَصَابَهُ ! اخْرُجْ . » قال وأنا آمِنُ ؟ قالت : وأنتِ
 آمِنٌ . فخرج العَبَسِيُّ ، فقالوا (٣) : « هذا الكَلْبُ رسولُ الكَلْبِ !
 اقْتُلُوهُ ! » فنَادَى : يَا آلَ مُضَرٍّ . يَا آلَ قَيْسٍ ، الْخَيْلَ وَالنَّيْلَ ، وَبِاللهِ
 أَقْسَمُ لَيَرِدَنَّهَا عَلَيْكُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ خَصِيٍّ ! فانظروا كم الفُحولُ
 وَالرِّكَابُ ؟ » وتعاووا (٤) عَلَيْهِ ، فَمَنَعَتْهُ مُضَرٌّ ، وجعلوا يقولون
 لَهُ : « اسْكُتْ » فيقول : « لا والله ، والله لا يُفْلَحُ هَؤُلَاءُ أَبَدًا ، أَنَاهُمْ
 مَا يُوعَدُونَ ، لَقَدْ حَلَّ بِهِمْ مَا يَحْذَرُونَ ، انتهتِ اللهُ أَعْمَالُهُمْ وَذَهَبَتْ
 رِيحُهُمْ (٥)

(١) القود : التقصاص .

(٢) جاء عند ابن جرير وابن الأثير : كُتْرَةٌ « والثرة : الثَّارُ وَالنَّظْمُ فِيهِ ، وَالْمَوْتُورُ : الْمَصَابُ يَقْتُلُ حَمِيْمَهُ وَلَمْ يَدْرِكْ ثَأْرَهُ .

(٣) القائلون هم السَّبِيْعَةُ كَمَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ .

(٤) تعاووا (بِالْعَيْنِ أَوْ بِالْفَيْنِ) أَيْ : تَجَمَّعُوا وَتَعَاوَنُوا .

(٥) في القرآن الكريم : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » والمراد بالريح الدَّوْلَةُ وَالْقُوَّةُ .

قال : وأظهر على العزم على قتال معاوية ، وكتب إلى عماله أن يتتدبوا الناس إلى الشام .

ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة ، فأذن لهما .

ودعا على ابنه محمد بن الحنفية ، فدفع إليه اللواء ، وولى عبد الله بن عباس ميمنته ، وعمر بن أبي سلمة - أوعمر بن سفيان بن عبد الأسد - ميسرته ، وجعل أبا ليلى بن عمر بن الجراح (ابن أخي أبي عبيدة) على مقدمته ، واستخلف على المدينة فثم بن العباس .

ذكر ابتداء وقعة الجمل

ومسير عائشة وطلحة والزبير ومن معهم إلى البصرة
وما كان من الحرب إلى أن استقروا بها وإخراج عثمان بن حنيف
عامل على رضى الله عنه

كان ابتداء وقعة الجمل أن عائشة رضى الله عنها كانت قد خرجت إلى الحج وعثمان مَحْصُورٌ - كما ذكرنا - فلما قضت الحج وعادت أتتها الخبر بقتله وخلافة على ، وهى يسرف^(١) ، فرجعت إلى مكة وهى تقول : « قتل - والله - عثمان مظلوماً ! والله لأطلبن يديه ! » وطلبت مكة ، فقصدت الحجر ، فسمرت فيه ، واجتمع الناس إليها ، فقالت : « أيها الناس ، إن الغوغاء من أهل الاصبار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ، ونقموا^(٢) عليه استعمال من حدثت سنه ، وقد استعمل أمثالهم

(١) سرف : توضع على ستة أميال من مكة .

(٢) نفوا : أنكروا .

مَنْ قَبْلَهُ ، وَمَوَاضِعَ مِنَ الْحِمَى حَمَاهَا لَهُمْ ^(١) ، [وهى أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها ،] ^(٢) فتابعهم ، ونزع [لهم] ^(٣) عنها (استصلاحاً لهم) ^(٤) ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعُدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، وأستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لأصبعُ من عثمان خيرٌ من طباق الأرض أمثالهم ! والله لو أَنَّ الَّذِي اعْتَدُوا بِهِ عَلَيْهِ كَانَ ذَنْبًا لَخَلَصَ مِنْهُ كَمَا يَخْلُصُ الذَّهَبُ مِنْ خَبَثَةٍ أَوْ الثَّوبُ مِنْ دَرَنَةٍ إِذْ مَا صُوه ^(٥) كَمَا يُعَاصُ الثَّوبُ بِالْمَاءِ ! فقال عبدُ الله بن [عمرو بن] ^(٦) الحَضْرَمِى (وكان عاملَ عُثْمَانَ عَلَى مَكَّةَ) : « هَا أَنَا [ذَا] ^(٧) أَوَّلُ طَالِبٍ » ، فكان أَوَّلُ مُجِيبٍ ، وتبعه ^(٨) بنو أُمَيَّةَ عَلَى ذَلِكَ ، وكانوا قد هربوا من المدينة إِلَى مَكَّةَ بعد قتل عُثْمَانَ ، وتبعهم سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَالْوَلِيدُ ابْنُ عُقْبَةَ .

(١) قال عثمان - رضى الله عنه دفاعاً عن نفسه : « وأما الحمى فان عمر حى الحمى قبل لإبل الصدقة فلما وليت زادت إبل الصدقة ، فزدت فى الحمى لما زاد فى إبل الصدقة » . انظر تاريخ ابن جرير الطبرى فى ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٢ ص ٤٦٨ .

(٣) فى النهاية : « فى حديث عائشة قالت عن عثمان : معتموه كما يعاص الثوب ثم علوتم عليه فقتلوه : الموص : الفسل بالأصابع يقال : معته أموصه موصاً : أرادت أنهم استابوه عما نفقوا منه فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه » .

(٤) هذا هو الصواب ، كما ذكره ابن حجر فى الإصابة ج ٢ ص ٣٥١ وابن جرير وغيره فى أسماء عمال عثمان ، وهو غير عبد الله بن عامر بن كرزى القرشى وإل البصرة الذى يأتى مذكور بعد أسطر . وقد جاء فى المخطوطة « عبد الله بن عامر الحضرمى » وهو - طاً - وقع أيضاً فى نسخ الطبرى وابن الأثير فى هذا اللوح .

(٥) كذا جاء فى تاريخ ابن جرير ج ٢ ص ٦٤٨ . ووقع فى المخطوطة : « هَا أَنَا أَوَّلُ

طَالِبٍ » .

(٦) كان عبد الله بن الحضرمى حليفاً لبني أُمَيَّةَ .

وقَدِمَ عليهم عبدُ اللَّهِ بنُ عامر^(١) من البَصْرَةِ بِمالٍ كثيرٍ ويَعْلَى
ابنُ أُمَيَّةَ (وهو ابنُ مُنيَّةَ)^(٢) من اليمنِ ومعه ستمائة بعيرٍ وستمائة
ألف ، فأنَاخَ بالأَبْطَحِ .

وقَدِمَ ظَلْحَةُ والزُّبَيْرُ من المدينة ، فلقيا عائشة : فقالت :
«أوراءكما ؟ فقالا : « إِنَّا تَحْمِلُنَا هُرَابًا^(٣) من المدينة من غَوَغاءٍ
وأعراب ، وفارقنا قَوْمًا حَيَارَى لا يعرفون حَقًّا ولا يُنكرون باطلاً
ولا يَمْنَعون أنْفُسَهُم » ، فقالت : انْهَضُوا إلى هذه الغَوَغاءِ . فقالوا :
نَأَى الشَّامُ . فقال ابنُ عامر : « قد كَفَاكُمْ مُعاوِيَةُ الشَّامَ ، فَأَتُوا
البَصْرَةَ ، فَإِنَّ لِي بِهَا صَنَائِعَ ، ولهم في ظَلْحَةَ هَوًى » ، قالوا :
« قَبَحَكَ اللَّهُ ! فواللَّهِ ما كُنْتُ بالمُسَالَمِ ولا بالمُحَارِبِ ، فهَلَّا أَقَمْتَ
كما أقام مُعاوِيَةُ فنَكْفِي بِكَ ، ثم نَأَى الكوفةَ فنَسَدَ عَلَى هؤلاء القومِ
مَذَاهِبَهُم » . فلم يجدوا^(٤) عنده جواباً مقبولاً .

حتى إذا استقام لهم الرأى عَلَى البصرة قالوا : « يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ،
دَعِيَ المدينة ، فَإِنَّ مِنْ مَعْنَا لا يُطِيقُ مَنْ بِهَا من الغَوَغاءِ ، [واشْخَصِي^(٥)
مَعْنَا إِلَى البَصْرَةِ ، فَإِنَّا]^(٦) نَأَى بِلَدًا مَضِيعًا ، وسيحتجون علينا
[فيه]^(٦) بَبَيْعَةٍ عَلَى فتنَهم^(٧) » كما أَنهَضَتْ أَهْلَ مَكَّةَ ،

(١) سبق أنه ابن خال عثمان بن عفان وواله علي البصرة .

(٢) سبق ذكره . وأنه عامل عثمان علي صنعاء اليمن .

(٣) أى : ارتحلنا هارين .

(٤) كذا جاء عند الطبري وابن الأثير . وفي المخطوطة : « فلم تجد » .

(٥) أى : اذهبي .

(٦) الزيادة من تاريخ الطبري .

(٧) كذا جاء عند الطبري وابن الأثير وفي المخطوطة « فتنهم » . . . وقد جاء في بعض

الروايات أن طلحة والزبير قالوا لعائشة : « إِنَّا فُلُقُ أَرْضًا قد أُمِيت وصارت إلى علي ، -

فإن أصلح الله الأمر كان الذي أردنا ، وإلا دَفَعْنَا [عَنْ هَذَا الْأَمْرِ] ^(١) بجهدنا ، حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ مَا أَرَادَ . فَأَجَابَتْهُمْ إِلَى ذَلِكَ .
وَدَعَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عِمْرٍ لِيَسِيرَ مَعَهُمْ ، فَأَبَى ، وَقَالَ : « أَنَارِجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، أَفْعَلُ مَا يَفْعَلُونَ » . فَتَرَكُوهُ .

وكان أزواجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عائشة على قَصْدِ المدينة ، فلما تَغَيَّرَ رَأْيُهَا إِلَى الْبَصْرَةِ تَرَكْنَهَا ^(٢) ذَلِكَ . وَأَجَابَتْهَا حَفْصَةُ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَهَا ، فَمَنَعَهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ ^(٣) .

وَجَهَّزَهُمْ يَعْلَى بْنُ مُنْبَةَ بِسِتْمَانَةِ أَلْفٍ وَسِتْمَانَةِ بَعِيرٍ ، وَجَهَّزَهُمْ ابْنُ عَامِرٍ بِمَالٍ كَثِيرٍ .

وَنَادَى مُنَادِيهَا : « إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ شَاخِصُونَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَمَنْ أَرَادَ إِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَقِتَالَ الْمُخَلِّينَ ^(٤) وَالطَّلَبَ بِشَارِ عُثْمَانَ وَلَيْسَ لَهُ مَرَكِبٌ وَلَا جَوَازَ فَلْيَأْتِ » ، فَحَمَلُوا سِتْمَانَةَ عَلَى سِتْمَانَةِ بَعِيرٍ ، وَسَارُوا فِي أَلْفٍ - وَقِيلَ فِي تِسْعِمَانَةٍ - مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَتَلَاخَقَتْ بِهِمُ النَّاسُ ، فَكَانُوا فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ رَجُلٍ .

وَأَعَانَ يَعْلَى بْنُ مُنْبَةَ الزُّبَيْرَ بِأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَحَمَلَ سَبْعِينَ == وَقَدْ أَجْبَرْنَا عَلَى عِلِّ بَيْتِهِ ، وَهُمْ مُحْتَجُونَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ وَتَارَكُوا أَمْرَنَا ، إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ فَتَأْمُرَ مَا أُمِرْتَ بِمَكَّةَ .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .

(٢) كذا جاع عند الطبري وابن الأثير ، وفي المخطوطة « تَرَكُوا » .

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب أخو أم المؤمنين حفصة لأبيها وأُمُّهَا ، كَمَا سَبَقَ

فِي هَذَا الْكِتَابِ ج ١٨ ص - ١٧٦ .

(٤) كذا جاع عند ابن جرير وابن الأثير ، و« الْمُخَلُّونَ » يَرَادُ بِهِمْ هُنَا : الَّذِينَ أَحْلَوْا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَانْتَهَكُوا حُرْمَاتِهِ ، وَهَذَا يُنَاسِبُ مَا سَبَقَ قَرِيبًا مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ « سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَاسْتَحْلَوْا الْبِلَدَ الْحَرَامَ وَالتَّهْرَ الْحَرَامَ وَأَخْفَوْا الْمَالَ الْحَرَامَ » ، وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « الْمُخَلِّينَ » بِالْهَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ يَمِيدٍ .

من قُرَيْش ، وأعطى عائشةَ جَمَلًا ، اسمه « عَسْكَر » ، واشتراه
بجائتي دينار ، وقيل : بشمانين دينارًا ، وقيل : كان لرجل من
عُرَيْنَةَ ، فابتاع منه بمَهْرِيَّة^(١) وأربع مائة درهم أو ست مائة درهم .

وخرجت عائشة من مكة ومعها أمهات المؤمنين إلى ذات عِرْق^(٢)
فبكوا على الإسلام ، فلم يرَ يوم^(٣) كان أكثرَ باكياً وباكيةً من
ذلك اليوم ، وكان يُسمَّى « يوم النَحِيب » . . .

وكتبت أم الفضل^(٤) بنت الحارث (أم عبد الله بن عباس) إلى
علي بالخبر .

ولما خرجت عائشة من مكة أذن مروان^(٥) بن الحَكَم ، ثم جاء حتى
وقفت على طلحة والزبير فقال : على أيكما أسلم^(٦) بالإمرة وأودن بالصلاة
فقال عبد الله بن الزبير : على أبي عبد الله (يعني أباه) . وقال محمد
ابن طلحة : على أبي محمد (يعني أباه) . فأرسلت عائشة إلى مروان
فقالت : أتريد أن تفرق أمرنا ، ليُصَلَّ بالناس ابنُ أختي^(٧) (تعني

(١) ناقة مهريّة من نوع سريع معروف من الإبل . ينسب إل « مهرة » .

(٢) موضع على مرحلتين من مكة . يتزل فيه مريد الحج من أهل العراق ليحرم
بالحج منه .

(٣) كذا جاء عند ابن جرير وابن الأثير ، ووقع في المخطوطة « يوما » .

(٤) هي لبابة بنت الحارث الهذليّة ، اشتهرت بكتبتها .

(٥) مروان بن الحكم القرشي الأموي أبو عبيد الملك ، وهو ابن عم عثمان وكتابه
في حديثه .

(٦) كذا جاء عند ابن جرير . وفي المخطوطة : « أماله » .

(٧) اهتمدت بذلك عن ذكر الشيخين اللذين وقع فيما الاختلاف .

عبد الله بن الزُبَيْر (١) . وقيل بل صَلَّى بالناس عبد الرحمن (٢) بن عَتَّاب بن أُسَيْد حتى قُتِل .

ولما انتهوا إِلَى ذاتِ عِرْقٍ لَقِيَ سَعِيد (٣) بن العاص مَرَوَّانَ بن الحكم وأصحابه (٤) فقال : أَيُنْ تذهبون وتتركون ثَارَكُمْ عَلَى أَعْجَاز الإِبِلِ وراءكم ؟ (بغى عائشة وطلحة والزُبَيْر) اقْتُلُوهُمْ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ ! فقالوا : نَسِيرُ فَعَلْنَا نَقْتُلُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ . . فخلا سَعِيد ابن العاص بطلحة والزُبَيْر ، فقال : اضْدُقَانِي إِنْ ظَفَرْتُمَا لِمَنْ تَجْعَلَانِ الْأَمْرَ ؟ قالَا : نَجْعَلُهُ لِأَحَدِنَا أَيُّنَا اخْتَارَهُ النَّاسُ . قال : بل نجعلونه لولد عُثْمَانَ فَإِنَّكُمْ تَطْلُبُونِ بِدَمِهِ فقالَا : نَدْعُ شُيُوخَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَجْعَلُهَا لِأَبْنَائِهِمْ ! قال : فلا أَرَانِي أُسْعَى إِلَّا بِإِخْرَاجِهَا مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ (٥) فرجع ، ورجع عبد الله بن خالد بن أُسَيْد (٥) ، فقال الْمُغْبِرَةُ بن شُعْبَةَ : « الرَّأْيُ مَا قَالَ سَعِيد ، مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ ثَقِيفٍ فَلْيَرْجِعْ » ، ورجع .

ومَضَى الْقَوْمَ ، ومعهم أَبَانُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عُثْمَانَ ، وكان دليهم رجلان من عُرَيْنَةَ ، وهو الَّذِي ابْتِيعَ مِنْهُ الْجَمَلُ (عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ) ، قال الْعُرْنِيُّ : فَمَسَرَّتْهُمْ ، فلا أَمْرٌ عَلَى وَادٍ إِلَّا

(١) هو من الأمويين ، صحابي لو تابعي ، انظر الإصابة ج ٣ ص ٧٢ وشرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة ج ٣ ص ٤١ .

(٢) هو سَعِيد بن العاص بن سَعِيد بن العاص بن أُمَيَّة الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ .

(٣) بَنِي أُمَيَّة .

(٤) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٢ « طلحة من نبي بن مرة والزبير من أسد بن عبد العزى بن قصي » ، وليس أحدُهما من بني عبد مناف .

(٥) عبد الله بن خالد أموي ، وهو ابن عم عبد الرحمن بن عتاب الذي سبق ذكره

سألوني عنه ، حتى طرقتا الحَوَّابَ - وهو ماء (١) - فنبَحَثْنَا كِلَابَهُ فقالوا : أى ماء هذا ؟ قلتُ : هذا ماء الحَوَّابِ ، فصرختُ عائشة بأعلى صوتها ، واسترجعت (٢) وقالت : إني لَهَيْة ! سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : « لَيْتَ شِعْرِي أَتَيْتُكُمْ تَنْبَحُهَا كِلَابُ الحَوَّابِ ! » ثم ضربتَ عَضْدَ بَعِيرِهَا فَأَنَاحَتْهُ ، وقالت : « رُدُّونِي ! أنا والله صاحبةُ ماء الحَوَّابِ ! » فَأَنَاحُوا حَوْلَهَا يَوْمَا وَلَيْلَةً ، فقال لها عبد الله بن الزُّبَيْرِ : « إنه كَذِبٌ ، وإيس هو ماء الحَوَّابِ » ولم يزل بها وهى تمتنع حتى قال لها : « النَّجَاءُ النَّجَاءُ ! قد أدرَككم على بن أبي طالب . » فارتحلوا نحوَ البصرة ، فلما كانوا بفنائها لَقِيَهُمْ عُبَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ فقال : (يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرْشِدْكِ اللَّهُ أَنْ تَقْدِمِي الْيَوْمَ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تُرَاسِلِي مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَعَجَّلِي ابْنَ عَامِرٍ فَإِنَّ لَهُ بِهَا صَنَائِعَ ، فليذهب إليهم (٣) » فأرسلته .

وكنيت عائشةُ إني رجال من أهل البصرة ، وإني الأَخْتَفُ بن قَبِيسٍ وَأَمْثَالِهِ ، وأقامت بالحَفِيرِ (٤) تنتظر الجواب .

ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمانُ بنُ حُنَيْفٍ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَأَبَا الْأَسْوَدَ الدُّؤْلِيَّ وقال : انْطَلِقَا إِلَى عَائِشَةَ وَاعْلَمَا عِلْمَهَا وَعِلْمَ مَنْ مَعَهَا ، فَاتِيَا ! وقالَا : إِنَّ أَمِيرَنَا بَعَثَنَا إِلَيْكَ لِيَسْأَلَكَ عَنْ مَسِيرِكَ فَهَلْ أَنْتَ مُخْبِرُنَا ؟ فقالت : « وَاللَّهِ مَا مِثْلِي يَسِيرُ بِالْأَمْرِ الْمَكْتُومِ »

(١) من مياه حرب من الطريق بين البصرة ومكة . ويصاحف هذا موضع لتزول المسافرين .

(٢) قالت : « نَزَّاهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

(٣) زاد ابن جرير الطبري : « فليلقوا الناس حتى تقضى ويسموا ما جئتم فيه » .

(٤) المختبر : مأخوذه أبو موسى الأشعري على طريق البصرة إلى مكة فكان مأواه عذبا .

إِنَّ الْفَوْغَاءَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَاعٍ ^(١) الْقَبَائِلَ غَزَوْا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَحْدَثُوا فِيهِ الْأَحْدَاثَ ^(٢) ، وَأَوْوَأَ فِيهِ الْمُحَدِّثِينَ ^(٣) ، فَاسْتَوْجِبُوا لعنةَ اللَّهِ ولعنةَ الرَّسُولِ ، مَعَ مَا نَالُوا مِنْ قَتْلِ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ بِلَايَرَةٍ ^(٤) وَلَا عُذْرٍ ، فَاسْتَحْلُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فَسَفَكُوهُ ، وَانْتَهَبُوا ثَمَالَ الْجَرَامِ ، وَأَحْلُوا الْبِلَدَ الْحَرَامَ وَالشُّهْرَ الْحَرَامَ ، وَمَزَقُوا الْأَعْرَاضَ وَالْجُلُودَ ، وَأَقَامُوا فِي دَارِ قَوْمٍ كَارِهِينَ لِمَقَامِهِمْ ضَارِّينَ مُضِرِّينَ ^(٥) غَيْرِ نَافِعِينَ وَلَا مُنْتَفِعِينَ ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى امْتِنَاعٍ وَلَا يَأْمَنُونَ ، فَخَرَجْتُ فِي الْمُسْلِمِينَ أَغْلَمَهُمْ مَا آتَى هَؤُلَاءِ ، وَمَا فِيهِ النَّاسُ وَرَاءَنَا ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَأْتُوا فِي إِصْلَاحِ هَذِهِ الْقِصَّةِ « وَقَرَأْتُ : (لَاخِيَرٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجَوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) ^(٦) [ثُمَّ قَالَتْ ^(٧) :] « نَهَضَ ^(٨) فِي

(١) النزاع من القبائل : جمع « النازع » وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته أي : بعد وغاب .

(٢) الأحداث : جمع حدث ، وهو : الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة ، كما ذكره صاحب النهاية « في حديث المدينة : من أحدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا » .

(٣) آووا المحدثين : نصروا الجائنين أو أجادوهم من خصومهم وخالفوا بينهم وبين أن يقتل منهم .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) قد جاء اللفظان بمعنى واحد ، وقد يكون المراد « مضرين » : الذين يكرهون فيهم على الأمور التي يريدونها .

(٦) من الآية ١١٤ من سورة النساء .

(٧) زيادة يقتضيا المقام .

(٨) عند الطبري : « نهض » .

الإصلاح فيمن ^(١) أمر الله وأمر رسوله الصغير والكبير والذكر والأنثى ، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ، ومُنْكَرٍ نَنْهاكم عنه ونحضكم على تغييره فخرجنا من عندها ، فأتيا طلحة فقالا له : ما أَقْدَمَكَ ؟ قال : الطَّلَبُ بِدَمِ عُثْمَانَ . فقالا : أَلَمْ تُبَايِعْ عَلِيًّا ؟ قال : « بَلَى » ، وَالسَّيْفُ عَلَى عُنُقِي ، وما أَسْتَقْبِلُ عَلِيًّا الْبَيْعَةَ إِنْ هُوَ لَمْ يَحْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَتْلَةِ عُثْمَانَ . ثم أَتَيَا الزُّبَيْرَ فقالا له وقال مثل ذلك . فرجعا إلى عائشة فودَّعاهما ، فودَّعت عمرانَ ، وقالت يا أبا الأسود ، إِيَّاكَ أَنْ يَقُودَكَ الْهَوَى إِلَى النَّارِ ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (الآية) ^(٢) . وَسَرَّخْتُهُمَا ، وَنَادَى مُنَادِيهَا بِالرَّحِيلِ . ومَضَيَا حَتَّى أَتَيَا عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ، فَبَدَرَ أَبُو الْأَسْوَدَ عِمْرَانَ فقال :

يا ابنَ حُنَيْفٍ قَدْ أُزِيْتُ فَاثْفِيرِ ^(٣) .

وطاعينِ القَوْمَ وَجَالِدٍ وَاصْبِرِ

وَابْزُرْ لَهُمْ مُسْتَلْتَمًا ^(٤) وَتَمِرِ

فاسترجع ^(٥) عُثْمَانُ ، وقال : دَارَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ ^(٦) وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

وَنَادَى فِي النَّاسِ ، وَأَمَرَهُمْ بلبسِ السلاح .

(١) عند الطبري : « من » .

(٢) الآية ٨ من سورة المائدة .

(٣) انفر : تقلم القتال .

(٤) مستلتما : لا يمس الأذى ، هي الدرع على الحرب .

(٥) قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« تَدْرِي رَحَى الْإِسْلَامِ بِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ أَوْسْتِ وَثَلَاثِينَ أَوْسِيعَ وَثَلَاثِينَ » . قال الخطابي في شرحه ج ٤ ص ٣٤٠ : دوران الرحى كناية عن الحرب - القتال ، شبهها بالرحى النوازة التي تطحن الحب ، لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس .

وأقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المربد^(١) ، فدخلوا
من أعلاه ، ووقفوا حتى خرج عثمان بن حنيف فيمن معه ، وخرج
إلى عائشة من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، فاجتمع القوم
كلهم بالمربد : عائشة ومن معها في ميمنته ، وعثمان ومن
معه في ميمرته .

فتكلم طلحة ، فأنصتوا له ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان
وفضله وما استحل منه^(٢) ، ودعا إلى الطلب بدمه ، وحثهم عليه .
وتكلم الزبير بمثل ذلك . فقال من في ميمنة المربد : صدقوا وبرأ !
وقال من في ميمرته : « فجرا ، وغدرا ، وأمرأ بالباطل ! بايما عليا
ثم جاءا يقولان ما يقولان ! » وتحاثي^(٣) الناس وتحاصبوا^(٤) .

فتكلمت عائشة ، فحمدت الله وأثنت عليه ، وقالت : كان
الناس يتجنون على عثمان ، ويذرون^(٥) على عماله ، ويأتوننا
بالمدينة فيستشبروننا فيما يُخبروننا عنهم ، ويذرون حَسَنًا من
كلامنا في إصلاح بينهم ، فننظر في ذلك فنجدُه بريًا تقياً وقيًّا ،

== قال الشاعر يصف حرباً « فذارت رحانا واستارت رحامو . . . » قال زهير
« فتمرككم حرك الرعي بقلما . . . » .

(١) المربد : كان من أعظم محال البصرة أسواقها سككها .
(٢) في رواية ابن جرير : وذكر عثمان وفضله والبلد وما استحل منه وعظم
ما آق إليه .

(٣) تحاثي الناس : تراموا التراب فرماه بعضهم في وجه بعض ولم يذكر أصحاب
الصالح والنهاية واللسان والقاموس وشرحه هذا اللفظ في مادته ، وذكروا « استحي »
لهذا المعنى الذي هو ظاهر في التفاعل ، مثل « تحاصبوا » الآن ، وسيقاً « تحاثوا » قريباً ،
كما جاء هذا اللفظ عند ابن جرير وابن الأثير .

(٤) تحاصبوا : تراموا بالحصى ، أي الحمى .

(٥) يذرون : يميون .

ونجدهم فَجَرَّةٌ غَدَرَةٌ كَذِبُهُ ، وهم يُحَاوِلُونَ غَيْرَ مَا يُظْهِرُونَ ، فلَمَّا قَدَرُوا عَلَى الْمُكَاتَرَةِ كَاثُرِهِ ، فَاقْتَحَمُوا عَلَيْهِ دَارَهُ ، وَاسْتَحْلُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَالْمَالَ الْحَرَامَ ، وَالْبِلْدَ الْحَرَامَ ، بِبِلَاطِرَةٍ ^(١) وَلَا عُدْرَ ، أَلَا إِنَّ فِيمَا يَنْبَغِي - لَا يَنْبَغِي لَكُمْ غَيْرُهُ - أَخَذَ قَتْلَ عُثْمَانَ ، وَإِقَامَةَ كِتَابِ اللَّهِ ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الآية ^(٢)) .

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين : فقالت فرقة : صدقت والله وبررت وجاءت بالمعروف ، وقالت فرقة خلاف ذلك . فتحاثوا وتحاصبوا وأرهبوا ^(٣) ، فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف ، حتى وقفوا في الورد في موضع الدباغين ، وبقي أصحاب عثمان على حالهم ، يتدافعون حتى تحاجزوا ، ومال بعضهم إلى عائشة ^(٤) .

وأقبل حُكَيْمُ بْنُ جَبَلَةَ ، وهو على خيل ابن حنيف ، فأنشب القتال ، فاشرع أصحاب عائشة رماحهم ، وأمسكوا اليُسْكَ ^(٥) ، فلم ينته ولم ينتن ، وأصحاب عائشة كافون [لأمامادافعوا عن أنفسهم] ^(٦) ثم اقتتلوا على فم السكة ، وأشرف أهل الدور من كان له في أحد

(١) القرة : الثار .

(٢) من الآية ٢٣ من سورة آل عمران .

(٣) أرهبوا : أثاروا الفبار .

(٤) وبقي بعضهم مع عثمان بن حنيف على فم السكة ، كما ذكره ابن جرير ج ٣

ص ٤٨٢ .

(٥) هذا هو المناسق للقليل بعده ، وعبارة ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٠٩

« وأسكوا ليسك حكيم وأصحابه » . وفي المخطوطة وتاريخ ابن جرير : « ليسكوا » .

(٦) الزيادة من تاريخ ابن جرير .

الفريقين هوى ، فرموا في الأخرى بالحجارة . وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا ، حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ، فوقفوا بها ملياً^(١) ، وثاب إليهم الناس ، فحجز الليل بينهم . ورجع عثمان إلى القصر ، ورجع الناس إلى قبائلهم ، وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق [وباتوا يتأهبون ، وبات الناس يأتونهم ، واجتمعوا بمساحة دار الرزق^(٢)] .

وأصبح عثمان فغادهم^(٣) ، وخرج حكيماً ، فاقتتلوا قتالاً شديداً من حين بزغت الشمس إلى أن زالت ، وقد كثر القتل في أصحاب ابن حنيفة ، وفشت الجراحة في الفريقين ، ومنادى عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف ، فيأبون ، حتى إذا مسهم الشر وعصتهم الحرب نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح ، فأجابوهم : وتداعوا^(٤) وكتبوا بينهم كتاباً^(٥) على أن يبعثوا رسولا إلى المدينة يسأل أهلها ،

(١) ملياً : زمناً طويلاً .

(٢) سقطت هذه العبارة من النسخة (ك) وثبتت في النسخة (ن) .

(٣) غاداهم : أجازهم أي وقت الغداة .

(٤) كذا في المخطوطة ، أي : دعا بعضهم بعضاً . وعند الطبري « تواعوا » . وعند

ابن الأثير « توادعوا » .

(٥) الكتاب - كما ذكره ابن جرير وغيره - هو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين ، وعثمان بن حنيف ومن مع المؤمنين والمسلمين ، أن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما في يده ، وأن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما ، حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة ، ولا يقار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا قرعة ، بينهم عيبة مكفوفة ، حتى يرجع كعب التمر ، فان رجح بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما ، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطلحة وإن شاء دخل معهما ، وإن رجح أتاهم يكرها فالأمر أمر عثمان ، فان شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علي وإن شاءا خرجا حتى يلحقا بطلحتهما ، والمؤمنون أعوان القاليج منهما » .

فإن كان طلحة والزبير أكرها على مبايعة علي خرج ابن حنيفة عن البصرة وأخلاها لهم ، وإن كانا لم يكرها على البيعة خرج طلحة والزبير .

فسار كعب ^(١) بن سور حتى أتى المدينة ، فقدمها يوم الجمعة فسأل أهلها هل أكره طلحة والزبير على بيعة علي أم أتياها طائعين ؟ فلم يجبه أحد إلا أسامة ابن زيد فإنه قال : اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما مكرهان . فوائبه سهل بن حنيف والناس ، وثار صهيب وأبو أيوب في عدة من الصحابة ، منهم محمد بن مسلمة ، حين خافوا أن يقتل أسامة ، فقالوا : اللهم نعم . فتركوه ، وأخذ صهيب أسامة بيده إلى منزله .

وبلغ عليا الخبر ^(٢) ، فكتب إلى عثمان بن حنيف أنهما لم يكرها على البيعة .

فلما عاد كعب بن سور أمر عثمان بالخروج عن البصرة ، فامتنع ، واحتج بكتاب علي ، فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر ، وقصدوا المسجد واقتتلوا ، فقتل من أصحاب ابن حنيف أربعون رجلا ، ودخل الرجال علي ابن حنيف فأخرجوه [إليهما] ^(٣) ، فما وصل وفي وجهه شجرة ، فاستعظما ذلك ، وأرسلا إلى عائشة في أمره ، فأرسلت أن خلوا سبيله ، ويقى طلحة والزبير بالبصرة ومعهما بيت المال والحرس ، واستتر من لم يكن معهما .

وبلغ حكيم بن جبلة ماحل بعثمان [بن حنيفة] ^(٤) فقال : لست

(١) كان قاضي البصرة .

(٢) كذا جاء عند ابن الأثير . وفي المخطوطة : حل .

(٣) كذا جاء في (ك) و(د) و(هـ) ابن الأثير . وسقط من (ن) .

أَخَافُ اللَّهَ إِنْ لَمْ أَنْصُرْهُ . فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة - وكان بينه وبين عبد الله بن الزبير محاورات ^(١) - ثم اتَّفَقُوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فكان حُكَيْمٌ بِحِيَالٍ طَلْحَةَ ، وَذَرِيحٌ بِحِيَالِ الزُّبَيْرِ ، وابن المُحَرَّش ^(٢) بِحِيَالِ عبد الرحمن بن عَتَّابٍ ، وَخُرْقُوصُ ابن زُهَيْرٍ بِحِيَالِ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فَقُتِلَ حُكَيْمٌ وابْنُهُ وأخوه ، وَقُتِلَ ذَرِيحٌ ، وَأَقْلَتَ خُرْقُوصُ في نَفَرٍ من أصحابه وجرى إلى طلحة والزبير بمن كان فيهم من غزا المدينة ، فقتلوا . وكانت هذه الوقعة لخمس بَقِيْنَ من شهر ربيع الآخر من السنة وبابِيعَ أَهْلِ البصرة طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ .

ذكر مسير على إلى البصرة

وما اتَّفَقَ له في مسيره ومن انضمَّ إليه
ومراسلته أهل الكوفة

قال : وكان على رضى الله عنه قد نَجَّهزَ لقصد الشام لقتال معاوية ، لما أظهر الخلاف عليه ، كما تقدم ، فبينما هو على ذلك أتاه الخبرُ عن طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وعائشة من مكة بما عزموا عليه ، فلما بلغه ذلك وأنهم يريدون البصرة سرَّه ذلك ، وقال : إن الكوفة فيها رجال [من] ^(٣) العرب ويؤتاتهم . فقال له ابن عباس - رضى الله عنهما - :

(١) انظر المحاورات بين حكيم بن جبلة وعبد الله بن الزبير عند ابن جرير وابن الأثير .
(٢) « ابن عرش » هكذا ضبطه بعض العلماء بالغاء المهملة . والراء المشددة ، وضبطه بعضهم بقوله « ابن اغترش » بالغاء المعجمة والتاء بعدها ، واسمه : غويلد ابن عمرو بن صخر .
(٣) جاءت هذه الزيادة في النسخة (ن) .

« إِنَّ الَّذِي سَرَّكَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسُوهُنَّ ، إِنَّ الْكَوْفَةَ فُسْطَاطٌ . فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِ وَلَا يَزَالُ فِيهَا مَنْ يَسْمُو إِلَى أَمْرِ لَا يَنْتَالُهُ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ شَغَبَ عَلَى الَّذِي قَدْ نَالَ مَا يُرِيدُ ، حَتَّى يَكْسِرَ حِدَّتَهُ . » فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنَّ الْأَمْرَ لِيُشْبِهُ مَا تَقُولُ .

وتهيأ للخروج إليهم ، فتدب أهل المدينة للمسير معه ، فتشاقلوا فبعث إلى عبد الله بن عمر كميلاً النخعي ^(١) ، فجاء به ، فدعاه إلى الخروج معه ، فقال : « إِنَّمَا أَنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُمْ ، فَإِنْ يَخْرُجُوا أَخْرَجْ مَعَهُمْ [وَإِنْ يَقْعُدُوا أَقْعُدْ . » قَالَ : فَأَعْظَنِي كَفَيْلًا . قَالَ : لَا أَفْعَلُ ^(٢)] . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَوَلَا مَا عَرِفَ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ صَغِيرًا وَكَبِيرًا لِأَنْكَرْتَنِي ! دَعُوهُ فَأَنَا كَفَيْلُهُ . فَرَجَعَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ : « وَاللَّهِ مَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ إِنَّ الْأَمْرَ لَمُشْتَبِهٌ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ مُقِيمُونَ حَتَّى يَبْضِئَ ! » فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِ : وَأَخْبَرَ أُمَّ كُلْثُومَ (ابْنَتَهُ عَلَى ، وَهِيَ زَوْجَةُ عُمَرَ) بِالَّذِي سَمِعَ وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مُعْتَمِرًا مُقِيمًا عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ مَآخِلَا النُّهَوْضِ ^(٣) . فَأَصْبَحَ عَلِيٌّ فَقِيلَ لَهُ : حَدَّثَ اللَّيْلَةَ حَدَّثٌ هُوَ أَشَدُّ مِنْ أَمْرِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَانِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ ! قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ ! فَأَتَى السُّوقَ ، وَأَعَدَّ

(١) كميل بن زيادة بن نهيك النخعي ، كان شريفاً مطاعاً من رؤساء الشيعة ، عاش حتى قُتلَ الحجاج .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (٥) كما جاءت عند ابن جرير وابن الأثير . وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) كان على رضي الله عنه قد قال لابن جبر سين دعاه إلى الخروج معه : « انهض معي » .

الظَّهْر^(١) [والرَّحَال ، وأَعَدَّ]^(٢) لكل طريقٍ طُلُوبًا ، وماجَ الناسَ ، فسمِعَتْ أُمُّ كُثُومٍ ، فَاتَتْ عَلِيًّا فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبِيرَ^(٣) ، فَطَابَتْ نَفْسُهُ ، وَقَالَ : « انصَرِفُوا ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبَ ، وَإِنَّهُ عِنْدِي ثَقَّةٌ » . فانصَرَفُوا .

ثُمَّ آتَى عَلِيًّا الْخَبِيرُ بِمَسِيرِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعائِشَةَ مِنْ مَكَّةَ نَحْوَ الْبَصْرَةِ ، فَدَعَا وَجُوهَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَخَطَبَهُمْ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : « إِنَّ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ أَوَّلُهُ ، فَانصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُصْلِحْ لَكُمْ أَمْرَكُمْ . » فَتَنَاقَلُوا ، فَلَمَّا رَأَى زِيَادُ بْنُ حَنْظَلَةَ تَنَاقَلَ النَّاسَ انْتَدَبَ^(٤) إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ تَنَاقَلَ عِنْدَكَ فَيَأْتِيَانَا نَخِفُ مَعَكَ فَتَقَاتِلَ دُونَكَ . وَقَامَ أَبُو الْهَيْثَمِ^(٥) ابْنُ التَّيَّهَانِ وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ^(٦) : « قَالَ الْحَكَمُ : لَيْسَ بِذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، مَاتَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ أَيَّامَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » . وَقَالَ أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي تَرْجُمَةِ^(٧) خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ

(١) الظهر : الإبل التي يعمل عليها وتركب .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) ، وعبارة ابن جرير : « ودعا بالظهور فحمل الرجال » ، وعبارة ابن الأثير : « وأعد الظهر والرجال » .

(٣) كذا جاد في (ن) ، وفي (ك) : « بالخبر » .

(٤) كذا جاد في المخطوطة وتاريخ ابن الأثير . وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري :

« ابتدر » .

(٥) أبو الهيثم بن التيهان صحابي أنصاري ، اسمه مالك ، وله ترجمة في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ٢ ص ٥٣٩ والامتناع ج ٣ ص ٣٦٨ والإصابة ج ٣ ص ٣٤١ وأسد الغابة ٤ ص ٢٧٤ .

(٦) في الكامل ج ٣ ص ١١٣ ، وعبارة مأخوذة من ابن جرير في تاريخه ج ٣

ص ٤٦٧ .

(٧) ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ من الاستيعاب .

ذى الشهادتين^(١) : (إنه شهيد مع عليّ حرب الجمل وصيفين فذلّ على أنه هو ، والله أعلم .) فاجابا عليّاً إلى نصرته .

وقال أبو قتادة الأنصاري لعليّ : « يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّدني هذا السيف ، وقد أغمدته زمانا ، وقد حان تجريدُه عليّ هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشا ، وقد أحببتُ أن تقدّمني ، فقدّمني » .

قال^(٢) : ولما أراد عليّ المسير إلى البصرة وكان يرجو أن يدركه طلحة والزبير فيردّهما قبل وصولهما إلى البصرة ، فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس ، وعلى مكة قنم بن العباس ، وقيل : أمر على المدينة سهل بن خنيفة ، وسار في تعبته التي كانت لأهل الشام ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين .

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في تسعمائة ، فلقية عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه ، وقال : « يا أمير المؤمنين ، لانخرُج منها ، فوالله لئن خرجت منها^(٣) لا يعود إليها سلطان المسمين أبدا ! » فسبّوه ، فقال : « دعوه ، نِعَم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم » . وسار حتى انتهى إلى الرّيدة^(٤) ، فاتاه خبر سبّهم إلى البصرة ، فأقام بها ياتعير ما يفعل .

(١) سى خزيمة : « ذا الشهادتين » لأن النبي صلى الله عليه وسلم جبل لهما ، كشهادة رجلين .

(٢) القائل ابن الأثير في الكامل .

(٣) في رواية ابن جرير الطبري ج ٣ ص ٤٧٤ : « لا ترجع إليها ولا يعود . . »

(٤) الرّيلة : قرية بين المدينة وفيد .

ذكر ارسال على الى أهل الكوفة

وعَوِّدُ رُسُلِهِ وإرسال غيرهم
وما كان من إخراج أبي موسى الأشعري
عن الكوفة وانضمام أهل الكوفة إلى على
وما كان في خلال ذلك من الأخبار

قال : ولما أقام على - رضى الله عنه - بالربذة أرسل منها محمد بن
أبي بكر الصديق ومحمد بن جعفر رضى الله عنهم إلى أهل الكوفة ،
وكتب إليهم : « إني قد اخترتكم على الأمصار ، وفزعت إليكم لما
حدث ، فكونوا لدين الله أغوانا وأنصارا ، وانهبوا إلينا ، فالإصلاح
نريد ، لنعود هذه الأمة إخوانا » . فمضيا .

وأقام بالربذة ، وأرسل إلى المدينة ، فأتاه ما يريد من دابة
وسلاح .

ثم قام في الناس فخطبهم وقال : إن الله تبارك وتعالى أعزنا
بالإسلام ورفقنا به ، وجعلنا إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ،
فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم ، والحق فيهم ،
والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين
نزعهم^(١) الشيطان : لينزع^(٢) بين هذه الأمة ، ألا وإن هذه
لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعود بالله من شر ما هو كائن
ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن

(١) نزعهم : تخسهم ووسوس لهم .

(٢) ينزع : يفسد .

هذه الأمة ستفترق^(١) على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني^(٢) ولا تعمل بعملى ، وقد أدرکتهم ورأيتم^(٣) ، فالزموا دينکم ، واهدؤا بهدي ، فإنه هدى نبيکم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل علیکم حتى تعرضوه على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً .

قال : ثم أتاه جماعة من طييء ، وهو بالريذة ، فقبل له : هذه جماعة قد أتتك ، منهم من يريد الخروج مملك ، ومنهم من يريد التسليم عليك . فقال : جزى الله كلاً خيراً ﴿ وفصل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾^(٤) . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماشهديمونا قال به ؟ قالوا : شهيدناك بكل ما تحب . فقال : « جزاكم الله خيراً ! قد أسلحتهم طائعين ، وقتلتهم المرتدين ، ووافيتهم بصدقائكم المسلمين » . فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن من الناس من يعبر لسانه عن قلبه ، وإني - والله - ما كل^(٥) ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني ، وسأجهد وبالله التوفيق : أما أنا فستأنصح

(١) هذا مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أحمد بن حنبل وأبو داود عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال : ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افتروا على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » . انظر معالم السنن ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٢) تنتحلني : ينتسب إلى .

(٣) كذا جاء في المخطوطة مثل الذي رواه ابن جرير . وجاء في الكامل لابن الأثير : « وقد أدرکتهم ورأيتم » .

(٤) من الآية ٩٥ من سورة النساء .

(٥) كذا جاء عند الطبري . وفي المخطوطة هذه العبارة : « وإني والله ما أجد لساني يعبر عما في قلبي » .

لك في السر والعلانية ، وأقاتل عدوك في كل موطن ، وأرى من الحق لك ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقرايتك » . فقال : « يرحمك الله ! قد أدى لسانك عما يُجَنُّ ضميرك » .^(١)

قال : ثم سار على - رضى الله عنه - من الرَبْذَةِ ، وعلى مقدمته أبوليلي بن عمرو بن الجراح ، والراية مع ابنه محمد بن الحنفية ، وعلى علي ناقة حمراء يقود فرساً كميثاً ، فلما نزل بفَيْد^(٢) أتنه أسد وطيب ، فعرضوا عليه أنفسهم فقال : في المهاجرين كفاية . وعرضت عليه بكر بن وائل أنفسها ، فقال لها كذلك .

قال : وانتهى إلى ذي قار^(٣) أتاه عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة^(٤) - وقيل : إنه أتاه بالرَبْذَةِ - فقال : يا أمير المؤمنين بعثني ذل الحية وقد جئتكم أمرد ! قال : أصبت أجراً وخيراً ! وأقام بذي قار ينتظر جواب أهل الكوفة^(٥) .

وكان من خبر محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر أنهما أتيا أبا موسى الأشعري بكتاب على ، وقاما في الناس بأمره ، فلم يُجابا بشيء ، فلما أيسوا دخل ناس من أهل الحجاز على أبي موسى فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فقال : « كان الرأي بالأمس ليس اليوم »^(٦) ، إن

(١) زاد الطبري وابن الأثير : « قتل معه بصفين : وحه الله » .

(٢) فَيْد : موضع في منتصف الطريق بين العراق والحجاز .

(٣) ذوقار : موضع قريب من الكوفة ، اشتهر عند العرب بموقع مشهورة كانت بين

بكر وكسرى .

(٤) كان يحاربوه قد نفخوا شعر لحية وراشه وحاجبيه .

(٥) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن جرير وابن الأثير : « أسوا » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة والكامل لابن الأثير . وفي تاريخ ابن جرير : « باليوم » .

الذى تهاونتم به فيما مضى هو الذى جرّ عليكم ما ترون ، إنما هما أمران :
القيود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ، فاختراروا ، فلم ينفروا إليه
أحد ، فغضب محمد ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال لهما : « والله
إن بيعة عثمان فى عنقى وعنق صاحبهما ، فإن لم يكن بد من قتال
لانتقل أحدنا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا » .

فانطلقا إلى على فأخبراه الخبر وهو بذي قار ، فقال للأشتر وكان
معه : « أنت صاحبنا فى أبى موسى والمعترض فى كل شيء ، اذهب
أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت » .

فخرجوا ، فقدموا الكوفة ، فكلما أبا موسى ، واستعانا عليه بنفّر
من أهل الكوفة ، فخطبهم أبو موسى فقال « أيها الناس ، إن أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه [فى المواطن] ^(١) أعلم بالله
ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقا ، وأنا مؤد إليكم
نصيحة ، كان رأى ألا تستخفوا بسلطان الله ، ولا تجترئوا على الله ،
وأن تأخذوا من قديم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا
فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة [منكم] ^(٢) ، وهذه فتنة صماء ^(٣) ،
النائم ^(٤) فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد
خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعى ،

(١) الزيادة من رواية ابن جرير الطبرى .

(٢) الزيادة من رواية ابن جرير .

(٣) الفتنة الصماء هى التى لا سبيل إلى تسكينها ، لأن الأسم لا يسمع النداء فلا يقطع عما
يفعله : وقيل : هى كالحية الصماء التى لا تقبل الرق .

(٤) هذا وما يتصل به بعده مأخوذ من حديث لذي صل الله عليه وسلم ، ومبادئ
ذكره قريبا .

فكونوا جُرْدُومَةً^(١) من جرائم العرب^(٢) ، فَأَغْمِدُوا السُّيُوفَ ، وَأَنْصَلُوا^(٣) الأَسِنَّةَ ، واقصعوا الأوتار ، وآوُوا^(٤) المظلوم والمُضْطَّهَدَ ، حَتَّى يَلْتَمَشَ هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفِتْنَةُ .

فرجع ابنُ عباس والأشترُ إلى عليٍّ ، فأخبراه الخبر .
فأرسل ابنُه الحسنَ وعَمَارَ بنَ ياسرٍ ، رضى الله عنهما ، وقال لِعَمَّارَ : انطلقْ فأصلحْ ما افسدت . فأقبلا حتى دخلا مسجد الكوفة ، فكان أول من رآهما مسروق^(٥) بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عَمَّار فقال : يا أبا اليقظان علامَ قتلتُم عُثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضربِ آبائنا^(٦) . قال : فوالله ما عاقبتُم بمثل ما عوقبتُم به ولا صبرتُم فكان خيراً للصابرين^(٧) .

فخرج أبو موسى فلقى الحسنَ فضمه إليه ، وأقبل على عَمَّار فقال : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين فيمن عدا فأخللت نفسك مع الفجار ؟ فقال : لم أفعل ولم يمسوني ! فقطع الحسنُ عليهما [الكلام ^(٧)] ، وأقبل على أبي موسى فقال له : لِمَ تُثَبِّطُ .

(١) الجرثومة : الأصل .

(٢) انصلوا الأسنة : انزعوا أسنة الرماح ، أى : أخرجوا الأسنة من أماكنها لإبطال القتال .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) وتاريخ ابن جرير وابن الأثير ، أى : ضموا إليكم . وحملوه بينكم . وفي النسخة (ك) : « وانصروا » .

(٤) كذا جاء في تاريخ ابن جرير والقاموس والإصابة ج ٣ ص ٤٩٢ حيث ترجمته . وفي المخطوطة : « المسروق » .

(٥) أبشار : جمع بشر ، و « يشر » اسم جنس جمعي واحد : بشرة ، وهى ظاهر الجلد .

(٦) ما عوذ من قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ ، وَلَنْ صَبْرْتُمْ لَوْ غَيْرَ الصَّابِرِينَ ﴾ الآية ١٢٦ من سورة النحل .

(٧) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

النَّاسَ عَنَّا ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْإِصْلَاحَ ، وَلَا مِثْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُخَافُ عَلَى نَبِيِّهِ ! » قَالَ : صَدَقْتَ ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! وَلَكِنْ «
 الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ ^(١) ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
 « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ
 الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّكَّابِ ^(٢) » وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ إِخْوَانًا ، وَحَرَّمَ
 عَلَيْنَا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا .

فَغَضِبَ عَمَّارٌ ، وَنَسَبَهُ ، وَقَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا قَالَ لَهُ
 وَخَذَهُ « أَنْتَ فِيهَا قَاعِدًا خَيْرٌ مِنْكَ قَائِمًا » ! .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ : فَسَبَّ عَمَّارًا وَقَالَ : أَنْتَ أَمِيرٌ مَعَ الْغَوَّاهِ
 وَالْيَوْمُ تَسَافُهُ أَمِيرُنَا ! .

وَنَارُ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ وَأَنْثَالُهُ ، وَنَارُ النَّاسِ ، وَقَامَ زَيْدٌ عَلَى بَابِ
 الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنْ عَائِشَةَ إِلَيْهِ تَأْمُرُهُ بِمَلَازِمَةِ بَيْتِهِ أَوْ نُصْرَتِهَا ،
 وَكِتَابٌ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ بِمَعْنَاهُ : فَأَخْرَجَهُمَا فَقَرَأَهُمَا عَلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا فَرَغَ
 مِنْهُمَا قَالَ : « أَمِرْتُ أَنْ تَقْرَأَ فِي بَيْتِنَا ^(٣) » ، وَأَمِرْنَا أَنْ نَقَاتِلَ حَتَّى

(١) « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ » حَدِيثٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ آمِنٌ عَلَى مَا لَمْ يَشِيرْ فِيهِ .

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ : فَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْحَدِيثَيْنِ ٦٦٥٤ ، ٦٦٥٥ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي بَكْرَةَ ، أَنْظَرَ شَرْحُ التِّرْمِذِيِّ ج ١٨ ص ٨ - ٩ ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ . . . » ثُمَّ عَقِبَهُ بِقَوْلِهِ « قَالَ أَبُو عَرِيسٍ : وَفِي لِبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغِيَابِ بْنِ الْأَرْتِ وَأَبِي بَكْرَةَ » وَابْنُ سَمُودٍ وَأَبِي وَاقِدٍ وَأَبِي مُوسَى وَغَرِثَةُ ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ج ٩ ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَفِي يَوْمِئِذٍ يُؤْتِكُنَّ ﴾ .

لا تكون فتنة^(١) ، فأمرتنا بما أمرت به ، ورَكِبْتَ ما أمرنا به ١ .
فقال له شَبَّهَ بن رِبْعِي : يَا عُمَايِي^(٢) ، سَرَقْتَ بِجُلُولَاءِ^(٣) فَقَطَعْتَ
يَدَكَ ! وَعَصَيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ [فقتلك الله^(٤)] ! .

وتهاوى الناس . قام أبو موسى فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَطِيعُونِي ،
وَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ ، يَا أَوَى إِلَيْكُمْ الْمَظْلُومُ ، وَيَأْمَنُ
فِيكُمْ الْخَائِفُ إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ بَيَّنَتْ^(٥) .
وإِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ بَاقِرَةٌ^(٦) كَذَاهُ الْبَطْنِ^(٧) ، تَجْرِي بِهَا^(٨) الشَّمَالُ
وَالْجَنُوبُ وَالصَّبَا وَالْدَّبُورُ ، تَذَرُ الْحَكِيمَ وَهِيَ حَيْرَانٌ كَابْنِ أَمْسٍ ،
شِيمُوا^(٩) سُبُوفَكُمْ ، وَاقْصِدُوا^(١٠) زِمَاحَكُمْ ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَالزَّمُوا
بَبُوتَكُمْ ، خَلُّوا قَرِيْشًا إِذَا أَبَوْا إِلَّا الْخُرُوجَ مِنْ دَارِ الْهَجْرَةِ وَفِرَاقَ
أَهْلِ الْعِلْمِ^(١١) ، اسْتَنْصَحُونِي وَلَا تَسْتَفْشِنُونِي ، أَطِيعُونِي يَسْلَمَ لَكُمْ دِينُكُمْ ،

(١) يشير إلى قول الله تعالى : ﴿ وَتَأْتِيهِمْ فِتْنَةٌ ﴾ .

(٢) قال ابن جرير وابن الأثير : زيد من « عبد القيس » وهم يسكنون عمان .

(٣) جلولا : قرية بالمران كانت بها وقعة مشهورة على الفرس المسلمين .

(٤) الزيادة من ابن جرير .

(٥) أي أنها إذا أقبلت شبت على القوم وأرتمهم أنهم على الحق حتى يدعوا فيها ويركبوا
منها مالا يجوز ، فإذا أدبرت وانقضت بان أمرها فعلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ .

(٦) كذا رواها ابن جرير في تاريخه ، وقال صاحب النهاية : في حديث أبي موسى :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيأتي على الناس فتنة بقرعة يدع الحليم حيران »
أي : واسعة عظيمة . وفي المخطوطة : « فاقرة » .

(٧) في النهاية : « إن هذه لفظة باقرة كذاه البطن لا يدري أي يرقى له » أي أنها مفسدة
لدين مفرقة للناس وشبهها بداء البطن لأنه لا يدري ماهاجه وكيف يداوى ويتأذى له .

(٨) كذا رواها ابن جرير ، وفي المخطوطة : « ٤ » .

(٩) شيموا : اغفلوا .

(١٠) اقصوا : اكسروا .

(١١) في تاريخ الطبري : « العلم بالإمرة » .

ودنياكم ويشقى بجر هذه الفتنة من جناها .

فقام زيد ، فشال يده المقطوعة ، فقال : يا عبد الله بن قيس ^(١) ردُّ الفُرات عن أذراجِه ، اُرُدُّهُ مِنْ حَيْثُ يَجِيءُ حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَسْتَقْدِرْ عَلَى مَا تَرِيدُ ، فَدَعْ عَنْكَ مَا لَسَبْتَ مُدْرِكَهُ ، سِيرُوا إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدَ الْمُسْلِمِينَ ، انْفِرُوا إِلَيْهِ أَجْمَعِينَ تَصِيبُوا الْحَقَّ ! .

فقام القَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو ^(٢) فقال : « إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ ، وَعَلَيْكُمْ شَفِيقٌ ، أَحِبُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُدُّوا ، وَلَا قَوْلُنَّ لَكُمْ قَوْلًا هُوَ الْحَقُّ ، أَمَّا مَا قَالَ الْأَمِيرُ فَهُوَ الْحَقُّ لَوْ أَنَّ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَأَمَّا مَا قَالَ زَيْدٌ فَزَيْدٌ عَدُوٌّ هَذَا الْأَمِيرِ فَلَا تَنْصَحُوهُ ، وَالْقَوْلُ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إِمَارَةِ تَنْظِيمِ النَّاسِ ، وَتَرْغُ ^(٣) الظَّالِمَ ، وَتُعِزُّ الْمَظْلُومَ وَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَلِيٌّ ^(٤) بِنَا وَلِيٍّ ، وَقَدْ أَنْصَفَ فِي الدَّعَاءِ ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَيَّ الْإِصْلَاحَ ، فَانْفِرُوا وَكُونُوا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ » .

وقال عَبْدُ خَيْرِ الْخَيَوَانِي : يَا أَبَا مُوسَى هَلْ بَايَعَ طَلْحَةُ وَالزُبَيْرُ عَلِيًّا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : هَلْ أَجَدَّثَ عَلِيٌّ مَا يَحِلُّ بِهِ نَقْضُ بَيْعَتِهِ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : « لَا ذَرَيْتَ ! نَحْنُ نَتْرَكَكَ حَتَّى تَذُرَكَ ! هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا خَارِجًا مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ؟ إِنَّمَا النَّاسُ أَرْبَعُ فِرَقٍ : عَلَى

(١) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري .

(٢) القَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو التميمي كان من الصحابة والفرسان .

(٣) هكذا جاء عند ابن جرير وابن الأثير ، و « ترغ » بمعنى : تكف وتجنب وترجع وفي المخطوطة « نزع » .

(٤) مل : مضطلع ناهض .

بظَهَر الكوفة ، وظَلَحَة والزُّبَيْر بالبصرة ، ومُعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لِأَخْشاء بها ولا يقاتل بهاعدو . « فقال أبو موسى : أولئك خَيْرُ الناس وهي فتنة ! فقال عَبْدُ خَيْر : غَلَبَ عليك غشك يا أبا موسى !

فقال سَيْحان بن صُوحان : إِنَّه لا بُدَّ لهذا الأمرِ وهؤلاء الناس من والٍ ، يَذْفَع الظلم ، وَيُعِزُّ المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا وليكم ^(١) وهو يدعوكم لتتنظروا فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ صاحِبِهِ ، وهو المأمونُ على الأئمة ، الفقيه في الدين ، فمن نهَضَ إليه فإِنَّا سائرون معه .

فلما فرغ سَيْحان قال عَمَّار : « هذا ابنُ عَمِّ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يستنْفِرُكم ^(٢) إلى زوجة رسول الله وإلى طَلَحَة والزُّبَيْر ، وإلى أشْهَدُ أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، فانظروا ثم انظروا في الحق ، فقاتلوا معه . » فقال له رجل : أنا ^(٣) مع مَنْ شَهِدْتَ له بالجنة على مَنْ لم تشْهَدْ له ! فقال له الحسن : اكْفُفْ عَنَّا [يا عَمَّار] ^(٤) فَإِنَّ للإصلاح أهلاً ! .

وقام الحسنُ رضى الله عنه ، فقال : أَيُّها الناس أَجِيبُوا دَعْوَةَ أميركم ، وسيزروا إلى إخوانكم ، فَإِنَّه سَبُوحٌ لهذا الأمرِ مَنْ يَنْفِرُ إِلَيْهِ ، ووالله لَأَنْ يَلِيَهُ أُولُو النُّهْيِ أَثْمَلُ في العاجِلِ والآجِلِ ، وخَيْرٌ في العاقبة ، اجيبوا دَعْوَتَنَا ، وَأَعِينُونَا على ما ابْتُلِينَا به وابْتُلَيْتُمْ ، وَإِنَّ أمير المؤمنين يقول : « قد خرجتُ مَخْرَجِي هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإنِّي أَذْكُرُّ

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وعند الطبري وابن الأثير « واليكم » .

(٢) يستنفركم : يستنصركم .

(٣) كذا جاء في المخطوطة وتاريخ ابن الأثير وجا في تاريخ ابن جرير الطبري « لهو » .

(٤) الزيادة من ابن جرير .

الله رجلاً رعى حقَّ الله. إِلَّا نَفَرَ ، فَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا أَعَانَنِي ، وَإِنْ كُنْتُ ظَالِمًا أَخَذَ مِنِّي ، وَاللَّهِ إِنْ طَلَعَتْهُ الْزُبَيْرُ لَأَوَّلُ مَنْ بَايَعَنِي وَأَوَّلُ مَنْ عَدَرَ فَبَلِ اسْتَأْثَرْتُ بِمَالٍ أَوْ بَدَلْتُ حُكْمًا ؟ ۝ فَانْفِرُوا ، فَمَرُّوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ .

فسامح الناس وأجابوا ورضوا ، وتكلم عدي بن حاتم ، وهند بن عمرو ، وحجر بن عدي ، وحشوا الناس على اللحاق بعلي وإعانتهم ، فأذعن الناس للمسير .

فقال الحسن رضي الله عنه : « أيها الناس ، إني غدير ، فمن شاء منكم أن يخرج على الظاهر ^(١) ، ومن شاء في الماء » ، فنفر معه تسعة آلاف ، أخلف البر ستة آلاف ومائتان ، وبقيتهم في الماء .

وقيل : إن علياً - رضي الله عنه - أرسل الأشر بعد ابنه الحسن وعمر - إلى الكوفة ، فدخلها والناس في المسجد ، وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم ، والحسن وعمر معه في منازعة ، وكذلك سائر الناس ، كما تقدم ، فجعل الأشر لايمر بقبيلة فيها جماعة إلا دعاهم ويقول : اتبعوني إلى القصر ، فانتهي إلى القصر في جماعة من الناس ، فدخلوا (وأبو موسى في المسجد يخطبهم ويثبطهم ، والحسن يقول له : اعتزلن عملنا لأمر لك وتنح عن منبرنا ! وعمر ينازعه) فأخرج الأشر غلمان أبي موسى من القصر ، فخرجوا يغدون ويتأدون : « يا أبا موسى ، الأشر قد دخل القصر ، فضربنا ، وأخرجنا » فنزل أبو موسى ، فدخل القصر ، فصاح به الأشر : « اخرج »

(١) الظاهر : الإبل التي يحمل عليها وتركب .

لَأْمُ لَكَ ! أَخْرَجَ اللَّهُ نَفْسَكَ ! » فقال : أَجَلْتَنِي هَذِهِ الْعَشِيَّةَ . فقال
مِي لَكَ وَلَا نَبِيئَتْنِي فِي الْقَصْرِ اللَّيْلَةَ . وَدَخَلَ النَّاسُ يَنْهَبُونَ مَتَاعَ
أَبِي مُوسَى ، فَمَنْعَهُمُ الْأَشْتَرُ ، قَالَ : أَنَالَهُ جَارٌ . فَكَفَّوْا عَنْهُ .

فَنَفَرَ النَّاسُ فِي الْعِدَدِ الْمَذْكُورِ . وَقِيلَ : إِنَّ عِدَدَ مَنْ سَارَ مِنَ الْكُوفَةِ
اِثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ وَرَجُلٌ ، قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ : سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ ذَلِكَ قَبْلَ وَصُولِهِمْ ، فَقَعَدْتُ فَأَحْصَيْتُهُمْ ، فَمَازَادُوا
رَجُلًا وَلَا نَقَصُوا رَجُلًا .

وَكَانَ عَلَى كِنَانِهِ وَأَسَدُ وَتَمِيمٍ وَالرِّبَابِ وَمُزَيْنَةَ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارَ
الرِّيَاحِي^(١) ، وَعَلَى سُبُعٍ^(٢) قَيْسُ سَعْدُ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ عَمُّ الْمُخْتَارِ^(٣) ،
وَعَلَى بَكْرٍ وَتَغْلِبَ وَغَلَّةُ بْنُ مَخْلُوجٍ^(٤) الذُّهْلِيُّ^(٥) ، وَعَلَى مَذْحِجٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ
حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، [وَعَلَى بَعْجِلَةَ وَأَنْمَارَ وَخُثْعَمَ وَالْأَزْدَ مِخْنَفَ بْنِ سُلَيْمٍ
الْأَزْدِيَّ ، فَقَدِمُوا عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦)] بِإِدْيَ قَارَ ، فَلَقِيَهُمْ
فِي نَاسٍ فَرَحَّبَ بِهِمْ ، وَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَلِيْتُمْ مَلُوكَ الْعَجَمِ
وَنَفَضْتُمْ جُمُوعَهُمْ ، حَتَّى صَارَتْ إِلَيْكُمْ مَوَارِيثُهُمْ ، فَأَغْنَيْتُمْ حَوَازِنَكُمْ ،

(١) كَلَّمَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَغِيهَا ، وَلِلْمَعْرِفِ أَنْ « مَعْقِلَ بْنِ يَسَارَ » صَاحِبُ سَكَنِ الْبَصْرَةِ
وَحَفَرِ نَهْرٍ مَعْقِلَ بِهَا ، وَيُقَالُ لَهُ « الْمَرْقُ » لِأَنَّهُ بَنَى مَزِينَةَ ، وَأَنَّ « الرِّيَاحِي » هُوَ « مَعْقِلُ
ابْنِ قَيْسِ الرِّيَاحِي » مِنْ تَمِيمٍ ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي أَمْرِهِ عَلَى يَوْمِ الْجَمَلِ ، وَانْظُرِ الْإِسَابَةَ ج
٢ ص ٤٩٩ .

(٢) رَوَى الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٣ ص ١٣ أَنَّهُ « خَرَجَ إِلَى عَلِيٍّ اِثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ
وَمِنْ أَسْبَاحَ . . . ثُمَّ ذَكَرَ « سَبْعَ قَيْسَ » وَ « سَبْعَ بَكْرٍ بْنِ وَائِلَ » ، وَ « سَبْعَ مَذْحِجَ
وَ « سَبْعَ بَعْجِلَةَ » .

(٣) الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ .

(٤) كَلَّمَا جَاءَ فِي تَارِيخِي ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ ، وَفِي الْمَخْطُوطَةِ « وَغَلَّةُ بْنُ مَخْلُوجَ » .

(٥) مِنْ ذَهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، مِنْ بَكْرٍ .

(٦) سَقَطَتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ مِنَ النَّسْنَةِ (ك) وَثَبَّتَتْ فِي النَّسْنَةِ (ن) .

وَأَعْنَتُمُ النَّاسَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ لِتَشْهَدُوا مَعَنَا إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ ، فَإِنْ يَرْجِعُوا فَذَلِكَ الَّذِي نُرِيدُ ، وَإِنْ يَلْجَأُوا دَاوِينَاهُمْ
بِالرَّفَقِ حَتَّى يَبْدَعُوا نَا يَظْلِمُ ، وَلَمْ نَدْعُ أَمْرًا فِيهِ صَلَاحٌ إِلَّا أَثَرْنَاهُ عَلَى
مَا فِيهِ الْفَسَادُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال : وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين : الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَسَعْدُ
بْنُ مَالِكٍ وَهَنْدَبُ بْنُ عَمْرٍو وَالْهَيْثَمُ بْنُ شِهَابٍ ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الثُّفَّارِ زَيْدُ بْنُ
صُوحَانَ وَالْأَشْتَرُ وَعَلِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ وَالْمُسَيْبُ بْنُ نَجْبَةَ وَيزيد ابن قيس
وأمثال لهم ليسوا دونهم [إِلَّا أَنَّهُمْ] ^(١) لَمْ يُؤْمَرُوا ، مِنْهُمْ حُجْرُ بْنُ عَلِيٍّ .

ذكر مراسلة علي طلحة والزبير وأهل البصرة

في الصلح وإجابتهم إليه وانتظام الصلح
وكيف أفسده قتلة عثمان

قال : وَأَقَامَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِذِي قَارِ ، فَأَرْسَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ
عَمْرٍو إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقَالَ لَهُ : أَلَيْسَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَادِعَهُمَا إِلَى
الْأُلُفَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَعَظَّمُ عَلَيْهِمَا الْفُرْقَةَ . (وَكَانَ الْقَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

فخرج حتى قَدِمَ الْبَصْرَةَ ، فَبَدَأَ بِعَانِشَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَقَالَ :
أَيُّ أُمَّةٍ ، مَا أَشْخَصَلَكِ وَمَا أَفْدَمَكَ هَذِهِ الْبِلَادُ ؟ قَالَتْ : أَيُّ بَنِي ،
الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ . قَالَ : فَابْعَثِي إِلَيَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ حَتَّى تَسْمَعِي
كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا ، فَبِعَثَتْ إِلَيْهِمَا ، فَجَاءَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي سَأَلْتُ
أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَفْدَمَهَا ؟ فَقَالَتْ الْإِصْلَاحُ ، فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا ؟ أَتُسَابِعَانِ

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) وسقطت من (ك)

أم مخالفتان ؟ قالوا : متابعان . قال : فأخبراني ما وجَّه هذا الإصلاح
فوالله لئن عرَفناه ليصلحنَّ ولئن أنكرناه لا يصلح^(١) . قالوا :
قَتَلَهُ عُثْمَانُ ، فَإِنَّ هَذَا إِنْ تُرِكَ كَانَ نَرَكًا للقرآن ! قال :
« قد قتلنا قَتْلَهُ عُثْمَانُ من أهل البصرة ، وأننا قبل قتلهم أقربُ
إلى الاستقامة منكم اليوم ! قتلتم ستمائة رجل فغضبت لهم ستة
آلاف واعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن
زهير فمنعه ستة آلاف فارس ، فإن تركتموهم كنتم تاركين ليا
تقولون ، وإن قاتلتهم والذين اعتزلوكم فأَيُّلُوْا عليكم فالذى
حذرتم وقويتم^(٢) به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون^(٣) ، وإن
أنتم منعمٌ مُضَرَّ وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم
نُصْرَةً لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب
الكبير ! » قالت عائشة فما نقول أنت قال « أقول إنَّ هذا الأمر دواؤه
النسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم بایعتمونا فعلا خير
وتبأشیرُ رَحمة ودرك بشار ، وإن أبیتم إلاَّ مُكابرة هذا الأمر واعتسافه
كانت علامة شرٍّ وذهاب هذا النار^(٤) ، فأثيروا العافية تُرْزَقوها ،
وكونوا مفاتيح خير كما كنتم ، ولا تُعرضونا للبلاء فتعرضوا له
فیضْرَعْنَا وإِيَّاكُمْ ، وإيُّمُ الله إني لأقول هذا القول وأدعوكم إليه
وإني لخائف أن لا یتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قلَّ

(١) كذا جاء في النسخة (ن) وجاء في (ك) : « لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه

لا يصلح » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة والكامل ، وعند ابن جرير : « قويم » ، وثاق بمعنى « طلبتم »

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ج ص ٢٣٧ : يعني أن الذي تريدونه من

قتل قتلة عثمان مصلحة ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها .

(٤) هكذا جاء في رواية ابن جرير ج ٣ ص ٥٠٣ ، وجاء في المخطوطة : « المال »

مناعها ونزل بها منازل ، فإن هذا الأمر الذى حدث أمرٌ ليس يُقدر ،
وليس كقتل الرجلِ الرجلَ ولا التفَرَّ الرجلَ ولا القبيلة [الرجل] ^(١)
قَالُوا : « قد أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ ، فارجع ، فإن قديم على وهو على
مثل رأيك صلَح هذا الأمر » .

فرجع إلى على ، فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على
الصلح ، كره ذلك مَنْ كرهه ، ورضيه مَنْ رَضِيَهُ ^(٢) .

وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو على بنى قار ، قبل
رجوع القَعْقَاع ، لينظروا مارأى إخوانهم من أهل الكوفة ، وعلى أى
حال نهضوا إليهم ، ولْيُعلموهم أَنَّ الذى عليه رأيهم الإصلاح ،
ولا يخطر لهم قتالهم على بال .

فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهُم ،
وأدخلوهم على على فأخبروه بخبرهم .

ورجعت وفود أهل البصرة برأى أهل الكوفة ، ورجع القَعْقَاع
من البصرة .

فقام على رضى الله عنه خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر
الجاهلية وشقاءها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة والجماعة
بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذى يليه ، ثم الذى
يليه ، ثم حدث هذا الحدث الذى جرَّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه
الدنيا وحسدوا مَنْ أفاءها الله عليه (وعلى الفضيلة) التى من الله

(١) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير وجه في البداية والنهاية : « ولا القبيلة القبيلة » .

(٢) جاء في البداية والنهاية بعد هذا : « وأرسلت عائشة إلى على تعلمه أنها جاءت للصلح ،
وفرَّح هؤلاء وهؤلاء » .

بها ، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أذبارها ، والله بالغ أمره .
ثم قال : ألا ولأني راحل غداً ، فارتحلوا ، ولا يرتحلن معنا أحدٌ
أعان على عثمان بشيء من أمور الناس ، وليغزو السفهاء حتى
أنفسهم . والله أعلم بالصواب .

ذكر اجتماع قتلة عثمان بنى قار وتشاورهم

وما اتفقوا عليه من المكيدة التي اقتضت نقض الصلح

ووقوع الحرب

قال : وما قال على رضي الله عنه مقاتله بنى قار ، وأمر ألا
يرتحل معه أحد ممن أعان على عثمان بشيء اجتمع نفرٌ منهم علياء بن
الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة القيسى وشريح بن
أبي أوفى^(١) والأشتر ، في عدة^(٢) ممن سار إلى عثمان أو رضي بسير
من سار إليه وجاء معهم المصريون وابن السوداء^(٣) وشالد بن ملحج ،
فتشاوروا فقالوا : ما الرأي ؟ هذا على وهو والله أبصر بكتاب الله ممن
يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وهو يقول
ما يقول ، ولم يتغير إليه إلا هم^(٤) والقليل من غيرهم ، فكيف به
إذا شام القوم وشاموه^(٥) ورأوا قتلنا في كثرتهم ؟ وأنتم والله تُرادون ،

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ الطبرى وابن الأثير « شريح بن أوفى »
والخلاف في هذا الاسم ملحوظ في كثير من الكتب .

(٢) ذكر ابن كثير أنهم اجتمعوا في ألفين وخمسة ، وليس فهم أصحابي وسيدكر
للوائل هذا العدد قريباً في كلام ابن السوداء .

(٣) ابن السوداء : عبد الله بن سبأ .

(٤) كذا جاء في رواية ابن جرير ج ٣ ، ص ٥٥٧ ، وفي المخطوطة (سوامم)

(٥) يقال « شامت فلاقا » إذا قاربه وجرقت ماعدته .

وما أنتم بالحى^(١) من شيء ! » فقال الأشر : « قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا ، وأما رأى على فلم تعرف رآيه إلى اليوم ، ورأى الناس فينا واحد ، فان يصطلحوا مع على فعلى دماننا ، فهلموا بنا نثب على على فنلحقه بعثمان ، فتعود فتنه يرضى منا فيها بالسكون . » فقال عبد الله بن السوداء « بشس الرأى والله [رأيت]^(٢) ، أنتم يا قتلة عثمان يذى قار ألفان وخمسمائة ، أو نحو من ستمائة ، وهذا ابن الحنظلية - يعنى طلحة - وأصحابه فى نحو خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا ! » فقال علباء بن الهيثم « انصرفوا بنا عنهم ، ودعوهم ، فإن قتلوا كان لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان آخرى أن يصطلحوا عليكم ، ودعوهم وارجعوا فتعلقوا ببيلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تقوون به ، وامتنعوا من الناس . » فقال ابن السوداء « بشس والله ما رأيت ، ودَّ والله الناس أنكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو انفردتم لتخطفكم الناس وكل شيء ! » فقال عدى بن حاتم : « والله ما رخصت ولا كرهت ، ولقد عجبنت من تردد من تردد عن قتله فى خوض الحديث ، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فإن لنا عتادا من خيول وصلاح ، فإن أقدمتم أقدمنا ، وأن أمسكم أمسكنا ! » فقال ابن السوداء : أحسنت ! وقال سالم بن ثعلبة : « من كان أراد بما ألقى الدنيا فإني لم أر ذلك ، والله لئن لقيتهم غدا لا أرجع إلى شيء^(٣) »

(١) كذا جاء فى المخطوطة والكامل لابن الأثير ، ٣ ص ١٢٠ ، وجاء فى تاريخ ابن جرير : « انتهى » .

(٢) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

(٣) كذا جاء فى المخطوطة والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢١ ، وجاء فى تاريخ

الطبرى ج ٣ ، ص ٥٠٨ « لئن لقيتهم غدا لا أرجع إلى شيء » .

وأحلف بالله إنكم لتفرقون الناس بالسيف^(١) فرّق قوم لاتصير
 أمورهم إلّا إلى السيف ! فقال ابن السوداء : قد قال قولاً .
 وقال شريح بن أبي أوفى : « أبرموا أمركم قبل أن يخرجوا »^(٢) ،
 ولا تؤخروا أمراً ينبغى لكم تعجيله ، ولا تعجلوا أمراً ينبغى لكم تأخيرهُ
 فإنّا عند الناس بِشَرِّ المنازل ، ولا أدري ما الناس صانعون إذا ما هم
 التقوا ! وقال ابن السوداء : « يا قوم ، إن عزكم في خلط الناس ،
 فإذا التقى الناس غداً فأنشِبوا القتال ، ولا تُفرغوهم للنظر ، فمن
 أنتم معه لا يجديداً من أن يمتنع ، ويشغلُ الله علياً وطلحة والزبير ومن
 رأى رأيهم عما تكرهون ! » .

فأبصروا الرأي ، وتفرّقوا عليه ، والناس لا يشعرون .

ذكر مسير على رضى الله عنه

ومن معه من ذى قار إلى البصرة ووقعه الجمل

قال : ولما أصبح على رضى الله عنه سار من ذى قار وسار معه الناس
 حتى نزل على عبد القيس ، فانضموا إليه ، ثم سار فنزل الزاوية ،
 وسار من الزاوية يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير وعائشة من
 الفرضة ، فالتقوا عند موضع قصر عبد الله بن زياد ، وذلك في النصف
 من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، [حكاه ابن الأثير^(٣) ،

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) « لتفرقون السيف » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن جرير « تخرجوا » ، وعند ابن الأثير
 « تخرجوا » .

(٣) في الكامل ج ٢ ص ١٢١ .

وقال أبو جعفر ^(١) : كانت وقعة الجمل في يوم الخميس لعشرِ خَلَوْنَ من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين [^(٢)] .

وسبق على أصحابه ، وهم ينساقون به ، فلما نزل قال أبو الجرياء للزبير : الرأي أن تبعث [الآن] ^(٣) ألف فارس إلى علي قبل أن يتوآنى إليه أصحابه . فقال : « إِنَّا نَعْرِفُ أُمُورَ الْحَرْبِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ دَعْوَتِنَا ، وَهَذَا أَمْرٌ حَدَّثَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ الْيَوْمِ ، مَنْ لَمْ يَلْقَ اللَّهَ فِيهِ بَعْدُ انْقَطَعَ عِزُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ! وَقَدْ فَارَقْنَا وَافْدَهُمْ عَلَى أَمْرٍ ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَتِمَّ لَنَا الصَّلَحُ ، فَأَبْشِرُوا ، وَاصْبِرُوا . » .

وأقبل صبرة بن شيمان فقال لطلحة والزبير : انتهزنا بنا هذا الرجل ، فَإِنَّ الرَّأْيَ فِي الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنَ الشَّدَةِ ! فقلالاً : « [إِنَّا وَهُمْ مُسْلِمُونَ] ^(٤) » ، إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ الْيَوْمِ فَيَنْزِلُ فِيهِ قُرْآنٌ أَوْ تَكُونُ فِيهِ سُنَّةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَحْرِيكُهُ [الْيَوْمَ] ^(٥) ، وَهُمْ عَلَى وَمَنْ مَعَهُ ، وَقُلْنَا نَحْنُ : لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتْرَكَهُ [الْيَوْمَ] ^(٦) وَلَا نُوَخِّرَهُ ، وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ : تَرَكْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ شَرٌّ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ شَرِّ مِنْهُ ، وَقَدْ كَادَ يَبِينُ لَنَا ، وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحْكَامُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ [بِإِثَارِ] ^(٧) أَعْمَهَا مَنْفَعَةً .

(١) ابن جرير الطبري في تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٥٣٩ قد أتت به بقوله « في قول الواقدي » ، وما حكاه ابن الأثير من قول أيضا عن أبي جعفر الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٥١٤ حيث قال : « فالتقوا عند موضع قصر صيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ يوم خميس » .

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخة (ك) وثبتت في النسخة (ن)

(٣) الزيادة من ابن جرير الطبري .

(٤) الزيادة من ابن جرير .

وقال كعب بن سُور : يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم .
فأجاباه بنحو ماتقدم .

قال : ولما نزل على ونزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن
مرحوم العبدى أن اخرج فإذا خرجت فمِلْ بنا إلى عسكر على ، فخرجنا
في عبد القيس ويكر بن وائل ، فعدلوا إلى عسكر على ، فقال الناس
من كان هؤلاء معه غلب . وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال ،
إنما يرسل على إليهم يكلمهم ويدعوهم .

قال : وقام على فخطب الناس ، فقام إليه الأعور بن بُنان المِنقرى
فسأله عن إقدامهم على أهل البصرة ، فقال له على : على الإصلاح
وإطفاء النار ^(١) لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويدفع حربهم .
قال : فإن لم يجيبوا . قال : تركناهم ماتركونا : وقال : فإن لم
يتركونا . قال : دفعناهم عن أنفسنا . قال : فهل لهم في هذا مثل
الذى عليهم ؟ قال : نعم .

وقام إليه أبو سلام ^(٢) الدالائي فقال : أترى لهؤلاء القوم حجة
فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله بذلك ؟ قال : نعم .
قال : فترى لك حجة بتأخيرك ذلك ؟ قال نعم ، إن الشيء إذا كان
لا يُدرك فالحكم ^(٣) فيه أخوطة وأعمه نفعا . قال : فما حالنا وحالهم
إن ابتلينا غدا ؟ قال : إني لأرجو ألا يُقتل منا ومنهم أحد
نقى قلبه لله إلا أدخله الله الجنة . . وقال في خطبته : « أيها

(١) جاء في رواية ابن جرير «الناقرة» . هي : (القفظة) ، وناقرة الحرب :
شرها وهيجه .

(٢) هـ ابن جرير وابن الأثير : « أبو سلامة » .

(٣) كذا جاء هـ ابن جرير ، وجاء هـ ابن الأثير : « أن الحكم » ، وجاء في
المخطوطة « أن الحكم » .

الناس املكوا [أنفسكم ، وكفؤا] ^(١) عن هؤلاء القوم أيديكم
والسنتكم ، وإياكم أن تسبقونا ، فإن المخصوص غدا من خصم اليوم .
وبعث إليهم حكيم بن سلام ^(٢) ومالك بن حبيب ، يقول : إن
كنتم على ما فارقتم [عليه] ^(٣) القعقاع فكفؤوا حتى ننزل فننظر في هذا
الأمر .

وخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشتمين ، قد منعوا
حرقوص بن زهير وهم معتزلون . وكان الأحنف قد بايع علياً بالمدينة
بعد قتل عثمان ، لأنه كان قد عاد من الحج فبايع ^(٤) ، فلما قدم
طلحة والزبير اعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف (والجلحاء من
البصرة على فرسخين) فقال لعل : إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك
إن ظفرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسببت نساءهم ! قال : « ما مثلي
يخاف هذا منه ! وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر » ^(٥) ؟ وهم
قوم مسلمون . قال : اخترتني واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل
معك ، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف . [قال : اكفف
عنا عشرة آلاف سيف .] ^(٦) فرجع إلى الناس ، فدلهم إلى القعود ،
ونادى : « يا آل خنيد » ، فأجابه ناس ، ثم نادى : « يا آل تميم » ،

(١) الزيادة من ابن جرير ج ٣ ص ٥٠٩ .

(٢) عنه ابن جرير وابن الأثير : « حكيم بن سلامة » .

(٣) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير ، وسوف يأتي في الرد مايؤيده .

(٤) انظر ما ذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٢ من يقول الأحنف .

(٥) زاد ابن جرير في روايته : « لم تسمع إل قول الله عز وجل : لست عليهم

بسيطر إلا من تول وكفر » .

(٦) ثبتت هذه الجملة في النسخة ون . كما جاء عنه ابن الأثير ، سقطت من النسخة ك .

(٧) جاء في المخطوطة والكامل « يا آل » . يثبت الحمزة الممددة في هذا الموضع

والموضعين التاليين له ، وجاء في تاريخ ابن جرير (يال) بلا همزة في المواضع الثلاثة

فأجابه ناس ، ثم نادى : « يا آل سعد » ، فلم يَبْقَ سعدى إلا
أجابه ، فاعتزل بهم ، ونظر ما يصنع الناس ، فلما كان القتال
وظفر على دخولوا فيما دخل فيه الناس واقرين .

قال : ولما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس وعليه سلاح ،
فقبل على : هذا الزبير فقال : أما إنه آخرى الرجلين إن ذكر بالله
أن يذكر وخرج طلحة ، فخرج إليهما على ، [فلدنا منهما] ^(١) حتى ،
اختلفت أعناق دوابهم ، فقال لعمرى لقد أعددتما سلاحا وخيلا
ورجالا ، إن كنتما أعددتما عذرا عند الله فأتقيا الله ، ولا تكونا
﴿ كالتى نقصت غزلكها من بعد قوة أنكاثا ﴾ ^(٢) ، ألم أكن أخاكما
في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما ؟ فهل من حديث أحل دمي ؟
فقال طلحة : اللبث ^(٣) على دم عثمان . فقال على رضى الله عنه :
﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ ^(٤) ياطلحة ، تطلب بدم عثمان
فلعن الله قتلة عثمان ! ياطلحة ، أتيت بعرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقاتل بها وخبات عرسك في البيت ! أما بايعتنى ؟ قال :
بايعتك والسيف على عنقى ! . ثم قال للزبير : ما أخرجك ؟ قال
أنت ، ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا أولى به منا . فذكره على رضى الله
عنه بأشياء ، ثم قال : أتذكر يوم مرت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بني غنم ، فنظر إلى ، فضحك وضحكت إليه ، فقلت :
لا يدع ابن أبي طالب زهوه ! فقال لك رسول الله عليه الصلاة

(١) الزيادة من ابن جرير ج ٣ ص ٤١٥ . .

(٢) من الآية ٩٢ من سورة النحل .

(٣) وفي تاريخ ابن جرير وابن الأثير : البت . .

(٤) من الآية ٢٥ في سورة النور .

والسلام : « إِنَّكَ لَتَتَّقَاتِلُهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ » ؟ ! فقال : اللهم نعم
ولقد كنت أنسيتها ولو ذكرتُ ما سرت مسيرى هذا ، والله
لا أقاتلك أبداً ١ .

وقيل : إنَّه قال له : كيف أرجع وقد التقتُ خلقنا البطان (١) ؟
هذا والله العارُ الذي لا يغسله الدهر ! قال يا زُبَيْر أرجع بالعار خير
من أن ترجع بالعار وبالنار .

فرجع الزُبَيْرُ إلى عائشة فقال لها : يا أمَّاه ، ما شهدتُ موطننا
إلا ولي فيه رأى وبصيرة غير موطنى هذا ! قالت : وما تريد أن تصنع
قال : أدعهم وأذهب ، ثم قال لابنُه عبد الله : عليك بحربك (٢)
وأما أنا فأرجع إلى بيتى . فقال له : ما يرُدُّك ؟ قال : ما لو علمته
لكسرك (٣) . فقال له ابنُه : بل رأيتُ عيونَ بنى هاشم تحت المغافر (٤)
فراعتك ، وعلمتُ أن سيوفهم حِدادٌ تحملها فتيةٌ أنجاد . فغضب الزُبَيْرُ
ثم قال : أمثلى يَفْزَعُ بهذا ؟ وأحفظه ذلك ، وقال : إنى حلفتُ إلا
أقاتله . قال : فكفّر عن يمينك وقَاتِلْهُ ، فَأَعْتَقَ غلامه مكحولاً ، وقيل :
أعتق سرجس .

ففى ذلك يقول عبد الرحمن بن سليمان التميمي :

لم أرَ كاليومَ أخا إخوانٍ أعجبَ من مكفّرِ الأيمانِ

(١) البطان : الحزام الذى يحمل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان ، فإذا التقتا فقد بك
الشدائغ ، قال صاحب لسان العرب : ومن أمثال العرب أنى يضرب للامر إذا اشتد
« التقت حلقتا البطان » . وفي مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٣٥ : « يضرب فى الحادثة
إذا بلغت النهاية » .

(٢) فى النسخة (ك) : « بحربك » ، وفى النسخة (ن) : « بحربك » .

(٣) صرفك عن مرادك .

(٤) المغافر جمع للمفر أو المفرة ، وهو مايلبه النارج حل رأسه فى الحرب من
الزرد ونحوه .

(في أبيات آخر) .

وقيل : إن الزبير نزع سنان رُمحه ، وحمل على جيش علي ، فقال علي لأصحابه : أفرجوا له فإنه قد أغضب ، وإنه منصرف عنكم فقالوا : إذن والله لانبأى بعد رجوعه بجمعهم وما كنا نتقي سواه .

وقيل : إن الزبير إنما عاد عن القتال لما سمع أن عمار بن ياسر مع علي ، فخاف أن يقتل عمار ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية » فردّه ابنه عبد الله ^(١) .

وافشرق أهل البصرة ثلاث فرق : فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي ، وفرقة لا ترى القتال ، منهم الاخنف بن قيس وعمران بن حصين .

وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحُدان ^(٢) في الأزد ، ورأس الأزد يومئذ صبرة بن شيمان ، فقال له كعب بن سور : إن الجموع إذا تراءت لم تستطع ، إنما هي بحور تدفق ، فأطعني ولا تشبههم واعتزل بقومك ، فإن أخاف الأ يكون صلح ، ودع مضر وربعة فهما أخوان ، فإن اصطلحا فالصلح أرذنا ، وإن اقتتلا كنّا خطأما عليهم غدا . (وكان كعب في الجاهلية نصرانيا) فقال صبرة : أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية ! أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين

(١) ذكر ابن جرير في تاريخه ج ٣ ص ٣ من ٥١٩ وابن الأثير في تاريخه ج ٣ ص ١٢٢ قول علي الزبير بن العوام : « قد كنا نملك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك قفرق بيننا وبينك » . وقال ابن أبي الحديد في شرح تهج البلاغة ج ٣ ص ٦ : ولم يزل الزبير مواليا لعل متسكبا بحبه ومودته : حتى نشأ ابنه عبد الله وشب : فترع به به عرق من الأم ، ومال إلى تلك الجهة : وانحرف عن هذه : رجحة الوالد لولده معروفة فانحرف الزبير بالفحرف .

(٢) الحُدان : إحدى محال البصرة القديمة . سميت باسم قبيلة من الأزد .

الناس ، وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردوا عليهم الصلح ، وأدع الطلب بدم عثمان ، والله لا أفعل هذا أبدا ! . فاطبق أهل اليمن على الحضور .

وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد في الرباب (وهم تميم وعدي وثور وعُكل ، بنو عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس ، مضر ، وضبة ابن أد بن طابخة) ^(١) ، وحضر أيضا أبو الجرباء في بني عمرو بن تميم ، وهلال بن وكيع في بني حنظلة ، وصبرة بن شيمان على الأزد ، ومجاشع بن مسعود السلمي على سليم ، وزفر بن الحارث في بني عامر و [أغصربن النعمان على] ^(٢) غطفان ، ومالك بن وسع على بكر ، والخزيم بن راشد على بني ناجية ، وعلى اليمن ذو الاجرة الحميري . قال : ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعها وهم لا يشكون في الصلح ، [ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح ،] ^(٣) ونزلت اليمن أسفل منهم وهم كذلك : ونزلت عائشة في الحُدان ، والناس بالزبوة على رؤسائهم .

هؤلاء - وهم أصحاب عائشة - ثلاثون ألفا : وهؤلاء - وهم أصحاب علي - عشرون ألفا .

(١) قد يطلق لفظ « الرباب » على بني عبد مناة بن أد : وكانوا قد تحالفوا مع بني عهم ضبة بن أد على بني عهم تميم بن مر بن أد : وقد يطلق لفظ « الرباب » عادة لمؤلفي المتعالفين من بني عبد مناة وضبة . وهم غس قبائل صاروا في تجمعهم كآل يد للرواحلة : وقد سبق في نهاية الأريب ج ٢ ص ٤٣٨ أنهم « سوا الرباب لأنهم ضموا أيديهم في رب » . إذ تحالفوا على بني تميم « . . . ويرى بعض العلماء أنهم سوا « ربابا » لأنهم كانوا فرقا - جماعات : فيكون « الرباب » جمع « الربة » ، بمعنى الفوقة .

(٢) الزيادة من ابن جرير .

(٣) الزيادة من ابن جرير ج ٣ ص ٥١٦ - ٥١٧ وابن الأثير ٢ - ١٢٣ .

ورثوا حكيما ومالكا^(١) : «أنا على ما فارقنا عليه القعقاع» .
ونزل على بجيالهم ، ونزلت مَضَر إلى مَضَر ، وربيعة إلى ربيعة ،
واليمَن إلى اليمَن ، وكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون
إلا الصلح ، فخرج على وطلحة والزبير فتواقفوا فلم يروا أمرا أمثل من
الصلح ووضع الحرب ، فافترقوا على ذلك .

وبعث على رضى الله عنه من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة
والزبير ، وبعثا إليه محمد بن طلحة ، وأرسل على وطلحة والزبير
إلى رؤساء أصحابهم بأمر الصلح ، فباتوا ليلة لم يبيتوا بمثلها
للعافية التي أشرفوا عليها والصلح ، وبات الذين أثاروا أمر عثمان
بشرب ليلة ، وباتوا يتشاورون ، فاجتمعوا على إنشأ الحرب ، فغدوا
مع الغلس وما يشعر بهم أحد ، فخرجوا متسللين : فقصده مَضَرهم
إلى مَضَرهم ، وربيعتهم إلى ربيعتهم ، ويمَنهم إلى يَدَنهم ، فوضعوا
فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين
أتوهم ، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة .

قال : وبعث طلحة والزبير إلى اليمينة وهم ربيعة أميرا عليها
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب ،
وثبتا في القلب : وقالوا : ما هذا ؟ قالوا : طرقتنا أهل الكوفة ليلا !
قالا وقد علمنا أن علينا غير مُنتَه حتى يسفك الدماء وأدء لن يطاوعنا !

(١) سبق أن عليا بعث إليهم حكيما بن سلام ومالك بن حبيب . يقول : إن كنتم
عز ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى نزل فننظر في هذا الأمر . فالرايون هنا هم قوم
عائشة وطلحة والزبير الذين بعث إليهم علي . وهم يردون على تلك الرسالة بـ: فخرج الرسولان
من عندهم حتى قبلنا على عن نهج الرد الذي ذكره المؤلف هنا : فارتحل علي حتى نزل بجيالهم ..

فردَّ أهل البصرة أولئك الكوفيين إلى عسكرهم ، فسمع على وأهل الكوفة الصَّوتَ - وقد وضع السَّبِيَّةُ رجلاً قريباً منه - فلما قال على ما هذا قال ذلك الرجلُ : ما شعرنا إلا وقومٌ منهم قد بيَّتونا فردَّدناهم فوجدنا القومَ على رجلٍ ، فركبوا ، وثار الناس ، فأرسل على صاحب الميمنة إلى الميمنة ، وصاحب الميسرة إلى الميسرة ، وقال : لقد علمتُ أنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ غيرَ مُنتَهَبَيْنِ حَتَّى يَسْفِكََا الدَّمَاءَ وَأَنَّهُمَا لَنْ ^(١) يطاوعانا . والسَّبِيَّةُ لا تفتَر ، ونادى على في الناس : كُفُّوا فلا شيء ! . وكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألاَّ يقتلوا حَتَّى يُبَذَّمُوا (يطلبون بذلك الحجة) وألاَّ يَقتُلُوا مُدْبِرًا ، ولا يُجْهِزُوا على جريح ، ولا يستحلُّوا سَلْبًا ، ولا يَرْزُمُوا بالبصرة سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً . وأقبلَ كعب بن سُور حَتَّى أَتَى عَائِشَةَ فَقَالَ : « يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدْرِكِي النَّاسَ ، فَقَدْ أَبَى الْقَوْمُ إِلَّا الْقِتَالَ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحَ ^(٢) بِكَ » . فركبتُ وألبسوا هَوْدَجَهَا الْأَدْرَاعَ ، فلما برزتُ من البيوت وهى على الجمل وكانت بحيثُ تسمع الغَوَاةَ وقفت ، واقتتل الناس وقاتل الزُّبَيْرُ ، فحمل عليه عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ : فجعل يحُوزُهُ ^(٣) بِالرُّمَحِ وَالزُّبَيْرُ كَافٌّ عَنْهُ ، وقال له : أَنْتَقِلْنِي يَا أَبَا الْيَقْظَانِ ^(٤) ؟ قَالَ ^(٥) : لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! وَإِنَّمَا كَفَّ الزُّبَيْرُ عَنْه لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تَقْتُلُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ » : ولولا ذلك لقتله .

(١) كذا جاء عند ابن جرير ٣ ص ٥١٨ : وابن الأثير ج ٣ ص ١٢٤ ، وجاء في المخطوطة « لم » .

(٢) كذا جاء في رواية ابن جرير . وجاء في المخطوطة : « أن يصلح » .

(٣) يحوزُه : يسوقه .

(٤) أبو اليقظان : كنية عمار بن ياسر .

(٥) كذا جاء في رواية ابن جرير : وجاء في المخطوطة : « فيقول » .

قال : ثم اعتزل الزُبَيْرُ الحربَ وانصرف ، وصَلِّيَهَا ^(١) طَلْحَةَ ، فأصابه سَهْمٌ غَرْبٌ ^(٢) شَكَّ رَجُلَهُ بِصَفْحَةِ الْقَرْسِ ، ثم دخلَ البَصْرَةَ ومات بها . وسنذكر إن شاء الله أخباره وأخبار الزُبَيْرِ بعد نهاية وقعة الجمل .

وانهزم القوم يريدون البصرة ، فلما رَأَوْا الخيلَ أَطَافَتْ بالجمل عادوا قلباً كما كانوا حَيْثُ التَقَوْا وعادوا في أمر جديد .

فقالت عائشة لكعب بن سُور وهو آخذ بِخِطَامِ الجمل : خَلَّ عن الجمل وتقدَّمْ بالمُصْحَفِ فادْعُهُمْ إِلَيْهِ . (وناولته مصحفاً من هَوْدَجِهَا) فاستقبل القومَ [بالمصحف] ^(٣) ، والسَّبِيَّةُ أَمَامَهُمْ (يخافون أن يجرى الصلح) ^(١) ، فرشقوه رشقاً واحداً ، فقتلوه ورمَوْا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَوْدَجِهَا ، فجعلتُ تُنادي : « الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ يَا بَنِي ! » ويعلو صوتها « اللَّهُ اللَّهُ ! اذْكُرُوا اللَّهَ وَالْحِسَابَ ! » فَيَأْتُونَ إِلَّا إِقْدَاماً ، فكان أولُ شَيْءٍ أَحْدَثْنَاهُ حِينَ أَبَوْا أَنْ قَالَتْ : « أَيُّهَا النَّاسُ الْعُنُوا قَتَلَةَ عُثْمَانَ وَأَشْيَاعِهِمْ ! » وأقبلتُ تدعو ، فضجَّ النَّاسُ بالدعاء ، فسمع عليٌّ فقال : ماهذه الضَّجَّةُ ؟ قالوا : عائشة تدعو علي قَتَلَةَ عُثْمَانَ وَأَشْيَاعِهِمْ . فقال : اللَّهُمَّ الْعَنُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ !

وأرسلتُ إلى عبد الرحمن بن عَتَّاب وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام : أن اثْبِتْنَا مَكَانَكُمَا . وحرَّضَتِ النَّاسَ حِينَ رَأَتْ الْقَوْمَ

(١) صليها : قامى شقتها .

(٢) سهم غرب - يسكون الراء أو فصها - : لا يعرف رايه .

(٣) الزيادة من ابن جرير .

يريدونها ولا يكفون ، فحملت مُضَرُّ البصرة حتى قَصَفَتْ^(١) مُضَرَّ الكوفة ، حتى زُجِمَ عَلَى ، فَتَحَسَّ قفا محمد ابنه ، وكانت الراية معه ، وقال له : احْمِلْ . فتقدَّم حتى لم يجد متقدِّماً إِلَّا عَلَى سِنَانٍ رَمَحَ ، فَأَخَذَ عَلَى الرَّايَةِ مِنْ يَدِهِ ، وقال : يَا بُنَيَّ بَيْنَ يَدَيَّ . وحملت مُضَرُّ الكوفة فَاجْتَلَدُوا^(٢) قُدَّامَ الْجَمَلِ حَتَّى ضَرَسُوا^(٣) ، وَالْمُجَنَّبَاتِ^(٤) عَلَى حَالِهَا لَا تَصْنَعُ شَيْئاً ، واشتدَّت الحربُ ، فأصيب زَيْدُ بْنُ صُرْحَانَ ، وأخوه سَيْنَانُ ، وَارْتَثَ^(٥) أَخُوهُمَا صَمْعَصَعَةُ ، فلما رَأَى عَلَى ذَلِكَ بَعَثَ إِلَى رَبِيعَةَ وَإِلَى الْيَمَنِ : أَنْ اجْمَعُوا مَنْ يَلِيكُمْ .

فقام رجل من عبد القيس من أصحاب علي فقال : ندعوكم إلى كتاب الله : فقالوا : كيف يدعوننا إليه من لا يستقيم ولا يُقيم حدودَ الله ؟ وقد قُتِلَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ داعي الله ورمته ربيعة رَشَقاً واحداً فقتلوه ! ودَعَتْ يَمَنُ الكوفة يَمَنُ البصرة فرشقوهم ، وَأَبَى أَهْلُ الكوفة إِلَّا الْقِتَالَ ، ولم يُريدوا إِلَّا عَائِشَةَ ، فَذَكَّرَتْ أَصْحَابَهَا ، فاقْتَتَلُوا ، حَتَّى تَنَادَوْا فَتَحَاجَّزُوا ، ثم رجعوا فاقتتلوا : وتزاحف الناس ، فظهرت يَمَنُ البصرة عَلَى يَمَنِ الكوفة فهزمتهم وربَّعةُ البصرة عَلَى ربيعة الكوفة فهزمتهم ، ثم عاد يَمَنُ الكوفة ففُتِلَ عَلَى رايَتهم عشرة : خمسة من هَمْدَانَ وخمسة من سائر اليمن ، فلما رَأَى ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ

(١) القصف : الدفع الشديد .

(٢) اجتلدوا : تضاربوا بالسيف .

(٣) ضرسوا : عصفهم الحرب .

(٤) هكذا جاء عند ابن جرير ٣ ص ٥٢٣ ولكل جيش من الجيشين مجنبتان : وهما :

مِيتَةُ مِيسَرَةٍ . وجاء في الخطاطة : « والمجنبتان على حالهما لا تصنع شيئاً » والشيء لا تناسب القمل « تصنع » .

(٥) ارتث الجريح : حمل من المركة وهو ضعيف قد انقثت الجراح .

أَخَذَهَا فَثَبَّتَ فِي يَدِهِ . وَرَجَعَتْ رَبِيعَةُ الْكُوفَةُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ،
فَقُتِلَ عَلَى رَايَتِهِمْ وَهُمْ فِي الْمَيْسِرَةِ زَيْدٌ ^(١) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُقْبَةَ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ رَاشِدٍ وَبَنُ سُلَيْمَى وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ هَدَيْتَنَا
مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَاسْتَنْقَذْتَنَا مِنَ الْجَهَالَةِ ، وَابْتَلَيْتَنَا بِالْفِتْنَةِ ، فَكُنَّا
فِي شُبْهَةٍ وَعَلَى رَبِيعَةٍ » [حَتَّى] ^(٢) قَتَلَ .

وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ حَتَّى لَزِقَتْ مَيْمَنَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَمَيْسِرَةُ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَمَنْعُوا مَيْمَنَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَنْ يَخْتَلِطُوا بِقُلُوبِهِمْ وَإِنْ
كَانُوا إِلَى جَنْبِهِمْ ، وَقَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ مَيْسِرَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِمَيْمَنَةِ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ .

فَلَمَّا رَأَى الشُّجْعَانُ مِنَ مُضَرِّ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الصَّبْرَ تَنَادَوْا :
طَرُّوْا إِذَا فَرَّغَ الصَّبْرُ . فَجَعَلُوا يَقْصِدُونَ الْأَطْرَافَ (الْأَيْدَى وَالْأَرْجَلَ)
فَمَا رَوَى وَقَعَةٌ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْهَا قَبْلُهَا وَلَا بَعْدَهَا وَلَا أَكْثَرَ فِرَاعًا
مَقْطُوعَةً وَرِجَالًا مَقْطُوعَةً ! وَأُصِيبَتْ يَدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ قَبْلَ قَتْلِهِ .
فَنَظَرَتْ عَائِشَةُ عَنْ يَسَارِهَا ، فَقَالَتْ : مَنْ الْقَوْمُ عَنْ يَسَارِي ؟
فَقَالَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ : بَنُو الْأَزْدِ . قَالَتْ : يَا آلَ غَسَّانِ حَافِظُوا لَنَا
الْيَوْمَ فَجَلَادَكُمْ ^(٣) الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ بِهِ ! وَتَمَثَّلَتْ :
وَجَالِدٌ مِنْ غَسَّانِ أَهْلُ حَفَاطِظِهَا وَهَزْبٌ ^(٤) وَأَوْسٌ جَالِدٌ وَشَبِيبٌ

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ : أَخُو صَعْصَعَةَ وَسَيْحَانَ ، انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ
ج ١ ص ٥٥٩ وَالْإِصَابَةِ ج ١ ص ٥٨٢ : ٥٦٨ .
(٢) كَذَا جَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ ج ٣ ص ٥٢٥ ، وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ : « وَقَتْلَ » .
(٣) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) : « جَلَادَكُمْ » .
(٤) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كِتَابُ رِغَابِ بْنِ جُرَيْرٍ ، وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣
ص ١٢٦ « وَكَمْب » .

فكانت الأزد يأخذون^(١) بعرّ الجمل فيشمنونه ويقولون : بعرّ جمل
أمنّا ريحُه ريحُ المسك ! .

وقالت لمن عن يمينها : من القوم عن يميني ؟ قالوا بكر بن وائل .
قالت : لكم يقول القائل :

وجاءوا إلينا في الحديد كأنهم
من العزّة القعساء^(٢) بكر بن وائل

إنما بإرائكم عبد القيس . فافتتلوا أشدّ من قتالهم قبل ذلك .
وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت : من القوم ؟ قالوا
بنو ناجية . قالت : بخر بخر^(٣) ! سيف أبطحية^(٤) قرشية ! فجالدوا
جلادا يتفادى منه .

ثم أطافت بها بنوضبة ، فقالت : ويها^(٥) ! جمرّة الجمرات^(٦)
فلما رقوا خالطهم بنو عدى بن عبد مناه ، وكثروا حولها ، فقالت :
من أنتم ؟ قالوا : بنو عدى خالصنا إخواننا ، فأقاموا رأس الجمل ،
وضربوا ضرباً ليس بالتعذير^(٧) ، ولا بعزلون بالتطريف ، حتى

(١) في النسخة (ك) : « يأخذون » ، وفي النسخة (ن) : « تأخذ » .

(٢) القعساء : الثابتة .

(٣) بخر : كلمة المدح والاستحسان وإظهار الرضا ، ويكرر المبالغة في ذلك .

(٤) الأبطح : مكان يمكة بين جبليها : أبقيس والأحمر ، ويقال لمن يتزولون في

هذا المكان من قريش « قريش البطاح » .

(٥) ويها : كلمة إغراء وتحريض .

(٦) في خزائن الأدب ج ١ ص ٣٦ : وأعلم أن جمرات العرب ثلاث : وهم

بنو نمير بن عامر وبنو الحارث بن كعب وبنوضبة بن أد . والتجدير في كلام العرب التجميع ،
وإنما سموا بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم لم يدخل معهم غيرهم .

(٧) إذا قصر قوم في أمر ولم يبالغوا فيه قيل : « علدوا » بتشديد الدال ، والتعذير

مصدر ، وهو منفي هنا .

إذا كثر ذلك وظهر في المسكرين جميعا رأوا الجمل : وقالوا : لا يزول القوم أو يُصرَع الجمل . وصارت مَجْنُبَتَا عَلِيٍّ إِلَى الْقَلْبِ ، وفعل ذلك أهل البصرة ، وكره القوم بعضهم بعضا .

وأخذ عَمِيرَةُ بن يَثْرِبٍ رَأْسَ الجمل ، وكان قاضى البصرة ، فقال على مَنْ يَحْمِلُ عَلَى الجمل ؟ فانتدب له هِنْدُ بن عمرو الجملى المُرَادَى ، فاعترضه ابنُ يَثْرِبٍ ، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فقتله ابن يَثْرِبٍ ، ثم حمل عِلْبَاءُ بن الهيثم ، فقتله ابن يَثْرِبٍ ، وَقَتْلَ سَيْحَانَ بن صُوحَانَ ، وَارْتُثَّ صَعَصَعُهُ (١) ، فنادَى عَمَارُ بنُ يَاسِرِ بْنِ يَثْرِبٍ : لَقَدْ عُدَّتْ بِحَرِيرِزٍ (٢) وَمَا إِلَيْكَ مِنْ سَبِيلٍ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاخْرُجْ مِنْ هَذِهِ الْكُتَيْبَةِ إِلَى . فَتَرَكَ الزَّمَامَ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ وَخَرَجَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ تَقَدَّمَ عَمَارُ ، وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ قَرُوءٌ قَدْ شَدَّ وَسَطُهُ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ ، وَهُوَ أَوْعَفُ مِنْ بَارَزِهِ ، فَاسْتَرْجَعَ (٣) النَّاسُ وَقَالُوا : هَذَا لَاحِقٌ بِأَصْحَابِهِ ! فَضْرِبُهُ ابْنُ يَثْرِبٍ ، فَاتَّقَاهُ عَمَارٌ بِدَرَقَتِهِ (٤) ، فَتَنَشَبَ سَيْفُهُ فِيهَا ، فَعَالَجَهُ فَلَمْ يَخْرُجْ ، وَأَسَفَ (٥) عَمَارٌ لِرَجْلَيْهِ فَضْرِبَهُ فَقَطَعَهُمَا ، فَوَقَعَ عَلَى اسْتِهِ وَأَخَذَ أَسِيرًا ، فَأَتَى بِهِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ : اسْتَبَحْنِي ! فَقَالَ : أَبْعَدَ ثَلَاثَةَ تَقْتُلُهُمْ ؟ وَأَمَرَ بِهِ فُقْتُلَ ، وَقِيلَ : إِنَّ الْمَقْتُولَ عَمْرُو بن يَثْرِبٍ (٦)

(١) انظر ماسبق قريبا .

(٢) عدت : التجأت . حريز : حصين .

(٣) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٤) الدركة : قطعة من جلد يحملها المحارب للوقاية من السيف ، كالترس .

(٥) أسف : دنا .

(٦) انظر ترجمة عمرو بن يثرب في الإصابة ج ٣ ص ١١٩ .

وإنَّ عَمِيرَةَ^(١) بَقِيَ حَتَّى وَلَّى قِضَاءَ الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ .

قال : ولما قُتِلَ ابْنُ يَثْرِبَةَ تَرَكَ الْعَدَوِيُّ الزُّمَامَ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، وَبَرَزَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَبِيعَةُ الْعُقَيْلِيِّ ، فَاقْتَتَلَا ، فَاتَّخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَاتَا جَمِيعًا .

وَقَامَ مَقَامَ الْعَدَوِيِّ الْحَارِثُ الضُّبِيُّ ، فَمَا رُؤِيَ أَشَدَّ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَقُولُ^(٢) :

نَحْنُ بَنِي^(٣) ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ
نُبَارِزُ الْقِرْنَ إِذَا الْقِرْنُ نَزَلَ
نَنْعِي ابْنَ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ
الْمَوْتُ أَحَلَّى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلِ^(٤)

وَارْتُدَّجِرَ غَيْرُ ذَلِكَ .

فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، قَالَتْ هَائِشَةُ : مَا زَالَ جَمَلِي مَعْتَدِلًا حَتَّى فَقَدْتُ أَصْوَاتَ بَنِي ضَبَّةٍ .
قال^(٥) : وَأَخَذَ الْخِطَامَ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ : كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ وَهُوَ آخِذٌ بِخِطَامِ الْجَمَلِ .

(١) في القاموس : « عمرو بن يثرب صحابي : وعَمِيرَةُ بْنُ يَثْرِبَةَ ثَابِي » .

(٢) جرى المؤلف هنا على أن القتال هو الحارث الضبي ، كآين الأثير في الكامل ، وذكر ابن جرير في تاريخه هذا القول ج ٣ ص ٥٢٦ وذكر قولاً آخر ج ٣ ص ٥٣٦ أن القتال عمرو بن يثرب الضبي وهذا القول الثاني هو الذي اتجه إليه صاحب الإصابة ج ٣ ص ١١٩ .

(٣) كذا جاء في النهاية ولسان العرب بالنصب على الاختصاص ونفس المبرد على نصبه مرتين في الكامل : انظر وغية الأمل ج ٢ ص ٦٧ - ٦٨ ج ٤ ص ١٠١ وجاه في المخطوطة « بنو » .

(٤) بجل : حسب .

(٥) القتال : الشبي ، انظر تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٢٦ .

وكان محمد بن طلحة ممن أخذ بخطامه ، وقال : يا أمّاه مُريني
بأمرك . قالت : أمرك أن تكون كخَيْرِ رَابِيٍّ ^(١) آدَمَ ^(٢) إن تركت .
فجعل لا يحمل عليه أحدٌ إلا حمل وقال : « حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ » ^(٣)
 واجتمع عليه نفرٌ ^(٤) كلُّهم ادَّعى قتله ، فأُنْفَذَ بعضهم بالرمح ،
ففي ذلك يقول :

وَأَشَعَتْ قَوَامٍ بِآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمٍ
هَتَكَتْ لَهُ بِالرَّمْحِ جَنْبَ فَمِيصِهِ فخرَّ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ ^(٥)
يَذْكُرُنِي حَامِيْمَ وَالرَّمْعُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حَامِيْمَ قَبْلَ التَّقْدَمِ ^(٦)
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعاً عَلِيّاً ، وَمَنْ لَا يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَنْدَمُ

(١) كلما جاء في الإصابة ج ٢ ص ٣٧٧ والبدية والنهاية ج ٧ ص ٢٤٣ وفي إشارة
إلى قصة ابن آدم بسط أحدها يده لقتل أخيه واستباح الآخر الآية ٢٧ وما بعدها من
سورة المائدة . وجاء في المخطوطة وغيرها : « بنى » .

(٢) كلما جاء في النسبة (ك) : وجاء في (ن) : « وإن » .

(٣) لعل هذا مأخوذ من الحديث النبوي الذي رواه أصحاب السنن : « إن يئتم فليكن شاركم
حم لا ينصرون » وانظر شرحه في النباية واللسان (ح م م) وقد انتصر المؤلف فيما
يتعلق بشأن محمد بن طلحة و (حاميم) على هذه الرواية التي ذكرها ابن الأثير ، وسيأتي في الشعر
قول قاتل محمد « يذكرفي حاميم » وقد اختلف العلماء في تذكير حاميم ، فقال بعضهم
« كلما حمل عليه رجل قال نشدك بحاميم : يريد بما في (حم عسق) من قوله تعالى ﴿ قل لا
إسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وقال بعضهم : « كان شعار أصحاب علي يوم الجمل
(حم) وكان القاتل مع علي ؟ فلما طعن محمداً قال محمد (حم) فأُنشد القاتل الشعر » وقال
بعضهم : « قال محمد بن طلحة لما طعنه القاتل أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » فهذا معنى
قوله : يذكرفي حاميم ، أي تذكرة هذه الآية لأنها من (حم) سورة المؤمن » .

(٤) جاء في ترجمة النعمان خؤلاه النفر : كتب بن مدالج الأسدي وابن المكبر الضبي
وشداد بن معاوية العبسي وعصام بن المقشعر وشريح بن أرق أو ابن أبي أرق - والأدثر
النعمي . . وذكر الزبير أن الأكثر على أن الذي قتله وقال الشعر عصام بن مقشعر . وكذلك
رجحه أبو عبيد الله المرزبان في موضعين من معجم للشراء ص ٢٦٩ : ٣٤٥ .

(٥) من النحويين من استشهد بهذا البيت على أن اللام بمعنى « على » أي : على الدين
والقلم ، كما قوله تعالى « ويخرون للأذان » أي : حل الأذان .

(٦) استشهد بهذا البيت أبو عبيدة في (عجاز القرآن) مشوباً إلى شريح ، انظر لسان =

قال : وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا خبطه بالسيف ، فأقبل إليه الحارث بن زهير وهو يقول :

يا أَمَّنًا ^(١) يا خيرَ أمْ نعلمُ
أما ترينَ كم شجاعٍ يُكَلِّمُ ^(٢)
وتُخَتِّلُ هَامَتُهُ ^(٣) والمِعْصَمُ

فاختلفا ضربتين ، فقتل كل واحد منهما صاحبه .
وأخذ أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان لا يأخذ الخطام أحد إلا قُتِل ، وكان لا يأخذه والراية إلا معروف ، فينتسب : « أنا » فلان بن فلان ، فإن كانوا ليقاتلون عليه وإنه لدموت لا يوصل إليه [إلا بطلبة] ^(٤) ! وما رامة أحد من أصحاب علي إلا قُتِل أو أفلت ثم لم يعد ، وحمل عدى بن حاتم عليهم ففقت عينه .
وجاء عبد الله بن الزبير ولم يتكلم ، فقالت عائشة : مَنْ أنت ؟

« العرب وتاج العروس » ، وكذلك استشهد به البخاري ، في تفسير سورة (المؤمن) من صحيحه ،
انظر فتح الباري ٨ ص ٣٩١ - ٣٩٢ واستشهد به الترمذی فی (الکشاف) ج ١ ص ٦٦ .. و « شاجر » معناه : مختلف أو ذو طعن .

(١) في (ك) : « يا أمنا » . وفي (ن) : « يا أمنا » بالثاء .

(٢) يكلم : يبرح .

(٣) تختل هامة : يقطع رأسه .

(٤) زيادة يقتضيا المقام ذكرها ابن جرير ج ٣ ص ٥٢٢ .

قال ابنك وابن أخيك . قالت : واثكل أممعا ! فانتهى إليه الأشر فضربه الأشر على رأسه ، فجرحه جرحا شديدا ، وضربه عبد الله ضربة خفيفة ، واغتنق كل واحد منهما صاحبه ، وسقطا على الأرض يتركان ، فقال عبد الله بن الزبير : « اقتلوني ومالك » ^(١) فلو يعلمون من « مالك » لقتلوه ، وإنما كان يُعرف بالأشتر ^(٢) ، فحمل أصحاب على وعائشة فخلصوها .

قال : وأخذ الخِطام الأسود بن أبي البختري القرشي فقتل ^(٣) ، وأخذه عمرو بن الأشرف الأزدي فقتل ، وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من أهل بيته ، وجرح عبد الله بن الزبير سبعا وثلاثين جراحة من طعنة ورمية وضربة ، وجرح مروان بن الحكم . فنادى على : اغفروا للجميل فإنه إن عُقِرَ تفرقوا . فضربه رجل ، فسقط . ، فما سُمع صوت أشد من عجيجه .

وقبل في عُقَر الجمل : إنَّ القَعْفَاق لقي الأشر وقد عاد من القتال عند الجمل . فقال : هل لك في العود ؟ فلم يُجِبْهُ ، فقال : يا أشتر

(١) في الكامل ج ٣ ص ١٢٨ ومرج الذهب ج ٢ ص ١٢ :

اقتلوني ومالك واقتلوا مالكاً منى

(٢) الأشر : اسمه مالك بن الحارث بن عبد يثوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي . وكان فارسا شجاعا من كبار الشيعة ، ولقب بالأشر لأن رجلا من إبياد ضربه في يوم الهرموك عن رأسه فسالت الجراحة فيها إلى عينه ففترتها ، هذا هو المشهور في تلقيه ، وهناك وجه في تلقيه ذكره أسامة بن منقذ في لباب الآداب ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) تبع المؤلف هنا ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٩ وهذا القول جاء في رواية لابن جرير الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٥٢٨ ولكن ابن جرير ذكر قولاً آخر ج ٣ ص ٥٤٥ بعد التهادوتة للجميل بقوله أنه لم يقتل فيها . قال : قصدت عائشة مكة فكان وجهها من الهرة ، وانصرف مروان والأسود بن أبي البختري إل المدينة من الطريق . ويؤيد القول بذكره ابن حجر في ترجمة الأسود من كتاب الأساطير ١ ص ٤٢ فارجع إليه .

بعضنا أعلم بقتال بعض منك . وحمل القعقاع ، والزمام مع زُفر بن الحارث الكلبي ، وكان آخر من أخذ الخطام ، فلم يبق شَيْخ من بني عامر إلا أُصيب قدام الجمل ، وزحف القعقاع إلى زُفر بن الحارث ، وقال لبُجير بن دُجَـة - وهو من أصحاب علي - : يا بُجَيْرُ صَحِّ بِقَوْلِكَ فليَقْمِرُوا الجمل قبل أن يُصابوا أو تُصاب أُم المؤمنين . فقال لبُجير : « يا آلِ ضَبَّة ، ياعمرو بن دُجَـة ، اذْعُ بِي إِلَيْكَ » فدعاه ، فقال : أنا آتٍ حَتَّى أَرْجِعَ عَنْكُمْ ؟ . قالوا : نعم . فاجتث ساقَ البعير ، فرمى بنفسه على شِقِّهِ وَجَرَجِر^(١) البعير ، قال القعقاع لمن يليه : أنتم آتُونَ واجتمع هو وزُفرُ على قطعِ بَطَان^(٢) الجمل وحملوا الهودج فوضعاه ، وإنه كالقنفذ لما فيه من السهام ، ثم أطافا به ، وفرَّ من وراء ذلك من الناس . فلما انتهزوا أمر علي مناديا فقال : أَلَا لَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح^(٣) وَلَا تَدْخُلُوا اللُّور .

وأمر علي نَفْرًا أن يحملوا الهودج من بَيْنِ الْقَتْلَى ، وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قَبَّةً ، وقال انظُرْ : هل وصل إليها شَيْءٌ من جِراحَةٍ ؟ فأدخل رأسه هودجها ، فقالت : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَبْنَعُضُ أَهْلِكَ إِلَيْكَ . قالت ابْنُ الْخُثْعَمِيَّةِ^(٤) ؟ قال : نعم . قالت : الحمد لله الذي عافاك .

(١) جرجير البعير : ردد صوته في حنجريته .

(٢) بَطَان الجمل : الحزام الذي يحمل تحت بطة .

(٣) أَى : لا يقتل من صرع وجرح منهم .

(٤) الخثعمية : أساءت بنت عميس الخثعمية ، وهي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه

وسلم ، وكانت أساء من المهاجرات إذ اغتبت ، وهي إذ ذاك زوج جعفر بن أبي طالب ، فولدت له هناك محمد بن جعفر وعبد الله وعروفا . ثم هاجرت معه إلى المدينة ، فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له بمكة هذا ، ثم مات عنها أبو بكر فتزوجها =

وقيل : لما سقط الجمل أقبلَ محمد بن أبي بكر وعَمَّار بن ياسر
إليه ، فاحتملا الهودج ، فنجّياه ، فأدخل محمد يده فيه ، فقالت :
مَن هذا ؟ قال : أخوك البرّ^(١) . قالت : عَفُّق^(٢) ! قال : يا أُنخية
هل أصابك شيء ؟ قالت : ما أنتَ وذاك ؟ قال : فَمَنْ إِذَا الضَّالُّ ؟ قالت :
بل الهداة ! وقال لها عَمَّار : كيف رأيتَ بَنِيكَ اليومَ يأمُها ؟ قالت :
لستُ لك بأُم ! قال : بكى وإنْ كرهت . قالت : فَعَزَّمتُ أَنْ ظَفِرْتُمْ
وَأَتَيْتُمْ مِثْلَ الَّذِي نَقَعْتُمْ هَيْهَاتَ وَاللَّهِ لَنْ يَظْفَرَ مَنْ كَانَ هَذَا ذَأْبُهُ !
فأَبْرَزُوا هَوْدَجَهَا ، فوضعوها لَيْسَ قُرْبَهَا أَحَدٌ .

وَأَتَاهَا عَلَى فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَأُمُّهُ ؟ قالت : بِخَيْرٍ . قال :
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ . قالت : وَلَكَ .

وجاء أعين بن ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيَّ حَتَّى أَطْلَعَ فِي الْهُودَجِ ، فَقَالَتْ
إِلَيْكَ لَعَنَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَرَى إِلَّا حُمَيْرًا . فَقَالَتْ هَتَكَ اللَّهُ
سِتْرَكَ وَقَطَعَ يَدَكَ وَأَبْدَى عَوْرَتِكَ ! فَقَتَلَ بِالْبَصْرَةِ وَسُلِبَ وَقُطِعَتْ يَدُهُ
وَرُمِيَ عُرْيَانًا فِي خَرَبَةٍ مِنْ خَرَبَاتِ الْأَزْدِ ! .

ثُمَّ أَتَى وَجْهَهُ النَّاسُ إِلَى عَائِشَةَ ، وَفِيهَا الْقَعَقَاعُ بْنُ عَمْرٍو ، فَسَلَّمَ
عَلَيْهَا . فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بَعَشْرِينَ سَنَةً !

== على بن أبي طالب فولدت له يحيى بن عزي : وقد ثبت أنها ولدت لمحمد بن أبي بكر في طريق
المدينة إلى مكة في حجة الوداع : كما في حديث جابر الطويل في صحيح مسلم . ثم نشأ محمد بن
أبي بكر في حجر علي بن أبي طالب : إذ تزوج على لعمه . ثم كان موقفه في موقعة الجمل مع
أخيه عائشة ما ذكره للولف ، وسيذكر - فيما بعد - ولايته لمصر ومقتله وأن «عائشة رضي
الله عنها جزعت عليه جزعا شديدا» .

(١) البر : الحسن لمعاملة الأتريبيين من الأهل .

(٢) عَفُّق : عاق أمه ، من العقوق ، ضد البر .

وكان على يقول بعد الفراغ من القتال :

إِلَيْكَ أَشْكُو عَجْرِي وَبُجْرِي ^(١)
وَمَعْشَرًا أَغْشَوْا ^(٢) عَلَى بَصْرِي
قَتَلْتُ مِنْهُمْ مُضْرِي مُضْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي !

قال : ولما كان الليلُ أدخل محمدُ بن أبي بكر عائشةَ البصرة ،
فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزازي ^(٣) - وهي أعظم دار في
البصرة - على صفيية بنت الحارث بن [طلحة بن] ^(٤) أبي طلحة بن
عبد العزى ، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف .
وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة .

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثا ، وأذن للناس في دفن موتاهم ، فخرجوا
إليهم فدفنوهم ، وطاف على في القتلى ، فلما أتى كعب بن سور
قال : « أزعمتم ^(٥) أنما خرج معهم السفهاء وهذا الجبر قد ترون ! »

(١) في النهاية ولسان العرب : « حديث على : أشكو إلى الله عجري وبجري ، أى :
همومى وأحزاني ، وأصل العجرة : نفخة في الظهر فإذا كانت في البطن فهي بجرة وقيل :
العجر العروق المتعقدة في الظهر ، والبحر : العروق المتعقدة في البطن ، ثم نقلا إلى الهموم
والأحزان ، أراد أنه يشكو إلى الله أمور كلها مظهر منها وما بطن .
(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن جرير : « غشوا » ، وفي الكامل لابن الأثير :
« أغشوا » .

(٣) عبد الله بن خلف الخزازي له ترجمة في الإصابة رجم ٢٤٦٥٠ ص ٣٠٣ وكان
كاتباً لعمر بن الخطاب هل ديوان البصرة ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة فقتل ، وكان أخوه
عشان مع على .

(٤) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٢٩ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦
٨١ : ١٢٠ والإصابة ج ٢ ص ٢٣٧ ولسان العرب والقاموس مع تاج العروس وخزانة
الأدب ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٥) كذا جاء في المخطوطة موافقا لما في الكامل : وجاء في تاريخ ابن جرير « زعتم »
وهو أقرب لما يأتي .

وجعل كلُّهما مرًّا برجل فيه خير قال : « زَعَمَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا إِلَّا الْغَوَاةُ وَهَذَا الْعَابِدُ الْمُجْتَهِدُ فِيهِمْ » ١ وصلى على القتلى من بَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَأَمَرَ قُدِّمَتِ الْأَطْرَافِ فِي قَبْرِ عَظِيمٍ ، وَجَمَعَ مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ مِنْ شَيْءٍ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ ، وَقَالَ : مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ لِأَسْلَاحِهَا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ عَلَيْهِ رِسْمَةُ السُّلْطَانِ .

قال (١) : وكان جميع القتلى عشرة آلاف ، نصفهم من أصحاب عليٍّ ، ونصفهم من أصحاب عائشة ، حكاها أبو جعفر الطبري ، وقال غيره : ثمانية آلاف . وقيل : سبعة عشر ألفاً . قال أبو جعفر : وقُتِلَ مِنْ ضَبَّةِ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَقُتِلَ مِنْ عَدِيٍّ حَوْلَ الْجَمَلِ سَبْعُونَ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ سِوَى الشَّبَابِ وَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ .

قال (٢) : وَلَمَّا فَرَّغَ عَلِيٌّ مِنَ الْوَاقِعَةِ أَنَّهُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ [بَنِي سَعْدٍ] (٣) ، وَكَانُوا قَدْ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : لَقَدْ تَرَبَّصْتُ . فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَرَانِي إِلَّا قَدْ أَحْسَنْتَ ، وَبِأَمْرِكَ كَانَ مَا كَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَارْفُقْ ، فَإِنَّ طَرِيقَكَ الَّذِي سَلَكَتَ بَعِيدٌ ، وَأَنْتَ إِلَى غَدَاً أَخْرَجَ مِنْكَ أَمْسٍ ، فَاعْرِفْ إِحْسَانِي ، وَاسْتَصْفِ مَوَدَّتِي لِغَدٍ ، وَلَا تَقُلْ (٤) مِثْلَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ نَاصِحًا .

ثم دخل على البصرة يوم الاثنين ، فبايعه أهلها ، حتى الجرحى والمُسْتَأْمِنَةُ ، واستعمل على عبد الله بن عباس على البصرة ، وولى

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) الزيادة من الكامل ، ويتفصيها ضمير الجمع الآتي بعدها .

(٣) كذا جاء في المخطوطة والكامل ، وجاء في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٤٠ .

« وَلَا يَقُولُ » .

زياداً الخراجَ وبَيِّتَ المالَ ، وأمرَ ابنَ عباس أن يسمع منه ويُطِيع
وكان زياد معتزلاً (١) .

ثم راح على رضى الله عنه إلى عائشة في دار عبد الله بن خلفٍ
الخُرَاعى ، فوجد النساء يبكين على عبد الله وعُثمانَ ابْنَيْ خَلْفٍ ،
وكان عبد الله قتل مع عائشة ، وعُثمان قتل مع علي ، وكانت
صفية زوجة عبد الله مختمرة تبكى ، فلما رأتَه قالت له : يا على ، يا قاتل
الأحبة ، يا مُفَرِّقَ الجمع ، أَيَتَمَّ اللهُ منك بَنِيكَ كما أَيَتَمَّتْ وَلَدَ عبدِ اللهِ
منه . فلم يردَّ عليها شيئاً ، ودخل على عائشة فسلم عليها وقعد
عندها ، ثم قال : جَبَّهْتُنَا صَفِيَّةُ . أما لئى لم أَرَهَا منذ كانت جارية !
فلما خرج أعادت عليه القول ، فكفَّ بَغْلَتَهُ ، وقال : لقد هممتُ أن أفتَحَ
هذا الباب (وأشار إلى باب في الدار) وأقتل مَنْ فيه (وكان فيه
ناس من الجرحى فأخبر بمكانهم ، فتغافل عنه) (٢) .

قال : ولما خرج من عند عائشة قال له رجل من الأزد : والله
لا تغلبُنَا هذه المرأة ! فغضب وقال : « مَهْ (٣) ، لا تَهْتِكُنْ سِتْرًا ،
ولا تَدْخُلُنْ دارًا ، ولا تَهَيِّجُنْ امرأةً بأذى ، وإن شِئْتُمْ أعراضكم ،
وسفهنَّ أمراءكم وصلحاءكم ، فإنَّ النساءَ ضعيفات ، ولقد كنَّا

(١) كان زياد من اخزل ولم يشهد المعركة : ولما جاء عبد الرحمن بن أبي بكر في
المستأمنين مسلماً - بعد ما فرغ على من البيعة - قال له على رضى الله عنه : وعك المربص
المقاعد بنى (يعنى زيادا) . فقال : والله يا أمير المؤمنين إنه لك لواد وإنه على مسرتك لحريص
ولكنه يلفنى أنه يشتكى : فلما قابل على زيادا واعتذر إليه زياد قبل عذره ، واستشاره
وأراده على رضى الله عنه على البصرة ، فقال زياد : رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس
فإنه أجدر أن يطمنوا وينقادوا وسأكفيكه وأشير عليه . فكان ابن عباس .

(٢) عبادة ابن جبر : « وكان أناس من الجرحى قد بلغوا إلى عائشة ، فأخبر على
بمكانهم ، فتغافل عنهم » .

(٣) مه : اسكت وأكف .

نُؤْمَرُ بالكُفِّ عَنْهُنَّ وَهُنَّ مُشْرَكَاتٌ ، فَكَيْفَ إِذَا كُنَّ مُسْلِمَاتٍ ؟ »
 وَمَضَى ، فَلَحِقَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَامَ رَجُلَانِ عَلَى
 الْبَابِ فَتَنَّاوَلَا مَنْ هُوَ أَمْصُ شَتِيْمَةٌ لَكَ مِنْ صَفِيَّةٍ . فَقَالَ : وَيَحْكَ
 لَعْلَهَا عَائِشَةُ إِقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَحَدُهُمَا :

« جُرِيَتْ عَنَّا أَمْنَا عُقُوقًا » .

وَقَالَ الْآخَرُ :

« يَا أَمْنَا ^(١) تُؤْبَى فَقَدْ خَطِيئَةٍ » .

فَبِعَثَ الْقَدَمِقَاعَ بَنَ عَمْرُو إِلَى الْبَابِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ كَانَ عَلَيْهِ ،
 فَأَحَالُوا عَلَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَزْدِ الْكُوفَةِ ، وَهُمَا عَجَلَانُ وَسَعْدُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ
 فَضَرَبَهُمَا مِائَةَ سَوْطٍ . وَأَخْرَجَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا .

قَالَ : وَسَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَمَّنْ قُتِلَ مِنَ النَّاسِ مَعَهَا
 وَعَلَيْهَا ، فَكُلَّمَا نَعِيَ وَاحِدًا مِنَ الْجَمِيعِ قَالَتْ : رَحِمَهُ اللَّهُ ! فَقَبِيلُ لَهَا
 كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَانِ
 فِي الْجَنَّةِ وَفَلَانِ فِي الْجَنَّةِ ^(٢) .

ثُمَّ جَهَّزَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَائِشَةَ بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ مَرْكَبٍ
 وَزَادٍ وَمَتَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَبِعَثَ مَعَهَا كُلَّ مَنْ نَجَا مَعَهَا خَرَجَ مَعَهَا
 إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ ، وَاخْتَارَ لَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْبَصْرَةِ
 الْمَعْرُوفَاتِ ، وَسَيَّرَ مَعَهَا أَخَاهَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَلَمَّا كَانَ

(١) كَذَا جَاءَ بِالنَّاهِ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَوَقَعَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « يَا أَمِي » ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ

ابْنِ جُرَيْرٍ : « يَا أَمْنَا » بِالنُّونِ .

(٢) زَادَ ابْنُ جُرَيْرٍ : « وَقَالَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ : إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ

أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ نَفَى قَلْبَهُ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ » .

اليوم الذي ارتحلت فيه أتاها على فوقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت [وودعوها] ^(١) وودعتهم وقالت : يا بَنِي ، لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأخمانها ، وإنه علي معتنبي لمن الأخيار . فقال علي رضي الله عنه : صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة .

وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة شهر رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها على أميالا ، وبسرح بنيه معها يوما . وتوجهت إلى مكة ، فأقامت إلى الحج ، فحجّت ، ثم رجعت إلى المدينة .

قال : ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال ، فرأى فيه ستمائة ألف وزيادة ، فقسمها على من شهد معه ، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة درهم ، فقال لهم : إن أظفركم الله بالشام فلکم مثلها إلى أعطياتكم ، فحاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على علي [من وراء وراء] ^(٢) ، وطعنوا فيه أيضا حين نهاهم عن أخذ أموالهم ، فقالوا : يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم ^(٣) ! قال : وأراد علي رضي الله عنه المقام بالبصرة لإصلاح حالها ،

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير البري ج ٣ ص ٥٤٧ .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٢ وسبقه ابن جرير .

(٣) في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٤٥ : كان من سياسة علي ألا يقتل مديرا ولا يذبح

على جريح ولا يكشف سرا ولا يأخذ مالا . فقال قوم يومئذ : ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم ! فقال علي : القوم أمثالكم ، من صفح عنا فهرمنا ونحن منه ، ومن لج حتى يصاب فقتله ، مني على الصدر والنحر . وإن لكم في غمسه لفي .

فَأَعْجَلَتْهُ السَّبِيَّةُ عَنِ الْمَقَامِ ، فَإِنَّهُمْ ارْتَحَلُوا بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، فَارْتَحَلَ
فِي آثَارِهِمْ ، لِيَقْطَعَ عَلَيْهِمْ أَمْرًا إِنْ أَرَادُوهُ .
فَلَنَرْجِعْ إِلَى مَقْتَلِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ .

ذكر مقتل طلحة

رضى الله عنه وشىء من أخباره

هو أبو محمد طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ
سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ .

وهو أقرب العشرة إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَجْتَمِعُ
نَسَبُهُ مَعَ نَسَبِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ .

وَيَجْتَمِعُ نَسَبُهُ وَنَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي مُرَّةَ
ابْنِ كَعْبِ .

وَأُمُّ طَلْحَةَ : الْحَضْرَمِيَّةُ ، وَهِيَ الصَّعْبَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَادٍ ^(١)
ابْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أَكْبَرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عُوَيْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْخَزْرَجِ
ابْنِ إِيَادِ بْنِ الصُّدَيْفِ ^(٢) مِنْ حَضْرَمَوَاتٍ مِنْ كِنْدَةَ ، يَعْرِفُ أَبُوهَا
عَبْدُ اللَّهِ بِـ « الْحَضْرَمِيِّ » .

وَيَعْرِفُ طَلْحَةَ بِـ « طَلْحَةَ الْخَيْرِ » وَ « طَلْحَةَ الْفَيَاضِ » . قِيلَ

(١) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالرِّيَاضِ النَّصْرَةِ « عَبَاد » ، وَجَاءَ فِي الْإِسْتِيبَاقِ وَالْإِسْأَلَةِ :

« عَبَاد » .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : الصُّدَيْفُ - كَكَتَفَ - : بَطْنٌ مِنْ كِنْدَةَ يَنْسَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى حَضْرَمَوَاتٍ .
وَفِي جُمُوحِ أَنْسَابِ الْأَرَبِ ص ٤٣١ : « وَالصُّدَيْفُ هُمْ فِي بَنِي حَضْرَمَوَاتٍ ، وَهُوَ الصُّدَيْفُ
ابْنُ إِسَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَضْرَمَوَاتٍ الْأَكْبَرِ » .

سُمِّيَ بِالْفَيَاضِ لِأَنَّهُ اشْتَرَى مَالًا بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «بَيْسَانٌ» ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَنْتَ إِلَّا فَيَاضٌ » ، فَسُمِّيَ
بِذَلِكَ مِنْ يَوْمَئِذٍ .

وهو رضى الله عنه أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، وَأَحَدُ السِّتَةِ
أَصْحَابِ الشُّرُورِ الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
عَنْهُمْ رَاضٍ ^(١) .

وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَذِبِ بْنِ مَالِكٍ
حِينَ أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدِمَ لَهُ سَهْمُهُ وَأَجْرُهُ يَوْمَ يَكْرُ ^(٢) .
وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ فِي ذَلِكَ ^(٣) .

ثُمَّ شَهِدَ أَحَدًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَأَبْلَى يَوْمَ أَحَدٍ بِلَا حَسَنَةٍ ، وَوَقَى
رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِنَفْسِهِ ، اتَّقَى عَنْهُ النَّبْلَ بِيَدِهِ حَتَّى
شَلَّتْ إصْبَعُهُ وَضُرِبَ فِي رَأْسِهِ ، وَحَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ
وَالسَّلَامَ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى صَعِدَ الصَّخْرَةَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الْيَوْمَ أَوْجِبَ طَلْحَةُ ^(٤) يَا أَبَا بَكْرٍ » .

(١) ذَكَرَ صَاحِبُ الْإِسَابَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ
لَهُ : «بَيْسَانٌ» مَالِحٌ ، فَقَالَ هُوَ «نَعْمَانٌ» وَهُوَ طَيِّبٌ ، فَغَيَّرَ اسْمَهُ فَاسْتَدْرَأَ طَلْحَةَ ، ثُمَّ
تَصَدَّقَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَنْتَ يَا طَلْحَةُ إِلَّا فَيَاضٌ ، فَبِذَلِكَ
قِيلَ لَهُ «طَلْحَةُ الْفَيَاضِ» .

(٢) لَمْ يَشْهَدْ طَلْحَةُ وَقْعَةَ بَدْرٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي هَذَا الْكِتَابِ : أَنَّ طَلْحَةَ وَسَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ
كَانَا قَدْ بَشَّيْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِذْ يَدْرُ
إِلَى الشَّامِ يَتَحَسَّانَ لَهُ خَيْرَ الْعَمِيرِ ، فَقَعَلَا بِعَدَاةٍ بَدْرَ فَضْرَبَ لِهَما رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَيْهِمَا ، قَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ . وَأَجْرُنَا . قَالَ : وَأَجْرُكُمَا .

(٣) نَهَايَةُ الْأَرْبَعِ ج ١٧ ص ٣٦ .

(٤) شَرَحَ صَاحِبُ النَّهْيَةِ وَلِسَانُ الْعَرَبِ حَدِيثَ «أَوْجِبَ طَلْحَةُ» بِقَوْلِهِمَا : أَيْ
عَمِلَ عَمَلًا أَوْجِبَ لَهُ الْجَنَّةَ ، وَذَكَرَ صَاحِبُ الرِّيَاضِ النَّفْثَةِ ج ٢ ص ٢٥١ أَنَّ الْحَدِيثَ =

وَيُرَوَّى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ :
« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمُوتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى
طَلْحَةَ » .

وحكى أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله فقال : زعم بعض أهل
العلم أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، فَذَكَرَهُ أَشْيَاءَ مِنْ مَوَاقِفِهِ
وَفَضْلِهِ ، فَارْجَعَ طَلْحَةُ عَنْ قِتَالِهِ ، عَلَى نَحْوِ مَا صَنَعَ الزُّبَيْرُ وَاعْتَزَلَ
فِي بَعْضِ الصَّفُوفِ ، فَرُمِيَ بِمَسْجَمٍ ، فَقُطِعَ مِنْ رِجْلِهِ عِرْقُ النَّسَمِ ،
فَلَمْ يَزَلْ دُمُهُ يَنْزِفُ حَتَّى مَاتَ ^(١) . وَيُقَالُ : إِنَّ السَّهْمَ أَصَابَ
ثُغْرَةَ نَحْرِهِ ، وَإِنَّ الَّذِي رَمَاهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِّ وَقَالَ : لَا أَطْلُبُ بِشَأْرِي
بَعْدَ الْيَوْمِ . وَذَلِكَ أَنَّ طَلْحَةَ - فِيمَا زَعَمُوا - كَانَ مِمَّنْ حَاصِرَ عُثْمَانَ
وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَلَا يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ ^(٢) فِي أَنَّ
مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِّ قَتَلَ طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ ^(٣) ، وَاسْتَدْلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَخْبَارٍ
[رَوَاهَا مِنْ قَوْلِ مَرْوَانَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَاتِلُهُ] ^(٤) .

قال : وقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال :
والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله

== أخرجه أحمد والترمذي ، ثم ذكر ج ٢ ص ٢٥٣ رواية البغوي وغيره . « أوجب طلحة
الجنة » بذكر المفعول به .

(١) ذكر أبو عمر ابن عبد البر قول الأحنف : لما التقوا كان أول قتيل طلحة بن عبد الله

(٢) في الاستيعاب لابن عبد البر : « ولا يختلف العلماء الثقات » .

(٣) زاد ابن عبد البر « وكان في حزه » ، وقال في موضع آخر كان مروان مع طلحة

يوم الجمل ، فلما اشتبكت الحرب قال مروان : لا أطلب بشأري بعد اليوم . ثم رماه بمسهم
..... الخ .

(٤) ثبتت هذه الجملة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ^(١) .

وروى أبو عمر بمسنده إلى قيس بن أبي حازم قال : رمى مروان طَلْحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ بِسَهْمٍ فِي رُكْبَتِهِ ، فجعل الدَّمُ يَسِيلُ ، فإذا أمسكوه استمسك وإذا تركوه سال ، فقال : دَعُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ . قال فمات ، فدَفَنَاهُ عَنَى شَاطِئِ الْكَلَاءِ ^(٢) ، فرأى بعضُ أهله أَنَّهُ أَنَاهُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : « أَلَا تَرِيحُونَنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ فَإِنِّي قَدْ غَرِقْتُ » ثلاثَ مِرَارٍ يَقُولُهَا ، قال : فَتَشَبَّهَ بِهِ هُوَ إِذَا هُوَ أَخْضَرَ كَأَنَّهُ الْمَسْلُوقُ ، فَنَزَحُوا ^(٣) عَنْهُ الْمَاءَ ، فَاسْتَخْرَجُوهُ ، فإذا مَا يَكِلِي الْأَرْضَ مِنْ لَحِيَّتِهِ وَوَجْهِهِ قَدْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضُ ، فاشْتَرَوْا لَهُ دَارًا مِنْ دُورِ آلِ أَبِي بَكْرٍ بِعَشْرَةِ آلَافٍ ، فدَفَنُوهُ فِيهَا .

وروى أيضا بمسنده إلى علي بن زيد عن أبيه أن رجلا رأى فيما يَرَى النَّاسُ أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ : « حَوْلُونِي عَنْ قَبْرِى فَقَدْ آذَانِي الْمَاءُ ! » ثُمَّ رَأَاهُ ، حَتَّى رَأَاهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَأَخْبِرَهُ ، فَنَظَرُوا فَإِذَا شِقَّةُ الَّذِي يَكِلِي الْأَرْضَ فِي الْمَاءِ ، فَحَوْلُوهُ ، قَالَ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْكَافُورِ فِي ^(٤) عَيْنَيْهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَّا عَقِيصَتُهُ فَإِنَّمَا مَالَتْ عَنْ مَوْضِعِهَا . وقتل رضى الله عنه وهو ابنُ مَسْتَيْنِ سَنَةٍ ، وقيل : ابن اثنتين ومُسْتَيْنِ ، وذلك يَوْمَ الْجَمَلِ ، لَعَنَ خَلْقٌ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ .

(١) الآية ٤٧ من سورة الحجر .

(٢) الكلاء : مرفأ السفن بساحل النهر ، وأطلق على موضع بالبصرة .

(٣) كلما جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « فَنَزَحُوا » .

(٤) كلما جاء في المخطوطة ، وجله في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٤ : « بين عَيْنَيْهِ » .

وكان رضى الله عنه رجلاً آدم ، حسن الوجه ، كثير الشعر ،
ليس بالجعد القطط^(١) [ولا بالسبط]^(٢) وكان لا يغير شعره^(٣) .

وسمع على رجلاً ينشد :

فَإِذَا مَا هُوَ اسْتَفْنَى ، وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

فقال : ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله .

وحكى الزبير^(٤) أنه سمع سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يقول : كانت غَلَّةُ

طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَلْفًا وَافِيًا كُلَّ يَوْمٍ ! (قال : والوافي وزنه وزن
الدينار ، وعلى ذلك وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغلية) .

ذكر مقتل الزبير بن العوام

رضى الله عنه وشيء من أخباره .

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد
العزى بن قُصَيٍّ ، القرشي الأسدي .

وأُمُّهُ صَفِيَّة بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب

الشورى ، وهو قديم الإسلام ، واختلف في سنه يوم أسلم ، فقيل :

(١) القطط : الكثير المجددة .

(٢) كذا ثبت في النسخة (ن) كالاستيعاب ج ٢ ص ٢٢٥ ، ومقط من النسخة (ك) ،
والسبط من الشعر : المنبسط المسترسل ، والمراد أن شعر طلحة : كان وسطاً بين الجمد
والمسترسل (وهما ضدان) .

(٣) كانوا يكرهون تغيير الشيب بتف شعره ، وأما تغيير لونه فغير مكروه ،
فمن ذوى الشيب من يقبل عليه ، ومنهم من لا يقبل وقد ذكر الرياض النضرة
ج ٢ ص ٢٦٢ أن الزبير بن العوام « كان لا يغير شيه » كذلك .

(٤) هو الزبير بن بكار في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٥٨ .

خمس عشرة سنة ، وقيل ست عشرة ، وقيل : اثنتى عشرة سنة
وقيل : ثمانى سنين . والأول أصح .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته وبين عبد الله بن مسعود
حين أتى بين المهاجرين ، ولما أتى بين المهاجرين والأنصار أتى
بيته وبين سلمة بن سلامة بن وقش

وكان له رضى الله عنه من الولد - فيما حكاه بعضهم - عشرة ،
وهم : عبد الله وعروة ومضعب والمنذر وعمرو وعبيدة وجعفر وعامر
وعمير وحزمة .

وكان الزبير رضى الله عنه أول من سلّ سيفاً في سبيل الله ، وذلك
أنه نفيحت فيه نفخة من الشيطان : « أخذ رسول الله عليه الصلاة
والسلام » ، فاقبل يشق الناس بسيفه ، والنبي صلى الله عليه
وسلم بأعلى مكة ، فقال له رسول الله : مالك يا زبير ؟ قال : أخبرت
أنك أخذت ! فصلى عليه ودعاه .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الزبير ابن
عمى وحواري من أمتى » . وقال : « لكل نبي حواري ، وحواري
الزبير » . وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلاً يقول : « أنا ابن
الحواري » ، فقال إن كنت ابن الزبير وإلا فلا .

وذكر ^(١) في معنى « الحواري » : الخالص ، وقيل الخليل ،
ولذلك قال جرير ^(٢) :

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٥ ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٢) في ديوان جرير ص ٤٥٤ ، وقوله : =

أفبعد مقتلهم خليل محمد ^(١) ترجو القيون مع الرسول سبيلا
وقيل : الحَوَارِيُّ : الناصر . وقيل : الصاحب المستخلص .
وجَمَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبويَه للزُبَيْرِ مَرَّتَيْنِ : يَوْمَ
أُحُدٍ وَيَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فقال : « أرمِ فذاك أبى وأُمى ! » ^(٢) .
قال أبو عمر ابن عبد البر : وكان الزبير فاجرا ! مَجْدُودًا ^(٣)
في التجارة ، قيل له يوما : بَمَ أدركتَ في التجارة ما أدركتَ ؟ فقال :
لأنى لم أَشْتَرِ غَبِنًا ^(٤) ولم أَرُدُّ رِبْحًا والله يُبارك لمن يشاء .
وروى عن كعب قال : كان للزُبَيْرِ أَلْفُ مَلُوكٍ يُؤَدُّونَ إِلَيْهِ الْخَرَجَ
فما يُدْخِلُ بَيْتَهُ مِنْهُ دَرَاهِمًا وَاحِدًا . يعنى أنه كان يتصدق بذلك .
وكان سبب قتله رضى الله عنه أنه لما انصرف من وقعة الجمل
وفارق الحرب مرًّا بالأخْنَفِ فقال : هذا الذى جمع بَيْنَ المسلمين
حتى ضرب بعضهم بعضًا ثم لحق ببيته ! ثم قال للناس : مَنْ
يَأْتِينِي بِخَبْرِهِ ؟ فقال عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ : أنا .
وقيل : إِنَّ الزُّبَيْرَ لَمَّا انصرف نَزَلَ بِعَمْرُو بْنِ جُرْمُوزٍ ، فقال له :
« يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، جَنَيْتَ حَرْبًا ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ثُمَّ تَنْصَرِفُ ! أَتَأْتِبُ أَمْ
عَاجِزٌ ؟ » فسمكت عنه الزُّبَيْرُ ، ثم عاودَه ، فقال : ظُنُّنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ

= إني تذكرك الزبير حمامة تدعو بجمع ثقتين هديلا
قالت قرش : ما أذل عجاذا جارا وأكرم ذا القتل قتلا
لو كان يعلم غدر آل عجاشع نقل الرجال فأسرع التحويلا
بالف نفدي إذ ينسرك حيلهم هلا اتخذت على القيون كفيلا
(١) الرواية في الديوان : « أفبعد متركهم خليل محمد » .. وقد عبر جرير عن الزبير
بـ « الحواري » في قوله :

دعاكم حوارى الرسول فكتـ
عصايط ياغيب الخلاف المصرا
(٢) مَجْدُودًا : صاحب حظ .
(٣) غَبِنًا : خدعا .

غَيْرَ الْجَبْنِ . فانصرف عنه ابْنُ جُرْمُوزَ وهو يقول : « وَالْهَفْنَى عَلَى ابْنِ صَفِيَّةِ ! أضرَمَهَا نَارًا ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ بِأَهْلِهِ ! قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ ! » ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ كَالْمُتَنَصِّحِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ دُونَ أَهْلِكَ قِيَافَ ، فَخُذْ نَجِيبِي ^(١) هَذَا وَخَلِّ فَرَسَكَ وَدِرْعَكَ ، فَإِنَّهُمَا شَاهِدَانِ عَلَيْكَ بِمَا نَكَّرَهُ . » وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يُلْقَاهُ حَاسِرًا ^(٢) ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تَرَكَهُمَا عِنْدَهُ وَأَخَذَ نَجِيبَهُ ، وَسَارَ مَعَهُ ابْنُ جُرْمُوزَ كَالْمُسَيِّعِ لَهُ ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى وَادِي السَّبَاعِ ^(٣) ، فَاسْتَغْفَلَهُ ^(٤) ابْنُ جُرْمُوزَ وَطَعَنَهُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ اتَّبَعَهُ إِلَى الْوَادِي فَقَتَلَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ . وَقِيلَ : بَلْ قَتَلَهُ وَهُوَ نَائِمٌ . وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ عَاتِكَةُ ^(٥) بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلِ الْعَدَوِيَّةِ زَوْجَتَهُ تَرْتِيهِ ^(٦) :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بُهَنَةً
يَوْمَ الْلِقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ ^(٧)
يَا عَمْرُو لَوْ نُبَهَنْتُهُ لَوَجَدْتُهُ
لَا طَائِشًا رَعِشَ الْجَنَانُ ^(٨) وَلَا الْبَيْدَ

(١) النجيب من الإبل : القوى السريع .

(٢) حاسر : لادرع عليه ولاوقاية .

(٣) وادي السباع : على أربعة فراسخ من البصرة ، كما في خزائن الأدب ج ٤ ص ٣٥٠ وانظر معجم البلدان .

(٤) في خزائن الأدب ج ٢ ص ٤٥٨ : « وَأَرَاهُ أَنَّهُ يَرِيدُ مَسَايِرَتَهُ وَمَوَانِسَتَهُ ، فَقَتَلَهُ غِيلَةً . »

(٥) عاتكة من المهاجرات ، حسنة بادرة الجمال ، تزوجت مرات وقتل أزواجها ورثهن بشرها ، وسيذكر المؤلف في هذا الجزء ترجمة أخيها : سعيد بن زيد .

(٦) انظر هذا الرثاء في الأغاني ج ٦ ، ص ١٢٦ وذيل أمال القائل ص ١١٢ والموشى ص ٨٠ والا - متحجب ج ٤ ص ٣٦٤ وابن عساكر ج ٥ ص ٣٦٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٧) يقال للجبش « حجة » ، ومنه قولهم « فلان فارس حجة » والمعد : الحارب

(٨) الجنان : القلب .

كم غمرة قد خاضها لم يثنِ
 عنها طرادك يا ابن فقع القردد^(١)
 ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله^(٢)
 فيما مضى ممن يروح ويفسد
 والله ربك إن قتلت لمسلما
 حلت عليك عقوبة المتعمد^(٣)

قال : فلما رجع برأسه وسلبه^(٤) قال له رجل من قومه : « فضحت
 والله اليمن أولها وآخرها بقتلك الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته ! والله لو قتلت في حرب
 لعرّ ذلك علينا ولمسنا عارك ! فكيف في جوارك وحرملك ؟ ! »

قال : وآتى ابن جرموز عليا ، فقال لحاجبه : استأذن لقاتل
 الزبير . فقال على رضى الله عنه ائذن له وبشّره بالنار ، قد سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار !
 فقال ابن جرموز :

أتيت عليا برأس الزبير
 أرجو لدنيه به الزلفة

(١) الغمرة : الشدة . ولقع : نوع من الكمامة ، والقردد : أرض مرتفعة .
 إن جنب ودهه ، يشبهون هذا الفقع الرجل الذليل لأن اللواب تنجله بأرجلها .
 (٢) ويروى : « فاذهب فما ظفرت يدك بمثله » .
 (٣) هذا البيت من شواهد النحر . انظر البقي ج ٢ ص ٢٧٨ والسيوطي ص ٢٦
 وخزانة الأدب ج ٤ ص ٣٥٠ - ٣٥١ .
 (٤) السلب : ما يأخذه القاتل مما كان لقتيل من سلاح وثياب ودابة .

فَبَشَّرَ بِالنَّارِ إِذْ جِئْتُهُ
فَبَشَّرَ بِبَشَارَةٍ ذِي التَّخَفَةِ
وَسَيَانَ عِنْدِي قَتْلُ الزُّبَيْرِ
وَضَرْطَةُ عَيْرٍ بِذِي الْجُحْفَةِ (١)

وحكى أبو عمر ابن عبد البر في كتابه المترجم بـ «الاستيعاب» (٢)
من رواية عمرو بن جاوران عن الأحنف بن قيس قال : لما بلغ الزبير
مَفْقَوانَ (موضعا بالبصرة كمكان القادسية من الكوفة) لَقِيَهُ النُّعْرُ (٣)
(رجل من بني مُجَاشِع) فقال : «أين تذهب يا حواري رسول الله ؟
إِلَيَّ ، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي لَا يُوَصَّلُ إِلَيْكَ ، فَأَقْبِلْ مَعَهُ ، وَأَكِّي لِنَسَانِ
الْأَحْنَفِ فَقَالَ : هَذَا الزُّبَيْرُ قَدْ لُقِيَ بِمَفْقَوانَ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : « مَا شَاءَ
اللَّهُ كَانَ ، قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضُرِبَ بَعْضُهُمْ حَوَاجِبَ بَعْضٍ
بِالسُّيُوفِ ، ثُمَّ يَلْحَقُ بِبَيْتِهِ وَأَهْلِهِ !! » فَسَمِعَهُ عَمِيرَةَ (٤) بِنَ جُرْمُوزٍ
وَفَضَالَه بِنَ حَابِسَ وَنُفَيْعَ فِي غَوَاةٍ مِنْ غَوَاةِ بَنِي تَمِيمَ ، فَرَكِبُوا فِي طَلْبِهِ ،
فَلَقَوْهُ مَعَ النُّعْرِ ، فَأَتَاهُ عَمِيرَةُ بِنَ جُرْمُوزٍ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ
ضَعِيفَةٌ فَطَعَنَهُ طَعْنَةً خَفِيفَةً ، وَجَمَلَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ
لَهُ « ذُو الْخِمَارِ » (٥) ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ نَادَى صَاحِبِيَّهِ : « يَا نُفَيْعُ

(١) انظر الآيات مع شىء من التفسير في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ١
ص - ٧٩ .

(٢) ج ١ ص ٥٨٥ .

(٣) جاء في شرح ديوان جوير ص ٤٥٥ أنه « النمر بن الزمام من بني مجاشع » .

(٤) المشهور في اسم القاتل « عمرو » كما سبق في شعر عائكة ، وقد يقال له .

« عميرة » أو « عير » كما في الاستيعاب ج ١ ص ٥٨٤ والرياض النضرة ٢ ص ٢٧٣ .

(٥) في القاموس : « ذو الخمار : فرس الزبير بن العوام يوم الجمل » .

بافضالة » فحملوا عليه حتى قتلوه ... قال : (١) وهذا (٢) أصح مما تقدم .

وكان مقتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة (٣) سنة ست وثلاثين .

وكانت يومه يوم قتل سبعاً وستين سنة ، وقيل ستاً وستين . وكان الزبير رضى الله عنه أسمر ربعة معتدل اللحم خفيف اللحية .

وقال حسان بن ثابت يمدح الزبير ويفضله : (٤)

أقام على عهد النبي وهذبه

حواريه والقول بالفعل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه

يؤلى ولى الحق والحق أغدل

هو الفارس المشهور والبطل الذى

يصول إذا ما كان يوم محجل (٥)

(١) أبو عمر ابن عبد البر .

(٢) يؤيده ماورد في ديوان جرير ، وقد ذكر جرير حادثة الزبير في هجائه للفرزدق المجاشعي قريباً من أربعين مرة ، ولم يكن جرير بعيداً عن عصر الزبير .

(٣) كذا جاء في المخطوطة والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٤ ، وجاء في الاستيعاب ج ١ ص ٥٨٤ والإصابة ج ١ ص ٥٤٦ « جمادى الأولى » ، ولكن صاحب الاستيعاب أعقب ذلك بقوله « وفي ذلك اليوم كانت وقعة الجمل » وقد قال ابن جرير ج ٢ ص ٣٩ « وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ في قول الواقدي » .

(٤) ديوان حسان ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٥) محجل : مشهور .

- وإن امرأً كانت صفيّةً أمه
 (١) ومن أسد في بيته لم يقل
 له من رسول الله قربي قريباً
 (٢) ومن نضرة الإسلام مجتد مؤنل
 فكيم كره ذب الزبير بسيفه
 عن المضطفي والله يعطي ويجزل (٣)
 إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها
 بأبيض سباق إلى الموت يرقل (٤)
 فما مثله فيهم ولا كان قبله
 وليس يكون الدهر إلا ما دام يذبل (٥)

وروى (٦) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : لما
 وقف الزبير يوم الجمل دعاني ، فقممت إلى جنبه ، فقال « يا بني :
 إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإنني لا أراي (٧) إلا سأقتل اليوم

(١) مرقل : معظم .

(٢) مؤنل : مؤصل .

(٣) جاءت في الأصل « كره » وهي المناسبة لساق البيت وجاءت في بعض النسخ
 « كره » . ذب : دفع .

(٤) كشفت الحرب عن ساقها : اشتهت . حشها : أشعلها . أبيض : سيف . يرقل :
 يبرع .

(٥) يذبل : جبل بنجد ، يريد دائماً .

(٦) روى البخاري في صحيحه هذا الحديث (٢٩١) بسنده عن هشام بن عروة عن
 أبيه عروة بن الزبير عن أخيه عبد الله بن الزبير ، وهذا في باب (بركة الغازي في ماله
 حيا وميتاً) .

(٧) لا أراي : لا أظن .

مظلوما ، وإنَّ من أكبر همِّي لَدَيْنِي ، أَفْتَرَى دَيْنَنَا يُبْقَى من مالِنَا
 مَشِيئاً ؟ ^(١) وقال : يَا بَنِي بَع مَالَنَا وَأَقْضِ دَيْنِي . وَأَوْصَى بِالثَلَاثِ
 وَثَابَهُ لِجَبَّتِيهِ (يَعْنِي بَنَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ) يَقُول : الثَلَاثُ إِلَيْكَ ^(٢)
 فَإِنْ فَضَّلَ مِنْ مَالِنَا فَضَّلْ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ فَثُلُثُهُ لَكَ . قَالَ هِشَامُ
 وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى ^(٣) بَعْضَ بَنَى الزُّبَيْرِ : حُجْبَبُ
 وَعَبَّادُ ^(٤) ، وَلَهُ ^(٥) يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
 فَجَعَلَ يُوصِيَنِي بِدَيْنِهِ وَيَقُول : يَا بَنِي إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِزْ
 عَلَيْهِ مَوْلَايَ . قَالَ ^(٦) : فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ ، حَتَّى قُلْتُ : يَا أَبَتِ
 مَنْ مَوْلَاكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ تَعَالَى . فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دِينِهِ إِلَّا
 قُلْتُ : « يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ » فَيَقْضِيهِ .

فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضِيَنَ
 مِنْهَا الْغَايَةَ ^(٧) وَإِلْحَدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ وَدَارًا
 بِالْكُوفَةِ وَدَارًا بِمِصْرَ .

قال ^(٨) : وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ

جزوب
 معين التارخ
 لأهل التارخ

(١) قال ذلك استكنارا لما عليه وإشفاقا من دينه .

(٢) في صحيح البخاري « ثلث الثلث » .

(٣) وازى : ساءى ، وللقويين كلام في هذا اللفظ .

(٤) هما ولدا عبد الله بن الزبير .

(٥) أى الزبير .

(٦) عبد الله بن الزبير .

(٧) الثابتة : أرض عظيمة من حوالى المدينة .

(٨) عبد الله بن الزبير .

فِيَسْتَدْعُهُ لِإِيَّاهُ ، فيقول الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَا (١) ، وَلَكِنَّهُ
سَدَلْتُ ، فَإِنِّي أَخَشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ .

﴿ وماولى إمارة قط . ولا جباية خراج ولا شئنا إلا أن يكون في
غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أومع أبي بكر أو عمر أو عثمان
رضي الله عنهم . !

قال عبد الله بن الزُّبَيْرِ : فحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فوجدتهُ
أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ أَلْفٍ .

قال : فَلَقي حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي
كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ ؟ فَكَمَّهُ وَقَالَ : مِائَةُ أَلْفٍ . فَقَالَ حَكِيمٌ :
وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَفَرَأَيْتَكَ إِن كَانَتْ
أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ أَلْفٍ ؟ قَالَ : مَا أَرَاكُمْ نَطِيقُونَ هَذَا فَإِنْ عَجَزْتُمْ
عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي .

قال : وَكَانَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ
أَلْفٍ ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفٍ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ :
مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُؤَاغِرْنَا بِالْغَابَةِ . فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ،
وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : إِن شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا
لَكُمْ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا . قَالَ : فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْنَاهَا فِيمَا تَوْخَرُونَ إِنْ
أَخَّرْتُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا . قَالَ : فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
لَكَ مِنْ هَهُنَا إِلَى هَهُنَا . فَبَاعَ مِنْهَا (٢) فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ ، وَبَقِيَ

(١) أى : لا أقبضه وديعة .

(٢) أى : من الغابة والطور .

منها^(١) أربعة أسهم ونصف ، فقدم^(٢) على معاوية وعنده عمرو بن عثمان^(٣) والمُنذر بن الزُبَيْر وابن زَمْعَةَ^(٤) ، فقال له معاوية : كم قُوِّمَتِ الغَابَةُ ؟ قال : كلُّ سهم^(٥) بمائة ألف . قال : كم بقي قال : أربعة أسهم ونصف . فقال المُنْذِرُ بنُ الزُّبَيْرِ : قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف . وقال عمرو بن عثمان : قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف . وقال ابن زَمْعَةَ : قد أخذتُ سهمًا بمائة ألف . فقال معاوية : كم بقي فقال : سهمٌ ونصف . قال : أخذته بخمسين ومائة ألف . (قال وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف^(٦))

قال : فلما فرغ ابنُ الزُّبَيْرِ من قضاء دينه قال بنو الزُّبَيْرِ : اقسّم بيننا وبيرائنا . قال : لا والله لا أقسّم بينكم حتى أنادى بالمؤرم أربعينين : « أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ » . قال : فجعل كلُّ سنة ينادى بالمؤرم ، فلما مضى أربعينين قَسَمَ بَيْنَهُمْ . قال : وكان للزُّبَيْرِ أربعُ نِسْوَةٍ ، وَرَقَعَ الثُّلُثُ ، فَأَصَابَ كُلُّ امْرَأَةٍ أَلْفٍ وَأَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ ، فَجَمِيعُ مَالِهِ^(٧) خمسون ألفًا ألفًا ومِائَتَا أَلْفٍ . هكذا أوردته البخاري رحمه الله في صحيحه ، وعَقَدَ جُمْلَةَ المَالِ فِي آخِرِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا .

(١) أي : من الغابة بغير بيع .

(٢) عهد الله بن الزبير .

(٣) ابن عثمان .

(٤) عبدالله بن زمعة .

(٥) أي : من أصل ستة عشر سهمًا .

(٦) فريج مائتي ألف .

(٧) الذي تركه الزبير عند وفاته ، ويحتوي على الوصية والميراث والدين .

والذى دلَّ عليه الحسابُ أنَّ جملةَ المالِ تسعةٌ وخمسون ألفَ ألفٍ وثمانمائة ألف ، وذلك أنَّ نصيبَ الزوجاتِ الأربع (وهو الثمنُ بعد وفاء الدين ورفع الثلث الذى أوصى به لبنى عبدالله) اشتمل على أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف ، يُضرب فى ثمانية فتكون ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف ، ويكون ثلثُ الوصية (وهو نصف هذه الجملة) تسعة عشر ألف ألف ومائتى ألف ، والدين ألفى ألف ومائتى ألف ، فتخرج الجملة على ما ذكرناه (١) .

ذكر وقعة صفين وابتداء أمرها

كانت وقعةُ صِفِّينَ فى أواخرِ سنة ست وثلاثين وأوائل سنة سبع وثلاثين .

وذلك أنه لما فرغ على رضى الله عنه من حرب الجمل أقام بالبصرة ، ثم انتقل إلى الكوفة ، وأرسل إلى جرير بن عبدالله البجلي - وكان عثمان قد استعمله على عمَّدان - وإلى الأشعث بن قيس - وكان على أذربيجان - فأمرهما بأنخذ البيعة والحضور إليه ، ففعلا ذلك .

وأراد على أن يرسل إلى معاوية رسولا ، فقال جرير : أريدنى إليه (٢) فقال الأشعثُ لعلى : لا تفعل [فإنَّ حواد مع معاوية] (٣) فقال على

(١) الجملة التى ذكرها المؤلف هى التى انتهى إليها الحساب فى آخر قسم المال ، منها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف حصلت من نفاة الغار والأرضين فى المدة التى أخرج فيها عبدالله بن الزبير قسم التركة استبراء للدين ، والباقي جعله الأصلية التى أوردتها البخارى ، انظر شرح الكرماني للبخارى ج ١٣ ص ١٠٣ وإرشاد السارى ج ٦ ص ٣٧٠ ، وغيرها .

(٢) جاء فى رواية ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٠ « ابغى إليه ، فإنه لو د ، حتى أتى فادعوه إلى الدخول فى طاعتك » .

(٣) ثبتت هذه الجملة فى النسخة (د) ، وسقطت من (١) .

دَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ مَا يَرْجِعُ بِهِ . فَبَعَثَهُ ، وَكُتِبَ مَعَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُعَلِّمُهُ
باجتماع المهاجرين والأنصار عَلَيْهِ ^(١) ، وما كان مِنْ نَكْثٍ طَلَحَهُ
وَالزُّبَيْرَ وَحَرْبَ الْجَمَلِ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْعَةِ وَالِدُخُولِ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ
الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ .

فلما قَدِمَ جَرِيرٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ مَاطَلَهُ بِالْجَوَابِ ، وَاسْتَشَارَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَيْهِ وَانْقَضَ إِلَيْهِ ، عَلَى مَا نَذَرَ ذَلِكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ فِي أَخْبَارِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَشَارَ عَمْرُو عَلَيْهِ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الشَّامِ
وَيُلْزِمَ عَلَيْهِ دَمَ عُثْمَانَ ، فَفَعَلَ ، فَاجْمَعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى حَرْبِ عَلَى .

فعاد جرير إلى على وأعلمه ذلك ، وَأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ يَبْكُونَ عَلَى عُثْمَانَ
ويقولون : إِنَّ عَلَى قَتَلَهُ ، وَأَوَى قَتَلْتَهُ ، وَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ عَنْهُ حَتَّى
يَقْتُلُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ . فَقَالَ الْأَشْتَرُ لَعَلَى : كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْ إِرْسَالِ
جَرِيرٍ ، وَأَخْبَرْتُكَ بِعَدَاوَتِهِ وَغِيْشِهِ ، فَأَبَيْتَ إِلَّا إِرْسَالَهُ . ثُمَّ تَقَاوَلَ
الْأَشْتَرُ وَجَرِيرٌ مُقَاوَلَةً أَدَّتْ إِلَى مُفَارَقَةِ جَرِيرٍ لَعَلَى وَلَحَاقِهِ بِمُعَاوِيَةَ .

قال : وَخَرَجَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، فَعَسَكَرَ بِالنَّخِيلَةِ ^(٢) ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ
نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، مِنْهُمْ مَيْسِرَةُ الْهَمْدَانِيِّ وَمُسْعُودُ ^(٣) أَخَذَا أُعْطِيَا تِلْكَ
وَقَصَدَا قَرْوِينَ . وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ ، فَاسْتَشَارَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ : « أَمَّا
إِذَا سَارَ عَلَى بِنَفْسِهِ فِي النَّاسِ فَيَسْرِ بِنَفْسِكَ ، وَلَا تَغِيبُ عَنْهُ بِرَأْيِكَ

(١) على بيته .

(٢) النخيلة : موضع قرب الكوفة من جهة الشام .

(٣) كذا جاء الاسم في المخطوطة ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٢ منهم

مرة الهمداني ومسروق .

ومكيدتك . « فتجهز معاوية بأهل الشام ، وقد حرّضهم عمرو وضعف علياً وأصحابه ، وقال : « إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم ، وقتلوا حذهم ، وأهل البصرة مخالفون لعلي بن قتيل منهم ، وقد تفانت صنائدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار علي في سرّيمة قليلة ، وقد قتل خليفتك ، فالله الله في حرككم أن تضيعوه ، وفي دمكم أن تطلوه ! » وكتب معاوية : (في أجناد) ^(١) أهل الشام ، وعقد لواء لعمرو ، ولواء لابنائه : عبد الله ومحمد ، ولواء لعلامه وردان . وسار معاوية وتأنى في مسيره . قال : وبعث ^(٢) علي رضي الله عنه زياد بن النضر الحارثي في ثمانية آلاف ، وبعث شريح بن هاني في أربعة آلاف ، وسار علي من النخيلة ، وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة ، وولى على المدائن سعد ابن مسعود (عم المختار بن أبي عبيد الثقفي) ، ووجه من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة .

فلما وصل علي ^(٣) الرقة قال لأهلها ليعملوا جسراً يعبر عليه إلى أهل الشام ، فأتوا ، وكانوا قد ضوّوا سفنهم إليهم ، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج ، وخلف عليهم الأشر ، فزادهم الأشر : « أقسم بالله لئن لم تعملوا جسراً لأمير المؤمنين يعبر عليه

(١) كذا جاء عند ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٢ ، وجاء في المخطوطة (إلى) قال ابن الأثير في النهاية : « الشام خمسة أجناد : فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنشرين ، كل واحد منها يسمى جنداً ، أي المقيمين بها من المسلمين المقاتلين » .
(٢) المراد هذه البعثة بتقديم طليعة أمام الجيش .
(٣) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في (ك) والكامل : « إن » .

لأَجْرَدَنَ فيكم السيف ، ولأَقْتُلَنَّ الرجالَ ولأَخُذَنَّ الأموالَ ! ، فلتَقِيَ بعضهم بعضاً وقالوا : « إِنَّهُ الْأَشْتَرُ ، وَإِنَّهُ قَمِينٌ أَنْ يَقِيَ لَكُمْ بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ أَوْيَاكَيَّ بِأَكْثَرِ مِنْهُ ! » فنصَّبوا جِسْراً فَعَبَّرَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ .

قال : ولما بَلَغَ ^(١) عَلَى الْفُرَاتِ دَعَا زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَشُرَيْحَ بْنَ هَانِئٍ فَيَحْمَنَ مَعَهُمَا فَمَسَرَّحَهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ مَعَاوِيَةَ عَلَى حَالِهِمَا الَّتِي خَرَجَا عَلَيْهَا مِنَ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ سَبَبَ عَوْدِهِمَا أَنََّّهُمَا أَخَذَا مِنَ الْكُوفَةِ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مِمَّا يَلِي الْبَرَّ ، فَلَمَّا بَلَغَا « عَانَاتٍ » بَلَغَهُمَا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي جُنُودِ الشَّامِ ، فَقَالَا : « وَاللَّهِ مَا هَذَا لَنَا بَرَأًى ، أَنْ نَسِيرَ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَآمِرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْبَحْرُ ، وَمَا لَنَا خَيْرٌ أَنْ نَلْقَى جُنُودَ الشَّامِ بِقِلْعَةٍ مِّنْ مَّعْنَا » فذَهَبُوا لِيَعْبُرُوا مِنْ عَانَاتٍ ، فَمَنْعَهُمْ أَهْلُهَا ، فَرَجَعُوا ! [حَتَّى عَبَرُوا] ^(٢) مِنْ هَيْتٍ ^(٣) ، فَلَجِحُوا عَلِيًّا دُونَ قَرْيَةِ سِيَا ^(٤) ، فَقَالَ عَلِيٌّ : مُقَدِّمَتِي تَأْتِيَنِي مِنْ وَرَائِي ! فَأَخْبِرُهُ شُرَيْحَ وَزِيَادَ بِمَا كَانَ ، فَقَالَ : سُدُّدُتُمَا . فَلَمَّا عَبَرَ الْفُرَاتَ سَيَّرَهُمَا أَمَامَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى سُورِ الرُّومِ لَقِيَهُمَا أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ فِي جُنْدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَرْسَلَا إِلَى عَلِيٍّ فَأَعْلَمَاهُ .

فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَى الْأَشْتَرِ ، وَأَمَرَهُ بِالسَّرْعَةِ ، وَقَالَ : « إِذَا

(١) كذا جاء في المخطوطة والكامل ، وجاء في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٤ ووقفه صفين ص ١٧٠ قطع .

(٢) زيادة من ابن جرير الطبري ونصر بن مزاحم .

(٣) بلد على الفرات من جهة بغداد .

(٤) بلد على نهر الخابور بينه وبين الفرات .

قَدِمْتُ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ يَبْدَعُوكَ ،
 حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَدْعُوهُمْ ، وَتَسْمَعَ مِنْهُمْ ، وَلَا يَحْبِلُكَ بِغَضُومِهِمْ عَلَى
 قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَاجْعَلْ عَلَى
 مَيْمَنَتِكَ زِيَادًا ، وَعَلَى مَيْسَرَتِكَ شُرَيْحًا ، وَلَا تَذْنُ مِنْهُمْ دُثُوًّا مَنْ
 يُرِيدُ أَنْ يُنْثَبِبَ الْحَرْبَ ، وَلَا تَبَاعِذْ تَبَاعِذَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ، حَتَّى
 أَقْدِمَ عَلَيْكَ ، فَيَأْتِي حَبِثُ السَّيْرِ فِي أَثْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكُتِبَ
 إِلَيَّ شُرَيْحٌ وَزِيَادٌ بِذَلِكَ ، وَأَمْرُهُمَا بِطَاعَةِ الْأَشْتَرِ . .

فسار الأشترُ حتى قَدِمَ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَّ عَنِ الْقِتَالِ ، وَلَمْ يَزَلْ الْوَاقِعُ قَبْلَهُ
 حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ حَمَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو الْأَعْوَرِ ، فَثَبَّتُوا لَهُ وَاضْطَرَبُوا
 سَاعَةً ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْغَدِ هَاشِمُ بْنُ
 عُتْبَةَ الْمُرْقَالِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْأَعْوَرِ ، فَاقْتَنَوا يَوْمَهُمْ ، وَصَبَرَ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرُ ، وَقَالَ أَرُونِي
 أَبَا الْأَعْوَرِ ! فَتَرَجَعُوا ، وَوَقَفَ أَبُو الْأَعْوَرِ وَرَاءَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ
 فِيهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَجَاءَ الْأَشْتَرُ فَصَفَّ أَصْحَابَهُ مَكَانَ أَصْحَابِ
 أَبِي الْأَعْوَرِ بِالْأَمْسِ ، وَقَالَ الْأَشْتَرُ لِسَيْنَانَ بْنِ مَالِكِ النَّخَعِيِّ : انْطَلِقْ إِلَيَّ
 أَبِي الْأَعْوَرِ فَادْعُهُ إِلَى الْبِرَازِ . فَقَالَ : إِلَيَّ مُبَارَزَتِي أَوْ مُبَارَزَتِكَ ؟ فَقَالَ :
 لِلْأَشْتَرِ لَوْ أَمَرْتُكَ بِمُبَارَزَتِهِ لَفَعَلْتُ . قَالَ : « نَعَمْ وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتَنِي
 أَنْ أَغَرَضَ صَفَّهُمْ بِسَيْفِي لَفَعَلْتُ . فَدَعَالَهُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا
 تَدْعُو لِمُبَارَزَتِي . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَمْنُونِي فَيَأْتِي رَسُولٌ . فَأَمَّنُوهُ ،
 فَانْتَهَى إِلَيَّ أَبِي الْأَعْوَرِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْأَشْتَرَ يَدْعُوكَ إِلَيَّ أَنْ تَبَارَزَهُ .
 فَسَكَتَ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ خِيفَةَ الْأَشْتَرِ وَسُوءَ رَأْيِهِ حَمَلَاهُ عَلَى
 إِجْلَاءِ عُمَالِ عُثْمَانَ عَنِ الْعِرَاقِ وَتَقْبِيحِ مُحَاسِنِهِ ، وَعَلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ

في داره حتى قتله وأصبح متبعا بدمه ، لاجابة لي في مبارزته . فقال له سينان : قد قلت فاستمع مني أجيبك . قال : لاجابة لي في جوابك ، اذهب عني . فصاح به أصحابه ، فانصرف عنه ، ورجع إلى الأشر فآخبره ، فقال : لنفسه نظر . فوقفوا حتى حجز الليل بينهم وعاد ، الشاميون من الليل ^(١) .

وأصبح علي رضي الله عنه غنوة عند الأشر ، وتقدم الأشر ومن معه ^(٢) فانتهى إلى معاوية ، فواقفه ، ولحق بهم علي ، فتواقفوا طويلا .

ثم إن عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه ، فكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفبح ^(٣) ، أخذ شريعة ^(٤) الفرات ، وليس في ذلك الموضع شريعة غيرها ، وجعل معاوية علي الشريعة أبا الأغور .

فأتى الناس عليا ، فأخبروه بفعلهم ، وتعطش الناس ، فدعا صعصعة بن صوحان ، فأرسله إلى معاوية يقول : « إنا سرنا ميسرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، فقدمت إينا خيلك ورجالك فقاتلنا قبل أن نقاتلك ، [وبدأنا بالقتال] ^(٥) ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك ، وهذه أخرى قد فلتتموها ، منعتم الناس

(١) في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٦ : « انصرفوا من تحت ليلتهم » .

(٢) في تلك المقتة .

(٣) كل موضع واسع يقال له « أفبح » .

(٤) الشريعة : مورد الناس أو الحيوان على الماء الجاري .

(٥) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٦٨ .

من الماء ، والناس غير مُنتَهينَ [أو يشربوا] ^(١) ، فابَعتْ إلى أصحابك فليُخلُّوا بينَ الناس وبين الماء ، وليُكفُوا لِيَنْتَظِرَ فيما بَيْننا وبَيْنكم وفيما قَدِمنا له ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نترك ما جئنا له ونقتتلَ على الماء حتى يكونَ الغالبُ هو الشاربُ فَعَلْنَا » . فجاء صَعَصَعَةُ إلى مُعاوية وقصَّ عليه الرسالة ، فاستشار مُعاوية أصحابه وقال : ماترُونَ ؟ فقال الوليدُ ابن عَقْبَةَ وعبد الله ^(٢) بن سعد : امنَعُهم الماء كما منعه ابن عَقَّان ، اقتُلْهُم عَطْشًا قَتَلَهُمُ اللَّهُ ! فقال عمرُ وابن العاص : « خلُّ بَيْنَ القوم وبين الماء فَإِنَّهُم لَنْ يَعْطَشُوا وَأَنْتَ رِيَّانٌ ، ولكن بغير الماء فانظر فيما بَيْنَكَ وبَيْنَهُم » . فأعاد الوليدُ وابنُ سعدَ مَقالَتَهُما ، قالا : « امنَعُهم الماء إلى الليل ، فَإِنْ هُمْ لَمْ يَقدِرُوا عليه رجعوا ، وكان رجوعهم هزيمة ، امنَعُهم الماء منهممُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ! قال صَعَصَعَةُ : إِنَّمَا يَمْنَعُهُ اللَّهُ الفَجْرَةَ وشُرْبَةَ الخمر ، لَعَنَكَ اللَّهُ ولعن هذا الفاسق (يعنى الوليد ابن عَقْبَةَ) . فشتموه وتهذؤوه . (وقد قيل : إِنَّ الوليد وابن أبي سَرْحٍ لَمْ يَشْهَدَا صِفِينَ .)

ورجع صَعَصَعَةُ فَاخْبَرَ بما كان . . . وسير مُعاوية الخيلَ إلى أبي الأعور لِيَمْنَعَهُمُ الماء . فلَمَّا سمع على ذلك قال لأصحابه : قاتِلوهم على الماء ! .

فقال الأشعثُ بن قيس الكِنْدِيُّ : أنا أسير إليهم . فسار

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير ، و « أو » بمعنى « إلى » أو « إلا » .

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب القرشي العامري . وكان أخا عَقَّان من الرضاعة ، وسيذكره المؤلف قريباً بلفظ « ابن أبي سرح » ، وانظر الإصابة

إليهم ، فلما دَنُّوا منهم ثاروا إلى وجوههم يرمونهم بالنبل ، فتراثوا ساعة ، ثم تطاعنوا بالرماح ، ثم صاروا إلى السيوف فاقتتلوا [بها] ^(١) ساعة .

وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلي القسري (جد خالد بن عبدالله) في الخيل إلى أبي الاثور ، فاقتتلوا . . . وأرسل على شبيب بن ربيعة الرباحي ، فازداد القتال .

فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير ، فأخذ يمدُّ أبا الأعور [يزيد بن أسد] ^(٢) . . . وأرسل على الأشتر في جمع عظيم وجعل يمدُّ الأشعث وشبثا . . .

فامتدَّ القتال حتى خلَّوا بينهم وبين الماء ، وصار في أيدي أصحاب علي ، فقالوا : والله لانسقيه أهل الشام ، فأرسل على إلى أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم ، واخلَّوا عنهم ، فإن الله تعالى نصركم عليهم يغيِّرهم وظلمهم .

ومكث على رضى الله عنه يومين لا يرسل إليهم أحدا ولا يأتيه منهم أحد .

(١) الزيادة من ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٣ ص ٥٦٧ .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٥ .

ذكر ارسال علي الى معاوية وجوابه^(١)

قال : ثم دعا علي رضي الله عنه أبا عمرة بشير بن عمرو بن مخصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، فقال لهم : انتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله تعالى وإلى الطاعة والجماعة . فقال له شبث يا أمير المؤمنين ألا نطعمه في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون لها عندك أثر ؟ إن هو بإيعاك ؟ قال انظروا إليه واحتجوا عليه وانظروا مارأيه . وكان ذلك أول ذى الحجة من سنة ست وثلاثين .

فأنوه فدخلوا عليه ، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله مُحاسِبُك بعملك ومُجازيك عليه ، وإني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تنسف دماءها بينها » . فقطع دأبه معاوية الكلام وقال : هلا أوعيت بذلك صاحبك ؟ فقال « صاحبى ليس مثلك ، إن صاحبى أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الاسلام والقراية بالرسول^(٢) صلى الله عليه وسلم » قال : فماذا تقول^(٣) ؟ قال نأمرك^(٤) بتقوى الله وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسام لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك . قال معاوية : « ونترك دم عثمان ! لا والله لأفعل ذلك أبدا ! » قال : فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن

(١) زاد بده في المخطوطة : « وأيام صفين السنة » . وسيأتي ذكر هذه الأيام الستة في غير هذا الفصل .

(٢) في تاريخ ابن جرير ج ٣ ص ٥٧١ : « من الرسول » .

(٣) في الكامل ج ٣ ص ١٤٦ : « يقول » .

(٤) في الكامل : « يأمرك » .

رَبِّعِي ، فحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مُعَاوِيَةُ ، قَدْ فَهِمْتُ مَا رَدَدْتُ عَلَى ابْنِ مِخْصَن ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مَا تَطْلُب ، إِنَّكَ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا تَسْتَغْفِرُ بِهِ النَّاسَ ، وَتَسْتَمِيلُ بِهِ أَهْوَاءَهُمْ ، وَتَسْتَخْلِصُ بِهِ طَاعَتَهُمْ ، إِلَّا قَوْلَكَ : قُتِلَ إِمَامُكُمْ مَظْلُومًا فَتَحْنُ نَطْلُبُ بِذِمَّةِ ، فَاسْتَجَابَ لَكَ سُفْهَاءُ طَغَامٍ ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّكَ أَبْطَأْتَ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ ^(١) ، وَأَحْبَبْتَ لَهُ الْقَتْلَ ، لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَصْبَحْتَ تَطْلُبُ ، وَرُبُّ مُتَمَنَّى أَمْرٍ وَطَالِبُهُ يَحُولُ اللَّهُ دُونَهُ ، وَرَبِّمَا أَوْقَى الْمَتَمَنَّى أَمْنِيَّتَهُ وَفَوْقَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَاللَّهُ مَا لَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ ، وَاللَّهُ إِنْ أَخْطَاكَ مَا تَرْجُو إِنَّكَ لَشَرُّ الْعَرَبِ حَالًا ، وَإِنْ أَصَبْتَ مَا تَتَمَنَّا لَا نُصِيبُهُ حَتَّى تَسْتَحِقَّ مِنْ رَبِّكَ صُلَى النَّارَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ ، وَدَعْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَلَا تُنَازِعِ الْأَمْرَ أَهْلَهُ » .

قَالَ : مَحْمَدُ اللَّهِ مُعَاوِيَةُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا عَرَفْتُ بِهِ سَفَهَكَ وَخِيفَةَ حُلْمِكَ أَنَّكَ قَطَعْتَ عَلَى هَذَا الْحَبِيبِ الشَّرِيفِ سَيْدِ قَوْمِهِ مَنْطِقَهُ ، ثُمَّ اعْتَرَضْتَ بَعْدُ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَلَوُمْتَ أَبْيَهَا الْأَعْرَابِ الْجَلْفُ الْجَافِي فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتَ وَوَصَفْتَ ! . انصِرِفُوا مِنْ عِنْدِي فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَّا السَّيْفُ ! » وَغَضِبَ ، وَخَرَجَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ لَهُ شَبِثُ ^(٢) « أَتَهْوُلُ بِالسَّيْفِ ؟ أَقَسَمَ بِاللَّهِ لَنُجَلِّئَنَّهَا إِلَيْكَ ! » .

فَاتَّوَا عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ . فَكَانَ عَلَى بِأَمْرِ الرَّجُلِ ذَا الشَّرَفِ فَيُخْرِجُ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ آخَرُ

(١) أَيْ : عِيَان .

(٢) أَيْ : قَتْلُهُ وَهُوَ خَارِجٌ ، وَهِيَ بَابُ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ : « وَخَرَجَ الْقَوْمُ وَشَبِثُ

يَقُولُ » ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَزَاهِمٍ فِي رِقْعَةِ صَفِيحٍ ص ٢١١ .

من أصحاب معاوية ومعه جماعة ، فيقتتلان في خيلهما ، ثم ينصرفان .
وكرهوا أن يلتقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام خشيّة الاستئصال
والهلاك .

فكان على يـُخرج مرّةً الأشرّ ، ومرّةً حُجَر بن عديّ الكِنْدِي : ومرّةً
شَبَث بن ربيعٍ ، ومرّةً خالد بن المعمر ، ومرّةً زياد بن النضر الحارثي ،
ومرّةً زياد بن خَصَفَة التَّيْمِيّ ، ومرّةً سعيد بن قيس الهمداني ، ومرّةً
مُعْقِل بن قَيْس الرِّياحِي : ومرّةً قيس بن سعيد الأنصاري . وكان الأشرّ
أكثر خروجاً .

وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبا
الأعور السُّلَمِيّ ، وحبيب بن مَسْلَمَة الفهري ، وابن ذى الكَلَع ^(١)
الحميري ، وعُبَيْد الله بن عُمَر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السَّمْط .
الكِنْدِي ، وحمزة بن مالك الهمداني .

فاقتتلوا أيامَ ذِي الْحِجَّة كُلِّهَا ، ورُبَّمَا اقتتلوا في اليوم الواحد
مرّتين .

(١) كذا جاء في المخطوطة هنا مثل ما في تلويحي ابن جرير وابن الأثير . وكان
الأول أن يقولوا : « ذَا الكَلَع » لأنه هو نفسه « ذُو الكَلَع الأصفر » الذي كان في هذا
المعهد ، فلا موجب لنسبه إلى جده الأكبر ، وقد ذكره بلقظ « ذِي الكَلَع » بن عبد البر
وابن حجر وكثير من علماء الحديث ، وسيلكره المؤلف أيضا بلفظ « ذِي الكَلَع »
لابن جرير وابن كثير هناك . واسمه : « أَسْمِيع » وقد يختصر فيقال « سَمِيع » أو « أَيْمَع »
ابن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذِي الكَلَع الأكبر ، وكان ذُو الكَلَع الأصفر رئيسا
في قومه ، وقد أسلم فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم بالتعاون على سلبمة الكذاب وغيره ،
وكان يكنى « أبا شرحبيل » أو « أبا شراحيل » .

ذكر المودة بين علي ومعاوية في شهر المحرم

وما كان بينهما من المراسلة والأجوبة في الشهر

قال : وفي شهر المحرم سنة سبع وثلاثين جرت مودة^(١) بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان ، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى يذوقا الشهر ، طمعا في الصلح . . واختلعت فيه بينهما الرسائل .

فبعث علي رضي الله عنه عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرجبي وشبث بن ربيعة وزياد بن خصفة .

فتكلم عدي بن حاتم ، فحمد الله ، فقال : « أما بعد ، فقد جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا ، وبخير^(٢) به الدماء ، ويصلح^(٣) به ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقا ، وأحسنها في الإسلام أثرا ، وقد استجمع له الناس ، ولم يبق أحد غيرك وغير من معك ، فاحذر يا معاوية لا يصيبك^(٤) وأصحابك مثل يوم الجمل . فقال له معاوية : « كأنك جئت مهددا لم تأت مصلحا ، هيئات يا عدي ، كلاً ! والله إنني لأبئن حرب^(٥) ،

(١) أي : مسألة على ترك الحرب في المدة المذكورة .

(٢) في النسخة (ك) : « ونحقق » .

(٣) في النسخة (ن) : « ونصلح » .

(٤) في تاريخ ابن جرير الطبري : « لا يصيبك » .

(٥) معاوية هو ابن أبي سفيان صخر بن حرب ، قاسم جده « حرب » ، ولا يخفى

مناسبة ذكره لحال الحرب .

ما يَقْمَقُعُ لِي بِالشَّئَانِ^(١) ! وَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَمِنَ الْمَجْلِبِينَ عَلَى عُثْمَانَ ،
وَإِنَّكَ مِنْ قَتْلَتِهِ ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِهِ .

فَقَالَ شَبِثُ وَزِيَادُ بْنُ خَصْفَةَ جَوَابًا وَاحِدًا : أَتَيْتَاكَ فِيمَا يُصْلِحُنَا
وَإِيَّاكَ ، فَاقْبَلْتَ تَضَرُّبَ لَنَا الْأَمْثَالِ^(٢) ، دَعَا مَا لَا يَنْفَعُ ، وَأَجَبْنَا
فِيمَا يَنْفَعُ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ : إِنَّا لَمْ نَأْتِ إِلَّا لِنُبَلِّغَكَ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْكَ
وَنُؤَدِّيَ عَنْكَ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ ، وَلَمْ نَدْعُ أَنْ نَنْصَحَ لَكَ ، وَأَنْ نَذَكُرَ
مَا نَكُونُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْكَ ، وَبَرَجْعُ إِلَى الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، إِنَّ صَاحِبَنَا مِنْ
قَدْ عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ فَضِيلَهُ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعَاوِيَةُ
وَلَا تَذْخُلْهُ ، فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا فِي النَّاسِ رَجُلًا قَطُّ . أَعْمَلَ بِالتَّقْوَى
وَلَا أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَجْمَعَ لِحِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا مِنْهُ .

فَحَمِدَ اللَّهُ مَعَاوِيَةَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ دَعَوْتُمْ إِلَى الطَّاعَةِ
وَالْجَمَاعَةِ ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الَّتِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا فَتَنِعْمَاهُ^(٣) ، وَأَمَّا الطَّاعَةُ

(١) (بسررب المثل) « ما يقمقع له بالشئان » لمن لا يتضح لحادث الدهر ولا يروعه
مألا حقيقته له . والقمعة : تحريك الشيء يسمع له صوت : والشئان : جمع شئ ، وهي
القربة البالية : وأصل المثل أنهم كانوا إذا أرادوا حث الإبل على السير حركوا قربة بالية يسمع
لها صوت فتفرع الإبل وتسرع ، قال التاجي :

كَانَكَ مِنْ جِبَالِ بَنِي أَلْقِيشَ يَقْمَقُعُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِشَنٍ
وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهَذَا الْمَثَلِ - بِمَدِّ مَعَاوِيَةَ - الْحِجَاجُ الثَّقِيُّ فِي خُطْبَةٍ مَشْهُورَةٍ ، انظر الكامل
للمبرد شرحه رغبة الأمل ج ٤ ص ٧٦ ، ٨٧ .

(٢) سبق ذكر المثل « ما يقمقع لي بالشئان » ، وروى ابن جرير في آخر كلام معاوية
تمثله بمثل ثان هو « قد حليت بالساعة الأشد » أي أخذت بالقوة إذا لم يأت الرقعة .

(٣) كذا جاء في وقعة صفين ص ٢٢٣ وحدث ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٤ . وجاء في
المخطوطة : « فتمناهي » .

لصاحبكم فإنا لانراها ، لأنَّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وآوى ثأرتنا ، وصاحبكم يزعم أنَّه لم يقتله ، فنحن لانردُّ عليه ذلك ، فليَنفَع إِلَيْنَا قَتْلُهُ صاحبنا لينقلهم ونحن نُجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال سُبَيْتُ بن رُبَيْعٍ : يا معاويةُ أيسرُّك أن تقتل عَمَّاراً ؟ قال « وما معنى من ذلك ؟ والله لو تمكَّنتُ من ابنِ سُمَيَّةَ لقتلته بموئى عُثْمَانَ ^(١) ! » فقال سُبَيْتُ : « والذي لا إلهَ غيره لانتصلُ إلى ذلك حتى تَنذِرَ الهام ^(٢) عن الكواهل وتضيقَ الأرضُ القضاءَ عليك ! » فقال معاوية : « لو كان كذلك لكانت عليك أضيقُ ! » . وتفرَّقَ القومُ .

وبعث معاوية إلى زياد بن خَصَفَةَ ، فخلا به ، وقال له : « يا أخا ربيعة ، إنَّ علينا قطعَ أرحامنا ، وقتلَ إمامنا . وآوى قَتْلَهُ صاحبنا ، ولأى أسألك النصرَ عليه بعشيرتك ، ثم لك عهدُ الله وميثاقه أن أولئك إذا ظهرت ^(٣) أى المضرِّين أحببتُ » . فقال زياد : « أما بعدُ ، فإني على بيئَةِ ربِّي ، وبما ^(٤) أنعمَ اللهُ على فلنَ أَكونَ ظهيراً ^(٥) للمجرمين ! » وقام فقال معاوية لعَمرو بن العاص : ليس نكلُّم رجلاً منهم فيُجيب إلى خير ، ماقلوبُهم إلا كقلب واحد ! .

(١) في رواية ابن أبي الحديد : « كنت أقتله بناتل مول عُثْمَانَ » .

(٢) تنذر الهام : تسقط الرعوس .

(٣) ظهرت : غلبت .

(٤) كذا جاء في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٣ ورقة ص ٢٢٤ ، وقد جاء

في القرآن الكريم ﴿ قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾ . وجاء في المخطوطة : « وما » .

(٥) ظهيراً : عوناً .

وبعث معاوية إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط. ومن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه ، فحمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإن عثمان كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله ويُنِيبُ إلى أمره ، فاستثقلتم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعلنتم عليه فقتلتموه ، فاذقنا قتل عثمان إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اغتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يوئسونه من أجمعوا عليه . فقال له علي رضي الله عنه : « ما أنت بالأمر لك - والعزل وهذا الأمر ^(١) ؟ اسكت ! لست هنالك ولا بأهل له . فقال : « والله لتريبنى بحيث تكره ! فقال علي : « وما أنت ؟ لا أبقي الله عليك إن أبقيت علينا ، اذهب فصرّب وصعد ما بدالك ! » وقال شرحبيل : « ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي ، فهل عندك جواب غير هذا ! » فقال علي نعم ^(٢) ، عندي جواب غيره .

ثم حمّد الله وأثنى عليه وقال : (أما بعد ، فإن الله تعالى بعث محمداً بالحق ، فأنقذ به من الضلالة والهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، فاستخلف الناس أبا بكر ، [ثم] ^(٣) استخلف أبو بكر عمر ، فأحسننا السيرة ، وعدلا [في الأمة] ^(٤) ، وقد وجدنا عليهما أن

(١) أصل العبارة عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٥ : « ما أنت لا أم لك والولاية والعزل والنحول في هذا الأمر » .

(٢) كذا جاء في رواية ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٤ وشرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ١ ص ٣٤٥ ، وهذا هو الظاهر المناسب لما بعده ، وجاء في المخطوطة : ليس .

(٣) كذا جاء عند ابن أبي الحديد ، وفي المخطوطة : « و » .

(٤) الزيادة من ابن جرير الطبري وابن أبي الحديد وابن مزاحم في وقعة صفين ص ٢٢٦ .

توكّيا الأمور [دوننا] ^(١) ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فغفرنا لهما ذلك ، وولى الناس عثمان ، فعمل بأشياء عابها الناس ،
فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس [وأنا معتزل أمورهم] ^(٢) ،
فقالوا لي : بايع . فأبيت ، فقالوا : بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك ،
وإننا نخاف إن لم تفعل أن يتفرق الناس . فبايعتهم ، فلم يرعنى إلا شقاق
رجلين قد بايعاني ! وخلاف معاوية الذي لم يجعل [الله عز وجل له] ^(٣)
سابقة في الدين ، ولا سلف صديق في الإسلام ، طليق ابن طليق ،
وحزب ^(٤) من الأحزاب ، لم يزل حربا لله ولرسوله هو وأبوه حتى
دخلوا في الإسلام كارهين ، ولا عجب إلا من خلافكم ^(٥) معه ،
وانقيادكم له ، وتركوا آل بيت ^(٦) نبيكم الذين لا ينبغي لكم
شقاقهم ولا خلافهم ، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ،
وإمارة الباطل وإحياء الحق ومعاليم الدين ، أقول قولي هذا وأستغفر
الله لي ولكم وللمؤمنين .

فقالا : نشهد أن عثمان قتل مظلوما . قال : لا أقول « إنه
قتل ظاناً أو مظلوماً » . قالوا : من لم يزعم أنه قتل مظلوماً فنحن منه
براء . وانصرفا فقال علي رضي الله عنه : ﴿ إنك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّو مدبرين ، وما أنت بهادي العمى

(١) الزيادة من ابن أبي الحديد .

(٢) الزيادة من ابن جرير وابن أبي الحديد .

(٣) الزيادة من ابن جرير وابن أبي الحديد .

(٤) كذا جاء عند ابن أبي الحديد : وجاء في المخطوطة : « حزبا » .

(٥) كذا جاء عند الطبري ، وهو المناسب لخلافهم « الآق بعده ، وفي المخطوطة

اختلافكم » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة كالكمال ، وجاء في تاريخ ابن جرير « آل نبيكم »

عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ، إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ^(١) .
ثم قال لأصحابه : لا يَكُنْ هؤلاء في الجِدِّ في ضلالِهِمْ أَجَدَّ مِنْكُمْ في
الجِدِّ في حَقِّكُمْ .

قال : ولما انسلَخَ شهرُ الله المحرمُ وانقضت مدَّةُ المِوَادَّةِ أَمَرَ عَلَى
رَضَى الله عنه مُنَادِيَا فَنَادَى ^(٢) : « يَا أَهْلَ الشَّامِ ، يَقُولُ لَكُمْ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : قَدْ اسْتَدْعَيْتُكُمْ لِنُتْرَاجِعُوا الْحَقَّ وَتُنِيبُوا إِلَيْهِ ، فَلَمْ
تَنْتَهُوا عَنِ الطُّغْيَانِ ، وَلَمْ تُجِيبُوا إِلَى الْحَقِّ ، وَإِنِّي قَدْ نَبَذْتُ إِلَيْكُمْ عَلَى
سِوَاهِ ^(٣) ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

قال : واجتمع أهلُ الشَّامِ إِلَى أَمْرَائِهِمْ وَرُؤُسَائِهِمْ ، وَخَرَجَ مُعَاوِيَةَ
وَعُصْرُو بْنُ الْعَاصِ يُكْتَبَانِ الْكُتَاتِبَ ^(٤) وَيُعَبَّئَانِ النَّاسَ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ
عَلَى رَضَى الله عنه .

وقال عَلَى للنَّاسِ : لَا تَنْقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ ، فَأَنْتُمْ بِحَمْدِ
اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ قِتَالَهُمْ [حَتَّى يَبْذُوكُمْ] ^(٥) حُجَّةٌ أُخْرَى

(١) الْآيَاتَانِ ٨٠ . ٨١ مِنْ سُورَةِ النَّمْلِ .

(٢) ذَكَرَ نَصْرُ بْنُ مِرَاحِمٍ وَابْنُ أَبِي الْخَلْدِيدِ أَنَّ الْمُنَادِيَ مَرْثَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْجُمَيْ .

(٣) أَيْ إِنِّي قَدْ طَرَحْتُ إِلَيْكُمْ عَهْدَكُمْ مَسْتُوًّا أَنَا وَأَنْتُمْ فِي الْعِلْمِ بِإِنْهَاءِ الْمِوَادَّةِ الَّتِي
كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، يُرِيدُ أَنَّهُ لَمْ يَغْزِرْ بِهِمْ فَيُقَاتِلُهُمْ بَعْدَهُ ، بَلْ أَعْلَمُهُمْ بِنَيْلِ الْمِوَادَّةِ ، لِيَكُونَ
الطُّغْيَانُ عَلَى سِوَاهِ فِي الْعِلْمِ بِفَيْتِكَ وَالْإِسْتِمْدَادِ لِلْخُطْوَةِ الثَّالِيَةِ . وَهَذَا مَا خُوِّضَ مِنَ الْآيَةِ ٥٨ فِي سُورَةِ
الْأَنْعَالِ : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ .

(٤) الْكُتَاتِبُ : جَمْعُ كَتَبَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجَيْشِ ، وَتُكْتَبُ الْكُتَاتِبُ إِعْدَادًا .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيِّ ، وَهِيَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مَعَ شَرْحِهِ لَا يَنْ
أَبِي الْخَلْدِيدِ ج ٣ ص ٤١٧ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ مِرَاحِمٍ فِي وَقْعَةٍ صَفِيحَتَيْنِ ص ٢٣٠ .

فإذا هزمتهم فلا تقتلوا مُذْبِرًا ، ولا تُجهزوا على جريح ^(١) :
ولا تكشفوا عورة ، ولا تُمثلوا بقتيل ^(٢) ، فإذا وصلتم إلى رحال
القوم فلا تهتكوا مساكنهم ، ولا تدخلوا دارًا [إلا بإذن] ^(٣) ، ولا تأخذوا
شيئا من أموالهم [إلا ما وجدتم في عسكرهم] ^(٤) ، ولا تهيجوا
امرأة [بأذى] ^(٥) ، وإن شئتم أعراضكم ، وسببنا أمراءكم
وصلحاءكم ، فإنهم ضِعافُ القوى ، والأنفس ^(٦) .

وحرّض أصحابه فقال رضى الله عنه : عبادَ الله ، اتقوا الله ،
وغيضوا الأبصارَ ، وانخضضوا الأصواتَ ، وأقلوا الكلامَ ، ووطّئوا
أنفُسكم على المنازلة والمجاولة والمزاولة ^(٧) والمناضلة والمعانقة والمكادمة
والملازمة ، ﴿ قَاتِبُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٨) . وَلَا
تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ^(٩) ﴿
اللَّهُمَّ أَنْهَمُهُمُ الصَّبْرَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النِّصْرَ ، وَأَعْظِمْ لَهُمُ الْأَجْرَ .

(١) في النهاية : حديث على رضى الله عنه : لا يجهز على جريحهم . أى من صرع
منهم وكفى قتاله لا يقتل ، لأنهم مسلمون ، والقصد من قتالهم دفع شرهم ، فإذا لم يمكن ذلك
إلا بقتلهم قتلوا .

(٢) ومثل « بفتح التاء مع تشديدها أو تركه » يقال : مثل بالقتيل ، إذا قطع شيئا من
أطرافه .

(٣) ، (٤) ، (٥) الزيادة من رواية ابن جرير الطبرى .

(٦) في الكامل ج ٣ ص ١٤٩ بهد هذا .

« وكان يقول بهذا المعنى لأصحابه في كل موطن » .. وأصل ذلك ما رواه نصر بن مزاحم
عن عبد الله بن جندب عن أبيه أن عليا كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه علوه ... الخ
انظر وقعة صفين ص ٢٢٩ - ٢٣٠ وابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٥ .

(٧) كذا جاء في المخطوطة والكامل ج ٣ ص ١٥٠ وجاء في تاريخ ابن حرب
الطبرى ج ٤ ص ٧ وشرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٤٦ « والمبارزة » .

(٨) من الآية ٤٥ في سورة الأنفال .

(٩) من الآية ٤٦ في سورة الأنفال .

وأصبح على رضى الله عنه فجعل على خَيْل الكوفة الأَشتر ، وعلى خَيْل البصرة سَهْل بن حُثَيْف ، وعلى رَجَال الكوفة عَمَّار بن ياسر ، وعلى رَجَال البصرة قَيْس بن سعد بن عُبَّادة ، وهاشم بن عُثْبَةَ بن أبى وقَّاص المعروف بالمرقال^(١) وجعل معه الراية ، وجعل مشعر بن فدكيَّ على قراء أهل الكوفة وأهل البصرة^(٢) .

وبعث معاوية على مَيْمَنَتِه ابن ذى الكَلَّاع الحِميرى^(٣) ، وعلى مَيْسَرَتِه حَبِيب بن مُسْلِمَة الفِهْرِى ، وعلى مُقَدَّمَتِه أبى الأعور السُّلمى و [كان] على خَيْل دِمَشق ، [و]^(٤) عمرو بن العاص [على خيول الشام كلها]^(٥) وعلى رَجَال دِمَشق^(٦) مُسلم بن عُقْبَة المُرى ، وعلى [رَجَال]^(٧) الناس كلهم الضحَّاك بن قَيْس . . . وبابح^(٨) رجال من أهل الشام على الموت ، فمَقَلُّوا أَنْفُسَهُم بالعمائم ، فكانوا خمسة صفوف .

والتَقَوْا أَوَّلَ يَوْمٍ من صفر سنة سبع وثلاثين ، وكان الذى خرج فى هذا اليوم الأَشتر على أهل الكوفة ، وحَبِيبُ بن مُسْلِمَة على أهل

(١) فى الفاموس : والمرقال هاشم بن عتبة ، لأن عليا رضى الله عنه أعطاه الراية بصغير فكان يرقل بها (أى : يسرع) . وقال ابن جرير فى تاريخ ج ٤ ص ٢١ هاشم يدعى المرفال لأنه كان يرقل فى الحرب .

(٢) كذا جاء فى المخطوطة ، وجاء فى الكامل لابن الأثير : « على قراء الكوفة وأهل البصرة » ، وجاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى : « على قراء أهل البصرة ، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بديل وعمار بن ياسر » .

(٣) انظر ما سبق ، وفى شرح ابن أبى الحديد ج ١ ص ٣٤٦ « ذا الكلاع الحيمرى »

(٤) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبرى .

(٥) فى المخطوطة : « وعلى رجالها » ، وصرح ابن جرير : « دمشق » .

(٦) عند ابن أبى الحديد ج ١ ص ٣٤٧ : « وتبايح » ، والذى هناك « وقعة صفين »

الشام ، فاقتتلوا عامةً النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض .

ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، فاقتتلوا يومهم ذلك ، ثم انصرفوا .

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتلوا أشد قتال ، وقال عمار لزياد بن النضر وهو على الخيل : احمل على أهل الشام ، فحمل ، وقاتله الناس وصبروا له ، وحمل عمار فأزال عمر وبين العاص عن موضعه ، وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه لأُمِّه^(١) واسمه : عمرو بن^(٢) معاوية من بني المُنْتَفِقِ ، فلما اتقيا تعارفا ، فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه ، وتراجع الناس

وخرج من الغد في اليوم الرابع محمد بن علي ، هو «ابن الحنفية» وخرج إليه عبید الله بن عمر بن الخطاب ، في جمعين عظيمين ، فاقتتلوا أشد القتال ، وأرسل عبید الله إلى محمد يدعوه للمبارزة ، فخرج إليه ، فحرك على دابته ، وردّ ابنته ، وبرز على إلى عبید الله ، فرجع عبید الله ، وتراجع الناس^(٣) .

وخرج في اليوم الخامس عبد الله بن عباس ، خرج إليه الوليد

(١) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٤٧ : « وأمه هند التريديّة » .

(٢) في (وقمة صفين) ص ٢٤١ « يقال له معاوية بن عمرو العقيلي » .

(٣) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٠ وغيره : « قتال ابن الحنفية : يا أبت لم منحنى

من مبارزته فوالله لو تركني لرجوت أن أقتله . قال علي رضي الله عنه : يا بني لو بارزته أنا لقتلته ، ولو بارزته أنت لرجوت لك أن يقتله ، وما كنت آمن أن يقتلك » .

ابن عُقبة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وطلب ابنُ عباس الوكيلَ ليُبَارِزَهُ فأتى ، ثم انصرفا .

[وخرج في اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاري وخرج إليه ابن ذى الكلاع الجُمَيْرِيّ ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انصرفوا .] ^(١)

قال ^(٢) : ثم عاد الأَشْتَرُ يَوْمَ الثلاثاء ^(٣) ، وخرج إليه حبيب ، فاقتتلا قتالا شديدا ، وانصرفا عند الظهر .

ثم إنَّ عليًّا رضى الله عنه قال : حَتَّى مَتَّى لَا نُنَاهِضُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بِأَجْمَعِنَا ؟ فقام في الناس عَشِيَّةَ الثلاثاء ليلةَ الأربعاء خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه . وَقَالَ : الحمد لله الذى لا يُبْرِمُ ما نَقَضَ ، وما أْبْرَمَ لم ينْقُضْ الناقضون ، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا اختلفت الأمة في شيء ، ولا جَعَلَ المَفْضُولُ ذا الْفَضْلِ فَضْلَهُ ، وقد ساقطنا وهؤلاء القوم الأقدارُ ، فنحن بمראي من ربنا ومستمع ، فلو شاء عَجَّلَ النُّقْمَةَ ، وكان منه التَّغْيِيرُ ، حتى يُكْذِبَ الظَّالِمَ ، وَيُعْلِمَ الْمُحِقَّ ^(٤) أَيْنَ مَصِيرُهُ ، ولكنه جعل الدنيا دار الأَعْمَالِ ^(٥) ، وجعل الآخرة دار القرار ، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ^(٦) ، أَلَا وإنكم لأفقر القوم غداً ،

(١) الزيادة من الكامل ج ٣ ص ١٥٠ .

(٢) ابن الأثير في الكامل .

(٣) قال ابن جرير « اليوم السابع » ثم قال : « وذلك يوم الثلاثاء » .

(٤) كذا جاء عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨١ ، وجاء في المخطوطة « الحق »

(٥) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « الأغمار » .

(٦) من الآية ٣١ من سورة النجم .

فَأُطِيلُوا اللَّيْلَةَ الْقِيَامَ ، وَأَكْثَرُوا تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ النَّصْرَ
وَالصَّبْرَ ، وَالْقُوَّةَ بِالْجِدِّ وَالْحَزَمِ ، وَكَوْنُوا صَادِقِينَ .

فَقَامَ الْقَوْمُ يُصَلِّحُونَ سِلَاحَهُمْ ، فَمَرَّ بِهِمْ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ ^(١) فَقَالَ :
أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ : إِنْ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ !

ذكر الحروب التي كانت بصفين بعد الأيام الستة

في يومى الأربعاء والخميس وليلة الهيرير ويوم الجمعة
إلى أن رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ وَتَقَرَّرَ أَمْرُ الْحَكَمَيْنِ .

قال ^(٢) : وَعَبَّأَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ النَّاسَ لَيْلَتَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ ،
وَزَحَفَ بِالنَّاسِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَسَأَلَ عَلَى
عَنِ الْقَبَائِلِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَتَعَرَّفَ مَوَاقِفَهُمْ ، فَقَالَ لِلْأَزْدِ : اكْفُونَا
الْأَزْدَ ، وَقَالَ لِحَنْعَمَ : اكْفُونَا حَنْعَمَ ، وَأَمَرَ كُلَّ قَبِيلَةٍ أَنْ تَكْفِيَهُ
أَخْتَهَا مِنَ الشَّامِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ قَبِيلَةُ لَيْسَ مِنْهَا بِالشَّامِ أَحَدٌ فَيَصْرِفُهَا
إِلَى قَبِيلَةٍ أُخْرَى لَيْسَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، مِثْلَ بَجِيلَةٍ ، لَمْ يَكُنْ بِالشَّامِ
مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ ، فَصَرَفَهُمْ إِلَى لَحْمٍ .

فَتَنَاهَضَ النَّاسُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ^(٣) ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ
انْصَرَفُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ وَكُلُّ غَيْرٍ غَالِبٌ .

(١) قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : وَبَاتَ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ التَّغْلَبِيُّ شَاغِرَ أَهْلِ الشَّامِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
يَرْتَجِزُ وَيَنْشُدُ ... الخ ، وَالرَّجَزُ هُنَاكَ أَكْثَرُ مَا هُنَا . انْظُرْ وَقْعَةَ صَفَيْنَ ص ٢٥٣ .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ١٥١ .

(٣) قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ج ١ ص ٤٨٣ : « يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسُ صَفَرٍ » .

فلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ صَلَّى عَلَى بَغْلَسَ ، وَخَرَجَ بِالنَّاسِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَجَعَلَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخَزَّاعِي (وَلَهُ صَحْبَةٌ ^(١)) ، وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَقَبِلَ : قَبْلَهُ) ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْسَرَتِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسَ ، وَالْقُرَّاءَ مَعَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ : عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ ، وَالنَّاسَ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَمَرَكَزِهِمْ ، وَعَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ فِي الْقَلْبِ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَأَكْثَرُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْأَنْصَارِ ، وَمَعَهُ عَدَدٌ مِنْ خَزَاعَةٍ وَكِنَانَةٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

وَزَحَفَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ بِهِمْ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَرَفَعَ مُعَاوِيَةَ قُبَّةً عَظِيمَةً ، وَأَلْفَى عَلَيْهَا الثِّيَابَ ، وَبَايَعَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى الْمَوْتِ ، وَأَحَاطَ . بِقُبَّتِهِ خَيْلُ دِمَشْقَ ، وَزَحَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ فِي الْمَيْمَنَةِ نَحْوَ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَهُوَ فِي الْمَيْسَرَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْزُومُهُمْ ^(٢) وَيَكْشِفُ خَيْلَهُمْ حَتَّى اضْطَرُّهُمْ إِلَى قُبَّةِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ الظُّهْرِ .

وَحَرَّضَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَلَا إِنَّ مُعَاوِيَةَ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَنَازَعَ الْحَقَّ أَهْلَهُ ، وَعَانَدَ مَنْ لَيْسَ مِثْلُهُ ، وَجَادَلَ بِالْبَاطِلِ لِيُذْهِضَ بِهِ الْحَقَّ ، وَصَالَ عَلَيْكُمْ ، بِالْأَعْرَابِ وَالْأَحْزَابِ الَّذِينَ زَيْنَ لَهُمُ الضَّلَالَةُ ، وَزَرَعَ فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، وَلَبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ ، وَزَادَهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ، وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَبِرْهَانٍ مُبِينٍ ،

(١) انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٦٨ والإصابة ج ٢ ص ٢٨٠ . وجمهرة أنساب العرب ص ٢٢٧ .

(٢) يحوزهم : يجمعهم ويسوقهم .

فقاتلوا الطغاة الجفأة ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، قَاتِلُوا الْفِتَّةَ الْبَاغِيَةَ الَّذِينَ نَازَعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وقد قاتلتموهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فو الله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبر ، قوموا إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ^(٢) .

وقال الشعبي ^(٣) : كان عبد الله بن بُدَيْل رحمه الله في صَفَيْنَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ وَسَيْفَانِ ، وَكَانَ يَضْرِبُ أَهْلَ الشَّامِ وَيَقُولُ :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الصَّبْرُ وَالتَّوَكُّلُ مع التمشي في الرعيْلِ الْأَوَّلِ
مَشَى الْجَمَالَ فِي حِيَاضِ الْمَنْهَلِ وَاللَّهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ ^(٤)

وَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَزَالَهُ عَنْ مَوْقِفِهِ وَأَزَالَ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ . (وسنذكر خبر مقتله في هذا الْيَوْمِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) .

قال : وَحَرَّضَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : فَسَمَوْا ^(٥) صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، وَقَدَّمُوا

(١) الْآيَةُ ١٤ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ .

(٢) اعتمد المؤلف في نقل هذه الخطبة على كتاب الاستيعاب ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) انظر الاستيعاب والإصابة ج ٢ ص ٢٨١ .

(٤) روى ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦ هذا الرجز هكذا :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الصَّبْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّرْسُ وَالرَّمْحُ وَسَيْفُ مَصْفَلٍ
ثُمَّ التَّمَشُّ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مَشَى الْجَمَالَ فِي حِيَاضِ الْمَنْهَلِ
فَتَجِبَى الْغَايَةِ مَكْسُورَةَ اللَّامِ . وما هنا مثل (وقمة صفين) ص ٢٧٦ .

(٥) ذكر على فيل ذلك قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ الْآيَةُ ٤ مِنْ سُورَةِ الصَّفِّ ، انظر ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٧٠ . ٤

الدَّارِعُ^(١) ، وَأَخْرَوْا الْحَامِسَ^(٢) ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ^(٣) ، فَإِنَّهُ
 أَنْبَى^(٤) لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَالتَّوَوَّا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمُورٌ^(٥)
 لِلْإِسْنَةِ^(٦) ، وَعَضُّوا الْأَبْصَارَ ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ،
 وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفُشْلِ ، وَأَوْتَى بِالْوَقَارِ ، رَابَاتِكُمْ
 فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُزِيلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ
 وَاسْتَعِينُوا بِالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنْ^(٧) بَعْدَ الصَّبْرِ يَنْزِلُ النَّصْرُ .

قال : وقام يزيدُ بن قيس الأرحبيُّ يُحَرِّضُ النَّاسَ ، فَقَالَ : إِنَّ
 الْمُسْلِمَ مِنْ سَلَمٍ فِي دِينِهِ وَرَأْيِهِ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَاللَّهِ مَا يَقَاتِلُونَنَا إِلَّا عَلَى هَذِهِ
 الدُّنْيَا لِيَكُونُوا جَبَّارِينَ فِيهَا مُلُوكًا ، فَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ - لَا أَرَاهُمْ اللَّهُ
 ظُهُورًا وَلَا سُورًا - لَرَمَوْكُمْ بِمِثْلِ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ وَابْنِ عَامِرٍ - السَّفِيهِ
 الضَّالِّ ، يُجِيزُ أَحَدَهُمْ بِمِثْلِ دِيَّةِ وَدِيَّةِ أَبِيهِ وَجَدَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ
 يَقُولُ : « هَذَا لِي وَلَا إِنَّمَا عَلَيَّ » ، كَأَنَّمَا أُعْطِيَ تَرَاثُهُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ،
 وَإِنَّمَا هُوَ مَالُ اللَّهِ أَفَاءَهُ^(٨) اللَّهُ عَلَيْنَا بَأْرَاحِنَا وَمَسِيُوفُنَا ، فَقَاتِلُوا

(١) الدارع : لابس الدرع .

(٢) الحامس : الذي لا درع عليه ولا منفر .

(٣) قال ابن أبي الحديد : يجوز أن يزيد أمرهم بالحق والجد ، ويجوز أن يريد أن
 العض على الأضراس يشد شئون الدماغ ورباطاته .

(٤) نبال السيف عن الرأس : كل ولم يحك فيه .

(٥) كذا ورد منصوباً عليه في نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٧
 ووقع في المخطوطة وغيرها (أصون) .

(٦) قال ابن أبي الحديد : أمرهم بأن يلتوتوا إذا طعنوا ، لأنهم إذا فعلوا ذلك فبالحرى
 أن يحور السنان ، أي يتحرك عن موضع الطعنة فيخرج زائفاً ، وإذا لم يلتوتوا لم يحور السنان
 ولم يتحرك عن موضعه فيخرق وينفذ فيقتل .

(٧) كذا جاء في المخطوطة ، ولعله « فإنه » .

(٨) أفاءه الله علينا : رده علينا وجعله لنا من أموال من خالف دينه .

عِبَادَ اللَّهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَفْسِدُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ
وَدُنْيَاكُمْ ، وَهُمْ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ وَخَبَرْتُمْ ، وَاللَّهُ مَا أَزْدَادُوا إِلَى يَوْمِهِمْ
إِلَّا شَرًّا^(١) .

قال : ولما انتهَى عبد الله بن بُدَيْلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ إِلَى قُبَّةِ مُعَاوِيَةَ بِأَقْبَلِ الَّذِينَ
تَبَايَعُوا عَلَى الْمَوْتِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَصْحُدُوا لِابْنِ بُدَيْلٍ فِي
الْمَيْمَنَةِ ، وَبَعَثَ إِلَى حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَحَمَلَ بِالْمَيْسَرَةِ عَلَى مَيْمَنَةِ
عَلِيٍّ فَهَزَمَهُمْ ، وَانْكَشَفَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنَ قِبَلِ الْمَيْمَنَةِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
إِلَّا ابْنُ بُدَيْلٍ فِي مَائَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ ، قَدْ اسْتَنْدَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ ، وَانْجَفَلَ^(٢) النَّاسُ .

وَأَمَرَ عَلَى سَهْلُ بْنُ خُنَيْفٍ فَاسْتَقْدَمَ فِيمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
فَاسْتَقْبَلْتَهُمْ جُمُوعٌ عَظِيمَةٌ لِأَهْلِ الشَّامِ فَاحْتَمَلْتَهُمْ حَتَّى أَوْقَفْتَهُمْ
فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ إِلَى مَوْقِفِ عَلِيٍّ فِي
الْقَلْبِ ، فَلَمَّا انْكَشَفُوا انْتَهَتْ الْهَزِيمَةُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَانْصَرَفَ
يَمْشِي نَحْوَ الْمَيْسَرَةِ ، فَانْكَشَفَتْ عَنْهُ مُضَرٌّ مِنَ الْمَيْسَرَةِ ، وَثَبَّتَتْ
رَبِيعَةٌ ، وَدَنَا أَهْلُ الشَّامِ مِنْهُ فَمَا زَادَهُ قَرَبُهُمْ إِلَّا إِسْرَاعًا

وَكَانَ الْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَهُ ،
وَالنَّبِيلُ يَمُرُّ بَيْنَ عَاتِقِهِ وَمَنْكِبِهِ^(٣) ، وَمَا مِنْ بَنِيهِ أَحَدٌ إِلَّا يَبْقِيهِ
بِنَفْسِهِ ، فَبَصُرَ بِهِ أَحْمَرُ مَوْلَى أَبِي سَفْيَانَ أَوْ عُثْمَانُ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ،
فَخَرَجَ إِلَيْهِ كَيْسَانَ مَوْلَى عَلِيٍّ فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ أَحْمَرُ ، فَأَخَذَ عَلَى

(١) عند ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٨٥ : « والله ما ازدادوا باجتماعهم عليكم إلا شرا » .

(٢) انجفل الناس : انقلوا وأسرعوا في الهزيمة .

(٣) عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦ : « بين عاتقيه ومنكبيه » .

بجنب^(١) دِرْعَ أَحْمَرَ فجلديه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه .

قال : ولما دنا منه أهل الشام قال له الحسن رضى الله عنه : ما ضرك لو سَعَيْتَ حَتَّى تَنْتَهَى إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمِنْ أَصْحَابِكَ ؟ فقال : يَا بَنِيَّ إِنَّ لِأَبِيكَ يَوْمًا لَا يَعْنُوهُ وَلَا يُبْطِئُ بِهِ عَنْهُ السَّعْيُ ، وَلَا يَعْجُلُ بِهِ إِلَيْهِ الشَّيْءُ ، إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ لَا يَبَالِي أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ! قال : ولما وصل إلى ربيعة نادى بصوت عالٍ كغير المُكْتَرِثِ لما فيه الناس : لمن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . قال : بل رايات غصم الله أهلها ، فصبرهم وثبت أقدامهم . . . قال لحُصَيْن^(٢) بن المُثَنَّى : يا فتى ألا تُدْخِلُ رايَتَكَ هذه فراخا ؟ قال : والله عشرة أذُرُح . فادناها حتى قال على رضى الله عنه : حسبك مكانك .

قال ولما انتهى على إلى ربيعة تنادوا بينهم : إن أصيب فيكم أمير المؤمنين وفيكم رجل حتى افتضحتم في العرب ! فقاتلوا قتالا شديدا ما قاتلوا مثله ، فلذلك قال على رضى الله عنه^(٣) :

لَمَنْ رَايَهُ سَوْدَاءُ^(٤) يَخْفِقُ ظِلُّهَا

إِذَا قِيلَ : « قَدَّمَهَا حُصَيْنٌ » تَقَدَّمَا

(١) كذا جاء في المخطوطة : وجاء في الكامل ج ٣ ص ١٥٢ : « جيب » ، وعند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٧ : « في جيب » .

(٢) كذا جاء (حُصَيْن) بالنون عند الطبري وابن الأثير وابن أبي الحديد وغيرهم ، وجاء في المخطوطة : « حُضِير » .

(٣) قال ابن أبي الحديد : « أقبل الحُصَيْن بن المنذر يومئذ وهو غلام يزحف برأيه ربيعة - وكانت حمراء - فأعجب عليا عليه السلام زحفه وثباته فقال : ... »

(٤) كذا جاء في المخطوطة مثل تاريخ الطبري وابن الأثير والكامل للبرد ومروج الذهب وجمهرة أنساب العرب ولسان العرب (ح ص ن) . وجاء في شرح ابن أبي الحديد : « حمراء » .

وَيُقَدِّمُهَا فِي الْمَوْتِ حَتَّى يُزِيرَهَا
 حِيَاضَ السَّيَا تَقَطُّرُ الْمَوْتَ وَالْدمَا
 أَذَقْنَا ابْنَ حَرْبٍ طَعْنَنَا وَضَرَابَنَا
 بِأَسْيَافِنَا حَتَّى تَوَلَّى وَأَخْجَمَا (١)
 جَزَّ اللَّهُ قَوْمًا صَابِرُوا فِي لِقَائِهِمْ
 لَدَى الْمَوْتِ قَوْمًا (٢) مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا !
 وَأَطْيَبَ أَخْبَارًا وَأَكْرَمَ شِيَمَةً (٣)
 إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَفْغُمْغُمًا (٤)
 وَبَيْعَةً أَغْنَى أَهْلُ بَنَاسٍ وَنَجْدَةً
 إِذَا مَا هُمُ لَأَقْوَا خَمِيْسًا عَرَمَرَمًا (٥)

قال : ومَرَّ الْأَشْتَرُ بَعْلَى وهو يقصد المَيْسرة ، والأَشْتَرُ يَرْكُضُ نحو
 الْفَرَزَعِ (٦) قَبِلَ المَيْمَنَةَ ، فقال له على : إِيستِ هؤلاءِ الْقَوْمَ فَقُلْ لَهُمْ « أَيْنَ
 فِرَارُكُمْ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي لَنْ تُعْجِزُوهُ إِلَى الْحَيَاةِ الَّتِي لَا تَبْقَى لَكُمْ ؟ » .
 فمضى الْأَشْتَرُ فَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ مُنْهَزِمِينَ ، فقال لهم ما قال على ،
 ثم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا الْأَشْتَرُ ، إِلَى أَنَا الْأَشْتَرُ » ، فَأَقْبَلَ

(١) قيل : إن هذا البيت من أبيات لحسين بن المنذر نفسه صاحب الراية .

(٢) كذا جاء في المخطوطة مثل تاريخي الطبري وابن الأثير . وجاء في شرح ابن أبي
 الحديد وكتب النحو - باب التعجب - وشواهده : « خيرا » ، وهناك ينير آخر في البيت .

(٣) كذا جاء في المخطوطة مثل تاريخي الطبري وابن الأثير . وجاء عند ابن أبي الحديد :
 « وأحزم صبأ يوم يدعى إلى الغزى » .

(٤) الفغم : ما يحدث من الأصوات عند القتال .

(٥) خميسا عرمرما : جيشا كثيرا ، وسى الجيش بالخميس لأنهم كانوا يقسمون

بجسة أقسام : المقدمة والسانة والميمنة والميسرة والقلب .

(٦) الفرز يأتى في العربية بمعنى الخوف والاستئثار والإغالة .

إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَذَهَبَ الْبَعْضُ ، فَنَادَى : « أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا أَقْبَحَ مَا قَاتَلْتُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ ! أَخْلَصُوا إِلَى مَذْحِجَا ^(١) » فَأَقْبَلَتْ مَذْحِجُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : « مَا أَرْضَيْتُمْ رَبَّكُمْ ، وَلَا نَصَحْتُمْ لَهُ فِي عُلُوكُمْ ، وَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْحَرْبِ ^(٢) ، وَأَصْحَابُ الْغَارَاتِ ، وَفِتْيَانُ الصَّبَاحِ ، وَفُرْسَانُ الطَّرَادِ ، وَخُتُوفُ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْحِجُ الطَّعَانِ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّقُونَ بِشَأْرِهِمْ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاوُهُمْ ، وَمَاتَفْعُلُونَ ^(٣) هَذَا الْيَوْمَ فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْكُمْ بَعْدَهُ ، فَانْصَحُوا وَاصْذُقُوا عُلُوكُمْ لِلِقَاءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ هَؤُلَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ - رَجُلٌ عَلَى مِثْلِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ^(٤) ، اجْلُؤُوا سُودَ وَجْهِهِ يَرْجِعْ فِيهِ دَمُهُ ، عَلَيْكُمْ هَذَا السُّودُ الْأَعْظَمُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ قَدْ فَضَّضَهُ تَبِعَهُ مَنْ بَجَانِبِيهِ ! » . قَالُوا : تَجِدُنَا ^(٥) حَيْثُ أَحْبَبْتَ . فَقَصَدَ نَحْوَ عَظِيمِهِمْ مِمَّا يَكِلِي الْمَيْمَنَةَ يَرْحَفُ إِلَيْهِمْ وَيُرُدُّهُمْ .

وَاسْتَقْبَلَهُ شَبَابٌ مِنْ هَمْدَانَ ، وَكَانُوا ثَمَانِمِائَةَ مَقَاتِلَ يَوْمَيْدَ ، وَكَانُوا صَبَرُوا فِي الْمَيْمَنَةِ حَتَّى أَصَابَ مِنْهُمْ ثَمَانُونَ وَمِائَةُ رَجُلٍ ، وَقَتِلَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَئِيسًا : كَانَ أَوَّلُهُمْ ذُوَيْبُ بْنُ ^(٦) شُرَيْحٍ ، ثُمَّ

(١) كَانَ الْأَشْتَرُ يَنْسَبُ إِلَى مَذْحِجٍ ، وَيَقُولُ فِي رِجْزِهِ فِي حَرْبِ صَفِيْنِ :

إِنِّي أَنَا الْأَشْتَرُ مَعْرُوفُ الشَّرِّ إِنِّي أَنَا الْأَفْضَى الْعَرَفِيُّ الذِّكْرِ

أَسْتُ رَيْبِيًّا وَلَسْتُ مِنْ مَضَرٍ لَكُنْ مِنْ مَذْحِجِ الشِّمِّ التَّرْدِ

(٢) جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْرٍ : « الْحُرُوبِ » .

(٣) جَاءَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْرٍ « تَفْعُلُوا » فَتَكُونُ (مَا) قَبْلَهَا شَرْطِيَّةٌ جَائِزَةٌ .

(٤) هَكَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كَمَا فِي تَارِيخِ ابْنِ جُرَيْرٍ . وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ « مِنْ

دِينِ » وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ج ١ ص ٨٧ : « مِنْ دِينِ اللَّهِ » .

(٥) عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « خَذُّنَا » .

(٦) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كَالْكَامِلِ ، وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ : « كَرِيبٌ » .

شُرْحَيْبِل ، ثم مَرْثَد ، ثم هُبَيْرَة ، ثم يَرِيم ، ثم أَسْمِير ، أولاد شُرَيْح قُتِلُوا ^(١) ، ثم أخذ الراية عميرة ^(٢) ثم الحارث ابنا بشير ^(٣) فقتلا ، ثم أخذها سُفْيَان وعبد الله ويكر بنُوزَيْد فقتلوا جميعا ^(٤) ، ثم أخذ الرية وَهْب بن كَرْيَب فانصرف هو وقومُه وهم يقولون : «لَيْتَ لَنَا عِدَّتَنَا مِنَ الْعَرَبِ ، يُحَالِفُونَنَا عَلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ نَرْجِعُ ، فَلَا نَنْتَصِرُ أَوْ نُقْتَلَ أَوْ نُنْظَرَ !» ، فسمعهم الْأَشْتَرُ فقال لهم : «أَنَا أَحَالِفُكُمْ لِي الْأَنْتَرَجِعَ أَبَدًا حَتَّى نُنْظَرَ أَوْ نَهْلِكَ جَمِيعًا ! فَوْقُمُوا مَعَهُ .»

قال : «وَزَحَفَ الْأَشْتَرُ نَحْوَ الْمَيْمَنَةِ ، وَثَابَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَا جَمَعُوا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَلَمْ يَقْضِدْ كَتِيبَةً إِلَّا كَشَفَهَا ، وَلَا جَمْعًا إِلَّا حَازَهُ وَرَدَّهُ ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَلَزِمَهُ الْحَارِثُ بْنُ جُمَهَانَ ^(٥) الْجُعْفِيُّ ، فَمَا زَالَ هُوَ وَمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ يُقَاتِلُونَ حَتَّى كَشَفَ أَهْلَ الشَّامِ ، وَالْحَقَّقَهُمْ بِمَعَاوِيَةَ وَالصَّفِّ الَّذِي ^(٦) مَعَهُ ، وَذَلِكَ بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَالْمَغْرَبِ ، وَانْتَهَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدَيْلَ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُوَ فِي عِصَابَةِ مِنَ الْقُرَاءِ نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِ مِائَةٍ قَدْ لَصِقُوا بِالْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ

(١) يَتَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ السَّتَّةَ كَانُوا إِخْوَةَ ابْنَاءِ شُرَيْحَ ، وَقَدْ قَتَلُوا فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ وَاحِدًا

بَعْدَ وَاحِدٍ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ كَالْكَامِلِ ، وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ : «صِيم» .

(٣) كَذَا جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَابْنُ الْأَثِيرِ ، وَجَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ : «بَشَر» .

(٤) ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ قَتْلَ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةِ الثَّلَاثَةِ قَبْلَ قَتْلِ عَمِيرَةَ وَالْحَارِثِ ، وَمَا جَاءَ هُنَا مِثْلُ

مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ .

(٥) كَذَا جَاءَ فِي النُّسَخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسَخَةِ (ك) : (جُهْمَان) وَيَأْتِي الْاِخْتِلَافُ أَيْضًا

فِي سَائِرِهِ .

(٦) كَذَا جَاءَ فِي (ك) ، وَجَاءَ فِي (ن) : «الَّذِينَ» .

جُنَّا^(١) ، فكشف عنهم أهل الشام فأبصروا إخوانهم ، فقالوا :
 ما فعل أمير المؤمنين^(٢) قال : حتى صالح في الميسرة يُقاتل الناس أمامه .
 فقالوا : الحمد لله قد كُنَّا ظَنًّا أَنْ قَدْ هَلَكَ وَهَلَكُمْ . ثم قال عبد الله بن
 بُدَيْل رحمه الله [لأصحابه]^(٣) : استَقْدِمُوا بِنَا . فقال له الْأَشْتَرُ :
 « لا تفعل » ، واثبت مع الناس ، فقاتل ، فإنه خير لهم وأبقى لك
 ولأصحابك » ، فأبى ، ومضى نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال ،
 وخرج عبد الله أمام أصحابه فقتل من دنا منه ، حتى قتل جماعة ،
 ودنا من معاوية ، فنهض إليه الناس من كل جانب ، وأحيط به وبطائفة
 من أصحابه ، فقاتل حتى قتل ، وقتل ناس من أصحابه ، ورجعت طائفة
 منهم مُجرحين ، فبعث الْأَشْتَرُ الحارث بن جُمهان الجُفَيفِيَّ ، فحمل
 على أهل الشام الذين يتبعون من انهزم من أصحاب عبد الله ، حتى
 نفّسوا عنهم ، وانتهوا إلى الْأَشْتَرِ .

وحكى أبو عُمَر ابن عبد البر عن الشعبي في قتل عبد الله : أنه لما
 انتهى إلى معاوية أزاله وأزال أصحابه عن مواقفهم ، وكان مع معاوية يومئذ
 عبد الله بن عامر ، فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بُدَيْل يرمونه
 بالحجارة حتى أثخنوه ، وقتل ، فأقبل معاوية وعبد الله بن عامر معه ،
 فألقى عليه ابن عامر عمامته غطى بها وجهه ، وترحم عليه^(٤) ، فقال
 معاوية : اكشفوا وجهه . فقال ابن عامر : والله لا تمثّل^(٥) به وفي
 روح ! فقال معاوية : اكشفوا عن وجهه فقد وهبناه لك . ففعلوا ،

(١) الجنا : جمع جنوة ، بمعنى أثيرة مجموعة .

(٢) الزيادة من ابن جرير الطبري .

(٣) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦ : « وكان له من قبل أخا وصديقا » .

(٤) في الاستيعاب ج ٢ ص ٢٦٩ : « يثّل » بالياء مبتدأ للمجهول .

فقال معاوية : هذا كبش ^(١) القوم ورب الكعبة ، اللهم أظفر بالأشتر والأشعث بن قيس ، والله مامثل هذا إلا كما قال الشاعر ^(٢) :

أخو الحرب إن عَصَتْ به الحربُ عَصَهَا
وإن شَرَّتْ يوماً به ^(٣) الحربُ شَرّاً
كَلَيْتَ هزْبِرٍ كان يَحْمِي ذِمَارَهُ
رَمَتْهُ الْمَنَابِتُ قَصْدَهَا فَتَقَطَّـرَا

ثم قال معاوية : إن نساء خزاعة لو قَلَرَتْ أَنْ تُقَاتِلَنِي فَضْلاً عَنْ رجالها لفعلت . انتهى كلام الشعبي ^(٤) .

قال : وزحف الأشتر لعلك والأشعريين ، وقال لمذحج : اكفونا عكاً . ووقف في همدان وقال لكندة : اكفونا الأشعريين . فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى المساء ، وقاتلهم الأشتر في همدان وطوائف من الناس ، فما زال أهل الشام عن مواضعهم حتى ألحقوهم بالصفوف الخمسة المعقلة بالعمائم حول معاوية ، ثم حمل عليهم حملة أخرى فصارع أربعة صفوف من المعقلين بالعمائم .

(١) يطلق العرب لفظ « الكبش » مجازاً على قائد القوم ورؤسهم وحاميم والمنظور إليه فيهم ، قال عمرو بن مدد يكرّب :

نازلت كبشهمو ولمم أو من نزال الكبش يسدا

وقال عمرو بن الإطابة : والصارين الكبش يبرق بيده . . . الخ .

(٢) هو حاتم طيء ، كما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ١٦ .

(٣) عند ابن أبي الحديد : (وإن شمرت عن ساقها . . .) .

(٤) انظر روايته في (وقعة صفين) ص - ٢٧٦ - ٢٧٨ .

ودعا معاوية بفرسه فركبه ، وكان يقول : أردتُ أنْ أنهزمَ
فذكرتُ قول ابن الإطّابة ^(١) وكان جاهلياً :

أَبَتْ لِي عَفَّتِي ^(٢) وَأَبَى بَنَلَايَ
وإِقْدَامِي عَلَى الْبَطْلِ الْمُشِيحِ ^(٣)
وإِعْطَانِي عَلَى الْمَكْرُوهِ مَالِي ^(٤)
وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرُّبَيْحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَاشَتْ ^(٥) :
مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرْجِي ^(٦)

(١) ابن الإطّابة هو عمرو بن عامر بن زيد مائة بن مالك الخزرجي الشاعر ، والإطّابة : أمه ، وهي امرأة من بلقين كما قال ابن جرير الطبري .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) مثل تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٧ والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٤ والأمال للقال ج ١ ص ٢٥٨ والبداية والنهاية ج ٧ ص - ٢٦٤ والمزهر السيوطي ج ٢ ص ١٩٧ ومجالس ثعلب ج ١ ص ٨٣ ولباب الآداب ص ٢٢٢ ، وجاء في النسخة (أ) : « هني » وجاء في العقد الفريد ج ١ ص ١٠٤ : « شبيبي » .

(٣) قال المعنى في شواهد الكبرى ج ٤ ص ٤١٥ والسيوطي في شرح المعنى ص ١٨٦ : المشيح : العهد في الأمر .

(٤) كذا جاء في المخطوطة كتاريخي ابن جرير وابن الأثير والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٦٥ ، وجاء في أمال القال ومجالس ثعلب والمزهر : « وإعطاني على الإعدام مال » : وجاء في الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٣ : « وإجشامي على المكروه نفسي » وجاء في العقد الفريد وشواهد المعنى وشواهد السيوطي ولباب الآداب ولسان العرب (ش ي ح) : « وإقْدَامِي على المكروه نفسي » .
(٥) هذه الرواية المشهورة ، يريد بقوله (جشأت) نفسه ، أي ارتفعت إليه من فزع وحزن ، وجاشت أي خافت فهمت بالفراق . وقال اليكزي في شرح أمال القال ج ١ ص ٥٧٤ : « ومن سبط الآل : « وروي غير واحد : وقول كلما جشأت لنفسى وهو أحسن » وهذه الرواية هي التي جاءت في لسان العرب (ج ش أ) .

(٦) « مكانك » اسم فعل بمعنى اتبى ، وقوله « تحمدى » مضارع على صيغة المجهول مجزوم لوقوعه في جواب الطلب باسم الفعل ، أي : اتبى تحمدى ، أو تسترجمي . وفي مجالس ثعلب : « مكانك تهلدى ، أو تسترجمي » .

قال^(١) : فمَنَعَنِي هَذَا الْقَوْلُ^(٢) مِنْ الْفِرَارِ ، وَنَظَرَ إِلَى عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ : « الْيَوْمَ صَبْرٌ ، وَغَدًا فُخْرٌ » . فَقَالَ : صَدَقْتَ .

قال^(٣) : وَتَقَدَّمَ عُقْبَةُ بْنُ حَلِيدٍ النَّمِيرِيُّ^(٤) وَهُوَ يَقُولُ : « أَلَا إِنْ مَرَعَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ هَشِيمًا^(٥) ، وَشَجَرُهَا حَصِيدًا^(٦) ، وَجَدِيدُهَا سَمِيلًا^(٧) ، وَحُلُّوْهَا مُرُّ الْمَذَاقِ ، وَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَعْنَى الشَّهَادَةِ وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُبْلَغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، وَإِنِّي مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَقَدْ طَمِعْتُ أَلَّا أُحْرَمَهَا ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ عِبَادَ اللَّهِ بِجَهَادٍ مِنْ عَادَى اللَّهِ ! (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ)^(٨) ، وَقَالَ : يَا إِخْوَتِي ، قَدْ بَعْتُ هَذِهِ الدَّارَ بِرَأْسِي أَمَامَهَا ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَيْهَا ! فَتَبِعَهُ إِخْوَتُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعُوفُ وَمَالِكُ ، وَقَالُوا : لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ ! فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ .

وَكَانَ مِنْ قَتْلِ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ أَبُو شَدَادٍ قَيْسُ ابْنِ الْمَكْشُوحِ ، وَاسْمُ الْمَكْشُوحِ^(٩) : هُبَيْرَةُ بْنُ هِلَالٍ (عِنْدَ

(١) أَيْ مَعَارِضَةٍ .

(٢) انظر رواية الغالي لقول معاوية ، وقد ذكر السيوطي في شواهد ما قيل في هذه الأبيات « أنها أجود ما قيل في الصبر في مواطن الحروب » وقد افتتح البحرى بها حماته .

(٣) ابن الأثير في الكامل .

(٤) كذا جاء في المخطوطة مثل الكامل ، وعند ابن جرير : « النمرى » .

(٥) هشيم : يابس منكسرا .

(٦) حصيد : مقطوعا ، وفي الكامل لابن الأثير : « خصيدا » .

(٧) سلا : بالياء .

(٨) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٩ .

(٩) المكشوح لقب قيل له لأنه ضرب على كسحه ، أو كوى عليه .

أكثرهم) ، وكان فينس يومئذٍ صاحبَ رايةٍ بجيلة ، وذلك أن بجيلة قالت له : يا أبا شداد خذ رايتنا اليوم . فقال : غيرى خير لكم . قالوا : ما تريد غيرك . قال قوالله لعين (١) أعطيتُمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب (وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستر به معاوية من الشمس) ، قالوا : اضيق ما شئت . فأخذ الراية ثم زحف بها ، فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس ، وكان في خييل عظيمة ، فاقتتل الناس قتالا شديدا ، وشد أبو شداد على صاحب الترس - وقيل : كان صاحب الترس المذهب عبدالرحمن بن خالد بن الوليد - فاعترضه دونه مؤتى رومى لمعاوية ، فضرب قدم أبي شداد فقطعها ، وضربه أبو شداد فقتله ، وأشرعت إليه الرماح فقتلوه ، وأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عفيف بن إلياس فلم يزل في يده حتى لحاجز الناس . . وقتل غير هؤلاء فمن له صحبة .

قال : وخرجت حمير في جمعها ومن انضم إليها من أهل الشام ، وتقدمهم ذوالكلاع (٢) ، ومعهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب وهم ميمنة أهل الشام ، فقصدوا ربيعة من أهل العراق ، وكانت ربيعة ميسرة أهل العراق ، وفيهم ابن عباس ، فحملوا على ربيعة حملة شديدة ، فتضعفت راية ربيعة ، وكانت الراية مع أبي ساسان خضين بن المنذر ، فأنصرف أهل الشام عنهم ، ثم كر عبيد الله

(١) كذا جاء في رواية ابن جرير ج ٤ ص ١٨ ، وجاء في الإصابة ج ٣ ص ٢٧٥ « إن ، وجاء في المخطوطة : « لو » .

(٢) هو ذو الكلاع الأصغر ، ومن أجداده ذو الكلاع الأكبر ، والتميز هنا « هو الكلاع » أول من التميز به « ابن ذى الكلاع » فيما سبق .

ابن عمر وقال : يا أهل الشام ، إن هذا الحي من أهل العراق قتلَهُ عُثْمَانُ وأنصارُ عليٍّ ، فشدوا على الناس شدةً عظيمةً ، فثبتت ربيعة وصبرت صبرا حسنا إلا قليلا من الضُعفاء والقُشلة ، وثبت أهلُ الرايات وأهل الصبر والحفاظ وقاتلوا قتالا حسنا ، ثم تراجع مَنْ انهزمَ من ربيعة ، واشتد القتال حتى كثرت القَتلى ، فقتل سُمَيْرُ بن الريان العِجَلِيّ ، وكان شديدَ البأس ، وأتى زياد بن خَصَفة عَبْدُ القيس فأعلمهم بما لقيت بكر بن وائل من حَمِير ، وقال : يا عَبْدُ القيس لا بكرَ بعدَ اليوم ! فقاتلوا معهم ، فقتل ذُو الكلاع الحِميري وعُبَيْدُ الله بن عُمر ابن الخطاب ، وجرح عمار بن ياسر فقال : « اللهم إنك تعلم [أنى] ^(١) لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة ^(٢) سيفي في بطني ثم أنحنى عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته ! وإني لا أعلم اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم عملا هو أرضى لك منه لفعلته ! والله إني لأرى قوماً ليضرُّنكم ضريبا يرتابُ منه المُبطلون ، وإني لأرى الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفاتٍ ^(٣) هَجَرَ لعِلِمْتُ أننا على الحق وأنهم على الباطل ! » ثم قال : « مَنْ يَبْتَغِي رِضْوَانَ رَبِّهِ فلا يرجع إلَيَّ مال ولا ولد ! » فأتاه عصابة فقال : « اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دَمَ عُثْمَان ، والله ما أرادوا الطالبَ »

(١) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

(٢) ظبة السيف : طرفه وحده .

(٣) هكذا جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير والاستيعاب وشرح ابن أبي الحديد .

لنجد البلاغة والنهاية ولسان العرب ، قال صاحب النهاية : « السَعَفات : جمع سَعْفَة ، بالتحريك وهي أفسان النخيل قيل : إذا بيست سميت سَعْفَة وإذا كانت رطبة فهي شطبة وإنما خيس هجر للمياعة في المسافة ولأنها موصوفة بكثرة النخيل (. وجاء في النسخة (ن) : « شفاف » في النسخة (ك) : « شاب » .

بَدِيهِ ، ولكنَّهم ذاقوا الدنيا واستحبُّوها ، وعلموا أنَّ الحقَّ إذا لزمهم
 حالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَتَمَرَّغُونَ فِيهِ مِنْها ، ولم تكنْ لهمْ سَابِقَةٌ ^(١)
 يَسْتَحِقُّونَ بِها طاعةَ النَّاسِ والولايةَ عَلَيْهِمْ ، فخذَعُوا أَتْبَاعَهُمْ أَنَّ
 قالوا : إمامنا قُتِلَ مَظْلوماً ، ليكونوا بِذلك جَبَّارِةَ مُلوكا ، فبلغوا
 ما تَرَوْنَ ، ولولا هذه ما تَبِعَهُمْ من الناسِ رجُلانِ ، اللهمَّ إِنْ تَنْصُرُنَا
 فطال ما نصرتَ ، وإِنْ جعلتَ لهمْ الأَمْرَ قَادِخِرَ لهمْ بما أَحْدَثُوا فِي عِبَادِكَ
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ! ثمَّ مَضَى ومعه تلك العِصَابَةُ ، فكان لا يَمُرُّ بِوَادٍ مِنْ أوديةِ
 صِفِّينَ إِلَّا تَبِعَهُ مَنْ كان هناك مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 ثمَّ جاءَ إلى هاشم بن عُثْبَةَ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ - وهو اليرزقال - وكان
 صاحِبَ رَايَةٍ على رَضَى اللهُ عَنْهُ ، فقال : « يا هاشم ، أَعَوَّرًا وَجُبْنَا ؟
 لا خَيْرَ في أَعَوَّرَ لا يَغْشَى البَاشُ ، اركب يا هاشم » . فركب معه وهو
 يقول ^(٢) .

أَعَوَّرَ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا

قد عالج الحياةَ حتَّى مَلَأَ

لَا بُدَّ أَنْ يَقُلَّ ^(٣) أَوْ يَقْلَأَ

يَتْلَهُمْ ^(٤) بِذِي الْكُؤُوبِ ^(٥) تَلَأَ

وعَمَّارٌ يقول : « تقدَّمْ يا هاشم ، الجنةُ تحت ظلالِ السيفِ ،

(١) في تاريخ ابن جرير : « سَابِقَةٌ فِي الإِسْلَامِ » .

(٢) انظر ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٩ فقه زيادة .

(٣) يقل : يكثر

(٤) يتلهم : يصرعهم ، هكذا جاء (يتلهم) بالياء حد وابن جرير وابن الأثير ولم ينقط الحرف
 الأول في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « نلهم » بالنون .

(٥) ذو الكؤوب : الرمح .

والمَوْتُ [في] (١) أطراف الأسل ، وقد فُتِحَتْ أبواب السماء ،
وتَزَيَّنَتْ الحُورُ العين ، اليَوْمَ ألقى الأَحِبُّ ، مُحَمَّدًا وحِزبه (٢) !
وتقدَّم حَتَّى دنا مِنْ عَمرو بن العاص ، فقال له : « يا عَمرو ،
بِعْتَ دِينَكَ بمصر ! تَبَّا لَكَ ! تَبَّا لَكَ ! » فقال : لا ولكن أطلب دَمَ
عُثْمان . قال : « أشهد عَلَى عِلْمِي فَبِكَ إِنَّكَ لا تطلب بِنِيءٍ مِنْ فِعْلِكَ
وَجَهَةِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُقْتَلِ الْيَوْمَ تَمُتْ غَدًا ، فانظرْ إِذَا أُعْطِيَ النَّاسُ
عَلَى نِيَّاتِهِمْ ما نِيَّتُكَ ؟ لَقَدْ قَاتَلْتُ صَاحِبَ هَذِهِ الرَايَةِ ثَلَاثًا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا الرَّابِعَةُ مَا هِيَ بِأَبْرَأَ وَلَا أَتَقَى ! » .

ثم قاتل عَمَار فلم يرجع ، وقُتِلَ ، وقال قَبِيلٌ أَن يُقْتَلَ : إِيْتُونِي
بِأَخِيرِ رِزْقِي لِي مِنَ الدُّنْيَا ! فَأَتَى بِضَيَّاحٍ مِنْ لَبَنٍ فِي قَدَحٍ ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَقْتُلْ عَمَارًا الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ،
وإِنْ آخِرَ رِزْقِهِ ضَيَّاحٌ مِنْ لَبَنٍ » (وَالضَيَّاحُ) : الْمَمْزُوجُ بِالْمَاءِ مِنَ
الْلَبَنِ (٣) .

قال : وَقَبِيلَةُ أَبُو الْغَادِيَةِ (٤) ، وَاحْتَزَزَ رَأْسَهُ ابْنُ حَوْيٍّ (٥)

(١) الزيادة من ابن جرير ، وجاء في الكامل : « تحت » ، وسقطت الكلمة من المخطوطة .

(٢) يكتب هذا في بعض الكتب على أسلوب كتابة الشعر .

(٣) جاء في النهاية ولسان العرب : « في حديث عمار : إن آخر مشربة يشر بها ضيَّاح ، الضيَّاح والضج بالفتح : اللبن الخائض فيه الماء ثم يخلط ، رواء يوم قتل بصفين وقد جرى اللبن يشر به » .

(٤) أبو الغادية اسمه يسار بن سبع الجهني .

(٥) قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٥ : « ولد السكك بن أشرم بن كنة ثمانية عشر ذكرا ، ولهم ثروة عظيمة بالشام ، منهم حوى بن مابع بن زرعة بن ينحس بن حبيب بن ثور بن خدائش ، من بني عامر بن السكك وهو قاتل عمار بن ياسر » .

السَّكْسَكِيُّ ، وقد كان ذوالكَلاَع سَمِيعَ عَمْرُو بن العاص يقول : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لِعَمَّار « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ وَأَخْرُجُ شُرْبَةً تَشْرِبُهَا ضَبَّاحٌ مِنْ لَبَنٍ » (١) . فكان ذوالكَلاَع يقول لعَمْرُو : ما هذا وَيَحْكُ يَا عَمْرُو ! فيقول : إِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْنَا ، فَقَتِلْ ذُو الْكَلاَع فَبَلَ عَمَّارُ مع مُعاوية ، وَأَصِيبَ عَمَّارَ بَعْدَهُ مع عَلِي ، فقال عَمْرُو لِمُعاوية : « وَاللَّهِ مَا أَدْرَى بِقَتْلِ أَيُّهُمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا : بِقَتْلِ عَمَّارٍ أَوْ بِقَتْلِ ذِي الْكَلاَع ، وَاللَّهِ لَوْ بَقِيَ بَعْدَ قَتْلِ عَمَّارٍ لَمَالَ بَعَامَةُ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى عَلِيٍّ ! » . فَأَتَى جَمَاعَةٌ إِلَى مُعاوية ، كُلُّهُمْ يَقُولُ : « أَنَا قَتَلْتُ عَمَّارًا » ، فيقول عَمْرُو : فَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ؟ فَيُخْلِطُونَ ، فَأَتَاهُ ابْنُ حُوَيٍّ فَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ « الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَحْبَبَ ، مُحَمَّدًا وَحَزْبَهُ » . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَنْتَ صَاحِبُهُ . ثُمَّ قَالَ « رُوَيْدًا ، وَاللَّهِ مَا ظَفَرْتُ بِدَاكِ » (٢) ، وَلَقَدْ أَشْخَطْتَ رَبِّكَ ! .

وقيل : إِنَّ أَبَا الْغَادِيَّة قَتَلَ عَمَّارًا وَعَاشَ إِلَى زَمَنِ الْحَجَّاجِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ الْحَجَّاجُ وَقَالَ : أَنْتَ قَتَلْتَ ابْنَ سُمَيَّةَ ؟ (يَعْنِي عَمَّارًا) قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَظِيمِ الْبَاعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الَّذِي قَتَلَ ابْنَ سُمَيَّةَ . ثُمَّ سَأَلَهُ أَبُو الْغَادِيَّةَ حَاجَةً فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَّا بِهَا ، فَقَالَ : نُوْطِيْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يَصْلُونَا مِنْهَا

(١) أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعَمَّار « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ » فقد ورد في الحديث الصحيح بروايات مختلفة من أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأم سلمة عند مسلم والترمذي وغيرهما . . وأما « أَخْرُجُ شُرْبَةً » فهو حديث رواه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٨٠ من عبد الله بن سلمة ، ونقله ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٣٨ . وانظر البداية والنهاية ٧ ص ٢٦٧ .

(٢) كلما جاء في النسخة (ك) وجاء في (ن) : « بِدَاكِ » .

ويزعم أئى عظيمُ الباع يوم القيامة ! [فقال الحجاج ^(١) : أجل والله من كان ضيرُسه مثل أحد ، وفخذُه مثل جبل وركان ، ومجلِسُه مثل المدينة والربذة ، لعظيمُ الباع يوم القيامة ، والله لو أن عمّاراً قتلَه أهل الأرض لدخلوا كلُّهم النار .]

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : لما قُتلَ عمّار دخلتُ عسكرَ معاوية لأنظرَ هل بلغَ منهم قتلُ عمّار ما بلغَ مِنّا - وكُنّا إذا تركنا القتالَ تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم - فإذا معاوية وعمرُو وأبو الأعور وعبد الله ابن عمرو يتسايرون ، فأدخلتُ فرسى بينهم لئلا يفوتنى ما يقولون ، فقال عبد الله بن عمرو لأبيه : يا أبتِ قتلتم هذا الرجلَ فى يومكم هذا وقد قال رسولُ الله ما قال ! قال وما قال ؟ قال : ألم يكنْ المسلمون ينقلون فى بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبنَةً لبنَةً وعمّارٌ ينقل لبنتين لبنتين ؟ فغشى عليه ، فأتاه رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، فجعل يمسحُ الترابَ عن وجهه ويقول « وَيَحْكُ يا ابنَ سُمَيَّة ! الناسُ بنقلون لبنةً لبنةً ، وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبةً فى الأجر ، وأنت مع ذلك تقتلك الفئةُ الباغية ! » . فقال عمرو لمعاوية : أما نسمع ما يقول عبدُ الله ؟ قال : وما يقول ؟ فأخبره ، فقال معاوية : أنحن قتلناه ؟ إنما قتلَه من جاء به ! قال فخرج الناسُ من أخبيثهم وفساطيطهم يقولون ^(٢) : إنما قتلَه من جاء به . فلا أدرى من كان أعجب ؟ : أهو أم هم ؟ .

قال : ولما قُتلَ عمار قال على رضى الله عنه ليربيعة : أنتم ذرعى ورمحى .

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٨ حيث نقل المؤلف .

(٢) كلما جاء فى (ن) ، وجاء فى (ك) : « يقول » .

فانتدب له نحو من اثني عشر ألفا ، وتقدمهم على غيلة ، فحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يَبْقَ لأهل الشام صنف إلا انتقص ، وقتلوا كل من انتهوا إليه ، حتى بلغوا معاوية ، فناداه على : فقال علام يقتل الناس بيننا ؟ هلم أحاكمك إلى الله ، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور . فقال عمرو : أنصفك . فقال معاوية لعمرو : ما أنصفت ، إنك لتعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله . فقال عمرو ما يحسن بك ترك مبارزته ، فقال معاوية : طمعت فيها بعدى ! .

قال (١) : وكان أصحاب على قد وكلوا به رجلين يحفظانه ، لئلا يمتازل ، فكان يحول إذا غفلا فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، ولأنه حمل مرة فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم ، وقال لولا أنه انثنى مارجت إليكم . فقال الأعمش (٢) لأبي عبد الرحمن : هذا والله ضرب غير مُرتاب ! .

قال (٣) : وأما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فإنه دعا الناس عند المساء وقال : ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإلى . فأقبل إليه الناس ، فحمل على أهل الشام مرارا ، ويصبرون له ، وقاتل قتالا شديدا ، وقال لأصحابه : « لا يهولنكم ماترون من صبرهم ، فوالله ما هو إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها ، وإنهم لعل الضلال وإنكم لعل الحق » ثم حرّض أصحابه ، وحمل في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديدا ، فقتل يومئذ تسعة أو عشرة ، وحمل عليه الحارث ابن المنذر التنوخي ، فطعنه فسقط . وأرسل إليه على : أن قدم

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) الأعمش راوى هذا الحديث عن أبي عبد الرحمن السلي .

(٣) كذا جاء عند ابن جرير وأن الأثير : وجاء في المخطوطة (دهم لا يزالون) .

ليوأكك ، فقال لرسوله : انظر إلى بطني ! فنظر إليه ، فإذا هو قد انشقق !
 قال ^(١) : ومَرَّ عَلَى بَكْتِيْبَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَرَأَاهُمْ لَا يَزُولُونَ
 [عَنْ مَوَاقِفِهِمْ] ^(٢) - وَهُمْ غَسَّانٌ - فَقَالَ : « إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَزُولُونَ
 إِلَّا بِطَعْنٍ » ^(٣) وَضَرْبٍ يَغْلِقُ الْهَامَ وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَتَسْقُطُ مِنْهُ
 الْمَعَاصِمُ وَالْأَكْفُفُ ، وَحَتَّى تُقْرَعَ جِبَاهُهُمْ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ، أَيْنَ أَهْلُ
 النَّصْرِ وَالصَّبْرِ وَطُلَّابُ الْأَجْرِ ؟ « فَأَتَاهُ عَصَابَةٌ مِنَ الْمَسْلَمِينَ ، فَدَعَا
 ابْنَهُ مُحَمَّدًا فَقَالَ : « تَقَدَّمْ نَحْوَ هَذِهِ الرَّايَةِ مَشِيًا رُوَيْدًا عَلَى هَيْبَتِكَ » ^(٤) ،
 حَتَّى إِذَا أَشْرَعْتَ فِي صُدُورِهِمُ الرَّمَا حَ فَامَسَكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي »
 فَفَعَلَ ، وَأَعَدَ [لَهُمْ] ^(٥) عَلَى مِثْلِهِمْ وَسَيَرَّهُمْ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ،
 وَأَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَأَزَالَهُمْ ^(٦) عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، وَأَصَابُوا
 مِنْهُمْ رِجَالًا .

قال ^(٧) : ومَرَّ الْأَسْوَدُ بْنُ قَيْسِ الْمُرَادِيِّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ
 [الْمُرَادِيِّ] ^(٨) وَهُوَ صَرِيحٌ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا أَسْوَدُ . قَالَ :
 لَبَّيْكَ . وَعَرَفَهُ ^(٩) وَنَزَلَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : « عَزَّ عَلَى مَصْرَعِكَ !

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) الزيادة من ابن جرير .

(٣) جاء في نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٨ « وَلَهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دَرَاكٍ » .

(٤) أى : على عادتك في السكون والرفق .

(٥) ثبتت في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٦) كذا جاء في (ك) وجاء في (ن) : فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَأَزَالَهُمْ » .

(٧) ابن الأثير في الكامل .

(٨) الزيادة من الكامل وتاريخ ابن جرير والاحتياط والإصابة .

(٩) عرفه بأخو دمق ، كما روى ابن جرير .

إِنْ كَانَ جَارُكَ لِيَأْمَنُ بِوَأَيْفِكَ^(١) ، وَإِنْ كُنْتَ لِمَنِ الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا ! أَوْصِنِي رَحِمَكَ اللَّهُ ! ، قَالَ : « أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تُنَاصِحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتُقَاتِلَ مَعَهُ الْمُخْلِينَ^(٢) ، حَتَّى يَظْهَرَ أَوْ يَلْحَقَ بِاللَّهِ ، وَأَبْلِيغُهُ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ : قَاتِلْ عَلَى الْمَرْكَةِ حَتَّى تَجْعَلَهَا خَلْفَ ظَهْرِكَ ، فَإِنَّهُ مِنْ أَصْبَحَ غَدًا وَالْمَرْكَةُ خَلْفَ ظَهْرِهِ كَانَ الْعَالِي . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ، فَأَقْبَلَ الْأَسْوَدُ إِلَى عَلٍّ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « رَحِمَهُ اللَّهُ ! جَاهِدْ عَدُوَّنَا فِي الْحَيَاةِ ، وَنُصِّحْ لَنَا فِي الْوَقَاةِ ! » . وَقِيلَ : إِنْ الَّذِي أَشَارَ عَلَى عَلٍّ بِهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَنْبَلٍ الْجَمْحِيُّ .

قَالَ : فَاقْتَتَلَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ كُلُّهَا إِلَى الصَّبَاحِ ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ ، فَتَطَاعَنُوا حَتَّى تَقْصُصْتَ الرُّمَاحَ ، وَتَرَامَوْا حَتَّى تُفِيدَ النُّبُلَ ، وَأَخْلَوْا السُّيُوفَ ، وَعَلَى يَسِيرٍ بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ يَوْمَ أَمْرَ كُلِّ كَتِيبَةٍ أَنْ تَقْدَمَ عَلَى الَّتِي تَلِيهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ ، وَالْمَرْكَةُ كُلُّهَا خَلْفَ ظَهْرِهِ ، وَالْأَشْتَرُ فِي الْمَيْمَنَةِ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، فِي الْمَيْسَرَةِ وَعَلَى فِي الْقَلْبِ ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) وَأَخَذَ الْأَشْتَرُ يَرْحَفُ بِالْمَيْمَنَةِ ، وَكَانَ قَدْ تَوَلَّاهَا عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَى ارْتِفَاعِ الضُّحَى ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : ازْحَفُوا قِيْدَ^(٣) هَذَا الرَّمْحِ . وَيَرْحَفُ بِهِمْ نَحْوَ أَهْلِ الشَّامِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ

(١) رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ج ٢ ص ١٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَيْفِهِ » قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْجَةِ : أَيْ : غَوَاثِلَهُ وَشُرُورَهُ ، وَاحِدُهَا بِأَيْفَةٍ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخِ بِالْهَمْزِ الْمَعْبُودَةِ ، وَجَاءَ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْرٍ وَابْنِ الْأَثِيرِ (الْمُخْلِينَ) بِالْهَمْزِ الْمَعْبُودَةِ .

(٣) قِيْدٌ : قَدَرٌ .

بهم قال : ازحفوا قيد هذا القوم . فإذا فعلوه سألهم مثل ذلك ، حتى ملّ أكثر الناس الإقدام ، فلما رأى الأشر ذلك دعا بفرسه فركبه وترك رايته مع حيان بن هُوْذَة النخعي ، وخرج يسير في الكتاب ويقول : مَنْ يَشْرِي ^(١) نفسه ويقاتل مع الأشر [حتى] ^(٢) يظهر أو يلحق بالله ؟ فاجتمع إليه جمع كثير ، فيهم حيان بن هُوْذَة النخعي وغيره ، فرجع بهم إلى المكان الذي كان فيه ، وقال لهم : « سُئِلُوا شِدَّة - فِدَى لَكُمْ خَالِي وَعُمِّي - تُرَضُّونَ بِهَا الرَّبَّ ، وَتُوزُونُ بِهَا الدِّينَ » ثم نزل فضرب وجه دابته ، وقال لصاحب رايته : أَقْدِمْ بِهَا . وحمل بالقوم ^(٣) فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ، فقاتلوه عند العسكر قتالا شديدا ، وقُتِلَ صاحب رايته ، لَمَّا رَأَى عَلَى الظَّفَرِ مِنْ نَاحِيَتِهِ أَمَدَهُ بِالرِّجَالِ .

فقال عَمْرُو لِيُورْدَان ^(٤) : تَدْرِي مَا مَنَلِي وَمَنَلَكَ وَمَثَلِ الْأَشْر ؟ قال : لا . قال « كَالْأَشْقَرِ إِنْ تَقَدَّمَ عُمْرٌ وَإِنْ تَأَخَّرَ عُمْرٌ ^(٥) ! لَنْ تَأَخَّرَ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ! » قال : أَمَّا وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لِأُورِدَنَّكَ حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَعُ يَدُكَ عَلَى عَاتِقِي . ثم جعل يتقدم ويتقدم ^(٦) ويقول : وَاللَّهِ لِأُورِدَنَّكَ حِيَاضَ الْمَوْتِ . واشتد القتال .

فلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنَّ أَمْرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَدْ اشْتَدَّ ، وَخَافَ الْهَلَاكَ ،

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « يَشْرِي » .

(٢) الزيادة من ابن جرير .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « وحمل على القوم » .

(٤) وردان : مول عمرو بن العاص .

(٥) عند ابن جرير : « نحر » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة . وجاء عند ابن جرير : « ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحيانا » .

قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فُرقة ؟ قال : نعم . قال : « نرفع المصاحف ، ثم نقول لما فيها هذا حكم الله بيننا وبينكم ، فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل . فتكون فُرقة بينهم ، فإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل » .

ذكر رفع أهل الشام المصاحف

وما نقرز من أمر التحكيم^١ وكتاب القضية

قال : ولما أشار عمرو بن العاص على معاوية برفع المصاحف أمر برفعها ، فرفعت بالرماح^(١) ، وقال^(٢) : « هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، من ليشغور الشام بعد أهله ؟ من ليشغور العراق بعد أهله ؟ » .

فلما رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله ! فقال لهم علي رضي الله عنه : « عباد الله ، امضوا على حكمكم وصدقكم قتال عدوكم^(٣) ، فإن معاوية وعمرأ وابن أبي معيط وحنيبا^(٤) وابن أبي سرح والضحاك^(٥) ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحتهم أطفالا ثم رجلا ، فكانوا شر أطفال وشر رجال ! ويحكم الله !

(١) قال نصر في وقته صفين و ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : « ربطت المصاحف في أطراف الرماح » .

(٢) كذا وقع في المخطوطة ، وعند ابن جرير وابن الأثير : « وقالوا » .

(٣) كذا جاء في رواية ابن جرير ج ٤ ص ٣٤ ، يقال « صفقوا القتال » إذا تصلبوا فيه واشتدوا ، ووقع في المخطوطة : « وقتال » .

(٤) عند ابن جرير : « وحنيب بن مسلمة » وعند ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٤ « وابن مسلمة » .

(٥) عند ابن جرير : « والضحاك بن قيس » .

مارفعوها إلا خديعةً ووهناً ^(١) ومكيدة ! » فقالوا له : لا يسعنا أن
نُدعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله ! فقال لهم على رضى الله عنه :
« فإبى إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الله ^(٢) ، فإنهم قد عصوا الله
فيما أمرهم ، ونسوا عهده ، ونبلوا كتابه ! » . فقال يسعيرين
فدكئ التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين
صاروا خوارج بعد ذلك : « يا على ، أجب إلى كتاب الله عز وجل
إذ دُعيت [إليه] ^(٣) ، وإلا دفعناك ^(٤) بِرُمْتِكَ ^(٥) إلى القوم
أو ونفعل بك كما فعلنا بابن علقان ! » : قال : « فاحفظوا عني
نهى إياكم ، واحفظوا مقاتلكم لي ، فإن تطيعوني فقاتلوا ، وإن
تعصوني فاصنعوا ^(٦) ما بدا لكم ! » .

قالوا : ابعث إلى الأشتر فليأتك . فبعث على يزيد بن هاشم إلى
الأشتر يستدعيه ، فقال : « ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك
أن تزيلني [فيها] ^(٧) عن موقفى : إني رجوت أن يفتح الله لي ! » .

(١) عند ابن جرير : « ودهنا » والنعن : إظهار غلاف المضمر .

(٢) في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٦١ « الكتاب » ، وفي تاريخ ابن جرير
« هذا الكتاب » ، وفي شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة : « القرآن » .

(٣) ثبت في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

(٤) عند ابن جرير : « قدفك » .

(٥) الأصل في هذا التعبير أن يقال عند تسليم الأمير ونحوه : والرمة : قطعة حبل يشد
بها الأمير ، أى : يسلمونه إليهم بالحبل الذى شد به تمكيناً لهم منه ، ثم اتسع فيه حتى قالوا
أغلقت الشيء برمته ، أى : كله .

(٦) كذا جاء في الكامل لابن الأثير ، وفي تاريخ ابن جرير قريب منه ، ووجهه في
المخطوطة : « افعلوا » دون بقية الجملة الشرطية .

(٧) الزيادة من ابن جرير .

فرجع يزيد فأخبره ، وارتفعت ^(١) الأصوات ، وارتفع الرجج من ناحية الأشر ، فقالوا : والله ما تراك إلا أمرته أن يُقاتل ! فقال : « هل رأيتموني سارزته ؟ أليس كلمته على وؤوسكم وأنتم تسمعون ؟ » فقالوا : « ابعث إليه فليأتك ، وإلا والله اعتزاناك ! » فقال : « وبذلك يا يزيد ! قل له أقبل إلى ، فإن الفتنة قد وقعت ! » فأبلغه ذلك ، فقال الأشر : أليرفع المصاحف ؟ قال : نعم . قال : « والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافا وفرقة ، إنها مشورة ابن العاص ، ألا ترى إلى الفتح ؟ ألا ترى ما يلقون ؟ ألا ترى ما صنع الله لنا ؟ أينبغي أن أذع هؤلاء وأنصرف عنهم ؟ » فقال له يزيد : أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل ؟ قال : « لا والله ! سُبْحَانَ اللَّهِ ! » فأعلمه بقولهم ، فأقبل إليهم الأشر وقال : « يا أهل العراق ، يا أهل الدل والوهن ، أحيين عليوئكم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ؟ وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها ومُسنة من أنزلت عليه ! فأمهلوني فوآقا ^(٢) فإني قد أحسنت بالفتح ، قالوا : لا . قال : أمهلوني عذو الفرس فإني قد طمعت [في النصر] ^(٣) قالوا : إذن ندخل معك في خطيئتك ! قال : « فخبروني عنكم متى

(١) عبارة ابن جرير ٤ ص ٣٥ : « فارتفع الرجج وعلت الأصوات » ، وكذلك قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٦ وزاد : « وظهرت دلائل الفتح والتعصير لأهل العراق ، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام » .

(٢) في النهاية ولسان العرب : « فوآق الناقة » ، والقواق - يفتح الفاء وضمها - ما بين الحلبتين من الراحة ، ولكن لسان العرب تصحفت فيه كلمة « الأشر » : « الأمير » .

(٣) الزيادة من ابن جرير ج ٤ ص ٣٥ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦١ وابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٦ .

كنتم مُحِقِّين ؟ : أحين تُقاتلون وخياركم يُقتلون ؟ فإنتم الآن إذا أمسكتكم عن القتال مُبْطِلُونَ ! أم أنتم الآن مُعْهُقُونَ ؟ فقتلاكم الذين لا تُنكرون فضلهم وهم خيرٌ منكم في النار ! فقالوا : « دَعْنَا مِنْكَ يَا أَشْعَثُ ، قَاتِلِنَاهُمْ اللَّهُ ، وَتَدَعُ قِتَالَهُمْ اللَّهُ ! » فقال : « خُدْعَتُمْ فَأَنُخْذَعْتُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى وَضْعِ الْحَرْبِ فَأَجَبْتُمْ ، يَا أَصْحَابَ الْجَبَاوِ السُّودِ ^(١) ، كُنَّا نَنْظُرُ صَلَاتَكُمْ زَهَادَةً فِي الدُّنْيَا وَشَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ ، فَلَا أَرَى مَرَادَكُمْ إِلَّا الدُّنْيَا ، أَلَا قُبْحًا يَا أَشْبَاهَ النَّيْبِ الْجَلَّالَةِ ^(٢) : مَا أَنْتُمْ بِرَائِسِينَ بَعْدَهَا عِزًّا أَبَدًا ، فَأَبْعِدُوا كَمَا بَعَدَ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ! » فسبوه وسبَّهم ، وضربوا وجه دابته بسياطهم ، وضرب وجوه دوابهم بسوطه ، فصاح به وبهم على رضى الله عنه ، فكفُّوا .

وقال الناس : قد قيلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حَكِيمًا . فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال له : أَرَى النَّاسَ قَدْ رَضُوا بِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حُكْمِ الْقُرْآنِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ فَنَسَأَلْتُهُ مَا يَرِيدُ . قَالَ : إِيَّتِي . فَأَتَاهُ فَقَالَ : يَا مُعَاوِيَةُ لِأَيِّ شَيْءٍ رَفَعْتُمْ هَذِهِ الْمُصَاحِفَ ؟ قَالَ : « لِنَرْجِعَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ ، تَبْعَثُونَ رِجَالًا تَرْضَوْنَ ، وَتَبْعَثُ رِجَالًا نَرْضَى بِهِ ، نَأْخُذُ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْمَلَا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ لَا يَعْزُدُونِهِ ، ثُمَّ نَتَّبِعُ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ » . فَقَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ : « هَذَا الْحَقُّ ، هَذَا الْحَقُّ » . فَعَادَ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ رَضِينَا وَقِيلْنَا .

فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ : قَدْ رَضِينَا عَمْرًا . فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَأُولَئِكَ الْقَوْمُ

(١) ذكر ابن أبي الحديد أنهم « قد اسودت جباههم من السجود » .

(٢) النيب : النوق المسنة ، والجلالة التي تأكل البعر .

الذين صاروا خوارج : فإنا قد رضيعنا بابي موسى الأشعري . فقال علي رضي الله عنه : « قد عصيتُموني في أول الأمر ، فلا نعصوئي الآن ، لا أرى أن أوتى أبا موسى » . فقال الأشعث وزيد بن حصين ^(١) ومشعر بن قدكبي : لانرضي إلا به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه ! قال علي « فإنه ليس [لي] ^(٢) بثقة » ، قد فارقتي وغفل الناس عني ، ثم هرب مني حتى آمنت به بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك » . قالوا « والله ما نبالى أنت كنت أم ابن عباس ، لانريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ^(٣) » . قال علي : فإني أجعل الأشر . قالوا : وهل سمر ^(٤) الأرض غير الأشر ؟ قال : قد أبيتم إلا أبا موسى . قالوا : نعم : قال : فاصنعوا ما أردتم ! فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض ^(٥) فأتاه موكب له فقال : إن الناس قد اصطلحوا . فقال الحمد لله . قال : قد جعلوك حكما . قال : [إنا لله وإنا إليه راجعون ^(٦)] وجاء أبو موسى حتى دخل في العسكر .

وجاء الأشر عليا فقال : أليزني ^(٧) بعمرو بن العاص ، فوالله لئن ملأت غبني منه لأقتلنه ! .

(١) « حصن » كذا جاء هنا في المخطوطة ، وهو الموافق لما في الإصابة ج ١ ص ٥٦٥ ، وجاء فيما سبق « حصين » وهو الموافق لما عند الطبري وابن الأثير .

(٢) الزيادة من ابن جرير الطبري .

(٣) زاد ابن جرير : « ليس إل واحد متكا بأذن منه إل الآخر » .

(٤) سمر الأرض : أشمل فيها نار الحرب .

(٥) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨٩ « وهو بأرض من أرض الشام يقال لها عرض » .

(٦) من الآية ١٥٦ في سورة البقرة .

(٧) أليزني : شئت وألصقتي بعمرو بن العاص .

وجاء الأحنف بن قيس فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنك قد رُميت بِحَجَرِ الأرض ^(١) ، وإِنِّي قد عَجَمْتُ ^(٢) أبا موسى وحَبِئْتُ أَشْطَرَهُ ^(٣) ، فوجدته كليلَ الشفرة ^(٤) قريبَ القمر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصيرَ في أَكْفُهُمْ ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانيا أو ثالثا ، فإنه لن يعقِدَ عُقْدَةً إِلَّا حَلَلْتُهَا ، ولا يَحُلُّ عُقْدَةً أَعْقِدُهَا إِلَّا عَقَدْتُ [لك] ^(٥) أُخْرَى أَحْكَمَ منها ! . فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب ، فقال الأحنف بن قيس : إن أبيتُم إلا أبا موسى فادْفُتُوا ظهره بالرجال .

وحضر عمرو بن العاص عند عليّ لتُكْتَبَ القضية بحضوره ، فكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماتقاضي عليه أمير المؤمنين » فقال عمرو : ^(٦) هو أميركم أمّا أميرنا فلا . فقال له الأحنف : لا تَمْنَحْ اسمَ أمير المؤمنين فإني أتخوفُ أن محوتها ألا ترجعَ إِلَيْكَ أَبَدًا ، لا تَمْنَحُهَا وإن قتل [الناس] ^(٨) بعضهم بعضا ، فأبى ذلك عليّ

(١) جاء في النهاية ولسان العرب : « في حديث الأحنف : قال لعل حين تدب معاوية عرا للحكمة : لقد رميت بحجر الأرض ، أي : بداعية عظيمة ثبتت ثبوت الحجر في الأرض »
(٢) عجمت : عرفت .

(٣) أي : اختبر أسوأه من خير وشر وحلو ومر تشبها بحلب جميع أخلاف الدابة ما كان منها حفلا وغير حفل ودارا وغير دار .

(٤) الكليل : الذي لا يقطع . الشفرة : اللدبة ، كما جاء في بعض الروايات .

(٥) روى ابن جرير هذه الكلمة في هذا الموضع وجاءت في المخطوطة بعد « أعقدها » .

(٦) في النسخة (ك) : « ليكتب » .

(٧) زاد ابن جرير وابن كثير في أول كلام عمرو بن العاص : أكتب اسمه وام

أبيه .

(٨) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

مَلِكًا مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : افْحُ هَذَا الْاِسْمَ . فَمَحَى ،
فَقَالَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ! سُنَّةٌ بِسُنَّةٍ ، وَاللَّهُ لَأَنَّى لِكَاتِبُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَكَتَبْتُ : « مُحَمَّد
رَسُولُ اللَّهِ » فَقَالُوا : لَسْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ وَلَكِنْ اكْتُبْ اِسْمَكَ وَاسْمَ
أَبِيكَ ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَحْوِهِ ، فَقُلْتُ :
لَا أَسْتَطِيعُ . فَقَالَ أَرْنِيهِ . فَأَرَيْتُهُ فَمَحَاهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : إِنَّكَ سَتُدْعَى
إِلَى مِثْلِهَا فَتُجِيبُ ! » . فَقَالَ عَمْرُو : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنْشَبَهُ بِالْكَفَّارِ
وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ ؟ » فَقَالَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ : يَا ابْنَ النَّابِغَةِ وَمَتَى لَمْ
تَكُنْ لِلنَّاسِقِينَ وَلِيًّا وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَلُوًّا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهُ لَا يَجْمَعُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَجْلِسَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا ! فَقَالَ عَلَى : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ
يَطْهُرَ اللَّهُ مَجْلِسِي مِنْكَ وَمِنْ أَشْبَاهِكَ .

وَكُتِبَ الْكِتَابُ : هَذَا مَا تَفَاضَى عَلَيْهِ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ
ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، قَاضَى عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمِنْ مَعَهُمْ ، وَقَاضَى مُعَاوِيَةَ
عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمِنْ مَعَهُمْ ، أَنَا نَزَلْتُ عِنْدَ حَكَمِ اللَّهِ وَكِتَابَةٍ ، وَأَلَّا يَجْمَعَ
بَيْنَنَا غَيْرُهُ ، وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَنَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ ، نَحْنُ
مَا أَحْيَا وَنُحْيِي مَا أَمَاتَ ، فَمَا وَجَدَ الْحَكَمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - وَهُمَا
أَبُو مُوسَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - عِيَالَهُ ، وَمَا لَمْ
يَجِدَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَالْسُّنَّةُ الْعَادِلَةُ الْجَامِعَةُ غَيْرَ الْمَفْرُقَةِ . وَأَخَذَ
الْحَكَمَانِ مِنْ عَلَى رَضَى اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ مُعَاوِيَةَ وَمِنْ الْجَنْدِ مِنَ الْعَهْدِ
وَالْمَوَاتِيقِ أَنَّهُمَا آمَنَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَأَهْلِهِمَا ، وَالْأَمَّةُ لِهَئَانِصَارُ
عَلَى الَّذِي يَتَفَاضِيَانِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَهْدُ
اللَّهِ وَمِشَاقُهُ أَنْ يَحْكُمَا بَيْنَ هَذِهِ الْأَمَّةِ وَلَا يَرُدَّاهَا فِي حَرْبٍ وَلَا فُرْقَةٍ حَتَّى

بعضيا ، وأجلا القضاء إلى رمضان ، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخره ،
وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . وشهد
جماعة من الطائفتين .

وقيل للأشتر : لتكتب ^(١) فيها . فقال : « لا صحبتني يميني
ولا نفعني بعدها شئ ما لي إن خط . لي في هذه الصحيفة خط ! أولست
على بينة من ربي من ضلال عدوي ؟ أولست قد رأيتم الظفر ؟ » .
فقال له الأشعث : ما رأيت ظفرا هلم إلينا فإنه لا رغبة بك عنا .
فقال : « بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة !
ولقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت عندي خير منهم ولا أحرَم
دما ! » .

قال : وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مرَّ على
طائفة من بني تميم ، فيهم عروة بن أدية (أخو أبي بلال) فقرأه عليهم ،
فقال عروة : تحكّمون في أمر الله الرجال ، لا حكم إلا لله : ثم شدَّ بسيفه
فضرب به عجز دابة الأشعث ضربة خفيفة ، واندفعت الدابة ،
وصاح به أصحاب الأشعث فرجع .

وكتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة
سبع وثلاثين . واتفقوا أن يكون اجتماع الحكمين بدوامة الجندل ^(٢) ،
أوياذرح ^(٣) ، في شهر رمضان .

(١) في الكامل لابن الأثير . : « له كتب » .

(٢) دومة الجندل : موضع بين الشام والمدينة المنورة .

(٣) أذرح : بلد في أطراف الشام ، كما قال ياقوت ، وقد كرر ذكر الخلاف
في الموضعين ، وساق في « ذكر اجتماع الحكمين » عبارة تفيد اتصال أذرح بدومة الجندل .

قال : وقيل لعلّي : إن الأشر لا يُقِرُّ بما في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم . فقال على رضى الله عنه : « وأنا والله ما رُضيتُ ولا أُحِبُّ أن ترَضُوا ، فإذا أبَيْتُمْ إلا أن ترَضُوا فقد رُضيتُ ، وإذا رُضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يُعَصَى الله ويُتَعَدَّى كتابه ، فتقاتلوا مَنْ ترك أمر الله . وأما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولست أخافه على ذلك ، يالَيْتُ فيكم مثله اثنين ، يالَيْتُ فيكم مثله واحدا يربى فى علوى ما أرى ، إذَنْ لَخَفْتُ على مؤنثكم ، ورجوت أن يستقيم لى بعض أودكم ^(١) ، وقد نهَيْتكم فعصيتونى ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن ^(٢) :

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غوبت وإن ترشذ غزيرة أرشذ
والله لقد فعلتم فعلة ضَعُضَعَتْ قُوَّةً ، وأسقطت مُنَّةً ، وأورثت وَهْناً
وذُلَّةً ، ولما كنتم الأعلىين ، وخاف عدوكم الاجتياح ، واستَحَرَّ ^(٣)
بهم القتل ، ووجدوا - أَلَمَ الجراح ، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى
ما فيها ليقتنوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب ، ويتربصوا بكم ريباً

(١) الأود : الموج .

(٢) أخو هوازن : دريد بن الصمة معاوية الأسمر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علفة بن خراعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، شاعر فارس بابل ، أدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج مع قومه هوازن في يوم حنين مظامراً للمشركين ، وكان شيخاً كبيراً فانيا ليس فيه شيء إلا التين يراه ويعرفه للحرب فقتل يومئذ على شركه . والبيت من قصيدته الدالية الطويلة التي وفيها أنباء عبد الله ، وهي في الأغاني ج ١٠ ص ٨-٩ من طبع دار الكتب المصرية والحامسة بشرح المروزقي ج ٢ ص ٨١٢ - ٨٢١ والأصمعيات ص ١١١ - ١١٥ وجمهرة أشعار العرب ص ٢٢٤-٢٢٧ ، وسيأتى تمثيل البيت آخر من هذه القصيدة .

(٣) استحر : اشتد وكثر .

الْمَنُونُ ، خَلِيعَةٌ وَمَكِيدَةٌ ، فَأَعْطَيْتُمُوهُمْ [مَاسَأَلُوا] (١) ،
وَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تُذْهِبُوا وَتَحِيرُوا (٢) ، وَإِنْهُمُ اللَّهُ مَا أَظْنُكُمْ بَعْدَهَا تَوْفِقُونَ
لِرُشْدٍ ، وَلَا تَصِيبُونَ بَابَ حَزْمٍ .

قال : ثم تراجع الناس عن صِفَيْنِ ..

هذا ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه ،
وهو الذي اعتمد عليه عز الدين علي بن محمد ابن الأثير الموصلي
في تاريخه (الكامل) ، من حرب (٣) صِفَيْنِ ، وقد أسقطنا بعض
ما أورده ، وأتينا بألفاظ. لم يأتيها نسبناها إلى من حكاه ..
وأخبار أيام صِفَيْنِ كثيرة ، قد بسط أهل التاريخ فيها القول ، وذكرنا
ما اتفق في أيامها يوماً يوماً ، رأينا ترك ذلك والإغضاء عنه أولى ،
وكنا نؤثر ألا نُلِمَّ بذكر أيام صِفَيْنِ ولا وقعة الجمل ، وإنما ضرورة
التاريخ دعت إلى ذلك .

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة بُسر بن أرطاة من كتابه
الاستيعاب (٤) : أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَمَرَ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ ، وَكَانَ
مَعَهُ بِصِفَيْنِ أَنْ يَدْلِقَنِي عَلَيَّ فِي الْقِتَالِ ، وَقَالَ لَهُ : « مِمْعَتِكَ تَتَمَنَّى
لِقَاءَهُ ، فَلَوْ أَظْفَرَكُ اللَّهُ وَصَرَعْتَهُ حَصَلَتْ عَلَيَّ دُنْيَا وَآخِرَةٌ » : وَلَمْ
يَزَلْ يَشْجَعُهُ وَيَمْنِيهِ ، حَتَّى رَأَاهُ فَقَصَدَهُ فِي الْحَرْبِ ، قَالَ : وَكَانَ

(١) الزيادة من ابن جرير وابن الأثير .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء عند ابن جرير ج ٤ ص ٤٠ « وَتَجَوَّزُوا » وعند
ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦٣ « وَتَحِيرُوا » .

(٣) كذا جاء في النسخة (ك) . وفي النسخة (ن) : « خَيْرٌ » .

(٤) ج ١ ص ١٦٠ .

بُسْر بن أَرْطَاةَ من الأبطال الطُّغَاةَ ، فالتَّقِيَا ، فصرعه على ، وعرض له معه مثل ما عرض - فيما ذكر - لعلّ مع عمرو بن العاص . قال وذكر ابن الكلبي في كتابه في أخيار صِفَيْنِ أن بُسْر بن أَرْطَاةَ بارَزَ عليا يَوْمَ صِفَيْنِ ، فطعنهُ على فصرعه ، فانكشف له ، فكف عنه ، كما عرض له - فيما ذكروا - مع عمرو بن العاص ، ولهم فيها أشعار مذكورة في موضعها من [ذلك] ^(١) الكتاب ، منها فيما ذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحارث بن النضر السُّهْمِي ^(٢) - وكان عدوا لعمر و ابن العاص و بُسْر بن أَرْطَاةَ - :

أَفَى كُلِّ يَوْمٍ فَارَسٌ لَيْسَ يَنْتَهَى	وَعَوَزَتْهُ بَيْنَ الْعَجَاجَةِ ^(٣) بَادِيَةً
يَكُونُ لَهَا ^(٤) عَنْهُ عَلَى سِنَانِهِ	وَيَضْحَكُ مِنْهُ ^(٥) فِي الْخَلَاءِ مُعَاوِيَةَ
بَدَتْ أَمْسَ مِنْ عَمْرِو فَقَنَعَ رَأْسَهُ	وَعَوْرَةٌ بُسْرٍ مِثْلُهَا حَذَبَ حَازِيَةَ
فَقُولَا لِعَمْرِو ثُمَّ بُسْرٍ ^(٦) : أَلَا أَنْظُرَا	سَبِيلَكُمَا ، لَا تَاتَقِيَا اللَّيْلُ ثَانِيَةَ
وَلَا تَحْمَدَا إِلَّا الْحَيَا وَخُصَاكُمَا	هُمَا كَانَتَا وَاللَّهِ لِلنَّفْسِ وَاقِيَةَ
وَلَوْلَاهُمَا لَمْ تَنْجُوا مِنْ سِنَانِهِ	وَتِلْكَ بِمَا فِيهَا عَنِ الْعَوْدِ نَاحِيَةَ
وَكُونَا ^(٧) بَعِيدَا حَيْثُ لَا تَبْلُغُ الْقَنَاءُ	نُحُورَكُمَا إِنَّ التَّجَارِبَ كَذِيبَةَ

(١) الزيادة من الاستيعاب ، والاشارة إلى كتاب ابن الكلبي .

(٢) شاعر من الصحابة ، انظر الإصابة ج ١ ص ٢٩١ .

(٣) العجاجة : ما أثر من الثياب حتى يكسوك كل شيء جاء عليه ، ورعاع الناس .. وفي الاستيعاب : « وسط العجاجة » .

(٤) في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠١ : « بها » .

(٥) في الاستيعاب وشرح ابن أبي الحديد : « منها » .

(٦) عند ابن أبي الحديد : « فقولاً لعمر و ابن أوطاة : ابصرا » .

(٧) قيل هذا بيت عن ابن عبد البر وابن أبي الحديد ، وهو :

مَنْ تَلَفِيَ الْخَيْلَ الْمَفْرَةَ صَبَحَهُ وَفِيهَا عَلَى فَاتَرِكَا الْخَيْلِ نَاحِيَةَ

قال أبو عمر : إنما كان انصراف علي^١ عنهما وعن أمثالهما من مَضْرُوع أو مُنْهَزِم ، لأنه كان لا يرى في قتال الباغيين عليه من المسلمين أن يتَّبَعَ مُدْبِرًا ولا يُجْهَزَ على جَرِيح ولا يقتل أسيرًا ، وتلك عادته في حروبه في الإسلام ، رضى الله عنه .

وروي أبو عمر ابن عبد البر أيضا بسند يرفعه إلى يزيد ابن حبيب قال : اصطحب قيس بن خرقشه ، وكعب الأحبار ، حتى إذا بلغا صِفِّين وقَفَ كعبُ ثم نظر ساعة فقال : « لا إله إلا الله ، ليُهْرَأَقَنَّ هذه البُتْمَةُ من دماء المسلمين شيء لم يُهْرَقَ ببقعة من الأرض » فغضب قيس وقال : « وما يدريك يا أبا إسحاق ؟ فإن هذا من الغيب الذي استأثر الله به » فقال كعب : ما من شبر من الأرض إلا وهو مكتوب في التوراة التي أنزل الله على نبيه موسى بن عمران عليه السلام ما يكون عليه إلى يوم القيامة .

واختلف في عدَّة من شهد صِفِّين ، فقليل : كان جيش علي^٢ رضى الله عنه تسعين ألفا ، وجيش معاوية مائة وعشرين ألفا ، وقيل : أقل من ذلك ^(١) .

وقُتِل من العراق خمسة وعشرون ألفا ، منهم عمار بن ياسر وخمسة وعشرون بَذْرِيًّا ، وقُتِل من عسكر معاوية خمسة وأربعون ألفا .

قال ، ولما رجع علي^٣ رضى الله عنه إلى الكوفة خالفه الحرورية وأنكروا تحكيم الرجال ، وكان من أمرهم ما نذكره إن شاء الله في أخبار

الخوارج على علي ، وكان فيما بين رجوع علي واجتماع الحكمين ما ذكره إن شاء الله تعالى في حوادث السنين .

ذكر اجتماع الحكمين

قال . ولما جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل علي رضي الله عنه أربعين رجلاً عليهم شريح بن هانيء الحارثي ، وأرسل عبد الله بن عباس يصلي بهم ويكلم أمورهم : ومعهم أبو موسى الأشعري . وأرسل معاوية عمرو بن العاص في أربعين من أهل الشام ، حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح^(١)

وكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يدرى أحد ما جاء فيه ، ولا يسأله أهل الشام عن شيء : وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن كل كتاب يصل إليه من علي ، فإن كتبه^(٢) ظنوا به الظنون وقالوا : نراه كتب بكذا وكذا : فقال لهم ابن عباس رضي الله عنه : « أما تعقلون ، أما ترون رسول معاوية يجيء فلا يعلم أحد ما جاء به ولا يسمع لهم صياح ؟ وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون » .

قال وحضر معهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة العَدَوِي ، والمغيرة بن شعبه . وكان سعد بن أبي وقاص على ماء لبنى سائيم بالبادية ، فأتاه ابنه عمر فقال له : « إن أبا موسى وعمرا

(١) انظر ما سبق في هذين الاسمين .

(٢) كما جاء في السنة (ك) ، وجد في (ن) « كتبهم » .

قد شهدهم نفرٌ من قُريش فاحضر معهم ، فإنَّكَ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد أصحاب الشورى ، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة ، وأنت أحق الناس بالخلافة ، فلم يفعل ، وقيل : بل حضرهم سعد ونديم على حضوره ، فأحرم بعثرة من بيت المقدس .

قال : ولما اجتمع الحكماء قال عمرو بن العاص : يا أبا موسى ألسنت تعلم أنَّ عثمان قُتل مظلوما ، قال أشهد . قال : ألسنت تعلم أنَّ معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : . بلى . . قال : « فما ^(١) يمنعك منه وبيته في قُريش كما قد علمت ؟ فإن خفت أن يقول الناس ليست له سابقة فقل : وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم ، والطالب بدمه ، الحسن السياسة والتدبير ، وهو أخو أم حبيبة زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وكتابه ، وقد صحبه » وعرض له عمرو بسلطان ، فقال أبو موسى : « يا عمرو ، اتق الله ! أما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يؤلاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصبح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أني لو كنت مُعطيَه أفضل قُريش شرفا أعطيته على بن أبي طالب ، وأما قولك إن معاوية ولي دم عثمان فولّه هذا الأمر ، فلم أكن لأوليّه معاوية وأدع المهاجرين الأولين ، وأما تعريضك لي بالسلطان ؛ فوالله لو خرج لي معاوية من سلطانه كلّه ما وليّته ، وما كنت لأرتشي في حكم الله ،

(١) ذكر ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ٤٩ أن عمرا استشهد بقول الله تعالى :

« ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل ، إنه كان منصورا » ثم قال فما يمنعك من معاوية . . الخ .

ولكنك إن شئت أن تُحَيِّي اسمَ عُمَرُ بن الخطاب ، قال له عمرو : (١)
 فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟ فقال له :
 إن ابنك رجل صدِّق ، ولكنك قد غَمَسْتَهُ في هذه الفتنه . فقال عمرو :
 إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل يأكل ويُطعم . وكانت في ابن عمر
 غفلة ، فقال له : ابن الزبير : افطن وانتبه ، فقال : والله لا أُرْشُو
 عليها شيئا أبدا . وقال : يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك
 أمرها بعد ما تقارعوا بالسيف فلا تُردُّنَّهم في فتنه .

وكان عمرو قد عَوَّدَ أبا موسى أن يقدمه في الكلام ، يقول له :
 أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسْنُ مني فتكلم . فتعوَّدَ
 ذلك أبو موسى ، وأراد عمرو بذلك كله أن يقدمه في خلْع علي .
 فلما أراد عمرو على ابنه وعلى معاوية فأبى ، وأراد أبو موسى عُمراً على
 ابن عُمَرَ فأبى عمرو ، قال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ قال : « أرى أن
 نخْلَع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم
 من أحبوا » . فقال عمرو : الرأي ما رأيته .

فأقبلوا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو : يا أبا موسى أعلمهم أن
 رأينا قد اتفق . فتكلم أبو موسى فقال : إن رأينا قد اتفق على أمر
 نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبر .
 تقدم يا أبا موسى . فتقدم أبو موسى : فقال له ابن عباس :
 « ويحك ! والله إني لأظنه قد خدَعَكَ ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر
 فتقدمه فليتكلَّم به قبلك ، فإنه رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك

(١) ذكر ابن جرير في رواية أن حمرا قال لأبي موسى ! إن كنت تحب بيعة
 ابن صرغتماء يمنعك . . . الخ .

الرضى بينكما ، فإذا قمتَ في الناس خالفك ! » وكان أبو موسى مُغفلاً ، فقال : إنا قد اتفقنا ، فتقدم فقال : « أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر أصلاحَ لأمرها ولا أآلمَ لَشَمئِها من [أمر] ^(١) » قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ويؤتى الناس أمرهم من أحبوا ، وإني خلعتُ عليا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا . ثم تنحى ، وأقبل عمرو فقام وقال : « إن هذا قد قال ما سمعتموه ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبتُ صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان ، والطالبُ بدمه ، وأحقُّ الناس بمقامه » ، فقال سعد : ما أضغفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايدة ! فقال أبو موسى : فما أصنع ؟ وافقني على أمر ثم نزع عنه ! فقال ابن عباس : لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لمن قدمك في هذه المقام ! قال : غدر فما أصنع ؟ قال ابن عمر [انظروا] ^(٢) إلى ما صار أمر هذه الأمة : إلى رجل لا يبالي ما صنع وآخر ضعيف . وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لو مات الأشعري قبل هذا اليوم كان خيرا له . وقال أبو موسى لعمرو : « لا وفقك الله ، غدرتَ وفجرتَ ، [إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » فقال له عمرو : [^(٣) إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا . قال : والشمس أهل الشام أبا موسى فهرب إلى مكة ، ثم انصرف

(١) كذا جاء عند ابن جرير ج ٤ ص ٥١ وابن الأثير ج ٣ ص ١٦٨ وجاء في النسخة (ك) (راء) ، وفي النسخة (ن) : « رأى » .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

(٣) سقطت هذه العبارة من النسخة (ك) وثبتت في النسخة (ن) كما جاءت عند

الطبري وابن الأثير .

عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح إلى علي رضي الله عنه ، فكان علي إذا صلى الغداة يفتت فيقول : اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور وحبيبا وعبد الرحمن ابن خالد والضحاك بن قيس والوليد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قنت لعن عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر .

وقيل : إن معاوية حضر الحكيم ، وأنه قام عشية في الناس فقال : أما بعد ، من كان متكلماً في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه . قال ابن عمر : فأطلقت خبوتي وأردت أن أقول : « يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام » فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة ويُسْفَك بها دم ، فكان ما وعد الله في الجنان أحب إلي من ذلك ، فلما انصرفت إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال : مامتك أن تتكلم حين سمعت هذا الرجل يتكلم ؟ قلت : أردت ذلك ثم خشيت . فقال حبيب : وقفت وعصمت . وقد ورد ذلك في الصحيح .

ذكر أخبار الخوارج

الذين خرجوا على عهد علي وما كان من أمرهم كان أول من خرج على رضي الله عنه حَسَكَة بن عَتَّاب الحِطَاطِي : وعمران بن قُضَيْل البُرْجُمِي ، خرجا في صعلابك من العرب بعد الفراغ من وقعة الجمل ، حتى نزلوا زَالِقَ (١) من سِجِسْتَان ، وقد نَكَبُوا (٢) أهلها فأصابوا منها مالا ، ثم أتوا زَرْنَج (٣) وقد خافهم

(١) زالق : سواد بسجستان .

(٢) جاء في النسبة (ن) كما عد ابن الأثير : وقد نكث أهلها .

(٣) زرنج : قبة بسجستان .

مرزبانها فصالحهم ودخلوها ، فبعث على عبد الرحمن ابن جرؤ الطائي فقتله حَسَكَةً ، فكتب على إلى عبد الله بن عباس يأمره أن يولى سجستان رجلا ، ويسيره إليها في أربعة آلاف ، فوجه ربيعى^(١) بن كأس العنبري ، ومعه الحصين بن أبي الحر العنبري ، فلما ورد سجستان قاتلهم حَسَكَةً فقتلوه وضبط. ربيعى البلاد .

قال ابن الأثير^(٢) وكان فيروز حُصَيْن ينسب إلى الحصين ابن أبي الحر هذا ، وهو من سجستان .

ذكر خبرهم^(٣) بعد صفين

قد ذكرنا في وقعة صفين أنه لما رُفِعَت المساف ، تكلم أولئك القوم مع على بما ذكرناه ، وأبوا إلا ترك الحرب والرجوع إلى كتاب الله ، وموافقة على رضى الله عنه لهم فيما رأوه ، على كره منه . فلما رجع على من صفين بعد كتابة الصحيفة ، خالفت عليه الحرورية^(٤) وأنكروا تحكيم الرجال ، ورجعوا على غير الطريق الذي أقبلوا فيه ، أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون ، يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله أذهنتم في أمر الله ! ويقول الآخرون : فارقم إمامنا وفرقتم جماعتنا ! فلما انتهى على إلى الكوفة فارقت الخوارج وأنت حروراء^(٥) فنزل بها

(١) ربيعى بن كأس : كأس أم وهى من أشراف العرب ، وهو ربيعى بن عامر التيمي .

(٢) في الكامل ج ٣ ص ١٣٥ .

(٣) كلما جله في ك ، و جله في (ن) : « سيرهم » .

(٤) زاد ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦٣ : « وخرجت ، وكان ذلك أول ما ظهرت » .

(٥) نقل ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٥ عن كتاب صفين : « خرجوا إلى صحراء » .

بالكوفة تسمى حروراء .

[منهم^(١)] اثنا عشر ألفا ، وفادى مُناديهم : « إن أمير القتال سَبَّحُ بن رُبْعَى التميمي ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري ، والأمرشوري بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فلما سمع علي رضي الله عنه وأصحابه ذلك ، قامت إليه النُبَيْعَةُ فقالوا له : « قى أعناقنا بَيْعَةَ ثابتة ^(٢) نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت » . فقالت الخوارج : « استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرَ سَيِّ وَهَانَ ، بايع أهل الشام مُعاوية على ما أحب ^(٣) وكرهوا ، وبايعتم أنتم علينا أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى » فقال لهم زِيَاد بن النَّضَر : « والله ما بَسَطَ على يده فبايعناه قط . إِلَّا على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت ، ونحن كذلك ، وهو على الحق والهدى ، ومن خالفه ضال مُضِل » . قال : وبعث علي رضي الله عنه عبد الله بن العباس إلى الخوارج^(٤) ، وقال له : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك . فخرج إليهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم ، فقال : « ما نَقَمْتُم من الحكمين ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ ^(٥) فكيف بأئمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ » . فقالت الخوارج : « أما ما جعل الله حُكْمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزَّأْنِ مائة جلدة ، وفي

(١) الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) عند ابن جرير وابن الأثير : « ثانية » .

(٣) عند ابن جرير وابن الأثير : « أحبوا » .

(٤) من الآية ٣٥ في سورة النساء .

السارق القطع ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا . قال ابن عباس :
 فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(١) فقالوا : وتجعل
 الحكم في الصيد والحَدَثَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا كَالْحَكْمِ فِي دَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؟
 وقالوا له : أَعَدَلُ عِنْدَكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ بِالْأَمْسِ يِقَاتِلُنَا ؟ فَإِنْ كَانَ
 عَدْلًا فَلَسْنَا بَعْدُول ، وَقَدْ حَكَّمْتُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَقَدْ أَمْضَى اللَّهُ
 حُكْمَهُ فِي مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَرْجِعُوا ، وَقَدْ كَتَبْتُمْ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا وَجَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ الْمَوَادَّةَ ، وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ الْمَوَادَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَأَهْلَ الْحَرْبِ مِنْذُ نَزَلَتْ « بَرَاءة » إِلَّا مَنْ أَقْرَبَ بِالْجَزِيَةِ .

وبعث على رضى الله عنه زياد بن النضِر فقال : انظُرْ بِأَيِّ رِعْوسِهِمْ
 هُمْ أَشَدُّ إِطَافَةً . فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُمْ عِنْدَ رَجُلٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ عِنْدَ يَزِيدَ
 ابْنِ قَيْسٍ ، فَخَرَجَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّاسِ حَتَّى آتَى فُسْطَاطَ يَزِيدَ
 ابْنِ قَيْسٍ ، فَدَخَلَهُ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، وَأَمَرَهُ عَلَى أَصْبَهَانَ وَالرُّيِّ ،
 ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَخَاصِمُونَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ لَهُ :
 أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ كَلَامِهِمْ ؟ ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَذَا مَقَامٌ مِنْ يَفْلَحٍ
 فِيهِ كَانَ أَوَّلُ بِالْفَلَحِ^(٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ . [ثُمَّ] ^(٣) : قَالَ لَهُمْ : مَنْ زَعِمَ كُمْ ؟
 قَالُوا : ابْنُ الْكُوَاءِ قَالَ : فَمَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : حُكُومَتُكُمْ
 يَوْمَ صِفِّينَ . قَالَ : « أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ ، أَنْتَعِلُونَ أَنَّهُمْ حَيْثُ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ ،
 وَقَلَّمْ : نَجِيبُهُمْ ، قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ ، إِنَّهُمْ لَيْسُوا
 بِأَصْحَابِ دِينٍ ! » وَذَكَرَ مَا كَانَ قَالَ لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ « وَفَدَ اشْتَرَطْتُ

(١) من الآية ٩٥ في سورة المائدة .

(٢) الفلاح - يفتح الفاء وضمها - : الفوز ، وفي الكامل ج ٣ ص ١٦٦ : « من يفلح فيه
 كان أولًا بالفلاح » .

(٣) التريادة من ابن جرير وابن الأثير .

على الحكّمين أن يُحْيِيَا مَا أَحْيَى الْقُرْآنُ وَأَنْ يُبَيِّنَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ،
فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ، وإن أبيتا فنحن من
حكمهما برآء . قالوا : فخبّرنا أنراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟
فقال : « إننا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن
إنما هو خطّ مسطور بين دفتين ، لا ينطق ، إنما يتكلم به الرجال »
قالوا : فأخبرنا عن الأجل لِمَ جعلته بينكم ؟ قال : « ليعلم
الجاهل ، ويثبت العالم ، ولعلّ الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة
هذه الأمة ، ادخلوا مصركم رحمكم الله » فدخلوا من عند آخرهم .

ذكر خبرهم عند توجيه الحكمين

قال ^(١) : لما أراد على رضي الله عنه أن يبعث أبا موسى للحكومة
أنه رجلان من الخوارج ، وهما زُرْعَةُ بن بُرْج الطائي وحرْقُوص
ابن زُهَيْر السعدي ، فقالا له : لا حكم إلا لله تعالى ، فقال على رضي
الله عنه : لا حكم إلا لله تعالى ، قال حرْقُوص : « تُبُّ من خطيبتك ، وارجع
عن قضيتك ، وارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا » .
فقال على : قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني ، وقد كتبنا بيننا وبين
القوم كتابا ، وشرطنا شروطا ، وأعطينا عليها عهدا ، وقد قال
الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ ^(٢) فقال حرْقُوص :
ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه . فقال على رضي الله عنه : ما هو ذنب
ولكنه عجز من الرأي ، وقد نهيتكم ، فقال زُرْعَةُ : يا على لئن لم

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٦٩ وأصله عند ابن جرير الطبري في تاريخه

ج ٤ ص ٥٢ .

(٢) من الآية ٩١ في سورة النحل .

تذاع تحكيم الرجال لأفانيلنك أطلب وجه الله . فقال على : « يؤسأ لك !
 مأشقالك ! كأتى بك قتيلا تسفى ^(١) عليك الرياح ! » قال : وددت .
 لو كان ذلك ، فخرجا من عنده يحكممان .

وخطب على رضى الله عنه يوما ، فحكمت ^(٢) المحكمة في جوانب
 المسجد ، فقال على : « الله أكبر ! كلمة حق أريد بها باطل ^(٣) » ان سكتوا .
 غممناهم ^(٤) ، وإن تكلموا حجاجناهم وإن خرجوا علينا قاتلناهم . فوثب
 يزيد بن عاصم المحاربى فقال : « الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه ،
 اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين
 إذهان في أمر الله وذلل راجع بأهله إلى سخط الله ، اعلى أيا القتل
 تخوفنا ؟ أما إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مضافات ،
 ثم لتعلم أننا أولى بها ضليها . ثم خرج هو وإخوة له ثلاثة ، فأصيبوا
 مع الخوارج بالنهروان ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالثخيلة .

ثم خطب على رضى الله عنه يوما آخر ، فقام رجل فقال : لاحكم
 إلا الله ، ثم توالى عدة رجال يحكمون ، فقال على : « الله أكبر
 كلمة حق أريد بها باطل ، أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا :
 لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم القىء

(١) سفت الريح التراب تصفيه : ذرى أو حلك .

(٢) لى قالوا : « لاحكم إلا الله » .

(٣) جاء في نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١٤ : ومن كلام له
 عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم « لاحكم إلا الله » قوله عليه السلام : كلمة حق يراد
 بها باطل ، نعم إنه لاحكم إلا الله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلا لله ، وإنه لا بد
 لقاس من أمير بر أو فاجر ، يعمل في إمرة المؤمنين ، ويستنتج فيها الكافر . . . وفي رواية
 أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال : حكم الله أنظر فيكم ! .

(٤) شغلهم : غلبناهم وسرناهم ، وفي (ك) : « غمناهم » .

مادامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدأونا ، وإنما ننظر فيكم أمر الله . ثم رجع إلى مكانه من الخطبة .

ذكر اجتماع الخوارج بعد الحكمين

وتوليتهم أمرهم عبد الله بن وهب وخروجهم عن الكوفة وانضمام خوارج البصرة إليهم ، وما كاتبهم على به وجوابهم وغير ذلك

قال : ولما كان من أمر الحكمين ما ذكرناه ، لقي بعض الخوارج بعضا واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فخطبهم ، فزهدهم في الدنيا ، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالمة أهلها إلى بغض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكبين لهذه البدع المضلة ، فقال حرقوص بن زهير : « إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعوا نكم زينتها وبهنتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فإن الله ^(١) مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » وقال حمزة بن سنان الأسدي : « يا قوم ، إن الرأي ما رأيتم فولوا أمركم ^(٢) رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحضون بها ، وترجعون إليها » فعرضوها على زيد بن حصين ^(٣) الطائي فأبى ، وعرضوها على حرقوص فأبى ، وعلى حمزة بن سنان وشريع

(١) كلما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) : « فاقه » .

(٢) كلما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في (ن) : (أمروكم) .

(٣) كلما جاء في المخطوطة ، وهذا الاسم يقال فيه « حسن » كما ذكره ابن حجر في الإصابة ، ويقال فيه « حسين » كما ذكره الطبري وابن الأثير ، وقد سقت الإشارة إلى ذلك

ابن أوفى العيسى فأبياً ، وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال :
« هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ، ولا أدعها فرقا من الموت »
فبايعوه لعشر خلون من شوال سنة سبع وثلاثين ، وكان يقال : له
ذو الثغينات ^(١) .

ثم اجتمعوا في منزل شريح بن أبي أوفى ^(٢) العيسى ، فقال ابن وهب :
اشخصوا ^(٣) بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله فإنكم أهل
الحق . قال شريح : « نخرج إلى المدائن ، فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ،
ونُخرج منها سكانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون
علينا » . فقال زيد بن حصن : « إنكم إن خرجتم مجتة من تبعكم ،
ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين ، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم ،
ولكن سيروا حتى تنزلوا من جسر ^(٤) النهروان ، وتكتبوا إخوانكم
من أهل البصرة » . قالوا : هذا الرأي .

وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا
عليه ، ويحثهم على اللحاق بهم ، وسير الكتاب إليهم ، فأجابوا .

قال : ولما غزم من بالكوفة من الخوارج على الخروج ، تعبوا
ليبتهم - وكانت ليلة الجمعة - ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ،
فخرج شريح بن أوفى العيسى وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ

(١) كان عبد الله بن وهب قد أثر طول السجود في ثغائره ، والثغينات : جمع ثغنة .
وهي الركبة . . . وهناك من غير الخوارج « ذو الثغينات » زين العابدين علي بن الحسين بن
علي وعمل بن عبد الله بن علي .

(٢) كلما جاء في النسخة (ك) وجاء في النسخة (ن) : « شريح بن أوفى » .

(٣) اشخصوا : اذهبوا .

(٤) كلما جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « بر » .

مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبُّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَلَا تَوَجَّهْ
تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ^(١)

قال : وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي ، فاتبعه أبوه
ليرده فلم يقدر عليه ، فانتهى إلى المدائن ثم رجع .

وأرسل عدي إلى سعد بن مسعود عامل على المدائن يُحذِّره
أمرهم ، فحذَّره ، وأخذ أبواب المدائن ، وخرج في الخيل ، واستخلف
بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد ، وسار في طلبهم فأخبر عبد الله
ابن وهب خبره ، فترك طريقه وسار على بغداد ؛ ولحقهم سعد بن
مسعود بالكُرَّج في خمسمائة فارس عند المساء ، [فانصرف إليهم
عبد الله في ثلاثين فارسا ، فاقتتلوا ساعة] ^(٢) وامتنع القوم منهم ،
وقال أصحاب سعد لسعد . « ماتريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم
أمر ، خلَّهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإن أمرك باتِّباعهم
فاتَّبِعْهم ، وإن كفاكهم غيرك كان في ذلك عافية لك » فأبى عليهم ،
فلما جَنَّ عَلَيْهِم الليل عَبَّرَ عبد الله بن وهب دجلة إلى أرض جَوْخَى ^(٣) ،
وسار إلى النهروان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيسوا منه .

وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ،
فردَّهم أهلهم كرها ، منهم القَعْقَاع بن قيس الطائي عم الطَّيْرَمَاح
ابن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عید الرحمن البكائي .

(١) الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة القصص .

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخة (ك) ، وجاءت في (ن) والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٠

وتاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٥٦ .

(٣) جَوْخَى مقصود الآخر مع فتح الهمزة : نهر عليه كورة ولسمعة في سواد

بغداد .

قال : ولما خرجت الخوارج من الكوفة آتياً علياً أصحابه وشيعته فبايعوه ، وقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . فشرط لهم فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مسعربن فذكى التميمي ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبهم أباً الأسود اللؤلؤي ، فلقن بهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدْلَج^(١) مسعرباً أصحابه ، وسار حتى لحق بعبد الله ابن وهب .

قال : ولما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى الأشعري إلى مكة ، وردَّ عليُّ ابن عباس رضي الله عنهما إلى البصرة ، قام عليُّ بالكوفة خطيباً فقال : « الحمد لله وإن آتى الدهر بالخطب الفادح والجذثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أما بعدُ ، فإن المعصية تُورث الحُسرة ، وتُغيب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ، ونَحَلْتُكُمْ^(٢) رأيي ، لو كان لقصير^(٣) أمر ، ولكن أبَيْتُمْ إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخوه أوزان^(٤) : أمرتُهمو أمري بمنعرج اللؤلؤي^(٥) فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشِيدَ لِأَصْحَى الْغَدِ

(١) أدْلَج : سار بالليل .

(٢) نَحَلْتُكُمْ : أعطيتكم .

(٣) هو قصير بن سعد صاحب جذية الأبرش ، وله قصة مع الزهراء ذات أمثال ، والمثل المراد هنا : « لا يطاع لقصر أمر » .

(٤) أخوه أوزان هو دريد بن الصمة ، والبيت من قصيدته الدالية الطويلة التي روى بها أخاه عداة ، وقد سبق ذكر دريد وقصيدته .

(٥) منعرج اللؤلؤي : منهطف الرمل .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حَكَمَيْن ، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحيا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هُدًى من الله ، فحكمما بغير حُجَّة بينة ولا سُنَّة ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشُدْ ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح^(١) المؤمنين ، استعذوا وتأهبوا للمسير إلى الشام ، وأصبحوا في معسكرهم إن شاء الله يوم الاثنين . ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنَّهْرَوَان : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زيد بن حصن وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس ، أما بعد فإن الرجلين اللذين ارتضينا حَكَمَيْن قد خالفا كتاب الله تعالى ، واتبعا أهواءهما بغير هُدًى من الله ، فلم يعملوا بالسنة ، ولم يُنفِذا للقرآن حكما ، فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون ، فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا ، فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذي كُنَّا عليه . »

فكتبوا إليه : « أما بعد فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سوا » إن الله لا يحب الخائنين .

فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس [حتى يناجز أهل الشام]^(٢) فقام في أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنه من ترك الجهاد في الله ودأب في أمره كان

(١) كذا جاء في النسخة (ك) . وجاء في (ن) : « وصلحو » .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) .

على شفاهاً لكّة ، إلا أن يتداركّه الله بنعمته ، فاتقوا الله تعالى ، وقاتلوا من
 حادّ الله ، وحاول أن يطفى نور الله ، وقاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين ،
 الذين ليسوا بقراء القرآن ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء بالتأويل ،
 ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام ، والله لو وُلّوا عليكم لعملوا
 فيكم بأعمال كسرى وهرقل ، نيسروا ^(١) للمسير إلى عدوكم من أهل
 المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ،
 فإذا اجتمعتم شخصنا إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وكتب إلى ابن عباس رضى الله عنه : « أما بعدُ فإننا خرجنا
 إلى معسكرنا بالثخيلة ، وقد أجمعنا على المسير إلى عدونا من أهل المغرب ،
 فاشخص إلى الناس حتى يأتيك رسول ، وأقم حنى يأتك أمرى ،
 والسلام عليك . »

فقرأ ابن عباس الكتاب على الناس ، وندبهم مع الأحنف ابن
 قيس ، فشخص ألف وخمسمائة ، فخطبهم ^(٢) وقال : « يا أهل
 البصرة ، أنانى كتاب أمير المؤمنين ، فأمرتكم بالنفير ^(٣) إليه ،
 فلم يشخص منكم إلا ألف وخمسمائة ، وأنتم ستون ألف مقاتل سوى
 أبنائكم وعبيدكم . ألا انفروا مع جارية ^(٤) بن قدامة السعدي ،
 ولا يجعلن رجل على نفسه سبيلاً ، فإنى موقع بكل من وجدته متخلفاً

(١) نيسروا : تهبوا .

(٢) ذكر ابن جرير في روايته لسبب الخطبة ج ٤ ص ٨٠ أن ابن عباس استقلهم ، وأمرهم قليلاً .

(٣) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « بالنفر » .

(٤) وقع في المخطوطة « حارثة » بالحاء للهملزة ، والصواب « جارية » كما نص عليه
 بالجمم ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١١٣ ، ١٨١ ، ١٨٣ وله ترجمة في حرف الجيم من
 من الاستيعاب ج ١ ص ٢٤٥ وأمد الناية ج ١ ص ٢٦٣ والإصابة ج ١ ص ٢١٨ .

عن دعوته ، عاصيا لإمامه ، فلا يُلَوَّمَن رجل إلا نفسه . » فخرج جارية واجتمع إليه ألف وسبعمائة ، فوافقوا عليًا وهم ثلاثة آلاف ومائتان .

فجمع على رضى الله عنه رموس أهل الكوفة ورموس الأشباغ ^(١) ووجوه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « يا أهل الكوفة ، أنتم إخواني وأنصارني وأعواني على الحق ، وأصحابي إلى جهاد المخلين ^(٢) ، بكم أضرب المُنْذِر ، وأرجو تمام طاعة المُقْبِل ، وقد استغفرت أهل البصرة ، فأَتاني منهم ثلاثة آلاف ومائتان ، فليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة [وأبناء المقاتلة] ^(٣) الذين أدركوا القتال ، وعُبدان عشيرته ومواليهم ، ويرفع ذلك إلينا .

فقام إليه سعيد بن قيس الهذلي فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعا وطاعة ، أنا أول الناس أجاب بما طلبت . وقام معقل بن قيس ، وعدي بن حاتم ، وزيد بن خَصْفة ، وحُجْر بن عدي ، وأشراف الناس والقبائل ، فقالوا مثل ذلك ، وكتبوا له ما طلب ، وأمروا أبناءهم وعبيدهم [ومواليهم] ^(٤) أن يخرجوا معهم ، فرفعوا له أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفا من الأبناء ممن أدرك ، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم ، فكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين ألفا ، سوى أهل البصرة وهم ثلاثة آلاف ومائتا رجل .

(١) قال ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٨١ : « وكانت الكوفة يومئذ أسباعا وأسباع جمع سبع بضم السين ، وقد فسدت الإشارة إلى هذا فيما سبق .
(٢) (المخلين) جاء بالحاء للمعجمة في (ك) ، وبالهاء للمهمل في (ن) ، وقد سبقت الإشارة إلى مثل هذا .

(٣) ثبتت هذه العبارة في (ن) . وسقطت من (ك) .

(٤) الزيادة من ابن جرير الطبري ، ويقال ما يناسبها .

وكتب إلى سعد بن مسعود بالمداخلة يأمره بإرسال من عنده من المقاتلة ، وبلغ عليا رضى الله عنه أن الناس يقولون : « لومسارينا إلى قتال هذه الحرورية فإذا فرغنا منهم توجهنا إلى قتال المخلين » . فقال لهم : « بلغنى أنكم قلتم كَيْتَ وكَيْتَ ! وإن غير هؤلاء الخارجين أهم إلينا ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم ، كيما ^(١) يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخللوا عباد الله خولا » ..

فناداه الناس أن سربنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت . وقام إليه صيفى بن نُسَيل ^(٢) الشيباني فقال : « يا أمير المؤمنين ، نحن حزبك وأنصارك ، نعادي من عاداك ، ونشايح من أناب إلى طاعتك ، فسربنا إلى عدوك من كانوا وأينما كانوا ، فإنك إن شاء الله لن تؤذى من قلعة عدد ، ولا ضعف نية أتباع » . وقام إليه محرز بن شهاب التميمي فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن قلب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك ، والجد في جهاد عدوك ، فأبشر بالنصر ، وسر بنا إلى أي الفريقين أحببت ، فإننا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب ، ونخاف في خذلانك والتخلف عنك شدة الوبال » ..

وأجمع على المسير [على] ^(٣) إلى الشام ، فشغله عن ذلك أمر الخراج وقتالهم على ما ذكره .

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، ووقع في النسخة في (ك) : « كما » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وعند الطبري : « فيل » .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

ذكر قتال الخوارج

قيل : كان سبب ذلك أن الخوارج من البصرة لما دنوا من
 من النهروان رأوا رجلا يسوق بامرأة على حمار ، فدعوه وانتهروه
 فأفزعوه ، وقالوا له : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له : أفزعناك ! قال : نعم قالوا
 لارؤع عليك ، حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيكَ حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُنَا بِهِ ، فقال : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : تكون فتنة يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت
 فيها بدنه ، يُمَسَّى فيها مؤمنا ويصبح كافرا ، ويصبح مؤمنا
 ويُمَسَّى كافرا ، قالوا : لهذا الحديث سألناك ، فما تقول في أبي بكر
 وعمر ؟ فَأَنْتَنِي عَلَيْهِمَا خَيْرًا . فقالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته
 وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققًا في أولها وآخرها ، قالوا : فما تقول
 في عليّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : أقول إنه أعلمُ بالله منكم ،
 وأشدُّ توقيًا على دينه ، وأنفذُ بصيرة . قالوا : إنك تتبع الهوى
 وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ، والله لنقتلك قِتْلَةً ماقتلناها
 أحدا ، فأخذوه وكتفوه ، ثم أقبلوا بامرأته وهي حُبْلَى مُتِمٌّ (١)
 حتى نزلوا تحت نخل مَوَاقِر ، فسقطت رُطْبَةٌ ، فأخذها أحدهم فتركها
 في فيه ، فقال له آخر : أخذتها بغير حلها وبغير ثمن . فألقاها ، ثم
 مر بهم خنزير لأهل الذمة ، فضربه أحدهم بسيفه ، فقالوا له : هذا
 فساد في الأرض . فليقتل صاحب الخنزير فأرضاه . فلما رأى عبد الله

(١) جبل تم : قرية الوضع .

ابن خَبَّاب ذلك منهم قال : « إن كنتم صادقين فيما أَرَى فما على منكم من بأس ، إني مسلم ما أحدثتُ في الإسلام حدثاً ، ولقد أمنتُموني ، فقلتم : لا روع عليك » فأضجموه فذبحوه ، وأقبلوا إلى المرأة فقالت : أنا امرأة ، ألا تتقون الله . فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث نسوة من طييء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية .

فلما بلغ علياً رضى الله عنه ذلك بعث إليهم الحارث بن مُرَّة العبدى ليأتيهم ، وينظر ما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه ، فلما دنا منهم يسألهم قتلاؤه . وأتى الخبر إلى على ، فقال له الناس : « يا أمير المؤمنين علام نَدَع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا وأموالنا ! سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام » . فأجمع على رضى الله عنه على ذلك ، وخرج وسار إليهم . فأرسل إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب ، فلعل الله يقبل بقلوبكم ^(١) ، ويردكم إلى خير مما أنتم عليه [من أمركم] ^(٢) فقالوا : كُلُّنا قتلهم ، وكلُّنا مُستحلٌّ لدمائكم ودمائهم . فراسلهم مرة بعد أخرى .

وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فكلَّمهم ونصحهم ، وأشار عليهم بالمراجعة والدخول فيما خرجوا منه ، فأبَوْا . وخطبهم أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه وحفَّزهم تعجيل الفتنة . وأتاهم على رضى الله عنه فكلَّمهم ووعظهم وذكرهم . فقتلوا : « لاتخاطبوهم

(١) كذا جاء في المخطوطة . مثل الكامل لابن الأثير ، وجاء في ابن جرير الطبرى

« يقبل قلوبكم » .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) . وسقطت من (ك) .

ولانكلموهم ، وتهيئوا للقاء الله ، الرواح الرواح إلى الجنة ، .
فعاد على عنهم .

ثم إن الخوارج قصدوا الجسر ، فقال أصحاب على له : إنهم
عبروا النهر ، فقال : لن يعبروه ، فأرسلوا طليعة ، فعاد . وأخبر^(١)
أنهم عَبَرُوا النهر ، وكان بينهم وبينه عَطْفَةٌ من النهر ، فلخوف
الطليعة منهم لم يقربهم فعاد ، فقال : قد عبروا النهر . فقال على رضى
الله عنه : « والله ما عبروه ، وإن مصارعهم لدون الجسر ، والله لا يُقْتَل
منكم عشرة ، ولا يَسْلَمَ منهم عشرة » . وتقدم على إليهم فرآهم عند الجسر
لم يعبروه ، وكان الناس قد شكَّوا في قوله وارتاب به بعضهم ، فلما
رأوهم لم يعبروا كَبَرُوا وأخبروا علياً رضى الله عنه بحالهم ، فقال
والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ .

ثم عبأ أصحابه ، فجعل على ميمنته حُجْر بن عديّ ، وعلى ميسرته
شَبَث بن رِيعَى أو مَعْقِل بن قَيْس الرِّياحى ، وعلى الخيل أبا أيوب
الأنصارى رضى الله عنه ، وعلى الرِّجالة أبا قتادة الأنصارى رضى الله
عنه ، وعلى أهل المدينة - وهم سبعمائة أو ثمانمائة . قيس بن سعد
ابن عُبادة رضى الله عنه .

وعبأت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصن الطائى ، وعلى
الميسرة مُرَيْج بن أَبِي أَوْفَى العَبَسى ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان
الأسدى ، وعلى رَجَالَتِهِمْ حُرْقُوص بن زُهَيْر السَّعْدى .
وأعطى على رضى الله عنه أبا أيوب الأنصارى راية أمان ، فناداهم

(١) كذا جاء في النسخة (ن) وهو المناسب لما يأتى بعده ، وفي النسخة (ك) : « فعادوا
وأخبروا » .

أبو أيوب فقال : « من جاء هذه الراية فهو آمن ممن لم يقتل ولم يتعرض ، ومن انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، لاجابة لنا بعد أن نصيب قتل إخواننا منكم في سفك دماءكم » . فقال قرؤة بن نوفل الأشجعي : « والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليا ؟ : أرى أن أنصرف حتى تتضح لي بصيرتي في قتاله ، أو أتابعه » . فانصرف في خمسمائة فارس ، حتى نزل البندريجين^(١) والدسكرة ، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة .

وخرج إلى علي رضي الله عنه نحو مائة ، وكان الخوارج في أربعة آلاف ، فبقى مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة ، فزحفوا إلى علي رضي الله عنه وكان قد قال لأصحابه : كفوا عنهم حتى يبدءوكم . فتنادوا . الرواح إلى الجنة . فحملوا على الناس فافترت خيل علي فرقتين : فرقة نحو الميمنة ، وفرقة نحو اليسرة ، فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل ، وعظفت عليهم الخيل من الميمنة واليسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أناموهم ، فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى أصحابه أن انزلوا ، فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس ، وجاءتهم الخيل من نحو علي فأهلكوا في ساعة ، فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا .

قال : وأخذ علي مائتي عسكرهم من شيء ، فأما السلاح والدواب

(١) كذا جاء عند الطبري وابن الأثير ويقوت وغيرهم . قال ياقوت : هي بلدة مشهورة في طرف الثور من ناحية الجبل . وفي المخطوطة : « البندريين » .

وما شهِرَ^(١) عليه فقسمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه رده على أهله حين قدم .

وطاف عدى بن حاتم في القتل على ابنه طرفة ، فدفنه ، ودفن رجال قتلهم ، فقال على حين بلغه ذلك تقتلونهم ثم تدفنونهم ! ارتحلوا . فارتحل الناس ولم يُقتل من أصحاب على إلا سبعة ، منهم يزيد بن نوبرة وله صحبة^(٢) وسابقة .

وهؤلاء الخوارج هم الذين ورد في أمرهم في الصحيح [الحديث]^(٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن قوما يخرجون يعرفون من [الذين] كما يعرف السهم من الرمية^(٤) علامتهم رجل مخدج اليد^(٥) » فالتمس على في القتل فوجده ، فنظر في عضده فإذا لحم مجتمع كشدي المرأة ، وحكمة عليها شَعَرَاتُ سُود ، فإذا مُدَّت امتدت حتى تُحاذِي يده الطولي ، ثم تُترك فتعود إلى مَنَكيه . وكان على رضى الله عنه يحدث الناس بهذا الحديث قبل وقعة الخوارج^(٦) .

(١) كلما جاء في المخطوطة ، مثل ما في الكامل لابن الأثير : وجاء في تاريخ الطبري « وما شهدوا به عليه الحرب » .

(٢) انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٦٥٥ وأمد القافية ج ٥ ص ١٢٢ والإصابة ج ٣ ص ٦٦٤ .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) .

(٤) أي يجوزونه ويخرفونه ويمتلونه كما يخرق السهم الشيء المرمى به ويخرج منه .

(٥) مخدج اليد : ناقص اليد .

(٦) انظر في صحيح البخارى « كتاب استتابة المرتدين » ومن أبوابه « باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم » و « باب من ترك قتال الخوارج لتألف وإن ينفر الناس عنه » وقد روى بسنده عن على رضى الله عنه الحديث « سخرج قوم » . وروى أيضا بسنده عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما « أتيا أبا سعيد الخدرى فسألاه عن الحرورية : أسمت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا أدري ما الحرورية ؟ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم »

وقيل كانت هذه الواقعة في سنة ثمان وثلاثين .

قال : ولما فرغ على رضى الله عنه من هذه الواقعة حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم . قالوا : : « يا أمير المؤمنين ، نفدت سهامنا ، وكلت سيوفنا ، ونصّلت ^(١) أسنة ومأخذا وعاد أكثرها قصدا ^(٢) » ، فارجع إلى مصرنا . فلنستعذ [بأحسن عدتنا] ^(٣) ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا فإنه أقوى لنا على عدونا . وكان الذي تولى كلامه الأشعث بن قيس ،

فأقبل حتى نزل النخيلة ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ، ويوطئوا على الجهاد لعدوهم أنفسهم ، وأن يقللوا زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسبروا إلى عدوهم . فأقاموا فيه أياما ثم تسللوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس وترك العسكر خاليا . فلما رأى على ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيه في المسير . وخطبهم مرة بعد أخرى ، وحثهم على الخروج إلى الشام فلم يتهيأ له ذلك . وحيث

— وسلم يقول : يخرج في هذه الأمة — ولم يقل : منها — قوم تحقرون صلاحكم مع صلاتهم يقرعون القرآن لا يجاوز حلقهم أو حناجرهم يقرعون من الدين مروق الدم من الرمية « وروى أيضا بسنده عن أبي سلمة عن أبي سعيد قال (. . .) آيهم رجل إحدى يديه أو قال ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضمة يرد ، يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد : أشهد أني سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه ، جاء بالرجل على التمت الذي تمته النبي صلى الله عليه وسلم « وانظر حديث (في الثوب) عند ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ وانظر في النهاية ولسان العرب شرحه في المواد : خ د ج ، ودن ، ث دن ، ث دى ، م وق ، رمى ، دودر .

(١) نصّلت : خرجت .

(٢) قصدا : قطعا .

(٣) الزيادة من رواية ابن جرير الطبري .

ذكرنا أخبار الخوارج فلنذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان .
والله الموفق للصواب .

ذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان

قال : ولما قُتِلَ أهلُ النَّهْرَوَانِ خرج أشرس بن عوف الشَّيْبَانِي عَلَى رضى الله عنه بالدَّيْمَكْرَةِ في مائتين ، ثم سار إلى الأنبار فوجه إليه على رضى الله عنه الأبرش بن حسان في ثلثمائة فواقعه ، فقتل الأشرس في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين .

ثم خرج هلال بن علفمة^(١) من تيمم الرباب ومعه أخوه مجالد ، فأتى ماسبذان ، فوجه إليه على مَعْقِل بن قيس الرِّبَاحِي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين ، وكان قتلهم في جُمَادَى الأولى منها .
ثم خرج الأشهب بن بشر ، وقيل الأشعث ، وهو من بَجِيلَةَ في مائة وثمانين رجلا ، فأتى المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلَّى عليهم ، ودَفَّنَ من قُتِلَ عليه منهم ، فوجه على إليه جارية بن قدامة السَّعْدِي ، وقيل حُجْر بن عدي ، فاقتنلوا بِجَرَجَرَايا^(٢) من أرض جُوخَى فقتل الأشهب وأصحابه في جُمَادَى الآخرة منها .
ثم خرج سعيد بن قفل التيمي من تيمم الله بن ثعلبة في شهر رجب بالبَنْدَرِيَجِيْن ومعه مائتا رجل : فأتى دَرْزِيَجَانَ^(٣) وهى من المدائن

(١) ابن الأثير : ه الكامل - ٣ ص ١٨٢ .

(٢) جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرق .

(٣) هكذا جاءت الكلمة في معجم البلدان لياقوت ، وقد وردت هذه الكلمة في النسخة (ن)

غير مقروطة الرابع والخامس ، وفي (ك) جعلناه فجيا ، وعند ابن الأثير جعلنا فونا فجيا .

على فرسخين ، فخرج إليهم مجيعدين^(١) مسعود فقتلهم في الشهر المذكور .

ثم خرج أبو مريم السعدي التميمي فأتى شهرذور وأكثر من معه من الموالي .

وقيل : لم يكن معه من العرب غير خمسة نفر ، واجتمع معه مائتا رجل ، وقيل : أربعمائة . وجاء حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة ، فأرسل على إليه يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة ، فلم يفعل ، وقال : ليس بيننا غير الحرب ، فبعث إليه شريح بن هانئ في سبعمائة ، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا وبقي شريح في مائتين ، فانحاز إلى قرية فرجع إليه بعض أصحابه : ودخل الباقون الكوفة ، فخرج على بنفسه ، وقدم بين يديه جارية بن قدامة السعدي ، فدعاهم جارية إلى طاعة على وحذرهم القتل ، فلم يجيبوا ، ودعاهم على أيضا فأبوا عليه ، فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فأمنهم . وكان في الخوارج أربعون رجلا [جرحى]^(٢) فأمر على بإدخالهم الكوفة ومدادواتهم حتى برئوا . وكان قتلهم في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين .

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٨ : « سعد بن مسعود » وقد سبق في هذا الجزء أنه كان « على سبيح تيس سعد بن مسعود الثقفي » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : (قتلهم) .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

ذكر خلاف الخريت بن راشد التميمي

وبني ناجية على علي رضي الله عنه وما كان من أمرهم

قال (١) وفي سنة ثمان وثلاثين أظهر الخريت بن راشد الناجي الخلاف على علي رضي الله عنه ، وكان قد شهد مع علي الجمل وصفيين في ثلثمائة من بني ناجية خرجوا إليه من البصرة ، وأقاموا معه بالكوفة إلى هذه السنة ، فجاء إلى علي في ثلاثين راكبا ، فقال له : « يا علي والله لا أطيع لك أمرا ، ولا أصلي خلفك ، وإني غدا مفارق لك » . فقال له علي : « ثكلتك أمك ! إذا تعصى ربك ، وتنكث عهدك ، ولا تنصر إلا نفسك ؛ خبرني لم تفعل ذلك ؟ » قال : « إنك حكمت الرجال ، وضعت عن الحق ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا ، فأنا عليك زار وعليهم ناقم ، ولكم جميعا مبين » . فقال له علي : « هلم أدارسك الكتاب ، وأناظرك في السنن ، وأفاتحك أمورا أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت له الآن منكر » . قال : فإني عائد إليك . قال : « لاتستهوينك الشياطين ، ولا يستخفنك الجهال ؛ والله لئن استرشدتني وقيلت مني لأهدينك سبيل الرشاد » . فخرج من عنده منصرفا إلى أهله ، وسار من ليلته هو وأصحابه .

فقال زياد بن خصفة البكري : « يا أمير المؤمنين ، إنه لم يعظم علينا فقدهم فنأسى عليهم ، إنهم قلما يزدون في عددنا لو أقاموا ، ولقلما ينقصون من عددنا بخروجهم عنا ، ولكننا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة

كثيرة ممن يقدمون عليه^(١) من أهل طاعتك ، فأذن لي في اتباعهم حتى أردّهم عليك . فقال : تدري أين توجهوا ؟ قال : لا ، ولكني أسأل وأتبع الأثر ، فقال له : اخرج يرحمك الله ، وانزل دَيْرَ أَبِي موسى ، وأقم حتى يأتيك أمرى .

١ فخرج زياد فأتى داره وجمع أصحابه من بكر وائل ، وأعلمهم الخبر فسار [معه]^(٢) منهم مائة وثلاثون رجلاً . فقال : حسبي . ثم سار فأتى دَيْرَ أَبِي موسى فنزله ينتظر أمر على .

وأتى علياً كتاب من قَرظَةَ بن كَعْب الأنصاري يخبره أنهم توجهوا نحو ، نِفْر^(٣) ، وأنهم قتلوا رجلاً من الدماقين ، كان قد أسلم ، فأرسل على رضي الله عنه إلى زياد يأمره باتباعهم ويخبره خبرهم ، وأنهم قتلوا رجلاً مسلماً ، ويأمره بردهم إليه ، فإن أبوا يناجزهم . وسير الكتاب مع عبد الله بن وائل ، فاستأذنه في المسير مع زياد ، فأذن له ، وسار بالكتاب إلى زياد .

وساروا حتى أتوا نِفْرَ ، فقبل : إنهم ساروا نحو جَزَجَرَا ، فتنبعوا آثارهم حتى أدركوهم بالمذّاد^(٤) وهم نزول ، قد أقاموا يومهم ولياتهم واستراحوا ، فأتاهم زياد وقد قطع أصحابه وتعبوا ، فلما رأوهم ركبوا خيولهم ، وقال لهم الخريت : أخبروني ما تريدون ؟ فقال له زياد - وكان مجرباً رقيقاً - : « قد ترّى ما بنا من التعب ، والذي جئناك

(١) كذا جاء في المخطوطة ، مثل ما في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٨٨ ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٣ : « عليك » .

(٢) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) -

(٣) نفر : قرية بالمراق -

(٤) المذار : بلد بالمراق .

له لا يصلحه الكلام علانية ، ولكن فنزل ثم تخلو جميعا ، فنتذاكر أمرنا ، فإن رأيت ماجئناك به حظا لنفسك قبلته ، وإن رأيتنا فيما نسمع منك أمرا نرجو فيه العافية لم نرده عليك . قال : فانزل . فنزل زياد ومن معه على ماء هناك ، فأكلوا شيئا وعلفوا دوابهم ، ووقف زياد في خدمة فوارس بين أصحابه وبين القوم وقال : **إِنَّ عِدَّتَنَا كِعِدَّتِهِمْ** ، وأرى أمرنا يصير إلى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين . وخرج زياد إلى الخُرَيْتِ ، فسمعهم يقولون : **جاءنا القوم وهم كالأون تبعون** فتركناهم حتى استراحوا ، هذا والله سوء الرأي . فدعا زياد وقال : **ما الذي نقصتم^(١) على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا ؟** فقال : **« لم أرَضْ صاحبكم إماما ، ولا سيرتكم سيرة ، فرأيت أن أعزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى »** . فقال له زياد : **« وهل يجتمع الناس على رجل يُداني صاحبك الذي فارقتهم علما بالله وسنته وكتابه . مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته في الإسلام ؟** فقال [له] **(٢) : « ذلك ما قال لك »** . فقال له زياد : **فقيم قتل ذلك الرجل المسلم ؟** قال : **ما أنا قتلته إنما قتله (طائفة من)^(٣) أصحابي . قال : فادفعهم إلينا . قال : ما إلى ذلك سبيل . فدعا زياد أصحابه ، ودعا الخُرَيْتِ أصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فتطاعنوا بالرماح حتى لم يبقَ رمح : وتضاربوا بالسيوف ، حتى انحنت ، وعُفِرت عامة خيولهم ، وكثرت الجراحة فيهم ، وقتل من أصحاب**

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : **« نقصت »** .

(٢) بُتت الكلمة في (ن) وسقطت من (ك) .

(٣) بُتت هذه العبارة في النسخة (ن) وسقطت من (ك) .

زياد رجلان ، ومن أولئك خمسة ، وجاء الليل فحجز بينهم ، وقد كره بعضهم بعضا ، وجرح زياد . فسار الخريت من الليل ، وسار زياد إلى البصرة .

وأناهم خبر الخريت أنه أتى الأهواز فنزل بجانب منها ، وتلاحق به ناس من أصحابه فصاروا نحروا ننتين ، وكتب زياد إلى علي رضي الله عنه بخبرهم ، وأنه مقيم يداوي الجرحى وينتظر أمره .

فلما قرأ على كتابه قام معقل بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، كان ينبغي أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كل واحد عشرة ، فإذا لحقهم استأصلوهم وقطعوا دابرهم ، فأما أن يلقاهم عددهم فلمعمرى ليصبرن لهم ، فإن العدة تَصبر للعدة . فقال على تجهز يامعقل إليهم ، وندب معه ألفين من أهل الكوفة منهم يزيد بن معقل^(١) الأزدي

وكتب علي إلى ابن عباس يأمره أن يبعث من أهل البصرة رجلا شجاعا معروفا بالصلاح في ألقى رجل إلى معقل ، وهو أمير أصحابه حتى يأتي معقلا ، فإذا لقيه كان معقل الأمير ، وكتب إلى زياد بن خصفة يشكره ويأمره بالعود .

قال : واجتمع على الخريت علوج كثير من أهل الأهواز أرادوا كسر الخراج ، ولصوص وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه ، وطمع أهل الخراج [في كسره]^(٢) : فكسروه ، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس

(١) كذا جاء في المخطوطة : وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٩٣ : « المفلح » بالعين المعجمة والقاف ، وانظر مايلي .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٥ .

(وكان عادلا لعلّ في قول من يزعم أنه لم يمت في سنة سبع وثلاثين) .
فقال ابن عباس لعلّ: أنا أكفيك فارس بزياد ، يعنى ابن أبيه ،
فأمره بإرساله إليها ، فأرسله في جمع كثير ، فوطىء بلاد فارس ،
فأدوا الخراج واستقاموا .

قال : وسار معقل بن قيس ، وقدم الأهواز ، وأقام ينتظر مدد
البصرة ، فأبطلوا عليه ، فسار يطلب الخريث ، فلم يسر يوما حتى
أدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي ، فساروا جميعا فلحقوهم
بقرب جبل من جبال رامهرمز ، فصف معقل أصحابه ، فجعل على
ميمينته يزيد بن المغفل ^(١) ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي من
أهل البصرة . وصف الخريث أصحابه ، فجعل من معه من العرب ميمنة ،
ومن معه من أهل البلد والعُلاج ^(٢) ميسرة ومعهم الأكبراد ، فحرك
معقل دابته ^(٣) مرتين ، ثم حمل في الثالثة ، فصبروا له ساعة ثم
انهزموا ، فقتل أصحاب معقل منهم سبعين من بني ناجية ومن
معهم من العرب ، وقتلوا نحواً من ثلاثمائة من العُلاج والأكبراد .

وانهزم الخريث فلحق بأسيايف البحروبا جماعة كبيرة من قومه ،
فمازال يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف على ، ويخبرهم أن الهدى في
حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير .

وأقام معقل بأرض الأهواز ، وكتب إلى على رضي الله عنه بالفتح
فقرأ على الكتاب على أصحابه واستشارهم ، فقالوا كلهم : نرى

(١) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي النسخة (ن) : « معقل » ، وأنظر سابق .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « العُلاج » دون واو قبلها .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، وجله في الكلل : « رأسه » ، وفي تاريخ الطبري
« رايته » .

أن تأمر مَعْقِلًا يتبع آثار الفاسق حتى يقتله أو ينفيه ، فإننا لا نأمن
أن يُفسد عليك الناس . فكتب إلى مَعْقِلٍ يُثنى عليه وعلى من معه ،
ويأمره باتباعه وقتله أو نفيه .

فسأل مَعْقِلٌ عنه فأخبر بمكانه بالأسياف ، وأنه قد ردّ قومه عن
طاعة عليٍّ وأفسد من عنده من عبد القيس ومناذر العرب . وكان
قومه قد منعوا الصدقة عام صيفين وذلك العام ؛ فسار إليهم مَعْقِلٌ
وأخذ على فارس فانتهى إلى أسياف البحر ، فلما سمع الخريّت
بمسيره قال لمن معه من الخوارج : أنا على رأيكم وإن عليًّا لم ينبغ
له أن يحكمكم . وقال للآخرين من أصحابه : إنَّ عليًّا حكمكم
ورضى فخلعه حكمه الذي ارتضاه . وقال سرًّا للعثمانية . أنا والله على
رأيكم ، قد والله قُتل عثمانُ مظلوما . فأرضى كلُّ صنف منهم . وقال
لمن منع الصدقة : شدُّوا أيديكم على صدقاتكم ، وصلُّوا بها أرحامكم ،
وكان فيها نصارى كثير قد أسلموا ؛ فلما اختلف الناس قالوا : والله
لديننا الذي خرجنا منه خير من دين هؤلاء الذي لا ينهائهم دينهم عن
سفك الدماء ، فقال لهم الخريّت ، ويلكم ^(١) ، لا يُنجيكم من القتل
إلا قتال هؤلاء القوم والصبر ، فإنَّ حكمهم فيمن أسلم ثم ارتد أن يُقتل
ولا يقبلون منه توبةً ولا عُذرا . فخدعهم وجمعهم وأتاهم من كان من
بنى ناجية وغيّرهم خلق كثير .

فلما انتهى مَعْقِلٌ إليه نصَّب راية أمان ، وقال : « من أتاها من
الناس فهو آمن إلا الخريّت وأصحابه الذين حاربونا أول مرة » .
فتفرق عن الخريّت جل من كان معه من غير قومه . وعبًّا مَعْقِلٌ

(١) كلما جاء في النسبة (ك) ، وفي (ن) : « ويحكم » .

أصحابه ، وزَحَفَ بهم نحو الخُرَيْتِ ومعه أصحابه مسلمهم ونصرانيهم
ومانع الزكاة منهم ، وحرَّضَ كُلُّ واحد منهما أصحابه ، ثم حَمَلَ
مُعَلَّ ومن معه فقاتلوا قتالا شديدا وصَبَرُوا ، ثم إن النُّعْمان بن
صُهَيْبان [الراسبي] ^(١) بَصُرَ بالخُرَيْتِ ، فحمل عليه فطعنهُ ، فصُرِعَ
عن دابته ، ثم اختلعا ضربتَيْنِ ، فقتله النُّعْمان ، وقتل معه في
المعركة سبعون ومائة رجل ، وذهب الباقيون يَمِينًا وشَمَالًا ، وسَبَى
مُعَلَّ من أدرَكه من حَرَمِهِمْ وذُراريهِمْ ، وأخذ رجالا كثيرا ،
فأما من كان مسلما فخلَّاه وأخذ يَبِيعُهُ وترك له عياله ، وأما من كان
ارتد فعرض عليهم الإسلام ، فرجعوا ، فخلَّى سبيلهم وسبيل عيالهم ،
إلا شيخا نصرانيا متهم يقال له الرُّمَاحِسُ لم يُسلم فقتله .

وجمع مَنْ منع الصدقة ، وأخذ منهم صدقة عامين .

واحتمل الأسارى وعيالهم وأقبل بهم ، وشبَّعهم المسلمون ، فلما
ودَّعُوهم بكى الرجال والنساء بعضهم إلى بعض حتى رحمهم الناس .
ثم مرَّ بهم حتى أقبل على مَضَقَّةِ بن هُبَيْرَةَ الشَّيبَانِي ، وهو عامل على
علي أردشير ^(٢) خَرَّةً ، وهم خمسمائة إنسان : فبكى النساء والصبيان
وصاح الرجال : « يا أبا الفضل ، يا حامي الرجال ، ومأوى العُضْب ^(٣)
وفكَّاك العُناة ^(٤) ، امنُنْ عَلَيْنَا فاشترنا وأعتقنا » . فقال مَضَقَّةُ :
أقسم بالله لأتصدقنَّ عليكم إنَّ الله يعزى المتصدقين ^(٥) . فاشتراهم

(١) الزيادة جاءت في النسخة (ن) ومقطعت من النسخة (ك) .

(٢) أردشير غيره : اسم كورة من أعظم كور فارس . وهو اسم مركب معناه : به .

أردشير ، وأردشير ملك من ملوك الترس .

(٣) العُضْب : جمع الأعضب ، وهو من لا ناصر له .

(٤) العناة : جمع العاني ، وهو الأمير .

(٥) مأخوذ من الآية ٨٨ في سورة يوسف .

من مَعْقِلٍ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ : عَجَلُ الْمَالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَ أَنَا بَاعْتُ الْآنَ بَعْضَهُ ثُمَّ [أَبَيْتُ كَذَلِكَ] ^(١) حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ
شَيْءٌ ، وَأَقْبَلِي مَعْقِلٌ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فَاسْتَحْسَنَهُ .
وَبَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ مَضَقَّةَ أَعْتَقِ الْأَسَارِي وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ أَنْ يَعْتَبُوهُ بِشَيْءٍ ،
فَقَالَ : مَا أَظُنُّ مَضَقَّةَ إِلَّا قَدْ تَحْمِلُ حَمَالَةً مَسْتَرُونَهُ عَنْ قَرِيبٍ مِنْهَا
مُبِلْدًا ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِحَمْلِ الْمَالِ أَوْ يَحْضُرُ عِنْدَهُ ، فَحَضَرَ عِنْدَهُ ، وَحَمَلَ مِنْ
الْمَالِ مِائَتِي أَلْفٍ .

قَالَ ذُهْلُ بْنُ الْحَارِثِ : فَاسْتَدْعَانِي مَضَقَّةَ لَيْلَةَ فَطَعَمْنَا ، ثُمَّ قَالَ :
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُنِي هَذَا الْمَالُ ^(٢) وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ مَا مَضَتْ جُمُعَةٌ حَتَّى تَحْمِلَهُ . فَقَالَ : « وَإِنَّهُ مَا كُنْتُ
لَأُحْمِلُهَا قَوْمِي ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ هُنْدَ ^(٣) مَا طَالَبَنِي بِهَا ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ
عَفَّانَ لَوَهَبَهَا لِي » . قَالَ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لَا يَرَى ذَلِكَ الرَّأْيَ ، لَا يَتْرَكَ
مِنْهَا شَيْئًا . فَهَرَبَ مَضَقَّةَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَلَحِقَ بِمَعَاوِيَةَ .

وَبَلَغَ عَلِيًّا ذَلِكَ فَقَالَ : مَا لَهُ أَقْرَحَهُ اللَّهُ ! فَعَلَّ فِعْلَ السَّيِّدِ وَفَرَّ فَرَارَ
الْعَبْدِ ، وَخَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِرِ : أَمَّا إِنَّهُ لَوْ أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زِدْنَا عَلَى دِينِهِ ^(٤) ،
فَإِنْ وَجَدْنَا ^(٥) لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُ » . ثُمَّ سَارَ عَلَى إِلَى دَارِهِ
فَهَدَمَهَا ، وَأَجَازَ عِتْقَ السَّبْيِ ، وَقَالَ : أَعْتَقْتُهُمْ مُبْتَاعَهُمْ وَصَارَتْ أَعْمَانُهُمْ
دَبْنًا عَلَى مُعْتَقَتِهِمْ .

(١) زيادة يؤخذ من ابن جرير ، وفي المخطوطة : « وَلِلَّهِ » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) ، وفي النسخة (ك) : « فَلَا » .

(٣) ابن هند : معاوية بن أبي سفيان .

(٤) كذا جاء في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « حَيْسَهُ » .

(٥) كذا جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « تَبَيَّنَا » .

وكان أخوه نعيم بن هُبَيْرَة شبيعة لعلّ ، فكتب إليه مَصْقَلَة من الشام مع رجل من نصاري تَغْلِب ، اسمه حُلْوَان يقول له : « إن معاوية قد وعدك الإمارة والكرامة ، فأقبل ساعة يلقاك رسولى والسلام [عليك] ^(١) » فأخذته مالك بن كعب الأرحبى فسرّحه إلى على رضى الله عنه ، فقطع على يده ، فمات . وكتب ^(٢) نعيم إلى أخيه يلومه على لحاقه بالشام ، ومافعله من هربه .. وأتاه ^(٣) التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداه لهم . وقال مَصْقَلَة :

لعمري لئن عاب أهل العراق على انتعاش بنى ناجية
لأعظم من عتقهم رقهم وكفى بعتقهم حالة ^(٤)
وزايدت فيهم لإطلاقهم وغاليت إن العلا غالية ^(٥)
وحيث ذكرنا من أخبار على ما قدمناه ، فلنذكر ماوقع في مدة خلافته خلاف ذلك على حكم السنين .

(١) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

(٢) انظر الشعر الذى كتبه نعيم إلى أخيه في تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٠٤ والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٧ .

(٣) أى أتى التغلبيون مصقلة ، لأنه الذى يمث التغلب فكان سببا في هلاكه .

(٤) كنا جله في النسخة (ن) ، وفى (ك) : « عالىه » .

(٥) كنا جله في النسخة (ن) ، وفى (ك) « وعاليت إن العلا عالىه » .

ذكر ما اتفق في مدة خلافته

رضى الله عنه

خلاف ما قدمنا ذكره على حكم السنين مما هو متعلق به خاصة ،
خلاف ما هو مختص بمعوية فإننا نذكره في أخباره إن شاء الله تعالى
سنة ست وثلاثين

ذكر ولاية قيس بن سعد مصر

وما كان بينه وبين معاوية من المكاتبه وما أشاء معاوية عنه
حتى عزله على رضى الله عنه عن مصر واستعمل محمد بن أبي بكر
الصديق رضى الله عنهما .

قال : وفي سنة ست وثلاثين في ثالث صفر بعد ، على رضى
الله عنه قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر ، وقال له : « سر
إلى مصر قد وليتكمها واخرج إلى رحلك ، واجمع إليك ثقاتك ومن
أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أربب لعدوك
وأعز لوليك ، وأحسن ^(١) إلى المحسن ، واشدد على المريب ، وارفق
بالعامة والخاصة ، فإن الرفق يُمّن » . فقال له قيس : « أما قولك أخرج
إليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند آتيتها به من المدينة لا أدخلها
أبداً ، فإننا أدع ذلك الجند لك ، فإن كنت احتجت إليهم كانوا قريباً
منك وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عُدّة » .

وخرج قيس حتى دخل مصر ^(٢) في سبعة من أصحابه كما ذكرنا
ذلك . ولما قدم صعد المنبر وجلس عليه ، وأمر بكتاب على رضى الله عنه
فقرئ على أهل مصر بإمارته عليهم ، ويأمرهم بمتابعته ومساعدته

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، وفي (ك) : « فحسن » .

(٢) في النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٦ أنه وصل إليها في مستهل شهر ربيع الأول

وإعانتته على الحق. ثم قام قيس فقال: « الحمد لله الذي جاء بالحق ، وأمات الباطل وكَبَت الظالمين ، أيُّها الناس : إنا قد بايعنا خيرَ من نعلم بعد نبينا ، فقوموا أيُّها الناس فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن نحن لم [نعمل] ^(١) لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم » . فقام الناس فبايعوه .

واستقامت مصر ، وبعث قيس عليها عُمَّالَه إلَّا قرية يقال لها خربتا ^(٢) فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان ، عليهم رجل من بني كِنانة ثم من بني مُذَلِّج اسمه يزيد بن الحارث . وكان مُسَلِّمَة بن مُخَلَّد أيضا قد أظهر الطلب بِدَم عثمان ، فأرسل إليه قيس : « ويحك ! أعلَى تَبِّب ؟ ! فوالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وأنى قتلتك » . نهبت إليه مُسَلِّمَة : « إني كاف عنك مادمت أنت والى مصر » . وبعث قيس إلى أهل خربتا إني لا أكرهكم على البيعة ، وإنى أكفُّ عنكم . فهاذهم وجبى الخراج ، ليس أحد ينازعه .

فكان قيس أنقل خلق الله على معاوية ، لقربه من الشام ومخافة أن يُقْبِل على أهل العراق ، وقيس في أهل مصر ، فيقع بينهما ، فكتب معاوية إلى قيس : « سلام ^(٣) عليكم ، أما بعد : » . فأنكم نَقَمَ ^(٤) على عثمان ضربة بسوط ، أو شتمة لرجل ، أو تسيير آخر ، أو استعمال فتى ، وقد علمت أن دمه لا يحل لكم ، فقد ركبتم عظيمًا

(١) كذا جاء عند الطبري ج ٣ ص ٥٥١ وابن الأثير ج ٣ ص ١٧٢ ، وجاء في المخطوطة : « تعلم » .

(٢) انظر في أوائل هذا الجزء في (ذكر تفريق على صاله) الكلام في هذا اللفظ وهل هو « خربتا » أو « خربت » ؟ .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، وعند ابن الأثير : « عليك » .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وفي النجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٩ ، فإنكم إن كنتم نَقَمَ .

وجئتم أمراً إذا ، فكتب إلى الله ياقيس ، فأتاك من المُجْلِبِينَ على عثمان ،
 فأما صاحبك ، فإذا استيقنَّا أنه أغرَى به الناس ، وحملهم حتى
 قتلوه ، وأنه لم يسلم من دمه عَظُمُ قومك ، فإن استطعتَ ياقيس
 أن تكون من يَطْلُبُ بدم عثمان فافعل ، وتابِعْنَا على أمرنا ، ولك
 سلطان العراقيين إذا ظهرتُ مابقيت ، ولمن أحببتَ من أهلك سلطان
 الحجاز ما دام لي سلطان ، وسَلِّني ماشئتَ فإني أعطيكه ، واكتب
 إلى برأيك .

فلما أتاه الكتاب أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره ، ولا يتعجل
 إلى حربه ، فكتب إليه : « أما بعد ، فقد [بلغني كتابك و] ^(١)
 فهمتُ ماذكرته [فيه ، فأما ماذكرتَ] ^(١) من قتل عثمان ، فذلك
 شيء لم أفارقه . وذكرت أن صاحبي هو الذي أغرَى به حتى قتلوه
 فهذا ما لم أطلع عليه ، وذكرت أن عَظُمُ عشيرتي لم تَسلم [من
 دم عثمان] ^(١) فأول الناس كان فيها قياما عشيرتي ، وأما ما عرضته
 من متابعتك فهذا أمر لي فيه نظر وفكرة ، وليس هذا مما يُسرَّع
 إليه ، وأنا كافٌ عنك ، وليس بأتيتك من قبلي ما تكرهه حتى ترى ونرى
 إن شاء الله تعالى .

فلما قرأ معاوية كتابه رآه مقاربا مباعدا ^(٢) ، فكتب إليه :
 « أما بعد ، فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدُّكِ سِلما ، ولا تتباعد
 فأعدُّكِ حَرْبا ، وليس مثلي يُصانِعُ المخادِعَ وينخدع للمكايد ومعه عَدَدُ
 الرجال وأَعنةُ الخيل ، والسلام .

(١) الزيادة من النجوم الزاهرة .

(٢) « فلم يأمن مكره ومكينته » كما في النجوم الزاهرة ..

فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا تنفذ معه المدافعة والمماثلة أظهر له مائى نفسه ، فكتب إليه : « أما بعد ، فالعجب من اغترارك بى وطمعك فى ، واستسقاطك رأى ، أتمسمنى الخروج من طاعة أوتى الناس بالإمارة ، وأقولهم بالحق ، وأهداهم سبيلا ، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة ، وتأمرنى بالدخول فى طاعتك ، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر ، وأقولهم بالزور ، وأضلهم سبيلا ، ولد ضالين مضلين ، طاغوت من طواغيت إبليس . وأما قولك : لى مائى عليك مصر خيلا ورجلا^(١) ، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون أهم إليك إنك لذو وجد^(٢) ، والسلام .

فلما رأى معاوية كتابه أيس منه ، وثقل عليه مكانه ، ولم تنجع حيله فيه فكاده ، من قبل على ، فقال لأهل الشام : لا تسبوا قيس بن معد ، ولا تدعوا إلى غزوه ، فإنه لنا شعبة ، تأئينا كتبه ورسله ونصيحته لنا سرا ، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل حربنا ، يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ، ويحسن إليهم . وافتعل كتابا^(٣) عن قيس بالطلب بدم عثمان : والدخول معه فى ذلك ، وقرأه على أهل الشام .

فتبلغ ذلك عليا فأعظمه وأكبره ، ودعا ابنه وعبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك ، فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، دع ما يربيك إلى

(١) فى النجوم الزاهرة : « وأما قولك : ملك أمة الخيل وأعداد الرجال » .

(٢) كذا جاء فى المخطوطة ، وجاء فى الكامل وغيره . « إنك للوجد » والجد : الحظ

(٣) انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٥٤ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٠١ .

إلى ما لا يريك^(١) اعزل قيسا عن مصر . فقال : والله إني لأصدق بهذا عنه . فقال عبد الله : اعزله ، فإن كان هذا حقلا يعتزل لك .

فبينما هم كذلك إذ جاء كتاب قيس يخبر بحال المعتزلين وكفه عن قتالهم ، فقال ابن جعفر : ما أخوفني أن يكون ذلك بملاة منه ، فمره بقتالهم ، فكتب إليه يأمره بقتالهم ، فأجابه : « أما بعد ، فقد عجبت لأمرك ! تأمرني بقتال قوم كافين عنك ، مُفرغيك لعدوك ومتى حاذذناهم ساعدوا عليك عتوك ، فأطعني يا أمير المؤمنين ، واكف عنهم ، فإن الرأي تركهم ، والسلام .

فلما قرأ الكتاب قال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، ابعث محمد ابن أبي بكر^(٢) على مصر واعزل قيسا . فبعث محمدا إلى مصر - وقيل : بعث الأشقر النخعي فمات بالطريق فبعث محمدا - فقدم محمد على قيس بمصر ، فقال له قيس : « ما بال أمير المؤمنين ؟ ما غيره ؟ أدخل أحد بني وبينه ؟ » قال : لا ، وهذا السلطان سلطانك . قال ، لا : والله لأقيم .

وخرج إلى المدينة وهو غضبان ، فأخافه مروان بن الحكم فخرج من المدينة هو وسهيل بن حنيف إلى علي رضي الله عنه فشهدا معه صفين ، فبعث معاوية إلى مروان يتغيط عليه ويقول له : لو أمددت علينا بمائة ألف مقاتل كان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه .

(١) دح مايريك إل مالا يريك - حديث رواه الترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل عن الحسن بن علي وأبي مالك وعبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٩ : « وكان ابن جعفر أخا محمد أبي بكر لأمه » .

ولما قدم قيس على عليّ وأخبره الخبر ، علم أنه كان يقاسى أمورا عظاما من المكاييد وعظم محلّ قيس عنده وأطاعه في الأمر كله .

قال . وأما محمد بن أبي بكر فإنه لما قدم مصر قرأ كتاب عليّ رضى الله عنه إلى أهل مصر عليهم ، ثم قام فقال : « الحمد لله الذي هدانا وإياكم لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، وبصرنا وإياكم كثيرا مما كان عَمِيَ عَنْهُ الْجَاهِلُونَ ، أَلَا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَآئِي أَمْرِكُمْ ، وعهد إني ماسمعتكم ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، فإن يكن ماترون من إمارتي وأعمالى طاعةً لله فأحمدوا الله على ما كان من ذلك ، فإنه هو الهادى له ، وإن رأيتم عادلاً بغير الحق فافرعوه إلى وعاتبوني فيه ، فإنى بذلك أسعد وأنتم جدبسون ، وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته » . ثم نزل .

فلم يلبث إلا شهرا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كانوا قد وادعهم قيس بن سعد ، فقال لهم : إمامان تدخلوا في طاعتنا وإمامان تخرجوا عن بلادنا . فأجابوه : إنا لا نفعل ، فدعنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرنا إليه ، ولا نَعْبَلْ بحربنا . فأبى عليهم ، فامتنعوا وأخلوا جذرهم ، وكانت وقعة صفيين وهم هائبون لمحمد ، فلما رجع عليّ ومعوية وصار الأمر إلى التحكيم طمعوا فيه ، وأظهروا له المبارزة ، فبعث محمد الحارث بن جهمان^(١) الجعفى إلى أهل خربنا فقاتلهم فقتلوه ، فبعث إليهم رجلا من كلب يدعى ابن مضاهم فقتلوه . ثم كان من خبر محمد بن أبي بكر ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) كذا جده في النسخة (ك) ، وفي (ن) : « جهانه مثل ابن جرير وابن الأثير .

وفي هذه السنة قدم أبراز مرزبان مرو إلى علي رضي الله عنه بعد الجمل
مقرا بالصلح ، فكتب له كتابا إلى دهاقين مرو والأساورة ومن بمرو ،
ثم إنهم كفروا وأغلقتوا نيسابور ، فبعث علي خُليد بن قُرّة - وقيل :
ابن طريف - البربوعي إلى خراسان .

معين التاريخ

وفيها مات حُذيفة بن اليمان قبل وقعة الجمل . لأهل التاريخ

وفيها مات سلمان الفارسي في قول بعضهم ، وكان عمره مائتين
وخمسين سنة هذا أقل ما قيل فيه ، وقيل : ثلاثمائة وخمسين
سنة ، وكان قد أدرك بعض أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام .
وفيها استعمل علي رضي الله عنه على الرئي يزيد بن حُجبة
التيمي (تيمم اللات) فكسر من خراجها ثلاثين ألفا ، فكتب
إليه علي يستدعيه ، فحضر فسأله عن المال ، وقال : أين ما غلّنته من
المال ؟ فقال : ما أخذت شيئا ؛ فخففه بالدرة خفقات وجسه ،
فوكّل به سعدا مولاه فهرب منه يريد الشام ، فسوغه معاوية المال ، فكان
ينال من علي ، وبقي بالشام إلى أن اجتمع الأمر لمعاوية ، فسار معه إلى
العراق فولّاه الرئي . وقيل : إنه شهد مع علي الجمل وصيفين والنهروان ،
ثم ولّاه بعد ذلك الرئي وهو الصحيح .

سنة سبع وثلاثين

فيها بعث علي رضي الله عنه جَعْدَة بن هُبيرة المخزومي إلى خراسان
بعد عودته من صيفين ، فأنتهى إلى نيسابور ، وقد كفروا وامتنعوا

فرجع إلى عليّ ، فبعث خُليد بن قرّة اليربوعي ، فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مَرَوْ .

وحجَّ بالناس في هذه السَّنة عُبيد الله بن عباس ^(١) رضي الله عنهما .

سنة ثمان وثلاثين

في هذه السَّنة ملك عمرو بن العاص مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر عليّ ما ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار معاوية .

ذكر خبر عبد الله بن الحضرمي

حين بعث معاوية إلى البصرة وما كان من أمره إلى أن قتل

وفي هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر بعث معاوية عبد الله ابن عمرو الحضرمي إلى البصرة ، وقال له : إنَّ جُلَّ أهلها يروُن رأينا في عثمان ، وقد قُتلوا في الطلب بدمه ، فهم لذلك حَنَقون يودُّون أن يأتيهم من يجمعهم ، وينهض بهم في الطلب بشأهم ودم إمامهم ، فانزل في مَضْرُو تودُّدٌ للأزد فإنهم كلُّهم معك ، وأدغ ربيعة فلن ينحرف عنك أحدٌ سواهم ، لأنهم تُرابيَّة ^(٢) كلُّهم وأحذرهم .

فسار ابن الحضرمي حتَّى قدم البصرة ، وكان ابن عباس قد خرج إلى علي بالكوفة ، واستخلف زياد ابن أبيه على البصرة ، فنزل ابن الحضرمي في بني تميم ، فأتاه العثمانية وحضره غيرهم ، فخطبهم وقال : « إن إمامكم إمام الهدى قُتِلَ مظلوما ، قتله عليّ فطلبتم بدمه ، فجزاكم الله خيرا » .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : « وكان حامل علي على اليمن » .

(٢) أي من شيعة « أب تراب » وتلك كنية علي رضي الله عنه .

فقام الضحاك بن قيس^(١) الهلالي وكان على شرطة ابن عباس فقال: قَبِّحَ اللَّهُ ما جئتنا به، وما تدعوننا إليه، وسَبِّهْ، وذكر فضل علي رضي الله عنه، .

فقال عبد الله بن خازم^(٢) السلمي للضحاك: اسكت، فليست بأهل أن تتكلم، ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال: نحن أنصارك ويدك، والقول قولك، اقرأ كتابك. فأخرج كتاب معاوية إليهم يذكروهم فيه آثار عثمان، ويدعوهم إلى الطلب بدمه، ويضمن أنه يعمل فيهم بالسنة، ويعطيهم عطاءين في كل سنة.

فلما فرغ من قراءته قام الأحنف، فقال: لاناقتي في هذا ولا جمل. واعتزل القوم.

وقام عمرو بن مرجوم^(٣) العبدي^(٤) فقال: أيها الناس، الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تنكثوا بيعتكم فنقع بكم الواقعة. وكان العباس بن صحرار العبدي مخالفا لقومه في حب علي، فقام وقال: لننصرنك بأيدينا وألسنتنا. فقال له المشي بن مخرية^(٥) العبدي: والله لئن لم ترجع إلى المكان الذي جئتنا منه لنجاهدك بأسيفنا ورماحنا، ولا يغرنك هذا الذي تكلم. (يخني ابن صحرار).

(١) كلا جاء في النسبة (ن) ، وفي (ك) : « فزه » .

(٢) بالغام المجبة والزاي ، كما نص عليه ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٨٣ .

(٣) بالغيم كما نص عليه صاحب الإمامية ، وجله في النسبة (ن) « مرجوم » .

وفي النسبة (ك) محروم .

(٤) من عبد القيس ، قال ابن سعد : قلم في وفد عبد القيس .

(٥) بضم الميم وفتح الهاء المجبة وكسر الراء المشددة وأخرب بالوحدة ، كما نص عليه ابن الأثير في الكامل .

فقال ابن الحضرمي لَصَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ : أنت نابٌ من أنياب العرب فانصرني . فقال : لو نزلت في داري لنصرتك .

فلما رأى زياد ذلك خاف ، فاستدعى حُضَيْنَ بْنَ الْمُنْذِرِ وَمَالِكَ بْنَ مِسْمَعٍ ، وقال : أنتم يا معشر بكر بن وائل أنصار أمير المؤمنين وثقاته ، وقد كان من ابن الحضرمي ما ترون ، وأنا من أئانه ، فامنعوني حتى يأتي [أمر] ^(١) أمير المؤمنين . فقال حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ : نعم . وقال مالك - وكان يميل إلى بني أمية - . هذا أمر لي فيه شركاء أستشير فيه وأنظر ^(١) .

فلما رأى زياد تفاؤل مالك أرسل إلى صَبْرَةَ بْنِ شَيْمَانَ الْحُدَّانِي الْأَزْدِيَّ يطلب أن يُجِيرَهُ وَبَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فقال : إن حملته إلى داري أجرتكما ، فنقله إلى داره بِالْحُدَّانِ ونقل المنبر ، فكان يُصَلِّيُ الْجُمُعَةَ بِمَسْجِدِ الْحُدَّانِ .

وكتب زياد إلى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْخَبَرِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَعْيَنَ ابْنَ ضُبَيْبَةَ الْمَجَاشِعِيَّ ثُمَّ التَّمِيمِيَّ ، لِيُفَرِّقَ قَوْمَهُ عَنِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَإِنْ امْتَنَعُوا قَاتِلْ بَيْنَ أَطَاعِهِ مِنْ عَصَاهُ ، وَكَتَبْ إِلَى زِيَادٍ يُعَلِّمُهُ ذَلِكَ . فقدم أَعْيَنُ فَأَتَى زِيَادًا فَتَنَزَلَ عَنْهُ ، وَجَمَعَ رَجَالًا وَأَتَى قَوْمَهُ ، وَنَهَضَ إِلَى ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَمِنْ مَعِهِ فِدَعَاهُمْ فَشْتَمَوْهُ ، وَوَأَقْفَهُمْ نَهَارًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ ، قِيلَ : إِنَّهُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَقِيلَ : وَضَعَهُمْ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى قَتْلِهِ ، فَقَتَلُوهُ غِيلَةً ، فَلَمَّا قُتِلَ أَعْيَنُ أَرَادَ زِيَادُ قِتَالَهُمْ ، فَأَرْسَلَتْ تَمِيمٌ إِلَى الْأَزْدِ : إِنَّا لَمْ نَتَعَرَّضْ لَجَارِكُمْ

فما تريدون إلى جارنا ؟ فكرهت الأزد قتالهم ، وقالوا : إن عرضوا لجارنا منعه .

وكتب زياد إلى علي يخبر أعين وقتله ، فأرسل على جارية بن قدامة السعدي وهو من بني سعد من تميم ، وبعث معه خمسين رجلا من تميم ، وقيل : خمسمائة رجل ، وكتب إلى زياد يأمره بمعوته والإشارة عليه .

فقدم جارية البصرة ، فحذره زياد ما أصاب أعين ، فقام جارية في الأزد وجزاهم خيرا ، وقال : عرفتم الحق إذ جهله غيركم . وقرأ كتاب علي إلى أهل البصرة يؤبئهم ويتهددهم ويعنفهم ويتوعددهم بالمسير إليهم والإيقاع بهم وقعة تكون وقعة الجمل عندها هبة . فقال صبرة ابن شيمان : سمعا لأمر المؤمنين وطاعة : نحن حرب لمن حاربه ، وسلم لمن سالمه . وصار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتاب علي رضي الله عنه ووعدهم ، فأجابهم أكثرهم .

فسار إلى ابن الحضرمي ومعه الأزد ومن تبعه من قومه ، وعلى خيل ابن الحضرمي عبد الله بن حازم السلمى ، فاقتتلوا ساعة ، وأقبل شريك ابن الأعور فصار مع جارية ، فانهزم ابن الحضرمي فتحصن بقصر سنبل ومعه ابن حازم ، [فأتته] ^(١) أمه عجل وكانت حبشية ، فأمرته بالنزول فأبى ، فقالت : والله لننزلن أو لأنزعن ثيابي . فنزل ونجا ، وأحرق جارية القصر بمن فيه ، فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلا منهم معه ، وعاد زياد إلى القصر .

(١) في الأصل : فأمر أمه عجل . . . الخ .

وما أثبتناه عن ابن الأثير .

قال وكان قصر سننبل لفارس وصار لسننبل السعدى ، وحوله خندق .
وكان فيمن احترق دراع بن يدر أخو حارثة بن بدر ، فقال عمرو بن
العرندس :

رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارُ تَعِيمٍ دُخَانًا ذَهَبُ
لَحَا اللَّهُ قَوْمًا شَوَوْا جَارَهُمْ وَلَمْ يَذْفَعُوا عَنْهُ حَرَّ اللَّهَبِ
وقال جرير (١) :

عَدَرْتُمْ بِالزُّبَيْرِ فَمَا وَفَيْتُمْ وَفَاءَ الْأَزْدِ إِذْ مَنَعُوا زِيَادًا
فَأَصْبَحَ جَارُهُمْ بِنَجَاةٍ عِزُّ وَجَارُ مُجَاشِعٍ أَمْسَى رَمَادًا
فَلَوْ عَاقَدْتُ حَبْلَ أَبِي سَعِيدٍ لَذَادَ الْقَوْمَ مَا حَمَلَ النَّجَادَا
وَأَذْنَى الْخَيْلِ مِنْ رَهْجِ الْمَنِيَا وَأَغْشَاهَا إِلَّا مَيْتَةً وَالصُّعَادَا (٢)

قال (٣) : وَحَجَّ بالناس في هذه السنة قُتُمُ بن العباس من قبل
على (٤) رضى الله عنهم .

سنة تسع وثلاثين

في هذه السنة بَثَّ معاوية سراياه في بلاد على رضى الله عنه ،
فكان من خبرهم ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخبار معاوية .
وفيها استعمل على رضى الله عنه زياد بن أبيه على كِرمَان وفارس
فضببطها بعد أن اضطربت أمورها (٥) .

(١) انظر ديوان جرير ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) الصما : الرواح ، والصمة - في الأصل - : القناة المستوية .

(٣) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٨٨

(٤) وكان قُتُمُ حلالا لعل على مكة ، كما قال ابن الأثير .

(٥) قال ابن الأثير : سبب ذلك أنه لما قتل ابن الحضرى واختلف الناس على حل ، طمع

أهل فارس وكرمان في كسر الخراج قطع أهل كل ناحية وأخرجوا عاملهم . الخ

وَحَجَّ بالناس في هذه السنة عُبيد الله بن عباس من قبل عليّ ، وقيل :
 قَتَمَ بن العباس ، وقيل : إن معاوية بعث يزيد بن شجرة الرهاويّ ليحجَّ
 [بالناس فاختلف هو وعبيد الله بن عباس ، ثم اتفقا على أن يحجَّ] ^(١)
 بالناس شَيْبَةَ بن عثمان فَحَجَّ . والله أعلم .

وفيها تَوَجَّه الحارث بن مُرَّة العبدى إلى بلاد السُّند غازيا متطوعا
 بأمر عليّ رضى الله عنه فغَمَّ وأصاب سببا كثيرا ، وقسم في يوم واحد ألف
 رأس وبقي غازيا إلى أن قُتِل بأرض القيقان هو ومن معه [إلا قليلا] ^(٢)
 في سنة اثنتين وأربعين .

سنة أربعين

في هذه السنة بعث معاوية بُسْرِبْنَ أرطاة إلى الحجاز واليَمَن ،
 ففعل من الأفعال القبيحة وسفك من الدماء المحرمة ما ذكره في أخبار
 معاوية .

وفيها جرت مهادنة بين عليّ ومعاوية بعد مكاتبات طويلة على وضع
 الحرب ، ويكون لعل العراق ولعواوية الشام لا يدخل أحدهما بلد الآخر
 بغارة ، واتفقا على ذلك .

وفيها فارق عبد الله بن عباس البصرة ولحق بمكة في قول أكثر
 أهل التاريخ ، وسبب ذلك أنه مر بأبي الأسود فقال له : « لو كنت
 من البهائم لكنت جَنَلًا ، ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى » .
 فكتب أبو الأسود إلى عليّ رضى الله عنه : « . . . إن ابن عمك قد أكل

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) وبها يظهر وجه الكلام ، وسقط من النسخة (ك)

(٢) الزيادة من ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ١٩١ .

ماتحت يده بغير علمك ، ولم يسعني كتمانك رحمك الله ، فانظر فيما هناك وكتب إلى برأيك فيما أحببت والسلام .

فكتب إليه علي : « أما بعد فمثلك من نصيح الإمام والأمة ، ووالى على الحق ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتُ إلى ، ولم أعلمه بكتابك فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب عليك والسلام .

وكتب إلى ابن عباس في ذلك ، فكتب إليه ابن عباس : « أما بعد فإن الذي بلغك باطل ، وإنى لما تحت يدي ضابط ، وله حافظ ، فلا تُصدّق الظنّين ^(١) والسلام . فكتب إليه علي : أما بعد ، فأعلمني ما أخذت من الجزية ، ومن أين أخذت ، وفيما وضعت .

فكتب إليه ابن عباس : « أما بعد ، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أني ^(٢) رزأته من أهل هذه البلاد ، فابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه والسلام .

واستدعى أخواله بنى هلال بن عامر ، فاجتمعت معه قيس كلها ، فحمل مالا وقال : هذه أرزاقنا اجتمعت ، فتبعه أهل البصرة ، فلحقوه بالطّف يريدون أخذ المال فقال قيس : والله لا يوصل إليّه وفيّنا عين تطرف . فقال صبرة بن شيمان الحدّاني : « يامعشر الأزد إن قيسا إخواننا وجيراننا وأعواننا على العدو ، وإن الذي يصيبكم من هذا المال القليل ، وهم لكم خير من المال . فأطاعوه ، فانصرفوا وانصرف معهم بكر وعبد القيس .. وقتلهم بنو تميم فنهاهم الأحنف ، فلم يسمعوا

(١) كذا جده في النسخة (ن) مثل الكامل ، وجاء في (ك) : « الضمين » .

(٢) رزاه ماله : أصاب منه شيئا .

منه ، فاعتزلهم ، وقاتلهم بنو تميم فحجز الناس بينهم .. ومضى ابن عباس إلى مكة المشرفة .

وقبل بل أقام بالبصرة إلى أيام الحسن - رضى الله عنه وأرضاه ، وشهد صلح الحسن ومعاوية .

والأول أصح ، والذي شهد الصلح عُبيد الله بن عباس .

ذكر مقتل علي بن أبي طالب

رضى الله عنه وشيء من سيرته

كان مقتله في شهر رمضان سنة أربعين ليلة الجمعة . قيل : لسبع عشرة ليلة خلت منه ، وقيل : لإحدى عشرة ليلة . وقيل : في شهر ربيع الآخر . والأول أصح .

وقاتله عبد الرحمن بن ملْجَم المرادى ثم التَّجَوِي^(١) ، وأصله من حنِيز ، ولم يختلفوا^(٢) في أنه حليف لمُرَاد ، وعداده فيهم .

وكان سبب قتله أن عبد الرحمن هذا ، والبرك بن عبد الله التَّمِيمِي الصَّرِيمِي واسمه الحجاج ، وعمرو بن بكر التَّمِيمِي السَّعْدِي وهم من الخوارج ، اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس ، وعابوا ولأنتهم ، ثم ذكروا أهل النهروان ، وقالوا : « ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟ فلو شَرَيْنَا نفوسنا ، وقتلنا أئمة الضلالة ، وأرحنا منهم البلاد ! » . فقال ابن ملْجَم : أنا أكفيكم عليا . وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية .

(١) في القاموس : تجوب : قبلة من حنيز . وانظر في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٦ سبب

التسمية .

(٢) هذا من كلام ابن عبد البر في الاستيعاب .

وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا على ذلك ، وسموا سيوفهم واتعدوا لسبع عشرة من رمضان ، وقصد كل منهم الجهة التي يريدونها .

فأما البرك بن عبد الله فإنه توجه إلى معاوية ، فلما خرج للصلاة ضربه بالسيف فوقع في آليته ، وأخذ فقتل . وقيل : لم يقتله وإنما قطع يده ورجله . وبعث معاوية إلى الساعدي ، وكان طبيبا ، فقال له : « اختر إما أن أحمل حديدة فأضعها موضع السيف ، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد » . فقال : « أما النار فلا صبر لي عليها ، وأما الولد ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرئ ولم يولد له بعدها .

وأما عمرو بن بكر - فإنه جلس لعمر بن العاص في تلك الليلة ، فما خرج لشكاية نالته في بطنه ، فأمر خارجة ابن حبيبة - وكان صاحب شرطته - أن يصلي بالناس ، فخرج ليصلي ، فشده عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص فقتله . فأتى به إلى عمرو فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو . قال ومن قتلته ؟ قالوا : خارجة . قال : أما والله ما ظننته غيرك . فقال : أردتني وأراد الله خارجة ؛ وقتله عمرو . هكذا نقل ابن الأثير في تاريخه الكامل ^(١) في هذه الواقعة في القاتل والمقتول .

وقال أبو عمر بن عبد البر^(١) : إن القاتل اسمه زاد وبه رجل من بنى العنبر بن عمرو بن نعيم ، قال وقيل : " مولى لبتى العنبر . وفى المقتول إنه خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد ابن عويج بن عدى بن كعب القرشى العدوى ، وأمه فاطمة بنت عمرو بن بجرة العدوية . وقال فى ترجمته : كان أحد فرسان قريش ، يقال : إنه كان يعدل بألف فارس ، قال : وذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر ليمده بثلاثة آلاف فارس ، فأمدّه بالزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وخارجة بن حذافة هذا ، وقال : إنه لما قُتِل وأدخل القاتل على عمرو فقال : من هذا الذى تدخلونى عليه ؟ فقالوا : عمرو بن العاص ، فقال : ومن قتلته ؟ قيل : خارجة ، فقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة ، وقيل : إن ذلك من كلام عمرو كما تقدم . وفى ذلك يقول عبد الجيد بن عبدون : وليتها إذ قُتِلَ عمراً بخارجة فذتُ عليا بمن شاعت من البشر وأما عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله تعالى آمين - فإنه أتى الكوفة واشترى سيفاً بألف ، وسقاه السم حتى لقطه ، وكان فى خلال ذلك يأتى علياً رضى الله عنه فيسأله فيعطيه ، ويستحمه فيحمه ، إلى أن وقعت عينه على قطّام بنت علقمة ، وهى تيمم الرباب ، وقيل هى منى بنى عجل بن لجيم ، وكانت قرى رأتى الخوارج ، وكان على قد قتل أباهما وإخوتها بالنهر وآن ، وكانت امرأة رائعة جميلة ، فأعجبه وأخذت بمجامع قلبه ، فخطبها ، فقالت : لقد آليت أن لا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواد . فقال : وما هو ؟ فقالت : ثلاثة آلاف

درهم وعبد وقينة وقتل على بن أبي طالب . فقال : « والله لقد قصدت لقتل على بن أبي طالب والفتك به ، وما أقدمنى إلى هذا المصر غير ذلك ، ولكنى لما رأيتك آثرت تزويجك » . فقالت : ليس إلا الذى آقلت لك . فقال لها : « وما يَغْذِيكَ أو يعينى ^(١) منك قتلُ على ؟ وأنا أعلم أنى إن قتله لم أقت » . فقالت : « إن قتله ونجوت فهو الذى أردت ، تبلغ شفاء نفسى ويهنيك العيش معى ، وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها » . فقال لها : لك ما اشتريته ففى ذلك يقول ابن مُلْجَم :

ثلاثة آلاف وعبدٌ وقينةٌ وضرب علىٌ بالحُسام المصَّم
فلا مهرٌ أغلى من علىٍّ وإن غلا ولا فتكٌ إلا دُونَ فتكِ ابنِ مُلْجَم
[وقد رويت هذه لغيره ، وأولها :] ^(٢)

فلم أر مهراً ساقه ذو سباحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
وقالت قطام له : إنى سألتمس لك من يشد ظهرك . فبعثت إلى ابن عم لها يدعى ورذان بن مجالد ، فأجابها .

ولقى ابن مُلْجَم شبيب بن بَجْرة الأشجعى فقال له : يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما هو ؟ قال : تساعدنى على قتل على بن أبي طالب ، فقال : « ثكلتك أمك ! لقد جئت شيئاً إداً ، كيف تقدر على ذلك ؟ » قال : « إنه رجل لا حرس له ، ويخرج إلى المسجد منفرداً دون من يحرسه ، فنكمن له فى المسجد ،

(١) كذا جاء فى المخطوطة : وجاء فى الاستيعاب ج ٣ ص ٥٨ والرياض النضر ج ٢ ص ٢٤٦ وما يفتنى وماذا يفتنى منك . يلفظ المعجمة فى الكلمتين .
(٢) ثبتت هذه الزيادة فى النسخة (ن) : ولم تثبت فى النسخة (ك) . وقد روى ابن جرير الأبيات الثلاثة لا ين مياس المراسى .

فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه ، فإن نجوتنا نجونا ، وإن قُتلنا سَعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة . فقال : « ويلك ! إنَّ علياً ذو سابقة في الإسلام وَفُضِّل ، والله ما تنشرح نفسى لقتله . » قال : « ويلك ! إنه حَكَمَ الرجال في دين الله ، وقَتَلَ إخواننا الصالحين ، فنقتله ببعض من قَتَلَ ، فلا تُشْكِن في دينك . » فأجابه ، وأقبلا حتى دخلا على قَطَام ، وهى معتكفة في المسجد الأعظم في قُبَّة ضربتها لنفسها ، فدعتُ لهم .

وأخذوا أسيافهم وجلسوا قُبالة السُّدَّة التى يخرج منها على رضى الله عنه ، فخرج إلى صلاة الصبح يوم الجمعة ، فبدره شبيب فضربه فأخطأه ، ووقع سيفه بعِضادة الباب ، وضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه ، وقال : الحَكَمَ اللهُ يا على لالك ولا لأصحابك . فقال على رضى الله عنه : فُزْتُ ورب الكعبة ! لا يفوتنكم الكلب ! .

وهرب شبيب خارجا من باب كِنْدَةَ ، فلحقه رجل من حَضْرَمَوْت يُقال له : عُوَيْمَر ، فصرعه ، وأخذ سيفه ، وجلس على صدره فصاح الناس : عليكم بصاحب السيف ، فخاف عويمر على نفسه فتركه ونجا ، فهرب شبيب في غمار الناس .

وهرب وَرْدَان إلى منزله ، فأتاه رجل من أهله ، فأخبره وَرْدَان بما كان ، فانصرف وجاء بسيفه وقتل وردان .

وأما ابن ملجم فإنه لما ضرب علياً حمل على الناس ، فأفروا له ، فتلقاه المغيرة بن الحَكَمَ بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب ، فرمى عليه قِطِيفَةً واحتمله وصرعه وقعد على صدره .

واختلفوا : هل ضربه في الصلاة ؟ أو قبل الدخول فيها ؟ وهل استخلف من أتم بهم الصلاة أو هو أتمها ؟ قال أبو عمر بن عبد^(١) البر : والأكثر أنه استخلف جَعْدَةَ^(٢) بن هُبَيْرَةَ ، فصلَّى بهم تلك الصلاة .

قال :^(٣) ثم قال على رضى الله عنه لأصحابه حين أخذوا ابن ملجم : احبسوه فإن ميتاً فاقتلوه ولا تمثلوا به ، وإن لم أمت فالأمر إلى في العفو أو القصاص .

وقيل^(٤) : إنه قال لهم : « النفس بالنفس » ، إن هلك فاقتلوه وإن بقيت رأيته فيه رأيي ، يابني عبد المطلب لا ألفتكم تحوضون لآدماء المسلمين ، يقولون : قتل أمير المؤمنين ، **إِلَّا لَا يُقْتَلَنَّ إِلَّا قَاتِلِي** . وأنت^(٥) أم كلثوم ابنة على رضى الله عنهما إلى ابن ملجم وهو مكتوف فقالت : « أى عدو الله ، إنه لا بأس على أبى ، والله مُخْزِيكَ » . قال : فعَلَى من نيكين ؟ والله لقد شريته بألف وسممته بألف ، ولو كانت الضربة بأهل مصر مابقى منهم أحد .

قال : ثم أوصى على رضى الله عنه أولاده بتقوى الله ، ولم ينطق إلا بقول « لا إله إلا الله » حتى مات رضى الله عنه وأرضاه .

روى^(٦) عن صُهَيْب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي

(١) في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٩ .

(٢) أم جملة هي أم هانئ أخت علي بن أبي طالب .

(٣) أبو عمر ابن عبد البر .

(٤) انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٦ .

(٥) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١١٢ والكامل .

(٦) انظر لهذه الرواية وما يملها الاستيعاب ج ٣ ص ٦٠ - ٦١ .

رضى الله عنه : من أشقى الأولين ؟ قال : الذى عقر الناقة . قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال ؟ لا أدري . قال : « الذى يضربك على هذا » يعنى يافوخه ، « فيخضب هذه » يعنى لحيته .

وعن ثعلبة الجُماني قال : سمعت على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه (يعنى لحيته) من دم هذا (يعنى رأسه) .

وروى النسائي من حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أشقى الناس الذى عقر الناقة والذى يضربك على هذا - ووضع يده على رأسه - حتى تخضب هذه ، (يعنى لحيته) .

وعن ابن سيرين عن عبيدة قال : كان على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن ملجم قال ^(١) :

أريد حياته ^(٢) ويريد قتلى عذيرك ^(٣) من خليلك من مراد

(١) قال على رضى الله عنه هذا البيت مثلاً به : وهو من قصيدة لمسروى ، معد يكره الزيندى قالها لابن أخته قيس بن مكشوح المرادى ، وكان بينهما تباعد وتنافس فكان مما قاله قيس :

فلو لا يقينى لأقبت قرناً وودعت الأحبة بالسلام
وما قاله مسروى بن معد يكره :

تمائى ليلقانى قيس ووددت وأينما منى وداوى
« قيس » تصغير « قيس » . ويروى « أبى » .

أريد حياته ويسريده قتل عذيرك من خليلك من مراد
ولو لا يقينى ومعنى سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد

وقوله (أريد حياته ويريد قتلى) مماثر التمثيل به وإدخاله فى الشعر : فقد تمثّل به عبيد الله بن زياد كما سيأتى وتمثّل به غيرهما .

(٢) هكذا جاء فى بعض الروايات : وجاء فى بعض الروايات « حياه » والجلد : العطية ، قال البغدادى فى خزنة الأدب ج ٤ ص ٢٨١ : « يقول : أريد نفعه وحياه مع إرادته قتل وتحميه موق فمن يذرو منه ؟ »

ويروى : أريد حياته .

(٣) فى خزنة الأدب : البيت من شواهد سيبويه : قال الأعلام : الشاهد به نصب عذيرك =

وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يقول : ما يمنع أشقاها - أو ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من دم هذا - ويشير إلى لحيته ورأسه - خِضَابَ دَمٍ لِاخِضَابِ عِطْرِ وَلَا عِيبٍ ؟ .

وروى عمر بن شبة عن أبي عاصم النبيل^(١) وموسى بن إسماعيل عن سُكَيْنَ بن عبد العزيز العبدى ، أنه سمع أباه يقول : جاء عبد الرحمن [بن ملجم]^(٢) يستحمل عليا فحمله ، ثم قال :

أريد حياته ويُرِيد قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ أَمَا إِنْ هَذَا قَاتِلِي : قِيلَ : فما يمنعك منه ؟ قال : إنه لم يقتلني بعد .

وَأَتَى عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : ابْنُ مُلْجَمٍ بِسُومِ سَيْفِهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ سَيْفَتِكَ بِهِ فَتَكَّةٌ يَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ : فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : لَمْ تَسْمُ سَيْفَكَ ؟ قَالَ لَعْدُوِي وَعَدُوُّكَ : فَخَلَّى عَنْهُ .

وفى كلام على رضى الله عنه يقول بكر بن حماد^(٣) :

وَهَزَّ عَلَى بِالْعَرَاقَيْنِ لِحْيَةً مصيبتها حلت على كلِّ مُسْلِمٍ
فَقَالَ : سَيَأْتِيهَا مِنَ اللَّهِ حَادِثٌ وَيَخْضِبُهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالدِّمِ
فَبَاكَرَهُ بِالسَّيْفِ شُلَّتْ بِمِئْنَةٍ لَشُومُ قَطَاةٍ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِ مُلْجَمٍ
فِيَا ضَرِبَةً مِنْ خَاسِرٍ ضَلَّ سَعْيُهُ تَبَوَّأَ مِنْهَا مَقْعَدًا فِي جَهَنَّمَ

= روضه موضع الفعل بدلًا منه ، والمعنى مات عذرك ، والتقدير : اعدوني منه طورا ، واختلف في العذير ، فتمم من جملة مصدرا بمعنى العذر ، وهو ملجم سيويه ، ومنهم من جملة بمعنى عاذر كليم وعامه . وانظر سيويه ومعه الأعلام في الكتاب ج ١ ص ١٣٩ .

(١) أبو عاصم النبيل : الضحاك بن مخلد في الضحاك الشيباني .

(٢) الزيادة من الاستيعاب ج ٣ ص ٦٠ حيث نقل المؤلف .

(٣) في الاستيعاب ج ٣ ص ٦٦ وفيها .

فقال أمير المؤمنين بحفظه وإن طرقت فيه الخطوب بمعظم
إلا إنما الدنيا بلاءٌ وفِتْنَةٌ حلاوتها شيبَت^(١) بِصَابٍ وَعَلَقَمَ

وحكى عن عثمان بن المغيرة قال : لما دخل رمضان ، كان على رضى
الله عنه يتعشى ليلة عند الحسن رضى الله عنه ، وليلة عند الحسين ،
وليلة عند ابن جعفر رضى الله عنهم ، لا يزيد على ثلاث لُقَمَ ، ثم
يقول رضى الله عنه : يأتينى أمر الله وأنا خَبِصُ^(٢) ، وإنما هى
ليلة أو ليلتان ، فلم يمض قليل حتى قتل .

وقال الحسن (٣) ابن كثير عن أبيه قال : خرج على رضى الله
عنه^(٤) من الفجر ، فأقبل الإوزَ يصحن فى وجهه ، فطردوهن
عنه ، فقال : فَرُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَائِحُ ، فضربه ابن ملجم فى ليلته .

وقال الحسن بن على رضى الله عنهما يوم قُتل على : خرجت البارحة
وأبى يصلى فى مسجد داره ، فقال لى : « بابنى إني بِتٌ أَوْقَظُ .
أهلى لَأَتَهَا ليلة الجمعة صبيحة بدر^(٥) » فملكتنى عيناي فنمت ،
فستَحَ^(٦) لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول
الله ماذا لقيتُ من أمتك من الأودِ واللدد^(٧) ، فقال لى : ادع
عليهم ، فقلت : اللهم أبدلنى بهم من هو خير منهم وأبدلهم بى من هو

(١) شيبَت : مزجت .

(٢) خبيص : جائع .

(٣) كلما جاء فى النسخة (ن) ، وفى الرياض النضرة : « الحسين بن كثير » ، وفى النسخة

(ك) : « الحسن بن كرب » .

(٤) فى الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٥ حيث ذكر هذا الحديث : « إل الفجر » .

(٥) ذكر ابن عبد البر فى آخر روايته لهذا الحديث فى الاستيعاب ج ٣ ص ٦٢ وذلك

فى صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان : صبيحة بدر .

(٦) ستَحَ : مرض .

(٧) جلفى هاشم النسخة (ك) : « الأود : العوج ، والدد : القسوة » .

شر مني ، فجاء ابن النُبَّاح ^(١) فأَذَنَّهُ بالصلاة فخرج ، وخرجت خلفه ، فضربه ابن ملجم فقتله .

وروى أبو عمر ابن عبد البر بسنده إلى عبد الله بن مالك قال :
جُمِعَ الْأَطْبَاءُ لَعَلَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ جُرْحٍ ، وَكَانَ أَبْصَرُهُم بِالطَّبِّ أَثِيرُ بْنُ
عَمْرِ السُّكُونِي ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَثِيرُ بْنُ عَمْرِيَا ، وَكَانَ صَاحِبَ
كِسْرَى يَنْتَضِبُّ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ صَحْرَاءُ أَثِيرٍ ^(٢) ، فَأَخَذَ
أَثِيرُ رِثَةً [شاة] ^(٣) حَارَّةً ^(٤) ، فَتَتَبَعَ عِرْقًا مِنْهَا فَاسْتَخْرَجَهُ فَأَدْخَلَهُ فِي
فِي جِرَاحَةٍ عَلَى ، ثُمَّ نَفَخَ الْعِرْقَ فَاسْتَخْرَجَهُ فَإِذَا عَلَيْهِ بَيَاضٌ دِمَاجٍ .
وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى أَمِّ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْهَدَ عَهْدُكَ
فِيَانِكَ مَيِّتٌ .

وفي ضربة ابن ملجم يقول عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ الْخَارِجِيُّ يَمْدَحُ ابْنَ
مُلْجَمٍ :

لِلَّهِ دَرُّ الْمُرَادِي الَّذِي سَفَكَتْ كَفَّاهُ مُهْجَةً شَرَّ الْخَلْقِ إِنْسَانًا
أَمْسَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بِضَرْبَتِهِ مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْآثَامِ عَرِيَانًا
يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقَى مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينَ فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا

(١) في الاستيعاب والرياض النضرة : ه ثم اتبه ، وجاءه مؤذنه بالصلاة ، واسم مؤذنه : عامر بن التياح .

(٢) بالكوفة .

(٣) الزيادة من الاستيعاب حيث نقل المؤلف ، ومن معجم البلدان لياقوت .

(٤) أي : حديدة اللبح .

فقال بكر بن حماد التاهرتي^(١) معارضاً له :

قل لابن مُلْجَمِ والأقدارُ غالبَةٌ هدمتَ ويحك للإسلام أركاننا
قتلتَ أفضلَ من يمشى على قدم وأولَ الناسِ إسلاماً وإيماناً
وأعلمَ الناسِ بالقرآنِ ثم بما سنَّ الرسولُ لنا شرعاً وتبياناً
صهرَ النبيِّ ومَولاهُ وناصره أضحت مناقبُه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغمِ الحُودِ له مكان هارونَ من موسى بنِ عمرانِ
وكان في الحربِ سيفاً صارماً ذكراً لبنا إذا تقى الأقرانُ أقراناً
ذكرتُ قاتلهُ والدَمِ مُنْخَدِراً فقلتُ: سبحانَ رَبِّ الناسِ سبحاناً
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى العادَ ولكن كان شيطاناً
أشقى مُرادٍ إذا عُدَّتْ قبائلُها وأخسرَ الناسَ عندَ الله ميزاناً
كما قرَّ الناقةُ الأولى التي جلبت على ثمودَ بأرضِ الحجرِ خُسراناً
قد كان يخبرهم أن سوف يَخْضِبُها قبلَ المنيَّةِ أزماناً فازماناً
فلا عفا الله عنه مات حمله ولا مَقَى قبرِ عمرانَ بنِ حِطَّانِ
لقوله في شقى ظل مُجْتَرِماً ونال ما ناله ظلماً وعدواناً :
« يا ضربةً من تقى ما أراد بها إلّا لِيبلغَ من ذِي العرشِ رِضواناً »
بل ضربة من غوى أوردته لَطَى فسوف يلقى بها الرحمنُ غَضباناً
كَأنه لم يُريدْ قِصداً بضربته إلّا لِيضلِّي عذابَ الخلدِ نيراناً

(١) التاهرتي : مشروب إلى « تاهرت » ، بفتح الهاء وسكون الراء ، مدينة ببلاد المغرب ، وكان أبوه عبد الرحمن بكري بن حماد من حفاظ الحديث بهذه المدينة ، وهو القائل :
ما أخشن البرد وريحانه وأطرف الشمس تهاوت |
تيلو من النيم إذا ما بدت كأنما يثشر من تحت
فحنن في بحر بلا لجة تجرى بنا الريح على ست
وأبياه التوتية التي ذكرها المؤلف مجعداً في الاستيعاب ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٣ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ١٩٩ .

وقالت أم الهيثم بنت العريان النخعية ، ومنهم من يروها
لأبي الأسود الدؤلي^(١) :

ألا يا عينُ ويحكِ أسعدينا ألا تبكي أمير المؤمنين
تبكي أم كلثوم عليه بعينها فقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا فلاقرت عيون الشامينا
أفى شهر الصيام فجئتمونا بخير الناس ضرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ودللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمبينا^(٢)
وكل مذاقب الخيرات فيه وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرهم حسبا ودينا
إذا استقبلت وجهه أنى تراب^(٣) رأيت البدر فوق الناظرينا
وكنّا قبل مقتله^(٤) بخير ترى مؤلى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ويعدل في العدا والأقربينا

(١) حيلة الاستيعاب ج ٢ ص ٦٦ حيث نقل المؤلف : « وقال أبو الأسود الدؤلي ، وأكثرهم يروها أم الهيثم بنت العريان النخعية » ، والشعر منسوب إل أبي الأسود في ديوانه ص ١٧٤ - ١٧٥ وفي إنباه الرواة ج ١ ص ١٩ والأغاني ج ١٢ ص ٣٢٩ بعد أن ذكر خطبة أبي الأسود إثر مقتل علي وأن معاوية كتب إليه ودس إليه رسولا يعلمه ويمنه فقال هذه الأبيات ، ونسبها أبو الفرج الأصبهاني نفسه في كتابه (مقابل الطالبيين) ص ٤٣ إل أم الهيثم بنت الأسود النخعية . وما ينظر إليه ذكر الهيثم بن الأسود بن العريان في البيان والتبيين ، وهو غثى ، قال صاحب الإصابة ج ٣ ص ٦٢١ يكنى « أبا العريان » .

(٢) المئين : القرآن ، وفيه إشارة إل الآية ١٠ من سورة الحجر .

(٣) في الاستيعاب « أبي حسين » .

(٤) كلما جله في النسخة (ن) والاستيعاب ، وفي النسخة (ك) : « موته » .

وليس بركاتهم علماً لدينه ولم يُخلَقْ من المتجبرين
 كأنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا نَعَامُ حَارٌّ فِي بَلَدٍ سِنِينَا
 فَلَاتَشَمَّتْ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَخْرٍ فَإِنَّ بَقِيَّةَ الْخُلَفَاءِ فِينَا

قال : ولما مات عليٌّ رضي الله عنه غسله ابناه الحسن والحسين
 وعبد الله بن جعفر ، وكُفِّنَ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ،
 وصُلِّيَ عَلَيْهِ ابنه الحسن ، وكَبُرَ سَبْعُ (١) تكبيرات .

قال : وَلَمَّا قُضِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى
 ابْنِ مُلْجَمٍ فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ : « هل لك في خصلة ؟ إلى
 واللَّهِ أُعْطِيتُ اللَّهُ عَهْدًا أَنْ لَا أُعَاهِدَ عَهْدًا إِلَّا وَفَيْتُ بِهِ ، وَإِنِّي عَاهَدْتُ
 اللَّهَ عِنْدَ الْحَظِيمِ أَنْ أَقْتُلَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُمَا ، فَإِنْ شِئْتَ
 خَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ عَلَيَّ إِن لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ قَتَلْتَهُ
 ثُمَّ بَقِيتَ أَنْ آتِيكَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِكَ » . فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :
 لَا وَاللَّهِ . ثُمَّ قَدَّمَهُ فَقَتَلَهُ ، فَأَخَذَهُ النَّاسُ فَأَدْرَجُوهُ فِي بَوَارِي (٢)
 وَحَرَّقُوهُ بِالنَّارِ .

واختلف في موضع قبر عليٍّ رضي الله عنه ، فقيل : دفن في قصر
 الإمارة بالكوفة ، وقيل : في رَحْبَةِ الكوفة ، وقيل : دفن بِنَجَفٍ

(١) كذا جاء في المخطوطة والكمال لابن الأثير ٣ ص ٩٧ ، وجاء في تاريخ ابن
 جرير ج ٤ ص ١١٤ : « تسع تكبيرات » ، وجاء في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٧
 « أربع تكبيرات » .

(٢) البوارى : جمع البورى وهو الحصى المنسوج من القصب .

الحيرة في موضع بطريق الحيرة ، وقيل : عند مسجد الجماعة ^(١) ، وقال الواقدي : دُفن ليلاً وأُخفى قبره .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وقيل : أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام ، وقيل : وثلاثة أيام ، وقيل : وأربعة عشر يوماً .

وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : خمساً وستين ، وقيل : تسعاً وخمسين ، والأول أصح .

وأما سيرته رضي الله عنه في خلافته فقد تقدم من فضائله ما قدّمناه في صدر هذا الفصل .

وكان من سيرته رضي الله عنه أنه يسير ^(٢) في الفئء بسيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في القسم ، وإذا ورد عليه مال لم يُبق منه شيئاً إلا قسمه ، ولا يترك في بيت المال إلا ما يُعجز عن قسمته في يومه ذلك ، ويقول : يادنيا عُرى غیری ، ولم يكن يستأثر من الفئء بشيء ، ولا يخص به حميماً ولا قريباً .

وروى أبو عمر ^(٣) بسنده إلى مُجمّع التميمي ^(٤) أن علياً رضي الله عنه قسم مائ بيت المال بين المسلمين ، ثم أمر به فكُنس ، ثم صُلّي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة ^(٥) .

(١) جاء في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ١١٧ : « ودفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة » .

(٢) انظر الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر ج ٣ ص ٤٧ .

(٣) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٩ وكذلك ما بهله .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الاستيعاب : « التميمي » .

(٥) وانظر الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٩ .

وبسنده إلى سُفيان عن عاصم بن كُليب عن أبيه قال : قدم على عليّ المال من أصبهان ، فقسمه سبعة أسباع ، ووجد فيه رغيفا فقسمه سبع كِسَر ، وجعل على كل جزء كِسرة ، ثم أقرع بينهم ؛ أيهم يُعطى أولا .

وعن مُعاذ ^(١) بن العلاء عن أبيه عن جده قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : ما أصبَتْ فيكم ^(٢) إلا هذه القَارُورَةُ أهداها إلى الدُهَقَان ، ثم نزل إلى بيت المال ففرق كُلَّ ما فيه ، ثم جعل يقول : أفلح من كانت له قوصره ^(٣) يأكل منها كل يوم ثَمَره ^(٤)

وعن عشرة الشيباني قال : كان علي رضي الله عنه يأخذ الجزية والخراج من أهل كل صناعة من صناعته وعمل يده ، حتى يأخذ من أهل الإبر والمسال والخيوط . والحبال ، ثم يقسمه بين الناس ، ولا يدع في بيت المال مالا يبيت فيه حتى يقسمه ، إلا أن يغلبه شغل ، فيصبح إليه وهو يقول . يا دُنْيا لا تُغْرِبِي وغرِّي غيري .

وكان ^(٥) رضي الله عنه لا يخصص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات ، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٦) ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ ^(٧) ﴿ وَلَا تَبْخُسُوا

(١) رواه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٩ .

(٢) في الاستيعاب : « من فيكم » .

(٣) قوصرة بشد الزاء وتحققف : وعاء للشر : وانظر اللسان .

(٤) ويروى : مره .

(٥) انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٤٧ .

(٦) من الآية في ٥٧ سورة يونس .

(٧) من الآية ١٥٢ في سورة الأنعام .

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴿١﴾ إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فاحفظ . بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك . ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول : اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك .

ومواعظه رضى الله عنه ووصاياه لعماله إذ كان يخرجهم إلى أعماله (٢) كثيرة مشهورة ، وقد قَدَّمنا منها في الباب الرابع ، من القسم الخامس ، من الفن الثاني ، من كتابنا هذا ، ماتقف عليه هناك ، وهو في السفر السادس من هذه النسخة (٣) .

قال أبو عمر بن عبد البر (٤) : قد ثبت عن الحسن بن علي رضى الله عنهما من وجوه أنه قال : لم يترك أبى إلا ثمانمائة درهم أو سبعمائة درهم فَصَلَّتْ من عطائه ، كان يعدّها لخدام يشتريها لأهله وأما نقشفه في لباسه ومطعمه ، فكان من ذلك على الغاية القصوى . روى (٥) عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : رأيت عليا رضى الله عنه خرج وعليه قميص غليظ . دارس ، إِذَا مَدَّكَهُ بَلَغَ إِلَى الظفر ، وَإِذَا أَرْسَلَهُ صار إلى نصف الساعد . وعن الحسن بن جرموز عن أبيه قال : رأيت علي بن أبي طالب رضى الله عنه يخرج من مسجد الكوفة وعليه قَطْرِيَّتَانِ ، مُؤْتَرَرًا بالواحدة مُرْتَدِّبًا بالأخرى ، وإزاره إلى نصف الساق ، وهو يطوف في الأسواق ، ومعه دِرَّةٌ يأمرهم بتقوى الله وصدق

(١) من الآيتين ٨٥ ، ٨٦ في سورة هود .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) ومقط من النسخة (ك) .

(٣) انظر ج ٦ ص ١٩ - ٢٢ من « نهاية الأرب » المطبوع .

(٤) في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٨ .

(٥) هنا وما بعده من الاستيعاب .

الحديث ، وحسن البيع ، والوفاء بالكيل والميزان . وعن [إسحاق بن] (١) كعب بن عُجرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على مخشوشن (٢) في ذات الله تعالى .

ذكر أزواج علي

رضي الله عنه وأولاده وكاتبه وقاضيه وحاجبه

أول زوجة تزوجها فاطمة (٣) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، ولدت له الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وقد قيل : إنها ولدت ابناً اسمه مُحْسِن توفى صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى . وتزوج بعدها أم البنين ابنة حرام (٤) الكلابية ، فولدت له العباس وجعفر وأبي عبد الله وعثمان ، قُتِلُوا مع الحسين بالطَّاف . وتزوج لَيْلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية ، فولدت عبيد الله وأباً بكر قتلا مع الحسين ، وقيل : إن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد .

(١) الزيادة من الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البرج ٣ ص ٥١ حيث نقل المؤلف ، لأن الصحابي الراوي للحديث هو كعب بن عجرة .

(٢) ذكر صاحب الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٥ رواية أبي عمر عن كعب بن عجرة ، وذكر قبلها رواية أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اشتكى الناس علياً يوماً ، فقام رسول الله عز وجل « أو قال : « في سبيل الله » ، ثم قال صاحب الرياض إنه لأعشن في ذات الله عز وجل « أو قال : « في سبيل الله » ، ثم قال صاحب الرياض في شرحه : الأعشن مثل العشن ، واخشوشن للمبالغة ، أي : اشتدت خشوته .

(٣) قال ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ١١٨ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٩ « لم يتزوج عليها حتى توفيت عنه » .

(٤) حرام : ذكره ابن حجر في بلبل الحاء والراء من القسم الثالث في الإصابة ج ١ ص ٣٧٥ فقال : حرام بن خالد بن ويعة بن الوحيد بن كلاب ... الفخ وقع في المخطوطة : « حرام » .

وتزوج أسماء بنت عميس الخثعمية ، فولدت له محمداً الأصغر ويحیی ، وقيل : إن محمداً لأم ولد ، وقيل : إنها ولدت عوناً .

وله من الصَّهْبَاء بنت ربيعة التغلبيّة - وهی من السَّبی الذین أغار علیهم خالد بن الولید بعین التمر فی خلافة أبی بکر - عُمَر ورقیة ، فَعَمَرُ عَمْرُ هذا حتّى بلغ خمساً وثمانین سنة ، وحاز نصف میراث علی رضی الله عنه ، ثم مات بینیع .

وتزوج علی رضی الله عنه أُمَامَة بنت أبی العاص بن الربیع ، وأُمَهَا زینب بنت النبی صلی الله علیه وسلم ، فولدت له محمداً الأوسط .
وله محمد الأكبر ، وهو ابن الحنفیة ، أُمُهُ خَوْلَة بنت جعفر ، من بنی حنیفة .

وتزوج أم سعید ابنة عروة بن مسعود فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى .

وكان له بنات من أمهات شتى ، وهُنَّ : أُمُ هَآءٍ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأميمة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجُمَانَة ونَفِيسَة ، وكلهن لأمهات أولاد .
وتزوج محببة^(١) ابنة امرئ القيس^(٢) بن عدي الكلبية ، فولدت له جارية هلكت صغيرة .

(١) « محبّة » كذا جاء عند الطبري في تاريخه ج ٤ ص ١١ وعنه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ١١٣ : ولم تنقط هذه الكلمة في النسخة (ن) ، ووضعت نقطة شاء في النسخة (ك) .

(٢) هو امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر الكلابي . كان أميراً عل من أسلم بالشام من قضاة في عهد عمر بن الخطاب ، وقد خطب إليه حينئذ عن إبنائه الحسن والحسين ، فزوجهم بثأته . فكانت سلمى زوجة الحسن . والرباب زوجة للحسين .

فجميع أولاد علي رضي الله عنه خمسة عشر ذكرا ، وهم : الحسن
والحسين ومُحَسِّن - علي خلاف فيه - والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان
وعُبيد الله وأبو بكر ومحمد بن الحنفية ومحمد الأوسط . ومحمد الأصغر
ويحيى وعَوْن وعمر ، النسل منهم للحسين والحسن [ومحمد بن الحنفية
والعباس بن الكلابية وعمر بن التغلبية] ^(١)

ومن البنات تسع عشرة ، وهن : زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى
ورقية وأم الحسن ورملة الكبرى وأم هانئ وميمونة وزينب الصغرى
ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأُمّامة وخديجة وأم الكرام
وأم سلمة وأم جعفر وجُمّانة ونفيسة وجارية ابنة الكلبيّة ،
وكان كاتبه عبد الله ^(٢) بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ إلى الله عليه
وسلم ، وكتب له سعد بن زِمْرَان الهَمْدَانِي .
قاضيه شُرَيْحُ بن الحارث .

صاحب شرطته معقل بن قيس الرياحي ، وقيل : سليمان بن
صُرْد الخزاعي .

حاجبه قُنْبَرُ مولاة ، وكان قبله بِشْر مولاة .

نقش خاتمه : الملك لله الواحد القهار .

وتقدم ذكر عمّاله . .

(١) كلما ثبت هؤلاء في النسخة (ن) ، كما ثبتوا في الكامل لابن الأثير ج ٣
ص ٢٠٠ ، وسقطوا من النسخة (ك) .

(٢) كلما جاء في المخطوطة : وجاء في الإصابة ج ٤ ص ٦٧ في أولاد أبي رافع
القبلي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عبيد الله » ، وجاء في الكامل لابن الأثير
ج ٣ ص ٢٠٠ « كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لملء حل
المال » .

ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهما

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ،
وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذكر إن شاء الله نبذة من فضائله وأخباره عند ذكرنا لوفاته ،
ونذكر في هذا الموضع ما يختص بالخلافة دون غيره .

ببيع له يوم وفاة أبيه في شهر رمضان سنة أربعين ، وأول
من بايعه قيس بن سعد بن عبادة ، وقال له : ابسط . يَدُكَ أبايعك على
كتاب الله وسنة رسوله وقتال المحلّين . فقال له الحسن : على كتاب
الله وسنة رسوله ، فإنهما بآتيان على كل شرط . فبايعه الناس ،
وكان الحسن يشرط عليهم : « إنكم سامعون مطيعون ، تسالمون
من سالت ، وتحاربون من حاربت » . فارتابوا بذلك وقالوا : ما هذا لكم
بصاحب وما يريد هذا إلا القتال .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لما ضربه ابن ملجم دخل
عليه جُنْدُب بن عبد الله فقال : « إن فقدناك - ولا نفقدك - أفنبايع
الحسن ؟ » فقال علي رضي الله عنه : « ما أمركم ولا أنهاكم ، أنتم
أبصر » . فلما مات بايعه الناس ، ولم تطل مُدَّتُهُ حَتَّى سَلَّمَ الأمر لمعاوية
ابن أبي سفيان رضي الله عنه ، لأسباب نذكرها إن شاء الله تعالى

ذكر تسليم الحسن بن علي الخلافة

إلى معاوية بن أبي سفيان

قال (١) : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت ، وتجهز لقصد الشام لقتال معاوية فقتل قبل ذلك .

فلما بايع الناس الحسن تجهز بهذا الجيش ، وسار من الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وذلك عند ما بلغه مسير معاوية إليه في أهل الشام .

ووصل الحسن إلى المدائن ، وجعل قيس بن سعد بن عُبادة على مقدمته في اثني عشر ألفاً ، وقيل : بل كان الحسن قد جمل على مقدمته عبيد الله (٢) بن عباس ، فجعل عبيد الله (٢) على مقدمته في الطلائع قيس بن سعد .

ووصل معاوية مسكين (٣) .

فلما نزل الحسن المدائن نادى مناد في العسكر : ألا إن قيس ابن سعد قُتل فانفروا . فنفروا . وأتوا سُرّادق الحسن ، وانتهبوا (٤)

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٣ . « عبيد الله » . وانظر ما سبق في فراق عبد الله بن عباس للبصرة .

(٣) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧ : « وذلك بموضع يقال له ميكن من أرض السواد بناحية الأنبار » . وسيأتى نقل المؤلف لذلك .

(٤) تبع المؤلف ابن جرير وابن الأثير في قصة الانتهاب ، وروي أبو الفرج الأسفهاني في مقاتل الطالبين ص ٦٣ أن الحسن لما نزل ساباط خطب خطبة قال فيها : « إنما تكثرهونه في الجماعة غير لكم ما تحبون في الفرقة » فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : ما تروته يريد بما قال ؟ وركبهم الظنون ، وثاروا ، فثعلوا على فسطاطه فانتهبوه ... الخ . وكذلك ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لبج البلاغة ج ٤ ص ١٠ .

مافيه ، حتى نازعوه بساطا كان تحته ، وأخذوا رداعه من ظهره ،
 ووثب عليه رجل من الخوارج من بني أسد يقال له ابن أقيصر (١)
 بخنجر مسموم قطعنه به في أليته ، ووثب الناس على الأسدى فقتلوه .
 فازداد لهم بغضا ومنهم دُغرا ، ودخل المقصورة البيضاء
 بالمدائن (٢) ، وكان الأمير على المدائن بسعد بن مسعود الثقفى ،
 عم المختار بن أبى عبيد ، فقال له المختار وهو شاب : هل لك فى
 الغنى والشرف ؟ قال : وماذا ؟ قال : تستوثق (٣) من الحسن وتشتأمن
 به إلى معاوية . فقال له عمه : « عليك لعنة الله ! أثب على ابن بنت
 رسول الله وأوثقه ؟ بشس الرجل أنت ! »

فلما رأى الحسن رضى الله عنه [تفرق الناس عنه] (٤) كتب
 إلى معاوية وشرط شروطا ، وقال : إن أعطيتنى هذا فأنا سامع مطيع ،
 عليك أن تقي لي به . وقال لأخيه الحسين وعبد الله ابن جعفر : إبنى
 قد أرسلت إلى معاوية فى الصلح . فقال له الحسين : أنشدك الله
 أن لا تصدق أخذوثة معاوية وتكذب أخذوثة أبيك ! فقال له الحسن :
 اسكت أنا أعلم بالأمر منك .

(١) كذا جاء فى المخطوطة : وجاء فى مقاتل الطالبين ص ٦٤ : فقام إليه رجل
 من بني أسد من بني نصر بن قعين يقال له « الجراح بن سنان » فلما مر فى مظلم ساباط
 قام إليه فأخذ بلبام بقلته ويده ممول : ثم طمته ، فوشت الطمعة فى فخذة ... الخ ، ويشبه
 ما جاء فى جبهة أنساب العرب ص ١٨٤ حيث ذكر ابن حزم بنى نصر بن قعين بن الحارث
 بن ثعلبة بن دودان بن أسد ومنهم « جراح بن سنان الذى وجأ الحسن بن عل رضى الله
 عنه بالخنجر فى مظلم ساباط » .

(٢) وأقام عند أميرها يعالج نفسه .

(٣) كذا جاء فى المخطوطة مثل الكامل لابن الأثير ، وفى تاريخ ابن جرير :
 « وثق الحسن » .

(٤) ثبتت هذه العبارة فى النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك)

فلما انتهَى كتاب الحسن إلى معاوية^١ أمسكه ، وكان قد أرسل عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن مسرة بن جندب إلى الحسن قبل وصول الكتاب إليه ، ومعهما صحيفة ، بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه : أن اشترط. في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ماشئت فهو لك . فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط. أضعاف الشروط. التي سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده .

فلما سلم الحسن رضى الله عنه الأمر لمعاوية ، طلب الحسن أن يعطيه الشروط التي اشترطها في الصحيفة [التي ختم عليها معاوية] ^(١) فأبى ذلك ، وقال : قد أعطيتك ما كتبت تطلب .

قال : ولما اصطلحا قام الحسن رضى الله عنه في أهل العراق فقال : « يا أهل العراق إنه سخطى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى وطعنكم إياى وانتهابكم متاعى ... »

قال : وكان الذى طلب الحسن من معاوية أن يعطيه مائ بيت مال الكوفة (ومبلغه خمسة آلاف ألف . وقيل : سبعة آلاف ألف) وخراج دار بجرّد (من فارس) وأن لا يُشتم على^٢ . فلم يُجبه إلى الكفّ عن شتم على^٣ . فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع ، فأجابه إلى ذلك ، ثم لم يَفِ له به أيضا . فأما خراج دار بجرّد فإن أهل البصرة منعه منه وقالوا : هوفيتنا ، لا نعطيه أحد . وقيل : كان منعهم بأمر معاوية أيضا . وقيل : إن معاوية أجرى على الحسن رضى الله عنه بعد ذلك في كل سنة ألف ألف درهم .

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) مثل الكامل : وسقطت من النسخة (ك) .

وتسلم معاوية الأمر لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين . وقيل : في شهر ربيع الآخر . وقيل : في جمادى الأولى في النصف منه .

وقيل : إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية ؛ لأنه لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إنا والله ما نسينا عن أهل الشام شك ولا ندم ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر ، فشيببت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع ، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دُنْيَاكُمْ ، وأصبحتم اليوم ودُنْيَاكُمْ أمام دينكم ، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين : قتيل بصفيين تكون له ، وقتيل بالنهروان تطلبون ثأره ، وأما الباقي فخاذل ، وأما الباكي ففائر ، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصف ، فإذا أردتم الموت ردّذناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بقطب السيوف ، فإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا » . فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية ، فأمضى ^(١) الصلح .

فلما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال : « أيها الناس ، إنما نحن أمراؤكم وضيغانكم ، ونحن أهل بيت نبيكم عليه الصلاة والسلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » وكرر ذلك حتى مابقى في المجلس إلا من بكى حتى سُمع نَشِيجه ، وأرسل إلى معاوية وسلم إليه الأمر .

فكانت خلافة الحسن على قول من يقول [« سلم الأمر في ربيع

(١) في الكامل ج ٢ ص ٢٠٤ « وأمضى الصلح » .

الأول « خمسة أشهر ونصف شهر ، وعلى قول من يقول « في ربيع الآخر »
سته أشهر وأياما ، وعلى قول من يقول ^(١) [« في جمادى الأولى »
سبعة أشهر وأياما .

وحكى أبو عمر بن عبد البر ^(٢) رحمه الله أن الحسن رضى الله عنه
لما [قُتِلَ أبوه ببيعة أكثر من أربعين ألفا ، كلهم قد كانوا بايعوا أباه
عليًا قبل موته على الموت ، ثم ^(٣)] خرج لقتال معاوية وخرج معاوية
لقتاله ، فلما تَرَافَى الجَمْعَانِ - وذلك بموضع يقال له مُسَكِّن من أرض
السواد بناحية الأنبار - علم أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب
أكثر الأخرى ، فكتب إلى معاوية أنه يصير الأمر إليه ، على أن يشترط .
عليه أن لا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء مما
كان في أيام أبيه ، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحاً إلا أنه قال : أما عشرة
أنفس فلا أوّمنهم : فراجع الحسن فيهم ، فكتب إليه يقول : إني
آلَيْتُ أُنَى مَتَى ظفرت بَقَيْسِ بن سعد أن أقطع لسانه ويده . فراجع
الحسن : أُنَى لا أبابك أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيره بَتَبَعَةٍ قُلْتُ
أو كُثُرْتُ ، فبعث إليه معاوية حينئذ برقٌ أبيض وقال : اكتب
ما شئت فيه وأنا ألتزمه . فاصطلحا على ذلك ، واشترط . عليه الحسن
رضى الله عنه : أن يكون له الأمر من بعده ، فالتزم ذلك كُلُّهُ معاوية ،
فقال له عمرو بن العاص : إنه قد انقلَّ ^(٤) حُدُومُ وانكسرتُ

(١) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) مثل الكامل ، وسقطت من النسخة (ك)

(٢) في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٣) الزيادة من الاستيعاب

(٤) انقل : انظم وانكسر ، والحد : اليأس والقنوط .

شوكتهم . فقال له معاوية : « أما علمت أنه قد بايع عليا أربعون ألفا على الموت ؟ فوالله لا يقتلون حتى يقتل أعدادهم من أهل الشام ، والله ما في العيش خيراً بعد ذلك » . فاصطلحا على ما ذكرناه .

وكان الحسن رضى الله عنه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »^(١) قال : ولما بايع الحسن معاوية كان أصحاب الحسن يقولون له : يا عاز المؤمنين . فيقول : العار خير من النار .

وروى أبو عمر بسنده^(٢) إلى أبي الغريف^(٣) قال : كنا في مقدمة الحسن بن علي رضى الله عنهما على اثني عشر ألفاً بمسكين مستميتين ، تقطر أسيافنا من الجِدِّ^(٤) والحرص على قتال أهل الشام ، وعلينا أبو العرطه^(٥) ، فلما جاءنا صلح الحسن كأنما كُسرَ ظهورنا من الغيظ والحزن ، فلما جاء الحسن رضى الله عنه الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عامر سيفان بن ليلي ، فقال : السلام عليك يا مِلِّ المؤمنين . فقال : « لا تنقل هذا يا أبا عامر ، فإني لم أذل المؤمنين ، ولكنني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك » .

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه - رقم ٣٥٠٠ - عن أبي بكره سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح ... الخ ، انظر شرح الكرماني ج ١٥ ص ٢١ ورواه أيضاً الترمذي وغيره .

(٢) في الانساب ج ١ ص ٣٧٢ .

(٣) أبو الغريف : هو حيد الله بن خليفة الهمداني .

(٤) كذا جاء « الجِد » في النسخة (ك) بالميم : وجاء في (ن) « الحد » بالخاء .

(٥) في جهرة أنساب العرب ص ٤٠٦ : « أبو العرطه صير بن يزيد بن عمرو

ابن شراحيل بن التمان بن المنذر بن مالك بن ديمة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مريع ، شيمي ، قاتل مع حبر بن علي - وول ابنه الحسين بن أبي العرطه شرطة الحجاج » .

قال أبو عمر : ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياة ، لا غير ، ثم تكون له من بعده ، وعلى ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك الوقت ، ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها ، وإن كان عند نفسه أحق بها .

قال (١) : ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس ، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن بن علي فيخطب الناس ، فكره ذلك معاوية وقال : لا حاجة لنا بذلك : فقال عمرو : « ولكني أريد ذلك ليبذلوا للناس عيئه ، فإنه لا يدري هذه الأمور ما هي » ولم يزل بمعاوية حتى أمر (٢) الحسن رضي الله عنه أن يخطب ، وقال له : يا حسن قم فكلّم الناس فيما جرى بيننا . فقام الحسن رضي الله عنه فتشهد وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال في بديته : أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ اللَّهَ هَدَاكُمْ بِأَوْلِيَانَا وَحَقَّنَ دِمَاءَكُمْ بِآخِرِنَا ، وَإِنَّ لِهَذَا الْأَمْرِ مَدَّةً ، وَالدُّنْيَا دُولٌ : وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَإِنْ أَذْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ . إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَذْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٣) . فلما قالها ، قال له معاوية : اجلس . ثم قام معاوية فخطب الناس ، ثم قال لعمرو : هذه من رأيك .

ومن رواية (٤) عن الشعبي أن الحسن خطب فقال : « الحمد لله

(١) أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب يستدعيه ابن شهاب ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٥٢ ومقاتل الطالبين ص ٧٢ والكمال لابن الأثير

ج ٣ ص ٢٠٤ .

(٣) من الآيات ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ في سورة الأنبياء .

(٤) في الاستيعاب ج ١ ص ٢٧٤

الذى هذا بنا أولكم وحقن بنا دماء آخركم ، ألا إن أكئيس الكئيس
التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا
ومعاوية إما أن يكون أحق به منى ، وإما أن يكون حقى فتركته لله
تعالى وإصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم .
ثم التفت إلى معاوية فقال : ﴿ وَإِنْ أَذْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى
حِينٍ ﴾ . ثم نزل ، فقال معاوية لعمره : ما أردت إلا هذا . وحقدها
معاوية على عمرو .

ولحق الحسن رضى الله عنه بالمدينة ، بأهل بيته وحشمه ،
والناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة .

والحسن رضى الله عنه آخر الخلفاء حقيقة ، لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « الخلافة ثلاثون ثم تكون ملكا وملوكا » (١)
فكانت هذه المدة من خلافة أبى بكر رضى الله عنه وإلى آخر أيام الحسن .
ولم يزل الحسن رضى الله عنه مقبلا بالمدينة إلى أن مات على
ما نذكره إن شاء الله فى حوادث سنة تسع وأربعين .

وحيث ذكرنا الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، وذكرنا أخبار
من مات أو استشهد من العشرة ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى أثناء أخبار الخلفاء ، فلنصل هذا الباب بذكر من بقى من العشرة ،
وهما : سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد ، ليكمل عدة العشرة فى هذا
الباب ، وإن كانت وفاتهما فى غير أيام الخلفاء .

(١) الحديث الذى رواه أحمد وغيره : « الخلافة بمعنى فى أمى ثلاثون سنة ، ثم
ملك بعد ذلك » وفى رواية : « ثم يكون ملكا بعد ذلك » ، وجاء فى النهاية ثم « يكون ملك
عضوض » بفتح العين ، أى يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، ثم جاءت فيها رواية أخرى : « ثم
يكون ملوك عضوض » بضم العين جمع عصف وهو الخبيث الشرس .

ذكر أخبار سعد بن أبي وقاص ووفاته

رضى الله عنه

هو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري . كان رضى الله عنه سابع سبعة في الإسلام ، أسلم بعد ستة ، وهو ابن نسع عشرة سنة .

وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأحد الستة الذين جعل عمر رضى الله عنه الشورى فيهم ، وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو عنهم راضٍ . وكان رضى الله عنه مُجاب الدعوة مشهوراً بذلك ، تُخاف دعوته وتُرَجى لاشتهار إجابتها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : « اللهم سدّد سهمه وأجب دعوته (١) » .

وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وذلك في سرية عبدة ابن الحارث ، وقد تقدم ذكره في السيرة النبوية في الغزوات والسرايا (٢) . وجمع رسول الله عليه الصلاة والسلام له بين أبيه في قوله صلى الله عليه وسلم « ارم فداك أبى وأُمى » ولم يقل ذلك إلا له وللزبير بن العوام . وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش (٣) ، وهو الذى كُوف

(١) وروى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك . »
 (٢) جاء في نهاية الأرب المطبوع ج ١٧ ص ٢ : « ذكر سرية عبدة بن الحارث ابن المطلب إلى بطن رابغ ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال على رأس ثمانية أشهر من هاجره في ستين رجلاً من المهاجرين . . . » ثم جاء في الصفحة التالية : « فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ، ولم يسلطوا للقتال ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله »
 (٣) زاد أبو عمر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤١ : « الذين كانوا يحرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغاليزه » .

الكوفة ونفى الأعاجم وتولى قتال الفرس ^(١) كما تقدم ذكر ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكان أميراً على الكوفة ، قشكاه أهلها ورموه بالباطل ، فدعا على الذي واجهه بالكذب دَعْوَةً ظهرت إجابته فيها .

ولما جعله عمر بن الخطاب في أصحاب الثورى قال : إن وليها سعد فذاك وإلا فليستعن به الوالى فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة .

وكلمه ابنه عمر بن سعد أن يدعوا لنفسه بعد مقتل عثمان فإني .

وكان رضي الله عنه ممن لزم بيته وقعد في الفتنة ، وأمر أهله أن لا

يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام ، فطمع معاوية فيه وفي عبيد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة ، فكتب

إليهم ^(٢) يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ، ويقول لهم إنهم

لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك ، وقال : إن قاتله وخاذله

سواء ، في نشر ونظم كتب به إليهم ، فأجابه كل واحد منهم يرد

عليه ما جاء به من ذلك ، ويُنكر عليه مقاتله ، ويعرفه أنه ليس

بأهل لما يطلبه ، وكان في جواب سعد :

مُعَاوِيَ دَاوُكُ الدَّاءِ الْعِيَاءُ وَلَيْسَ بِنَا تَجِيءُ بِهِ دَوَاءُ

أَيْدَعُوْنِي أَبُو حَسَنٍ عَلِيٌّ فَلَمْ أَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَشَاءُ

وَقُلْتُ لَهُ أَعْطِنِي سَيْفًا قَصِيرًا تُمَازُ بِهِ الْعِدَاوَةُ وَالْوَلَاءُ

(١) عبارة أبي عمر : « وتولى قتال فارس ، أمره عمر بن الخطاب على ذلك ، ففتح الله

على يديه أكثر فارس ، وله كان فتح القاصية وغيرها » .

(٢) انظر شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة ج ١ ص ٢٦٠ .

فَإِنَّ الشَّرَّ أَصْغَرُهُ كَبِيرٌ وَإِنَّ الظُّهْرَ مُنْقَلَبُهُ ^(١) الدَّمَاءُ
 أَتَطْمَعُ فِي الَّذِي أَغْيَا عَلَيَا عَلَى مَا قَدْ طَمَعْتَ بِهِ الْعَقَاءُ !
 لِيَوْمٍ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا أَنْتَ لِلْمَرْءِ الْفَيْدَاءُ
 وَأَمَّا أَمْرُ عُثْمَانَ فَدَعْنَاهُ فَإِنَّ الرُّأْيَ أَذْهَبَهُ الْبَلَاءُ
 وَكَانَتْ وَفَاةُ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَصْرِهِ بِالْعَقِيقِ ، عَلَى عَشْرَةِ
 أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَحُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رِقَابِ الرِّجَالِ ، وَدُفِنَ بِالْبُقْعِ
 وَصَلَّى عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَاخْتُلِفَ فِي وَقْتِ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ الْوَاقِدِيُّ :
 تَوَفَّى فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ ، وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَمِثْلَيْ سَنَةٍ ، وَقَالَ
 أَبُو نَعِيمٍ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ وَالْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ
 وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْغَلَّاسُ : تَوَفَّى فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ
 وَمِثْلَيْ سَنَةٍ ، وَذَكَرَ أَبُو زُرْعَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَوَفَّى وَهُوَ
 ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا بِخَلْقٍ جُبَّةَ لَهُ مِنْ صُوفٍ ،
 فَقَالَ : كَفَّنُونِي فِيهَا فَإِنِّي كُنْتُ لَقَبْتُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ [وَهِيَ
 عَلَى] ^(٢) وَإِنَّمَا كُنْتُ أَنْجَبُهَا لِهَذَا الْيَوْمِ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

ذَكَرَ أَخْبَارَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَوَفَاتِهِ

هُوَ أَبُو الْأَعْمُورِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ
 رِيَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْظٍ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ
 ابْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ الْعَلَوِيِّ . وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ بَعْجَةَ بْنِ مُلَيْحِ الْخَزَاعِيَّةِ .

(١) كَذَا جَدُّ فِي الْمَطْلُوعَةِ ، وَفِي الْإِسْتِثْبَاتِ ح ٢ ص ٢٥ وَتَحْقِيقُهُ .

(٢) ثَبَتَ هَذِهِ الْبَلَاءَةُ فِي السُّنَنِ (٥) مِثْلَ الْإِسْتِثْبَاتِ ، وَسَقَطَتْ مِنْ (ك) .

وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصهره ، كانت تحته فاطمة ابنة الخطاب أخت عمر ، وكانت أخته عاتكة بنت زيد تحت عمر .

وكان سعيد رضى الله عنه من المهاجرين الأولين ، قديم الإسلام^(١) لم يشهد بذرًا ، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسبه وأجره ، وقد قدمنا ذكر ذلك في غزوة بدر^(٢) ، وشهد ما بعد بدر من المشاهد ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

وكان أبوه زيد بن عمرو يطلب دين الحنيفية - دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام - قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يذبح للأنصاب ، ولا يأكل مما ذبح لها ، ولا يأكل الميتة ولا الدم ، وخرج في الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل ، فعرضت عليهما اليهود دينهم فتهود ورقة ، ثم لقيًا النصراني فترك ورقة اليهودية وتنصر ، وأبى زيد أن يأتي شيئاً من ذلك ، وقال : ما هذا إلا كدين قومنا تُشركون ويُشركون ، ولكنكم عندكم من الله ذكر ولا ذكر عندهم . فقال له راجع : إنك تطلب ديناً ما هو على الأرض اليوم . قال وما هو ؟ قال : دين إبراهيم عليه السلام .

(١) في الاستيعاب ج ٢ ص ٢ والإصابة ج ٢ ص ٤٦ والرياض النيرة ج ٢ ص ٣٠٢
أن إسلامه كان قديماً قبل عمر بن الخطاب وكان إسلام عمر عنه في بيته .

(٢) تقدم في نهاية الأرب ج ١٧ ص ٢٦ أن طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل كانا قد بشما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام فيحسان له خير البر ، فقدمنا بعد غزوة بدر ، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ، قالا : يا رسول الله ، وأجرنا . قال : وأجركما . وكذلك جاء في ذكر مقتل طلحة من هذا الخبر .

قال : وما كان عليه إبراهيم ؟ قال : كان يعبد الله لا يشرك به شيئا ،
ويصلي إلى الكعبة . فكان زيد على ذلك حتى مات . .

ومن رواية أخرى قال : خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان
الدين حتى مرّا بالشام ، فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فقبل له : إن
الذي تطلب أمانة ، فانطلق حتى أتى الموصل فإذا هو براهب فقال :
من أين أقبل صاحب الرحلة ؟ قال من بيت إبراهيم . قال : ما تطلب ؟
قال : الدين . قال : فعرض عليه النصرانية ، فقال : لا حاجة لي فيها ،
وأني أن يقبل ، فقال : إن الذي تطلب سيظهر بأرضك . فأقبل
وهو يقول :

لبيك حقا حقا . تعبدا ورقا .

[وقال : (١)] .

مهما تجشعني فإني جاشع . عذت بما عاذ به إبراهيم .
قال : وأني سعيد بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله إن زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له . قال عليه
الصلوة والسلام : « نعم ، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » فاستغفر له .
قال أبو عمر : وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد أقطع
سعيد بن زيد أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها إلى أن مات ، وسكنها
من بعده من بنيهِ الأسود بن سعيد .

وكانت وفاة (٢) سعيد في سنة خمسين أو ستة وإحدى وخمسين ،
وهو ابن بضعة وسبعين سنة رضى الله عنه وأرضاه .

(١) (١) الزيادة من الاستيعاب ج ٢ ص ٤٠٠ حيث نقل المؤلف هذه الرواية كما نقل مابقتها .

(٢) (٢) توفي بأرض بالمعيق ، وحمل إلى المدينة ودفن بها .

الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الدولة الأموية

أول من ملك من ملوك هذه الدولة معاوية بن أبي سفيان ، هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، يجتمع نسبه ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف بن قصي .

وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

ولي معاوية دمشق عادلاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، في سنة ثمانى عشرة ^(١) كما ذكرنا ذلك في خلافة عمر ، [وأقام بقية أيام عمر] ^(٢) وأيام عثمان بن عفان رضى الله عنهما بكمالها إلى أن قُتل . فلما بُويع على رضى الله عنه امتنع من مبايعته ، وكان بينهما من الحروب ما ذكرناه في خلافة علي .

وَسُلِّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمَارَةِ ^(٣) بعد اجتماع الحكمين في سنة سبع

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص ٣ ص ٢٩٥ : « ولاء عمر على الشام بعد موت أخيه يزيد » ثم ذكر أن ذلك كان في سنة تسع عشرة .

(٢) ثبتت هذه الجملة في النسخة (ب) وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) المعروف أنه صار أميراً على الشام بحمله عليه السلام خليفة هناك ، قال أبو عمر في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٨ : « كان أميراً بالشام نحو عشرين سنة وخليفة مثل ذلك » وأما بعد اجتماع الحكمين فقد سلم عليه أصحابه وأهل الشام خاصة بالولاية ، قال ابن جرير الطبري في تاريخه ص ٢٧ بعد اجتماع الحكمين ج ٤ ص ٥٢ : « ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالولاية » . وسيصرح المؤلف بهذا في (ذكر ملك عمرو ابن العاص مصر) .

وثلاثين ، وببيع له بعد وفاة علي رضي الله عنه في ذي الحجة سنة أربعين
ببيت المقدس ، قاله أبو بشر التولاي^(١) رحمه الله عليه ، ثم ببيع
له البيعة العامة بالكوفة بعد أن خلص له الأمر وتسلمه من الحسن بن
علي رضي الله عنهما ، على ماتقدم ، في سنة إحدى وأربعين ، في
شهر ربيع الأول لخمس بقين منه [وقيل : في ربيع الآخر]^(٢) .
وقيل : جمادى الأولى . .

ولنبدا من أخباره بما كان منها في خلافة علي رضي الله عنه ، مما لم
نذكره هناك ، ثم نذكر من أخباره بعد أن خلص له الأمر ، فنبدأ
هناك بما وقع في أيامه من الغزوات والفتوحات ، ثم نذكر أخبار الخوارج
عليه ، ثم حوادث السنين خلاف ذلك على نحو ما قدمناه في أخبار
غيره ، إن شاء الله تعالى .

ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية وصلحه معه

كان عمرو بن العاص قد فارق المدينة وقدم إلى فلسطين في آخر
أيام عثمان ، فأقام هناك حتى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ،
وقد ذكرنا في خلافة عثمان سبب خروج عمرو ، فلما أتاه الخير بقتل
عثمان قال : « أنا أبو عبد الله ، أنا قتلته وأنا بوادي السبع »^(٣)

(١) هو محمد بن أحمد بن حنبل بن شاذان الرازي التولاي . ولعل بعض أجلاء
نسب إلى عمل التولاب الذي يستق به الله ، وهناك بعض الموانع يسمى « التولاب »
فهل سب أبو بشر إليه مع كونه من الرى ؟

(٢) ثبت هذه الجملة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) السبع يسكون الياء وقصها ، قال ياقوت : السبع : ناحية في فلسطين بين
بيت المقدس والكرك ، فيه سبع آبار ، سى الموضع يملك ، وكان ملكا لعمرو بن العاص ،
أقام به لما امتزل الناس ، وأكثر الناس يروى هذا الموضع يفتح الياء .

إن يل هذا الأمر طلحة فهو فتى العرب سيبا ، وإن بله ابن أبي طالب .
فهو أكره من يليه إلى ! .

فأتاه الخبر ببينة على ، فاشتد عليه ، فأقام ينتظر ما يصنع الناس ،
فأتاه خبر مسير عائشة وطلحة والزبير ، فأقام ينتظر ما يرضعون ،
فأتاه خبر وقعة الجمل ، فأرتج عليه .

فسمع أن معاوية امتنع من بيعة على رضى الله عنه وأنه يعظم شأن
عثمان ، فدعا ابنه^(١) ، فاستشارهما ، وقال : « ما تريان ؟
أما على فلا خير عنده ، وهو يدل بسابقته ، وهو غير مشركى فى أمره » .
فقال له ابنه عبد الله : « يا أبت ، توفى النبو صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر وعمر وهم عنك راضون ، فأرى أن تكف يدك وتجلس فى
بيتك حتى يجتمع الناس » . وقال له محمد : « يا أبت ، أنت نأب^(٢)
من أنياب العرب ، ولا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه
صوت »^(٣) . فقال عمرو : « أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى
فى دينى ، وأما أنت يا محمد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى وشر لى فى
آخرى » .

ثم خرج ومعه ابنه حتى قدم على معاوية (وقيل : إنه ارتحل من
فلسطين وهو يبكى كما تبكى المرأة ، ويقول : واعثماناه ! أتبعى الحياء
والدين ، حتى قدم دمشق) فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم

(١) فى الكامل لابن الأثير - حيث نقل المؤلف - ج ٣ ص ١٤١ : « فقام
ابنه عبد الله : ومعه » وقد ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ج ٣ ص ٣٤٦ قول الواقدي :
محمد بن عمرو بن العاص شهد صفين وقايل فيها ولم يقايل أخوه عبد الله : وقال الزبير مثل ذلك .
(٢) النأب : سيد الغوم . وفى الإصابة ج ٣ ص ٢٨١ : أنت فارس أليات العرب .
(٣) كذا جاء فى المطبوعة والكامل لابن الأثير : وجاء فى الإصابة : « ذكر »

عثمان . فقال لهم : أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم . ومعاوية لا يلتفت إليه ، فقال له ابنه : ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إليك ، انصرف إلى غيره ، فدخل عليه فقال : « وَاللَّهِ لَعَجَبٌ لَكَ أَنَّى أَرَفَدَكَ بِمَا أَرَفَدَكَ وَأَنْتَ مُعْرِضٌ عَنِّي ، إِنْ قَاتَلْنَا مَعَكَ نَطْلُبُ بَدْمَ الْخَلِيفَةِ إِنْ فِي النَّفْسِ مَا فِيهَا ، حَيْثُ تَقَاتِلُ مَنْ نَعْلَمُ سَابِقَتَهُ وَفَضْلَهُ وَقَرَابَتَهُ ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَرَدْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا . فَصَالِحُهُ مَعَاوِيَةَ وَعُطِفَ عَلَيْهِ وَاقْتَدَى بِآرَائِهِ ، وَشَهِدَ عَمْرُو مَعَهُ صَفِينٍ ، وَحَكَّمَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُ مَا تَقْدُمُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . »

ذكر مقتل محمد بن أبي حذيفة

وشىء من أخباره

كان أبوه حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتل يوم اليمامة وترك ابنه محمدا هذا ، فكفله عثمان وأحسن تربيته . وكان فيما قيل قد أصاب شرابا فحده عثمان ، ثم تَنَسَّكَ بعد ذلك وأقبل على العبادة .

وطلب من عثمان أن يُؤَكِّبَهُ عملا فقال له : لو كنت أهلا لذلك لولَّيتك ، فقال له : إني قد رَغِبْتُ ^(١) في غَزْوِ الْبَحْرِ فَأَذْنُ لِي فِي إِيْتَانِ مِصْرَ . فَأَذْنُ لَهُ وَجَهْرُهُ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا رَأَى النَّاسَ عِبَادَتَهُ فَلَزَمُوهُ وَعَظَّمُوهُ . وَغَزَا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ غَزْوَةَ الصَّوَارِي ^(٢) ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ

(١) كذا جاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٥ ، ولم يبين الكلمة في (ن) ، وجاء في (ك) : « ركب » .

(٢) غزوة الصواري أو « ذات الصواري » كان سببها أن المسلمين لما انتصروا في إفريقية خرج الروم في جمع كبير ، وخرج المسلمون للدفاع والجهاد ، وكان عليهم في هذه الحرب البحرية عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، جاء في التاجم الزاهرة ج ١ ص ٨٠ ، ٩١ « ثم غزا في البحر من ناحية الإسكندرية ، فلقية قسطنطين بن هرقل في ألف مركب ، وقيل : = »

يعيب ابن سعد ، ويعيب عثمان بتوليته^(١) ، ويقول : استعمل رجلا
أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه .

وكتب عبد الله ، إلى عثمان : إن محمدا قد أفسد على البلاد هو
ومحمد بن أبي بكر .

فكتب عثمان رضى الله عنه إليه : أما ابن أبي بكر فإنه يوهب
لأبيه ولعائشة ، وأما ابن أوى حليفة فإنه ابنى وابن أخى وتربيتى
وهو فرخ قريش .

فكتب إليه : إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن
بطير .

فبعث عثمان إلى ابن أبي حليفة ثلاثين ألف درهم ومحملا عليه
كسوة . فوضعهما محمد فى المسجد وقال : يا معشر المسلمين ألا ترون
إلى عثمان يخادعنى عن دبنى ويرشونى ، عليه . فازداد أهل مصر تعظيما له
وطعنا على عثمان ، وبأيعوه على رئاستهم .

فكتب إليه عثمان يذكره برّه به وتربيته إياه وقيامه بشأنه ،
ويقول له : كفرت إحسانى أحوج ما كنت إلى شكرك . فلم يردّه
ذلك عن ذمّه وتأليب الناس عليه ، وحثهم إلى المسير إلى حصره
ومساعدة من يريد ذلك .

= فى سببها ، والمسلمون فى مائتى مركب ، وتقاتلا ، فانتصر أمير مصر عبد الله وهزم الروم ،
وانما سميت غزوة ذات الصوارى لكثرة صوارى المركب واجتماعها . ويقال : إنها سميت
بذات الصوارى لأن هذا الاسم كان لإقليم يجلب منه قداماء المصريين الخشب لبناء سفنهم . وقد أحضرت
الجمهورية العربية المتحدة فى اختيارها ذكرى هذه المعركة البحرية فى احتفالها بيوم البحرية .
(١) كان أول ما تكلم به محمد بن أبى حليفة ومحمد بن أبى بكر فى حق عثمان فى
غزوة الصوارى .

فلما سار المصريون إلى عثمان أقام هو بمصر ، وخرج عنها عبد الله ابن سعد بن أبي سرح ، فاستوثق عليها وضبطها ولم يزل مقيماً بها حتى قُتل عثمان وبُويع على رضى الله عنه ، واتفق معاوية وعمر بن العاص [على خلاف على] ^(١) ففسار عمرو بن العاص إليه وقتله .

وقد اختلف في قتله ، فمن المؤرخين من قال : إن عمرو بن العاص سار إلى مصر هو ومعاوية قبل مقدم قيس بن سعد إليها ، وأرادا دخول مصر فلم يقدرا على ذلك ، فخدعا محمداً حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها ، فنصبها عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتل . وهذا القول ليس بشيء يُعتمد عليه ، وهو بعيد جداً ، لأن على بن أبي طالب استعمل قيس بن سعد على مصر أول ما بويع ، ولو كان قتل محمد بن أبي حذيفة [قبل وصول قيس بن سعد إلى مصر] ^(٢) لاستوثق معاوية على مصر ، ولا خلاف أن استيلاء معاوية على مصر كان بعد صيفين ، وإنما ذكرنا هذا القول لتبيين بطلانه ، وقد علّله بعض المؤرخين بنحو هذا التعليل ، واستدل على بطلانه ^(٣) .

وقد قيل غير ذلك : وهو أن محمد بن أبي حذيفة سير المصريين إلى عثمان ، فلما حضروه ^(٤) أخرج محمد عبد الله بن سعيد بن أبي سرح عن مصر وهو عامل عثمان [واستولى] ^(٥) عليها ، فنزل عبد الله على تخوم مصر وانتظر أمد عثمان ، فطلع عليه راكب ، فسمّاه ،

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥ حيث نقل المؤلف .

(٢) ثبتت هذه العبارة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) انظر ابن الأثير في تاريخه الكامل ج ٣ ص ١٣٥ .

(٤) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ١٣٦ : و حضروه .

(٥) الزيادة من الكامل .

فأخبره بقتل عثمان وببينة على رضى الله عنه ، فاسترجع ، وأخبره بولاية قيس بن سعد على مصر ، وأنه قادم بعده فقال عبد الله : « أَبْعَدَ اللَّهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حذيفة ! فإنه بنى على ابن عمه وسعى عليه ، وقد كَفَلَهُ ورِيَّاهُ وأَحْسَنَ إليه ، فأساء جواره ، وجهَّزَ إليه الرجال ، حتَّى قُتِلَ ، ثم ولي على ^(١) من هو أبعد منه ومن عثمان ، ولم يُمتعه بسلطان بلاده شهرا ولم يره لذلك أهلا . » وخرج عبد الله هاربا حتَّى قَدِمَ على معاوية ^(٢) .

وقيل : إن عمرو بن بن العاص سار إلى مصر بعد صفين ، فلقه محمد بن أبي حذيفة في جيش كثير ، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه فاجتمعا ، فقال له عمرو : « إنه قد كان ماترى ، وقد بايعت هذا الرجل - يعنى معاوية - وما أنا راض بكثير من أمره ، وإنى لأعلم أنَّ صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقَدَمًا ، وأولى بهذا الأمر ، فواعِدْنِي موعدا ألتقى معك فيه في غير جيش ، تأتى في مائة وآتى في مثلها ، وليس معنا إلا السيوف في القُرْب » . فتعاهدا وتعاقدا على ذلك واتَّعَدَا العريش ، ورجع عمرو إلى معاوية فأخبره الخبر ، فلما جاء الأجل سار كل واحد منهما في مائة ، وجعل عمرو جيشا خلفه ، فلما التَقِيَا بالعريش ، قدم جيش عمرو [على أثره] ^(٣) فعلم محمد أنه قد غدر به ، فدخل قصرا بالعريش فتحصن به ، وحصره عمرو ، ورماه بالمنجنيق حتَّى أخذ أسيرا ، فبعث به إلى معاوية فسجنه ، وكانت

(١) كذا جاء في النسخة (ن) : وجاء في النسخة (ك) : « عليه » .

(٢) عقب ابن الأثير في الكامل هذا بقوله : « وهذا القول يدل على أن قيسا ولي مصر

ومحمد بن أبي حذيفة حى ، وهو الصحيح ... »

(٣) الزيادة من الكامل لابن الأثير .

ابنة^(١) قرظة امرأة معاوية ابنة بن محمد عمة أبي حذيفة ، أمها فاطمة بنت عتبة ، فكانت تصنع له طعاما ترسله إليه ، فأرسلت إليه يوما في الطعام مَبَارِدَ ، فَبَرَدَ بها قِيودَه ، وهرب ، فاختنفى في غار ، فأُخذ وقُتل .

وقيل : إنه بقى محبوباً إلى أن قُتل حُجْر بن عَدَى ، ثم هرب فطلبه مالك بن هبيرة السَّكُونِي ، فظفر به فقتله غضباً لحُجْر ، وكان مالك قد شفع إلى معاوية في حجر فلم يُشفعه .

وقيل : إن محمد بن أبي حذيفة - لما قتل محمد بن أبي بكر - خرج في جَمْع كبير على عمرو ، فأمنه عمرو ، ثم غدر به ، وحمله إلى معاوية ، فحبسه ، ثم إنه هرب ، فأظهر معاوية للاس أنه كره هربه ، وأمر بطلبه فسار في طلبه عبيد الله بن عمر^(٢) بن ظلام الخُثَمِي فَأَدْرَكَه بِحُورَان في غار ، وجاءت حُمُر تدخل الغار ، فلما رأت محمداً نفرت منه ، وكان هناك ناس يحصدون ، فقالوا : والله إن لنفرة هذه الحُمُر لثأناً ، فذهبوا إلى الغار فرأوه ، وخرجوا من عنده ، فوافقهم عبيد الله فسألهم عنه ووصفه لهم ، فقالوا : هو في الغار ، فأخرجه ، وكره أن يأتى به معاوية فيخل سبيله ، فضرب عنقه . والله أعلم .

(١) هي فاختة ابنة قرظة .

(٢) عند ابن جرير وابن الأثير : عمرو .

ذكر ملك عمرو بن العاص مصر

ومقتل محمد بن أبي بكر ووفاة الأشر و ما يتصل بذلك

قد ذكرنا في أخبار على رضى الله عنه استعماله محمد بن أبي بكر على مصر ، وما كان بينه وبين أهل خربنا^(١) وقتلهم ابن مضافهم ، ثم خرج معاوية بن حذيج السكوني ، ودعا إلى الطالب بدم عثمان فأجابته ناس وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ ذلك عليا ، فاستدعى الأشر ، وكان قد توجه إلى نصيبين بعد صفين ، فحضر إليه فأخبره خبير أهل مصر ، وقال له : « ليس لها غيرك ، فأخرج إليها ، فإني لو لم أوصك اكتفيت برأيك ، فاستعن بالله ، واخطأ الشدة باللين ، وارفق ما كان الرفق أبلغ ، وتشدد حين لا يغني إلا الشدة »

فخرج الأشر إلى مصر ، فبلغ معاوية ذلك ، فعظم عليه ، وكان قد طمع في مصر ، فعلم أن الأشر إن قدمها كان عليه أشد من محمد بن أبي بكر رضى الله عنه ، فبعث معاوية إلى المقدم على أهل الخراج بالقلزم وهو الجابستار^(٢) وقال له : إن الأشر وقد ولي مصر فإن كفيئتيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت وبقيت . فخرج الجابستار حتى أتى القلزم وأقام به .

وخرج الأشر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول ، فنزل عنده ، فأتاه بطعام فأكل وأتاه بشربة من عسل قد جعل فيه سما فسقاه إياه ، فلما شربها مات .

(١) انظر ما سبق في « خربنا » .

(٢) كذا جاء في المخطوطة ، وجهه في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٧١ « الجابستار » .

وأقبل معاوية يقول لأهل الشام : إن علياً قد وجه الأشر إلى مصر فادعوا الله عليه فكانوا يدعون عليه ^(١) .

وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشر ، فقام معاوية خطيباً ، ثم قال : أما بعد ، فإنه كانت لعل يمينان ، قطعت إحداهما يوم صفين - يعنى عمار بن ياسر - ، وقطعت الأخرى اليوم - يعنى الأشر - .

فلما بلغ ذلك علياً قال : لِلْيَدِينِ وَلِلْفَمِ ^(٢) ! [وكان ثقل عليه لأشياء نُقلت عنه ، وقيل : إنه لما بلغه قتله] ^(٣) استرجع ^(٤) وقال : « مالِك ! وما مالِك ؟ وهو موجود مثل ذلك ؟ لو كان من حديد لكان قيئداً ، أو من حجر لكان صليداً ، على مثله فلتبكِ البواكى ! » ^(٥) . ثم كتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره على عمله ، وأوصاه . وقيل : إنه إنما ولي الأشر بعد قتل محمد بن أبي بكر .

قال : ولما كان من الحكمين ما كان ، وباع أهل الشام معاوية بالخلافة ، لم يكن له هم إلا مصر ، وكان يهاب أهلها [لقرئهم منه و] ^(٦) لشدهم وما كان من رأيهم في عثمان ، وكان يرجو أنه إذا ظهر ^(٧) عليها ظهر على حرب على رضى الله عنه لعظم خراجها ، فدعا

(١) ذكر ابن جرير وابن الأثير أنهم كانوا يدعون الله عليه كل يوم .

(٢) هذه كلمة يقال للرجل إذا دعى عليه بالسوء ، منناه : كبر الله لوجهه ، أى غر إلى الأرض على يديه وفيه .

(٣) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٨ .

(٤) استرجع : قال « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٥) قال ابن الأثير في الكامل عقب هذا : « وهذا أصح : لأنه لو كان كارها

له لم يوله مصر » .

(٦) الزيادة من الكامل .

(٧) ظهر : غلب .

معاوية عمرو بن العاص ، وحبيب بن أبي مسلمة ، ويثزر بن أرتاه ،
والضحّاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد ، وأبا الأعور والسلمي ،
وشُرَيْبيل بن السمُط الكندي ، فقال لهم : أَتَذَرُون لِمَ جمعتمكم ؟
فإنّ جمعتمكم لأمر لي مهمّ . فقالوا : لم يُطلع الله على الغيب أحدا ، ولم
نعلم ما تريد .

فقال عمرو بن العاص : لتسألنا عن رأينا في مصر ، فإن كنت
جمعتمنا لذلك ، فاعزم واصبر ، فنعم الرأي رأيت في افتتاحها ،
فإن فيه عزّك وعزّ أصحابك ، وكُتِبَ عدوك ، وذلك أهل الشقاق عليك .
فقال معاوية : أهّمك يا بن العاص ما أهّمك . وذلك أن عمرا صالح
معاوية على قتال على رضى الله عنه على أن له مصر طُغمة ما بقى .

وأقبل معاوية على أصحابه وقال : أصاب أبو عبد الله ، فما ترون ؟
قالوا : مانررى إلّا ما رأى عمرو .

ثم كتب معاوية إلى مسلمة ابن مخلد ومعاوية بن حُذَيْج السكوني
- وكانا قد خالفا عليا - يشكرهما على ذلك ، ويحثهما على الطلب
بدم عثمان ، ويعدّهما المواساة في سلطانه . وبعثه مع مولاه سُبَيْع .

فلما وقفا عليه أجاب مسلمة بن مخلد الأنصارى عن نفسه وعن ابن
حُذَيْج : « أما بعدُ ، فإن الأمر الذى بذلنا له أنفسنا ، واتبعنا
أمر الله نرجو به ثواب ربنا ، والنصر على من خالفنا ، وتعجيل
الثَّغمة على من سعى على إمامنا ، وأما ما ذكرت من المواساة في سلطانتك ،
فبإلله إن ذلك أمر ماله تهضنا ، ولا إياه أردنا ، فعجل علينا^(١) بخيلك

(١) كذا جاء في المخطوطة وتاريخ ابن جرير الطبرى ، وجاء في الكامل : « إلينا » .

ورجالك ، فإنَّ عدونا قد أصبحوا لنا هائبين ، فإنَّ يأتنا مدد يفتح الله عليك ، والسلام .

فجاءه الكتاب وهو بقلسطين ، فدعا أولئك النفر وقال لهم : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن تبعث جندا . فأمر عمرو بن العاص ليتجهز إليها ، وبعث معه ستة آلاف رجل ، وأوصاه بالتؤدة وترك العجلة . وسار عمرو حتى نزل أداني أرض مصر ، فاجتمعت العثمانية إليه ، فأقام بهم ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر : « أما بعد ، فتَنَحَّ عني بدمك يا بن أبي بكر ، فإنِّي لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، إنَّ الناس بهذه البلاد قد أجمعوا على خلافك وهم مسلموك فاخرج منها ، إني لك من الناصحين » وبعث إليه [بكتاب معاوية] في المعنى ، ويتهدده بقصده حصار عثمان .

فأرسل محمد الكتابين إلى على رضي الله عنه ، ويخبره بنزول عمرو بأرض مصر ، وأنه رأى التناقض من عنده ، ويستمده . فكتب إليه يأمره أن يضم شيعته إليه ، ويعده لإنفاذ الجيوش إليه ويأمره بالصبر لعدوه وقتاله .

وقام محمد في الناس فندبهم إلى الخروج إلى عدوهم مع كنانة بن يشر ، فانتدب معه ألفان ، وخرج محمد بن أبي بكر بعده في ألفين ، وأقبل عمرو نحو كنانة ، فلما دنا منه سرَّح الكتاب كتيبة بعد كتيبة ، فجعل كنانة لائئلياً كتيبة لإحمله عليها ، فألحقها بعمرو ، فلما رأى ذلك بعث إلى معاوية بن خديج ، فأتاه في مثل الدَّهْم ^(١) ،

فأحاطوا بكنازة وأصحابه ، واجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب ، فنزل كنانة عن فرسه ونزل معه أصحابه ، فقاتل بسيفه حتى قُتل ، وبلغ قتله محمد بن أبي بكر ، فتفرق عنه أصحابه ، وأقبل عمرو بجمع ، ولم يبق مع محمد أحد .

فخرج محمد يمشى في الطريق ، فانتهى إلى خربة فأوى إليها ، وسار عمرو بن العاص حتى دخل القسطاط . ، وخرج معاوية بن حُديج في طلب محمد بن أبي بكر ، فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه ، فقال أحدهم : دخلتُ تلك الخربة فرأيتُ فيها رجلا جالسا ، فقال ابن حُديج : هو هو . فدخلوا فاستخرجوه وكاد يموت عطشا ، وأقبلوا به نحو القسطاط .

ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهم إلى عمرو وكان في جنده ، وقال : أيقتل أخى صبيرا ؟ ابعت إلى ابن حُديج فأنفه عنه . فبعث إليه يأمره أن يأتبه بمحمد ، فقال : قتلتم كنانة بن بشر وأخلى أنا محمدا ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَاكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾^(١) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ !

فقال لهم محمد بن أبي بكر رضى الله عنه : اسقوني ماء . فقال ابن حُديج : « لاسقاني الله إِنْ سَقَيْتُكَ قطرة أبدا ؛ إنكم منعتم عثمان شُرْبَ الماء ، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحَيمِ والغَساقِ » . فقال له محمد : « يا ابن اليهودية النَّسَاجَةُ ، ليس ذلك إليك ، إنما ذلك إلى الله ، يسقى أوليائه ، ويُظْمِئ أعداءه ؛ أنت وأمثالك ، أما والله لو كان

سيبقى بيدي مابلغتم مني هذا . قال له : أتدرى ما أصنع بك ؟
أدخلك جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار . فقال محمد : « إن فعلت
في ذلك فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله ، وإني لأرجو أن يجعلها الله
عليك وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو نارا تَلَطَّى ، كلما خَبِتْ زادها الله
سَعيرا . فغضب منه وقتله ، ثم ألقاه في جيفة حمار ، ثم أحرقه
بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة رضى الله عنها جزعت عليه جزعا شديدا ،
وقننت في وتر^(١) الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، وأخذت عيال
محمد إليها ، وامتنعت عائشة بعد ذلك أن تأكل شواء حتى ماتت .
وقد قيل : إن محمد بن أبي بكر قاتل عمرا ومن معه قتالا شديدا ، فقتل
كنانة وانهمزم محمد ، فاختربا عند جبلة بن مسروق ، فذل عليه معاوية
ابن حديج ، فأحاط به ، فخرج إليه محمد فقاتل حتى قُتل . وكان
ذلك في سنة ثمان وثلاثين .

قال : وأما علي رضى الله عنه ، فإنه لما أتاه كتاب محمد نذب
الناس إلى الخروج ، فتناقلوا فخطبهم وحثهم على الخروج ووبخهم
على التناقل ، فقام إليه كعب بن مالك الأرحبي^(٢) فقال : يا أمير
المؤمنين : اندب الناس ، لهذا اليوم كنت أدخر نفسي ، ثم قال :
أيها الناس ، اتقوا الله وأجيبوا إمامكم ، وانصروا دعوته ، وقاتلوا

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٧٩ والكمال
لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٠ في دبر الصلاة .

(٢) كذا جاء في المخطوطة والكمال لابن الأثير . وجاء في تاريخ ابن جرير ج ٤
ص ٨١ - ٨٢ . مالك بن كعب الحمداني ثم الأرحبي . وسيأتي قريبا أن عين التمر
فيها . مالك بن كعب .

علوه وأنا أسير إليه ، فخرج معه ألفان . فقال له على رضى الله عنه :
سر فوالله ما أظنك تدرکہم حتى ينقضى أمرهم ، فسار بهم خمسا .

ثم قدم الحجاج بن غزوة من مصر فأخبره بالخبر ، وأتاه عبد
الرحمن بن شبيب الفزارى من الشام وكان عينه هناك فأخبره أن
البشارة من عمرو وردت بقتل محمد وملك مصر وسرور أهل الشام بقتله ،
فقال على ، أما إن حزننا عليه بقدر سرورهم به ، لابل يزيد أضعافا :
وأرسل إلى الجيش فأعادهم .

وقام في الناس خطيبا فقال : « أَلَا إِنْ مَصْرٌ قَدْ افْتَتَحَهَا الْفَجْرَةُ
أَوَّلُوا الْجَوْرَ وَالظُّلْمَ ، الَّذِينَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَبَغَوْا الْإِسْلَامَ
عِوَجًا ، أَلَا وَإِنْ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي بَكْرٍ اسْتَشْهَدَ ، فَعِنْدَ اللَّهِ تَحْتَسِبُهُ ،
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ كَانَ - « اعْلَمْتُ - لِمَنْ يَنْتَظِرُ الْقَضَاءَ ، وَيَعْمَلُ لِلْجَزَاءِ ،
وَيَبْغِضُ شَكْلَ الْفَاجِرِ ، وَيَحِبُّ هَذَى الْمُزْمِنِ ، وَاللَّهُ لَا أَلُومَ نَفْسِي عَلَى
تَقْصِيرٍ ، وَإِنِّي بِمُقَاسَاةِ الْحَرْبِ لَجِدٌ خَبِيرٌ ، وَإِنِّي لَا أُدِمُّ عَلَى الْأَمْرِ ،
وَأَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ ، وَأَتُومُ فِيكُمْ بِالرَّأْيِ الْمَصِيبِ ، وَأَسْتَصْرِخُكُمْ
« مَلْنَا ، وَأَنَادِيكُمْ نِدَاءَ الْمُسْتَعِيثِ ، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا ، وَلَا تَطِيعُونَ
لِي أَمْرًا ، حَتَّى تَصِيرَ الْأُمُورُ إِلَيَّ عَوَاقِبَ الْمَسَاةِ ، فَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَا يُذْرَكَ
بِكُمُ الدَّارُ ، وَلَا تَنْقُضُ بِكُمْ الْأَوْتَارَ ، وَدَعَوْتُكُمْ إِلَى غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ
مُنْذُ بَضْعِ وَخْمَسِينَ لَيْلَةً ، فَتَجَرَّجَرْتُمْ جَرَجْرَةً ^(١) الْجَمَلِ الْأَشْدَقِ ،
وَتَشَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ تَشَاقُلَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي جِهَادِ الْعُلُوِّ ، وَلَا اكْتِسَابِ

(١) الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرته ، والمراد الفجة والاصباح .

الأجر ، ثم خرج إلى منكم جُنَيْدٌ مُتَذَانِبٌ (١) ، كَاتِمًا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، فَأُفِّ لَكُمْ ١١ . ثم نزل رضى الله عنه .

ذكر سرايا معاوية الى بلاد على بن أبى طالب

رضى الله عنه

لَمَّا كَانَ مِنْ أَسْرِ الْحَكَمِيِّينَ مَا ذَكَرْنَا ، وَمَلِكُ مُعَاوِيَةَ مِصْرَ ، اسْتَشْرَفَتْ نَفْسُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ بَثَّ سَرَايَاهُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَبِعَثَ النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ (٢) وَفِيهَا مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ مَسْلُوحَةً لِعَلَى فِي أَلْفِ رَجُلٍ ، وَكَانَ مَالِكٌ قَدْ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ فَأَتَوْا الْكُوفَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مِائَةُ رَجُلٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ خَبَرَ النَّعْمَانِ كَتَبَ إِلَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَعِذُّهُ ، فَتَدَبَّ النَّاسُ إِلَى الْخُرُوجِ ، فَتَشَاقَقُوا ، وَوَاقَعَ مَالِكُ النَّعْمَانِ ، وَجَعَلَ وَرَاءَ الْقَرْيَةِ فِي ظَهْرِ أَصْحَابِهِ ، وَكَتَبَ مَالِكُ إِلَى مُحَنَفِ بْنِ مُلَيْمٍ يَسْتَعِذُّهُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَوَجَّهَ مُحَنَفٌ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا ، فَاتَّهَوْا إِلَى مَالِكٍ وَقَدْ كَسَرُوا جِفُونَ سَيُوفِهِمْ وَاسْتَقْتَلَوْا ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَاتَلُوا قِتَالًا تَمِيدًا ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ أَهْلُ الشَّامِ انْهَزَمُوا بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَظَنُّوا أَنَّ لَهُمْ مَدَدًا ، وَتَبِعَهُمْ مَالِكٌ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ .

وَبِعَثَ سَفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ فِي سِتَّةِ آلَافٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ هَيْتَ (٣)

(١) جاء في النهاية : و في حديث علي رضى الله عنه : خرج منكم إلى جنيد متذائب ضعيف ، المتذائب : المضطرب من قولهم : تذابت الرياح : أي اضطرب هبها .
(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة .
(٣) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

فيقطعها ، ثم يأتى الأنبار والمداين فيوقع بأهلها ، فأتى هيت فلم يجد بها أحدا ، ثم أتى الأنبار وفيها مسلحة لعل تكون خمسمائة رجل ، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا مائتا رجل ، وكان سبب تفرقهم أن أميرهم كميل^(١) بن زياد بلغه أن قوما بقرقيسيا^(٢) يريدون الغارة على هيت ، فسار إليهم ، فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب ، فقاتل سفيان من وجد هناك فصبروا له ، ثم قُتل أصحابهم وهو أشهر من ابن حسان البكري وثلاثون رجلا ، واحتمل أصحاب سفيان ما في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية ، وبلغ الخبر عليا فأرسل في طلبهم فلم يتركوا .

وبعث عبد الله ابن مسعدة بن حكيم بن مالك بن بدر الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء^(٣) وأمره أن يأخذ صدقة من مرّبه من أهل البوادي ويقتل من امتنع ، ففعل ذلك ، وبلغ مكة والمدينة ، واجتمع إليه بشر كثير من قومه . وبلغ ذلك عليا فأرسل المسيّب بن نجبة الفزاري في ألفى رجل ، فلحق عبد الله بتيماء فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس ، وحمل المسيّب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات لا يريد قتله ، ويقول له : النجاء النجاء . فدخل ابن مسعدة وجماعة من أصحابه الحصن وهرب الباقيون نحو الشام ، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة وحصره ثلاثة

(١) هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي .

(٢) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور ، وعندها مصب الخابور في الفرات ، فهي في مثلث بين الخابور والفرات ، كما ذكره ياقوت

(٣) تيماء : موضع في أطراف الشام ، بين الشام ووادي الفري

أيام ، ثم ألقى الخطب في الباب وحرقه ، فلما رأوا الهلاك أشرفوا عليه وقالوا : قومك يا مسيب ! فَرَّقْ لَهُمْ وأمر بالنار فأطفئت ، وقال لأصحابه : قد جاعني عيون فأخبروني أن جندا قد أتوكم من الشام .

وبعث معاوية أيضا الضحَّاك بن قيس في ثلاثة آلاف رجل ، أمره أن يمر بأسفل واقصة^(١) ، ويغير على كل من مر به من هو في طاعة علي من الأعراب ، فسار وقتل الناس وأخذ الأموال ، ومضى إلى الثعلبية^(٢) فأغار على مسلحة علي وانتهى إلى القُطُطانة^(٣) ، فلما بلغ ذلك عليا أرسل حُجْر بن عدي إليه في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين درهما ، فلاحق الضحَّاك لمبتدئ فقتل من أصحابه^(٤) تسعة عشر رجلا ، وقتل من أصحابه رجلا ، وحجز بينهما الليل فهرب الضحَّاك وأصحابه ، ورجع حُجْر ومن معه .

وسار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم رجع .

وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي^(٥) إلى مكة لأخذ البيعة له ، وإقامة الحج بالناس ، ومعه ثلاثة آلاف ، فسار إلى مكة وبها قُثم بن العباس من قبل علي ، فأراد مفارقتها^(٦) ، واللحاق ببعض شعابها ، فنهاه

(١) واقصة : موضع بطريق مكة من الكوفة .

(٢) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة ، بعد الشقوق وقبل الخزمية وسيت شعلة بن عمرو مزقيا بن عامر ماء السماء كما ذكره ياقوت .

(٣) القُطُطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية .

(٤) في الكامل ج ٣ ص ١٨٩ « قتل منهم »

(٥) قال ابن الأثير : الرهاوي : منسوب إلى الرها ، قبيلة من العرب ، وقد ضبطه عبد الله بن سعيد بفتح الراء ، قبيلة مشهورة ، وأما المدينة فيسم الراء . انظر القاموس .

(٦) لما سمع قُثم بن العباس بمسير يزيد بن شجرة خطب أهل مكة وأعلمهم بمسير الشاميين ودعاهم إلى حربهم ، فلم يجيبوه بشيء فغزم على مفارقة مكة .

أبو سعيد الخدرى ، وكتب قُتُم إلى على يستمده ، ووصل يزيد إلى مكة قبل التروية بيومين ، فما تعرض للقتال ، ونادى فى الناس : أنتم آمنون بالأمن قاتلنا ونازعنا . واتفق قُتُم ويزيد أن يعتزلا الصلاة بالناس ، واختارا شَيْبَةَ بن عثمان ، فصلَّ بالناس وحجَّ بهم ، ولما انقضى الحج رجع يزيد إلى الشام ، وأقبلت خيل على مَدَدًا لقُتُم ، وفيهم الرِّيان ابن ضَمْرَةَ الحنفى ، وأبو الطُّفَيْل ، وعليهم مَعْقِل بن قيس ، فتبعوه فأدركوه وقد دخل وادى القُرى ، وظفروا بنفر من أصحابه فأدخلوهم أسارى ورجعوا بهم إلى على ، ففادى بهم أسارى كانت لهم عند معاوية .

وبعث معاوية عبد الرحمن بن قَبَاث بن أَشِيم إلى بلاد الجزيرة وبها شَيْبِيب بن عامر بنَصِيبِينَ^(١) ، فكتب إلى كُمَيْل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم ، فسار كُمَيْل إليهم نجدة له فى سِتمائة فارس ، فأدركوا عبد الرحمن ومعه مَعْن بن يزيد السُّلَمَى فقاتلها كُمَيْل فهزمها ، وغلب على عسكرهما ، وأكثر القتل فى أهل الشام ، وقتل من أصحاب كُمَيْل رجلان ، وأقبل شَيْبِيب بن عامر من نَصِيبِينَ فرأى كُمَيْلا قد أوقع بالقوم فهناه بالطَّفر ، وأتبع الشاميين فلم يدركهم ، فعبر الفُرات وبثَّ خيله فأغارَت على أهل الشام حتى بلغ بَغْلَبَك^(٢) ، فوجه إليه معاوية حبيب بن مَسْلَمَةَ فلم يدركه ، ورجع شَيْبِيب فأغار على نواحي الرِّقَّة^(٣) ، فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ، ولاخيلا

(١) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على طريق القوافل من الموصل إلى الشام . كما ذكره ياقوت .

(٢) بعلبك : مدينة قديمة بالشام مشهورة بآثارها .

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات

ولا سلاحاً إلا أخذته ، وعاد إلى نصيبين . وكتب إلى علي رضي الله عنه فكتب إليه ينهيه عن أخذ أموال الناس إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلونه به ، وقال : رحم الله شبيباً ، لقد أئعد الغارة ، وعجل الانتصار .

ولما فعل شبيب ذلك وقدم يزيد بن شجرة على معاوية بعث معاوية الحارث بن نمر التثوخي إلى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي ، فأخذ من أهل دارا^(١) سبعة نفر من بني تغلب ، وكان جماعة من بني تغلب قد فارقوا علياً إلى معاوية فسالوه في إطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضاً ، وفادى معاوية بهم من كان أسرهم معقل بن قيسر من أصحاب ابن شجرة .

وبعث معاوية زهير بن مكحول العامري إلى السماوة^(٢) ليأخذ صدقات الناس ، فبلغ ذلك علياً فبعث ثلاثة نفر ، وهم : جعفر بن عبد الله الأشجعي ، وعروة بن العشبة والجلّاس بن عمير الكلبيين^(٣) ، ليأخذوا صدقه من في طاعته من كلب وبكر بن وائل ، فوافوا زهيراً فاقتتلوا ، فانهزم أصحاب علي رضي الله عنه ، وقتل جعفر ، ولحق ابن العشبة بعلي فغذفه وعلاه بالدرّة ، فغضب ولحق بمعاوية . وأما ابن الجلّاس فإنه مرّ براع فأخذ جُبته وأعطاه جبة خز فأدركته الخيل ،

(١) دارا : مدينة بين نصيبين وماودين .

(٢) يادية السماوة : بين الكوفة والشام .

(٣) كذا جاء في المخطوطة ، والظاهر هنا « الكلبيان » بالرفع ، وجاء بالنصب في الكامل لأنه لم يجر فيه ، وهم « فكانت الأسماء منصوبة .

فقالوا : أين أخذ هؤلاء الترابيون^(١) ؟ فأشار إليهم : أخذوا ها هنا .
ثم أقبل إلى الكوفة .

وبعث أيضا مسلم بن عتيبة المُرِّي إلى دومة الجندل ، وكان أهلها
قد امتنعوا من بيعة علي ومعاوية جميعا ، فدعاهم إلى طاعة معاوية
وبيعته ، فامتنعوا ، وبلغ ذلك عليا ، فبعث مالك بن كعب الهمداني
في جمع إلى دومة الجندل ، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه مالك ،
فاقتتلوا يوما ثم انصرف مسلم منهزما ، وقام مالك أياما يدعو أهل دومة
الجندل إلى بيعة علي ، فأبوا وقالوا : لانبايع حتى يجتمع الناس على
إمام ، فانصرف عنهم وتركهم .

ذكر مسير بسر بن أرطاة

إلى الحجاز واليمن وما فعله

وفي سنة أربعين بعث^(٢) معاوية بُسر بن أرطاة بن أبي أرطاة -
واسم أبي أرطاة عُمير ، وقيل^(٣) عُويمر الشَّامي^(٤) من بني عامر بن
لؤي - إلى الحجاز واليمن في ثلاثة آلاف فارس ، فسار من الشام
حتى قدم المدينة ، وعامل المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري من قبل
علي رضي الله عنهما ، ففر أبو أيوب ولحق بعلي ، ودخل بُسر المدينة
ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى : يا دينار ، يا نجار ، يا زريق

(١) أي أتباع أبي تراب حل بن أبي طالب .

(٢) وذلك بعد تحكيم الحكمين ، كما في تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٠٦ والاستيعاب
ج ١ ص ١٥٨ .

(٣) كذا جاء في المخطوطة مثل الاستيعاب ج ١ ص ١٥٤ ، وجاء في جمهرة أنساب
العرب ص ١٦١ والإصابة ج ١ ص ١٤٧ « واسم أبي (أرطاة) عُمير بن عويمر » .

(٤) كذا جاء في النسخة (ن) ، وقد قال أبو عمر في الاستيعاب « يد يد بسر بن أرطاة
في الشامي » . وجاء في النسخة (ك) : « الشيباني » ، ومن المعروف أنه عامري قرشي .

(وهذه بطون من الأنصار) شَبِيحِي شَبِيحِي ، عهدنه ههنا بالأمس ، فأين هو ؟! (يعني عثمان) . ثم قال : والله لولا ما عهد إلی معاوية ما تركتُ بها مُحْتَلِمًا إِلَّا قَتَلْتَهُ . ثم أمر بأهل المدينة بالبيعة لمعاوية . وأرسل إلی بنی سلمة ^(١) فقال : مالکم عندي أمان ولا مَبَايعة حتَّى تَأْتُونِي بجابر بن عبد الله . فَأَخْبِرُوا ، فإنْ طَلَقْتُ إلی أُمَّ سَلْمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لها : « ما ذا تَرَيْنِ ؟ فَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ أَقْتُلَ ، وهذه بيعة ضلاله ! » فقالت : « أَرَى أَنْ تُبَايِعَ ، وقد أمرتُ ابْنِي عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلْمَةَ وَخَتَنِي بَنَ زَمْعَةَ أَنْ يُبَايِعَا » ، وكانت ^(٢) ابنتها زينب تحت ابن زَمْعَةَ ^(٣) ، فَأَتَى جَابِرٌ إِيَّيَّيْ بِسَرِّ فَبَايَعَهُ لِمَعَاوِيَةَ ، وَهَدَمَ بِسَرَّ دُورًا بِالْمَدِينَةِ .

ثم انطلق حتَّى أَتَى مَكَّةَ ، وفيها أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، فَخَافَهُ أَبُو مُوسَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَهَرَبَ ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِبُسْرِ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأُطْلِبَهُ وَقَدْ خَلَعَ عَلَيَّ . وَلَمْ يَطْلُبْهُ .

وكتب أَبُو مُوسَى إلی الْيَمَنِ : أَنْ خَبَلًا مَبْعُوثَةٌ مِنْ عِنْدِ مُعَاوِيَةَ تَقْتُلُ النَّاسَ مَعْنَى أَبِي أَنْ يَقْرَأَ بِالْحُكُومَةِ .

ثم مضى بُسْرٌ إلی الْيَمَنِ ، وَعَامِلُ الْيَمَنِ مِنْ قَبْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ بُسْرًا قَرَأَ إلی الْكُوفَةِ حتَّى أَتَى

(١) قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٢ « بكر الام ، بطن من الأنصار » وهم بنو سلمة بن سعد بن حل بن أسد بن ساردة بن قريظ بن جشم بن الخزرج ، ومن بني أسد جابر بن عبد الله ، هو وأبوه صحابيان .

(٢) جاء بهذه الجملة ليشرح معنى « الخن » .

(٣) ابن زمة : عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ، أمه : قريظة بنت أبي أمية ، أخت أم سلمة ، وزوجته : ابنة خاله زينب بنت أبي سلمة .

عليًا ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المَدان الحارثي ^(١) ،
فأتاه بُسر فقتله وقتل ابنه ^(٢) ، وليقى ثَقَل ^(٣) عبيد الله بن العباس
رضي الله عنه وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلها ،
وهما عبد الرحمن وقتُم .

وقيل : إنهما كانا عند رجل من بني كِنانة بالبادية ، فلما أَرَادَ
قتلها قال له الكِناني : « لِمَ تقتل هذين ولا ذنب لهما ؟ فإن
كنت قاتِلَهما فاقْتُلْنِي معهما ! » ، فقتله ، وقتلها بعده .
وقيل : إن الكِناني أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول :

الليث من يمنع حافات الدار .

ولا يزال مصلتا ثون الجار .

وقاتل حتى قُتل وأخذ بُسر الغلاميين فذبحهما ، فخرج نسوة
من بني كِنانة ، فقالت امرأة منهن : « ما هذا ؟ قتلَ الرجال فعَلَامَ
تقتل الولدان ؟ والله ما كانوا يُقتلون في جاهلية ولا إسلام ! والله إن
سُلطانا لا يقوم إلَّا بقتل الضُّرع ^(٤) الصغير والشيخ الكبير ويرفع
الرحمة وعقوق الأرحام لسُلطان سوء ! » فقال لها بُسر : والله لقد

(١) عبد الله بن عبد المَدان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني الحارث بن كعب ،
فقال له : من أنت قال : أنا عبد الحجر . قال : أنت عبد الله . فأسلم وبايع . وأبوه
عبد المَدان اسمه عمرو . ووجه الديان اسمه يزيد .

وكان عبيد الله بن عباس قد تزوج عائشة بنت عبد الله بن عبد المَدان واستعان أباها
عبد الله على اليمن .

(٢) مالك بن عبد الله بن عبد المَدان .

(٣) الثقل : متاع المسافر وحشمه وكل شيء - نفيس مضمون .

(٤) الضرع : الضميف .

هَمَمْتُ أَنْ أَضَعَ فِيكَ السَّيْفَ . فَقَالَتْ لَهُ : تَاللَّهِ إِنَّمَا لِأُخْتِ الَّتِي
صَنَعْتَ وَمَا أَنَا لَهَا مِنْكَ بِأَمْنَةٍ ! ثُمَّ قَالَتْ لِلنِّسَاءِ [الَّتِي ^(١) حَوْلَهَا] :
وَيَحْكُنْ ! تَفَرَّقْنَ ! .

وَقَتْلَ بُشَيْرٍ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ بِالْيَمَنِ .

وَبَلَغَ عَلِيًّا الْخَبْرَ ، فَأَرْسَلَ جَارِيَةً بِنَ قُدَامَةَ فِي الْفَتَنِ ، وَوَهَبَ
إِبْنَ مَسْعُودٍ فِي الْفَتَنِ ، فَسَارَ جَارِيَةً . حَتَّى آتَى نَجْرَانَ ، فَقَتَلَ بِهَا
نَاسًا مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ : وَهَرَبَ بُشَيْرٌ مِنْهُ ، وَانْتَبَهَ جَارِيَةٌ إِلَى مَكَّةَ ،
فَقَالَ : بَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالُوا : قَدْ هَلَكَ فَلِمَنْ نَبَايَعُ ؟ قَالَ :
لِمَنْ بَايَعَ لَهُ أَصْحَابُ عَلَى فَبَايَعُوا خَوْفًا مِنْهُ .

ثُمَّ سَارَ حَتَّى آتَى الْمَدِينَةَ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَصْلِي بِالنَّاسِ ، فَهَرَبَ
مِنْهُ ، فَقَالَ جَارِيَةٌ : لَوْ وَجَدْتُ أَبَا سِنُورٍ لَقَتَلْتُهُ . ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ :
بَايَعُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَبَايَعُوا ، وَأَقَامَ يَوْمَهُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ ،
وَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَصْلِي بِهِمْ .

وَكَانَتْ أُمُّ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ أُمُّ الْحَكَمِ جَوِيرِيَّةٌ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ قَارِظٍ ،
وَقِيلَ : عَائِشَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، فَلَمَّا قُتِلَ وَلَدَاهَا وَلِيَهَتْ ^(٢)
عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ لَا تَعْقِلُ وَلَا تُصْنَعِي ، وَلَا تَزَالُ تَنْشُدُهُمَا فِي الْمَوَاسِمِ
وَتَقُولُ :

(١) يبدأ من هنا مقدار كبير سقط من النسخة (ك) وثبت في النسخة (ن) .

(٢) ولدت : اشتد حزنها وذهب عقلها .

ها (١) مَنْ أَحْسَ بُنْيَى الَّذِينَ هَا
كَالدُّرَّتَيْنِ تَشْطَى (٢) عَنْهُمَا الصَّدْفُ

هَامَنْ أَحْسَ بُنْيَى الَّذِينَ هَمَّا
سَمْعِي وَعَقْلِي فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُخْتَطَفُ
هَامَنْ أَحْسَ بُنْيَى الَّذِينَ هَمَّا
مُخَّ الْعِظَامِ فَمُخِّي الْيَوْمَ مُزْدَدَفُ (٣)
مَنْ ذَلَّ وَالْهَةَ خَيْرَى مُدْلَهَةَ (٤)

عَلَى صَبِيئِينَ ذَلًا إِذْ غَدَا السَّلَفُ
نُبْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمُوا
مَنْ قَتَلَهُمْ وَمَنْ الْإِنَّمِ الَّذِي اقْتَرَفُوا
أَخْنَى عَلَى وَدَجِي (٥) إِبْنِي (٦) مُرْهَقَةً
مَشْخُودَةً وَكَذَلِكَ الْإِنَّمِ يُقْتَرَفُ

قال (٧) : فَلَمَّا سَمِعَ عَلَى بَقْتَلَهُمَا جَزْءًا شَدِيدًا ، وَدَعَا عَلَى
بُسْرٍ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اسْلُبْهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ . فَأَصَابَهُ ذَلِكَ ، وَفَقَدَ عَقْلَهُ ،
فَكَانَ يَهْدِي بِالسَّيْفِ وَيَطْلُبُهُ ، فَيُؤْتِي بِسَيْفٍ مِنْ خَشَبٍ ، وَيُجْعَلُ

(١) «ها» كذا جاء في المخطوطة موافقا للاستيعاب ج ١ ص ١٥٦ ، وجاء في الكامل
لابن الأثير ج ٣ ص ١٩٣ : «يا» ، وكذلك أولا البيهقي التالين .

(٢) تشطى : انشق .

(٣) مزددفت : ملحوب به .

(٤) المدلة : الساحية القلب الداهية القتل .

(٥) الودج : عرق في النطق يقطعه الدابح فلا يبق معه حياة .

(٦) همزة «ابن» همزة وصل ، ولكنها صارت إلى القطع هنا لضرورة شعر .

(٧) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٣ .

بين يَدَيْهِ زِقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضربه ، فلم يزل كذلك إلى أن مات .
قال^(١) : ولما استقرَّ الأمر لمُعاوية دخل عليه عُبَيْدُ اللَّهِ بن عِيَّاس
وعنده بُسْر ، فقال لبُسر : وَدِدْتُ أَنْ الْأَرْضَ أَنْتَبَتْنِي عندك حين
قَتَلْتَ وَلَدِي . فقال بُسر : هَاكَ سَيْفِي . فَأَهْوَى عُبَيْدُ اللَّهِ لِيَتَنَاوَلَهُ ،
فَأَخَذَهُ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ لبُسر : « أَخْرَاكَ اللَّهُ شَيْخًا قَدْ خَرِفَتْ ! وَاللَّهِ لَوْ تَمَكَّنَ
مِنْهُ لَبَدَأَ بِي ! » قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : أَجَلُ ثُمَّ ثَنَيْتُ بِهِ .

وقيل : لَمَّا سَير بُسر إلى الحجاز كان في سنة اثنتين وأربعين ،
وإنه أقام بالمدينة شهرا يستعرض الناس ، لا يقال له عن أحد « إنه
شريك في دم عثمان » إلا قُتِلَ .

وحكى أبو عمر بن عبد البر^(٢) عن أبي عمرو الشيباني قوله :
لما وَجَّه مُعَاوِيَةُ بن أَبِي سَفْيَانَ بُسرَ بْنَ أَرْطَاةِ الْفِهْرِي لِقَتْلِ شَيْعَةِ عَلِيٍّ ، قام
إليه مَعْنُ أَوْ^(٣) عمرو بن يزيد بن الْأَخْنَسِ السُّلَمِيّ وزياد^(٤) بن
الْأَشْهَبِ الْجَعْدِي فقالا : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ الْأَلَّ
تَجْعَلَ لبُسرَ عَلَى قَيْسِ سُلْطَانًا ، فيقتل قيسًا بما قَتَلْتَ بنو سُلَيْمٍ مِنْ
بَنِي فِهْرٍ وَكِنَانَةَ يَوْمَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ » .
فقال له مُعَاوِيَةُ : يَا بُسر ، لَا أَمْرَ لَكَ عَلَى قَيْسٍ . فسار حتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ
فَقَتَلَ ابْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ ، وَقَرَأَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَدَخَلُوا الْحَرَّةَ : حَرَّةَ بَنِي سُلَيْمٍ .

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٩٣ .

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٦ .

(٣) المشهور في هذه النسبة « معن بن يزيد بن الأخنس السلمي » ، وقد بايع الذي
صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنهم ثلاثهم شهدوا بدرا مسلمين .

(٤) كان زياد بن الأشهب بن أدر بن عمرو بن ربيعة بن جملة العامري الجعفي من
أشراف أهل الشام عظيم المنزلة عند معاوية .

هكذا قال الشيباني : إنه قتل ابني عبيد الله بالمدينة . والأكثر أنه قتلها باليمن على ما ذكرنا .

قال (١) : وفي هذه الخرجة أغار بُسرٌ على همدان وقتل وسبي نساءهم ، فكن أولَ مسلماتٍ سُبيْنَ في الإسلام . وقتل أحياء من بني سعد .

وروى أبو عمر (٢) بسنده عن أبي الرباب وصاحب له أنهما سمعا أبا ذر يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها طال قيامها وركوعها وسجودها ، قال : فسألناه : مِمَّ تعوذتَ ؟ وفيهمَ دعوتَ ؟ فقال : تعوذتُ بالله من يومِ البلاء أن يدركني ويومِ العورة أن أدركه . فقلنا : وماذا ؟ فقال : أما يومِ البلاء فتلتقى فئتان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضا ، وأما يومِ العورة فإن نساء من المسلمات يُسبين فيُكشفن عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها ، فدعوتُ الله ألا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه . قال : فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بُسرَ بن أرطاة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق .

هذا ما كان من أخباره في خلافة علي رضي الله عنه مما يدخل فيما نحن بصّده ، فلنذكر الآن ما اتفق له في مدة ولايته بعد أن خلاص له الأمر ، ونبدأ بالغزوات والفتوحات .

(١) أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب .

(٢) في الاستيعاب .

ذكر الغزوات والفتوحات

في أيام معاوية بعد أن استقل بالأمر

في سنة اثنتين وأربعين كان غزو الروم ، فهزموه ، وقتل جماعة كبيرة من بطارتهم .

وفيها كان غزو اللان^(١) .

وفي سنة ثلاث وأربعين غزا بُسرُ بن أرطاة الروم حتى بلغ القُسطنطينية ، وشتى بأرضهم ، حكاها الواقدي ، وأنكره غيره وقال : لم يُشْتِ بُسرُ بأرض الروم قط . ، وكان بُسرُ إذ ذاك يلى البصرة من قبل معاوية على ما ذكره في حوادث السنين .

وفيها استعمل عبد الله بن عامر عبد الرحمن بن سُمرة على سيجستان ، فاتاها ، فكان يغزو البلد وقد كفر أهله فيفتحه ، حتى بلغ كابل ، فحصرها أشهراً ، ونصب عليها مَجَانِيقَ فنَلَمَتْ سُورها ثُلَمَةٌ عظيمة ، فبات عليها عباد بن الحصين الحَبْطِيُّ ليلة - وكان على الشرطة - فمازال يطاعن المشركين حتى أصبح ، فلم يقدروا على سدها وخرجوا من الغد يقاتلون فهزموهم المسلمون ، ودخلوا البلد عَنَوةً^(٢) . وساروا إلى زَرَاوَن ، فهرب أهلها ، فغلب عليها ، ثم سار إلى خُشْك ، فصالحه أهلها . ثم أتى الرُخَج ، فقاتلوه ، فظفروا بهم وفتحها ، ثم صار إلى زَابُلستان - وهى غَزَنَة وأعمالها - وكانوا قد نكثوا ففتحها . وعاد إلى كابل ، وقد نكث أهلها ففتحها .

(١) اللان : بلاد واسعة في طرف أرمينية .

(٢) زاد ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢١٧ - حيث نقل المؤلف - قوله :

« ثم صاروا إلى بست ففتحها عتوة » .

ذكر غزو السند

قال : وفي سنة ثلاث وأربعين استعمل عبد الله بن عامر - وكان على البصرة وخراسان وسجستان - عبد الله بن سوار العبدى على ثغر السند^(١) - ويقال : بل كان ابن سوار من قبلي معاوية - فغزا القيقان ، فأصاب مَغْنَمًا ، ووفد على معاوية وأهدى له خَيْلاً^(٢) ، ثم غزا القيقان مرة ثانية ، فاستنجدوا بالترك ، فقتلوه وكان كريماً ، لم يوقد أحد في عسكره ناراً^(٣) ، فرأى ذات ليلة في عسكره ناراً ، فقال : ماهذه ؟ قالوا : امرأة تُفسأ يُعْمَل لها الخَنَبِيس ، فأمر أن يُطْعَم الناس الخَنَبِيسَ ثلاثة أيام .

وفي سنة أربع وأربعين دخل المسلمون بلاد الروم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وشتوا بها . . . وغزا بُسْر بن أرطاة في البحر . وفيها غزا المهلبُ بن أبي صُفْرة ثغر السند ، وقاتلهم ، ولقيَ المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك ، فقاتلوه قتلاً شديداً ، فقتلوا جميعاً .

وفي سنة ست وأربعين كان مَسْشَتَى مالك بن عبد الله^(٤) بأرض

(١) كان قد توجه إلى ثغر السند في سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ الحارث بن مرة البليسي متطوعاً بإذن علي بن أبي طالب ، فظفر وأصاب مَغْنَمًا ، ثم قتل في سنة ٤٢ بأرض القيقان .

(٢) خيلاً قيقانية ، كما قال ياقوت في معجم البلدان .

(٣) ناراً غير ناره ، كما قال ياقوت .

(٤) مالك بن عبد الله بن سنان بن سرح بن وهب بن الأقصر الحنسي ، وكان يعرف بمالك الرايا .

الروم ، وقيل : بل كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل : بل كان مالك بن هُبَيْرَةَ السَّكُونِي (١) .

وفي سنة سبع وأربعين كان مَشْتَى مالك بن هُبَيْرَةَ بأرض الروم ومَشْتَى أَبِي عبد الرحمن القَيْنِي (٢) بِأَنْطَاكِيَّة .

وفيها غزا الحَكَم بن عمرو بعض جبال الترك ، ومعه المهَلَّب بن أَبِي نُصْفَرَةَ فغَنَمُوا ، وأخذ الترك عليهم الشعاب والطرق ؛ فَمَيَّ الحَكَم بالأمر فَبَيَّ المهَلَّب الحرب ، فلم يزل المهَلَّبُ يَحْتَالُ حَتَّى أَخَذَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَاءِ التُّرْك ، فقال له : إِمَّا أَنْ تُخْرِجَنَا مِنْ هَذَا الْمَضِيقِ أَوْ أَقْتُلْنَاكَ ، فقال له التُّرْكِيُّ : « أَوْقِدِ النَّارَ حِيَالَ طَرِيقٍ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَسَيَّرِ الْأَثْقَالَ نَحْوَهُ ، فَإِنَّهُمْ سَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيُخْلُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ ، فَبَادِرْهُمْ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ ، فَمَا يَدْرُكُونَكَ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهُ » . ففعل ذلك ، فسلم الناس بما معهم مِنَ الْغَنَائِمِ (٣) .

وفيها أيضا سار الحَكَم أيضا إلى بلاد الْغُور فغزا من بها وكانوا قد ارتدُّوا ، فأخَذَهُمْ عَثْوَةً بِالسَّيْفِ ، وفتحها ، وأصاب منها غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَمَسْبَايَا ، ولما رجع الحَكَم من هذه الغزاة مات (٤) بِمَرُوءَ ،

(١) مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المنصف بن مالك بن الحارث ابن بكر بن ثعلبة بن علية بن السكون كان شريفا بالشام .

(٢) أبو عبد الرحمن بن كعب بن ثعلبة بن القين ، كان مروفا بكنية ، ويقال له « ذو الشكوة » لأنه كانت له شكوة إذا قاتل ، والشكوة : وعاء من جلده لئلا يهين . وهو من بني القين وهو النعمان بن جسر من قضاعة .

(٣) ذكر الطبري هذه القصة في سنة إحدى وخمسين .

(٤) انظر زابوئخ الطبري ج ٤ ص ١٨٦ حيث قال : وفي هذه السنة كانت وفاة الحكم بن عمرو الغفاري ، ورو منصرفه من غزوة أهل جبل الأثل . . الخ . وانظر ترجمة الحكم في الاستيعاب ج ١ ص ٣١٤ والإصابة ج ١ ص ٣٤٦ .

في قول بعضهم ، وكان الحكم قد قطع النهر في ولايته ولم يفتح ،
وكان أول المسلمين شرب من النهر موثقاً للحكم ، اغترف بترسه فشرب ،
وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين ، وكان أول المسلمين
فعل ذلك .

وفي سنة ثمان وأربعين كان مشى عبد الرحمن القيني بأنطاكية
وصائفة عبد الله بن قيس الفزارى ، وغزوة مالك بن هبيرة السكوني
البحر ، وغزوة عقبة بن عامر الجهني بأهل مصر في البحر وبأهل المدينة .

ذكر غزوة القسطنطينية

وفي سنة تسع وأربعين - وقيل : في سنة خمسين - بعث معاوية
جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم عليهم سفيان بن عوف وكان في هذا الجيش
عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب
الأنصاري ، وعبد العزيز بن زُرارة الكلبي^(١) وغيرهم .

وأمر معاوية ابنه يزيد بالغزاة معهم ، فتشاكل واعتل ، فأمسك
عنه أبوه ، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد ، فقال يزيد :

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم
بالقدوة^(٢) من حمي ومن موم^(٣)

(١) كان عبد العزيز بن زُرارة رجلاً شريفاً ذا مال كثير ، فأشرف عبسة فتواجه للمال
فأصبه ، فقال زُرارة : اللهم إني أحببت نفسي وأهل ومالي في سبيلك ثم أتى أباه
فأخبره بذلك ، فقال : ارتحل على بركة الله . فتوجه نحو الشام . وشهد غزاة القسطنطينية .

(٢) كذا جاء هذا الاسم - وهو اسم بلد - في موضعين من معجم البلدان لياقوت
معرفاً كما حُرف في نسخ الكامل لابن الأثير .

(٣) الموم : نوع من الحمى ومن الجنوى .

إِذَا اتَّكَاتُ عَلَى الْأَنْمَاطِ مُرْتَفَقًا
بَدِيرُ مُرَّانَ عِنْدِي أُمُّ كَلْثُومِ

(وأُمُّ كَلْثُومِ : امرأته ، وهى ابنة عبد الله بن عامر) فبلغ معاوية
شِعْرُهُ ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ : لَيَلْحَقَنَّ بِسُفْيَانَ فِي أَرْضِ الرُّومِ لِيُصِيبَهُ مَا أَصَابَ
النَّاسَ ^(١) . فَمَسَارَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَضَافَهُمْ إِلَيْهِ أَبُوهُ ، فَلَجِئَ بِهِمْ .
وَأَوَّغَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، حَتَّى بَلَغُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ،
وَالْتَقَوْا بِالرُّومِ ، وَاقْتَتَلُوا فَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
فَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَّارَةَ يَتَعَرَّضُ لِلشَّهَادَةِ ، فَلَمْ يُقْتَلْ ، فَأَنْشَأَ
يَقُولُ :

قَدْ عَشِمْتُ فِي الدَّهْرِ أَطْوَارًا عَلَى طُرُقِ
شَيْءٍ ، فَصَادَفْتُ مِنْهَا اللَّيْنَ وَالْبَشْعَا
كُلًّا بَلَوْتُ : فَلَا التَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي
وَلَا تَخْشَعْتُ مَرْءَ لَأَوَّاتِهَا جَزْعًا ^(٢)
لَا يَمْلَأُ الْأَمْرُ صَدْرِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ
وَلَا أَضِيقُ بِهِ ذَرْعًا إِذَا وَقَعَا

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَنْ يَكْبَهُ : فَقَتَلَ فِيهِمْ ، وَانْفَعَسَ بَيْنَهُمْ ، فَشَجَرَهُ ^(٣)
الرُّومُ بِرِمَاحِهِمْ ، حَتَّى قَتَلُوهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَبَلَغَ قَتْلَهُ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ

(١) جاء في سجع البلدان أن معاوية قال : « لا جرم ليلحقن بهم ويصيبه ما أصاب
ولا خلعت » .

(٢) بطن : فجلى أظني وأكبكر . والأثواء : الشدة والمحنة .

(٣) شجرة : طعنه .

لأبيه : هَلَكَ وَاللَّهِ فَنَى الْعَرَبَ ! فَقَالَ : ابْنِي أَوْ ابْنُكَ ! قَالَ ابْنُكَ
فَأَجْرَكَ اللَّهُ ! فَقَالَ (١) :

فَلَمَّا يَكُنِ الْمَوْتُ أَوْدَى بَنِيهِ
وَأَصْبَحَ مِخْ الْكَلَابِي رِيْرًا (٢) :
فَكَالُ فَنَى شَارِبُ كَأْسِهِ
فَلَمَّا صَغِيرًا وَلَمَّا كَبِيرًا

قال : ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الشَّامِ ، وَتَوَفَّى أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ عِنْدَ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَدُفِنَ بِالْقَرْبِ مِنْ سُورِهَا ، فَأَهْلُهَا يَسْتَسْقُونَ بِهِ .

وَفِي سَنَةِ خَمْسِينَ غَزَا بُشَيْرُ بْنُ أَرْطَاةَ وَسُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ
أَرْضَ الرُّومِ ، وَغَزَا فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ فِي الْبَحْرِ .

وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ كَانَ مُمْتَنَى فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ
الرُّومِ ، وَغَزَاةَ بُشَيْرِ بْنِ أَرْطَاةَ الصَّائِفَةَ .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ غَزَا سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَزْدِيُّ الرُّومَ ،
وَشَتَّى بِأَرْضِهِمْ ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي قَوْلٍ ، فَاسْتَخْلَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودَةَ
الْفَزَارِيَّ ، وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي شَتَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِأَرْضِ الرُّومِ بُشَيْرُ بْنُ
أَرْطَاةَ وَمَعَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ . وَغَزَا الصَّائِفَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ .

(١) فِي الْإِسَابَةِ ج ١ ص ٤٤٧ أَنَّهُ اسْتَرْجِعَ ، أَيْ قَالَ : هَإِنَّا لَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

(٢) مِخْ رِير : ذَائِبٌ قَالَهُ مِنَ الْهَزَالِ .

ذكر فتح جزيرة أرواد

وفي سنة أربع وخمسين فتح المسلمون يقدمهم جُنادة بن أبي أمية جزيرة أرواد بالقرب من القسطنطينية ، وأقاموا بها سبع سنين ، فلما مات معاوية وولي ابنه يزيد أمرهم بالعودة فعادوا .

وفيها كان مُشْتَى محمد بن مالك بأرض الروم ، وصائفة مَعْن ابن يزيد السلمي .

وفيها استعمل معاوية عُبَيْدَ اللَّهِ بن زياد بن أبيه على خراسان ، فقطع النهر إلى جبال بُخَارَى على الإبل ، فكان أول من قطع جبال بخارى في جيش ، ففتح رَامَنِي ، ونَسَفَ ، وبيكَنْدُ . وسنذكر ذلك إن شاء الله في حوادث سنة أربع وخمسين .

وفي سنة خمس وخمسين كان مُشْتَى سُفْيَان بن عَوْف الأزدى بأرض الروم ، في قول ، وقيل : بل شَتَّى في هذه السنة عمرو بن محرز ، وقيل : عبد الله بن قيس الفزارى ، وقيل : بل مالك بن عبد الله . وفي سنة ست وخمسين كان مُشْتَى جُنادة بن أبي أمية بأرض الروم ، وقيل : عبد الرحمن بن مسعود ، وقيل : غزاقية في البحر يزيد بن شجرة وفي البر عِيَاض بن الحارث .

وفيها قطع سعيد بن عثمان بن عفان النهر إلى مَسَرَقَنْد ، فخرج إليه [أهل] ^(١) الصغد ، فقاتلهم ، وسنذكر ذلك إن شاء الله في حوادث سنة ست وخمسين .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري كما يأتي ، والصند : قرى متصلة خلال الأشجار والبياتين من سرقند إلى قريب من بخارى .

وفي سنة سبع وخمسين كان مثنى عبد الله بن قيس بأرض الروم .
 وفي سنة ثمان وخمسين غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض
 الروم ، وعمرو بن زيد الجهني في البحر ، وقيل : جنادة بن أبي أمية
 وفي سنة تسع وخمسين كان مثنى عمرو بن مرة الجهني بأرض
 الروم في البر ، وغزاه في البحر جنادة بن أبي أمية ، وقيل لم يكن في
 البحر غزاة في هذه السنة .

وفيهما غزا المسلمون حصن كمنخ ومعهم عمير بن الحباب السلمي
 فصعد عمير السور ، ولم يزل يقاتل عليه وخذاه حتى كشف الروم
 وصعد المسلمون ، ففتحوه بعمير .

وفي سنة ستين كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ، ودخول
 جنادة رُوبس ، وهدمه مدينتها في قول بعضهم .

فهذه الغزوات والفتوحات التي كانت في أيام معاوية .
 فلنذكر أخبار الخوارج عليه وما كان من أمرهم .

ذكر أخبار الخوارج

في أيام معاوية وما كان من أمرهم

كان أول من خرج بعد أن استقل معاوية بالأمر قروة بن نوفل
 الأشجعي ، وكان قد اعتزل في خمسمائة من الخوارج ، وسار إلى
 شهرزور ، وترك قتال علي والحسن .

فلما ولي معاوية قال : « جاء الآن مالا شك فيه ، سبروا إلى معاوية
 فجأيدوه » . فسار بهم حتى نزل النخيلة (عند الكوفة) .

وكان الحسن بن عليّ قد سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية بدعوه إلى قتال فرّوة بن نوفل ، فلحقه رسوله بالقادسيّة ، أو قريباً منها ، فلم يرجع ، وكتب إلى معاوية يقول : « لو آثرتُ أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأتُ بقتالك ، فإنّي تركته ^(١) لصالح الأمة وحقن دماؤها ، فأرسل إليهم معاوية جمعاً من أهل الشام ، فقاتلوهم ، فانهزم أهل الشام .

فقال معاوية لأهل الكوفة : والله لا أمان لكم عندي حتّى تكفونيهم ! فخرج أهل الكوفة إليهم ، فقاتلوهم ، فقالت الخوارج لهم : « أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتّى نقاتله ، فإن أصبناه كنّا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتُمونا » . فقالوا : لا بدّ لنا من قتالكم . فأخذتُ أشجعُ صاحبهم فرّوة ^(٢) ، فوعظه ، فلم يرجع ، فأدخلوه الكوفة قهراً .

فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوّاء (رجل من طيّ) فقاتلهم أهل الكوفة ، فقتلوهم في شهر ربيع الأول ، أو ربيع الآخر ، سنة إحدى وأربعين . وقُتل ابن أبي الحوّاء ^(٣) ، وكان حينئذٍ أمر الخوارج قد خوّف من السلطان أن يصلبه إذا ظفر بهم ، فقال :

(١) كما جاء في المخطوطة ، أي : تركت القتال ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٥ : « تركتك » .

(٢) لأن فرّوة أشجع .

(٣) الذي قتل ابن أبي الجوّاء هو خالد بن عرفطة ، كما جاء في الاستيعاب ج ١ ص ٤١٤ والإصابة ج ١ ص ٤١٠ ، وسيأتي له ذكر .

مَا إِنْ أَبَالَى إِذَا أَرَوَّاحُنَا قُبِضَتْ
 مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأَوْصَالِ وَأَبْنِشَارِ
 تَجْرِي الْمَجْرَةُ وَالتَّشْرَانِ عَنْ أَقْدَرِ
 وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ السَّارَى بِمَقْدَرِ
 وَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ
 أَنْ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

ثم خرج حوثرة بن وداع ، وذلك أنه لما قُتل ابن أبي الحوساء
 اجتمع الخوارج فقولوا أمرهم حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي ، فقام
 فيهم ، فعاب قزوّة بن ثوفل في شكّه في قتال عليّ رضي الله عنه ،
 ودعا الخوارج وسار بهم من بَرَّازِ الرُّوزِ - وكان بها - حتى قَدِمَ النُّخَيْلَةَ في
 مائة وخمسين ، وانضمَّ إليهم قُلُوبُ ابْنِ أَبِي الْحَوْسَاءِ ، وهم قليل .

فدعا معاوية أبا حوثرة فقال له : اخرجْ إِلَى ابْنِكَ لَعَلَّه يَرْقُ إِذَا
 رَأَاكَ . فخرج إليه وكلّمه وناشده وقال له : أَلَا آتِيكَ بِابْنِكَ لَعَلَّكَ إِذَا
 رَأَيْتَهُ كَرِهْتَ فِرَاقَهُ ! فقال : أَنَا إِلَى طَعْنَةِ بَرْمَجٍ مِنْ يَدِ كَافِرٍ أَتَقَلِّبُ
 فِيهِ سَاعَةً أَتَشُوقُ مِنْهُ إِلَى ابْنِي ! فرجع أبوه فأخبر معاوية بمقالته .
 فسبّر إليه عبد الله بن عوف بن أحمر (١) في ألفين ، وخرج أبو حوثرة فيمن
 خرج ، فدعا ابنته إلى البراز ، فقال له : يَا أَبَتِ لَكَ فِي غَيْرِي سَعَةٌ .

(١) كذا جاء في المخطوطة وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٦ : هـ عبد الله
 ابن عوف الأحمر .

فقاتله ابنُ عوف وقتله مُبارزة ، وقتل أصحابه إلاَّ خمسةً رجلاً
دخلوا الكوفة ، وذلك في جُمادى الآخرة من السنة (١) .

ورأى ابنُ عوف بوجه حوثره أثر السجود ، وكان صاحب عبادة
فندم على قتله ، وقال :

قتلتُ أخا بني أسد سفاهاً
لَعَنُ الرُّبَى فما لُقِّيتُ رُشدي
قتلتُ مُصلِّياً مَحِيَّاه لَيْلِ
طويلُ الحُزنِ ذا بِرٍّ وقُصْدِ
قتلتُ أخا تُقَى لَأَنالَ دُنْيَا
وذاك لِشِقْوَتِي وعِشَارِ جَدِّي
فَهَبْ لِي تَوْبَةَ ياربِّ واغْفِرْ
لما قارفتُ من خطأ وَعَنَدِ

ثم خرج فرّوة بن نوفل الأشجعي على المغيرة بن شعبة ، وذلك
بعد مسير معاوية ، فوجه إليه المغيرة خيلاً عليها شَبْتُ بن رُبْعٍ ،
وقيل : مَعْقِل بن قَيْس ، فلقبه بشَهْرَزُور ، وقيل بالسواد .

وخرج شبيب بن بَحْرَةَ ، وكان شبيب مع ابن مُلْجَم حين قتل علياً ،
كما ذكرنا ، فلما دخل معاوية الكوفة أتاه شبيب كالتقرب إليه ،
فقال : أنا وابنُ مُلْجَم قتلنا علياً . فوثب معاوية مذعوراً من مجلسه

حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى أَشْجَعٍ ^(١) وَقَالَ : « لَئِنْ رَأَيْتُ شَيْبَا أَوْ بَلَغْنِي أَنَّهُ بَيَّابِي لِأَهْلِكُكُمْ ! » ^(٢) أَخْرَجُوهُ عَنْ بَلَدِكُمْ ! » .

فَكَانَ شَيْبَبٌ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ خَرَجَ فَلَمْ يَلْقَ ^(٣) أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ . فَلَمَّا وَلَّى الْمَغِيرَةَ خَرَجَ عَلَيْهِ بِالطُّفِّ (بِقَرَبِ الْكَوْفَةِ) ، فَبَعَثَ الْمَغِيرَةَ خِيَلًا . عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ عُرْقُطَةَ ^(٤) ، وَقِيلَ : مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ شَيْبَبٌ وَأَصْحَابَهُ .

وَبَلَغَ الْمَغِيرَةَ أَنَّ مَعِينَ ^(٥) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ مَجَارِبَ - يَرِيدُ الْخُرُوجَ ، فَأَخَذَهُ وَجَسَّهُ وَبَعَثَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ شَهِدَ أَنِّي خَلِيفَةُ فَخْلٍ سَبِيلَهُ . فَأَحْضَرَهُ الْمَغِيرَةَ ، فَأَبَى أَنْ يَشْهَدَ بِخِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ ^(٦) ، فَقَتَلَهُ .

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو مَرْيَمَ مَوْكِي بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ : قَطَامٌ وَكَحِيلَةُ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخْرَجَ مَعَهُ النِّسَاءَ ، فَعَابَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَبُو يَلَالِ بْنِ أَدْيَةَ ، فَقَالَ : قَدْ قَاتَلَ النِّسَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ ، وَسَارَدُهُمَا فَرَدَّهُمَا . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ

(١) كَانَ شَيْبَبٌ بِنَجْرَةَ مَسُودًا إِلَى قَبِيلَةِ أَشْجَعٍ : كَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ الْخَارِجِيُّ أَشْجَعِيًا ، انْظُرْ تَارِيخَ ابْنِ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيِّ ج ٤ ص ١١١ .

(٢) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي مَلْصَقٌ مِنَ النُّسخَةِ (ك) وَتَبَيَّنَ فِي النُّسخَةِ (ن) مَعَ مُرَاجَعَتِهِ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) : (يَأْتِ) .

(٤) خَالِدُ بْنُ عُرْقُطَةَ بْنُ أَبِي رَهْطَةَ . بَيْنَ سَنَانٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَوْسَلَةِ الْخَارِجِيَّ فِيهَا سَبَقَ .

(٥) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٢٠٦ : كَانَ اسْمُهُ « مَعْنَا » فَصَفَرُ .

(٦) وَقَالَ مَعِينٌ : أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

المغيرة جابرًا البجلي ، فقاتله ، فقتل أبو مريم وأصحابه بيادوريا .
 وخرج أبو ليل - وكان أسود طويلا - ومعه ثلاثون من الموالى
 فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس الرياحي ، فقتله بسواد الكوفة في
 سنة اثنتين وأربعين .

وخرج سهم بن غالب الهجيمي في سنة إحدى وأربعين بالبصرة
 على عبد الله بن عامر ، في سبعين رجلا ، منهم الخطيم الباهلي واسمه
 زياد ^(١) بن مالك ، وإنما قيل له « الخطيم » لضربة ضربها على
 وجهه . فنزلوا بين الجسرين والبصرة ^(٢) ، فمر بهم عبادة بن
 قرص ^(٣) الليثي ، وقد انصرف من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه ، فقال لهم
 الخوارج : من أنتم ؟ قالوا : قوم مسلمون . قالوا : كذبتم .
 قال عبادة : « سبحان الله ! أقبلوا منا ما قيل النبي صلى الله عليه وسلم مني ،
 فإني كذبتُه وقاتلته ، ثم أتيتُه فأسلمتُ ، فقيل ذلك مني » .
 قالوا : أنت كافر ، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه ، فخرج إليهم ابنُ
 عامر فقاتلهم ، فقتل منهم عدة ، وانحاز بقيتهم إلى أجمه ، وفيهم
 سهم والخطيم ، فأمنهم ابنُ عامر ورجعوا ، وكتب إلى معاوية ،
 فأمره بقتلهم ، فلم يقتلهم ، وكتب إلى معاوية : إني جعلتُ لهم
 ذمتك .

(١) كذا جاء في المخطوطة كما في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٢ ، وجاء في الكامل
 لابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٩ : « يزيد » .
 (٢) كذا جاء في المخطوطة كما في الكامل ، وجاء في الاستيعاب أنهم خرجوا « بناحية
 جسر البصرة » .

(٣) في الإصابة ج ٣ ص ٢٦٩ : « عبادة بن قرط أو قرص بن عروة بن بجير بن
 مالك ... والصحيح أنه ابن قرص بالصاد » وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥١ : « عبادة ابن
 قرص الليثي ، ويقال : ابن قرط » . والصواب عند أكثرهم : « قرص » .

فلما أتى زياد بن أبيه البصرة في سنة خمس وأربعين هرب الخطيم إلى الأهواز ، واجتمع إلى سهم جماعة ، فاقبل بهم إلى البصرة ، فتنفر عنه أصحابه ، فاخفى^(١) وطلب الأمان^(٢) ، فلم يؤمنه زياد ، وبحث عنه وأخذ فقتله وصلبه في داره . . وقيل : إنه لم يزل مستخفيا حتى مات زياد ، فأخذه عبيد الله بن زياد وصلبه في سنة أربع وخمسين ، فقال رجل من الخوارج :

فإن تكن الأحزاب بائعوا بصلبه

فلا يُبعدن الله سهم بن غالب

وأما الخطيم فإن زيادا سأله عن قتل عبادة ، فأنكره ، فسيره إلى البحرين ، ثم أعاده^(٣) بعد ذلك ، وقيل : إنه قتله^(٤) .

ذكر خبر المستورد الغارجي

وفي سنة الثنتين وأربعين تحرك الخوارج الذين كانوا انحازوا عن قتل يوم النهروان ، واجتمعوا في أربعمائة وأمروا عليهم المستورد بن علفة التيمي ، من تيم الرباب ، وبأيعوه في جمادى الآخرة ، واتعدوا للخروج فخرجوا في غرة شعبان سنة ثلاث وأربعين .

فبلغ المغيرة أنهم اجتمعوا في منزل حيان بن خطيبان السلمى وتواعدوا للخروج ، فأرسل صاحب شرطته ، وهو قبضة بن الدمون ،

(١) قيل : إنهم هزقوا عند استخفائه .

(٢) ظن أنه يسر له عند زياد ما سأل له عند ابن عامر .

(٣) كلما ذكره ابن الأثير في الكامل .

(٤) كلما ذكره أبو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٢ .

فأحاط. بدارحيان ، وإذا عنده مُعاد بن جُوَيْن وهو من رموس الخوارج ونحو عشرين رجلاً ، وثارت امرأته وهي أُمّ وكْد كانت له [كارهة] ^(١) فأخذت سيوفهم وألقتهما تحت الفراش ، [وقاموا ليأخذوا سيوفهم] ^(٢) فلم يجدوها فاستسلموا ، فجئ بهم إلى المغيرة ، فحبسهم بعد أن قرَّروهم فلم يعترفوا بشيء قالوا : وإنما اجتمعنا لقراءة القرآن ، ولم يزالوا في السجن نحو سنة ، وسمع إخوانهم فحلَّروا .

وخرج صاحبهم المستورد فنزل الحيرة ، واختلف الخوارج إليه ، ثم تحول إلى دار سليم بن مجلوع العبدى ، وهو مهره .

وبلغ المغيرة الخبر وأنهم عزموا على الخروج في تلك الأيام ، فجمع الرؤساء فخطبهم وقال لهم : « لِيَكْفِيَنَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قَوْمَهُ ، وَإِلَّا وَاللَّهِ تَحُولَتْ عَمَّا تَعْرِفُونَ إِلَى مَا تَنْكُرُونَ ، وَعَمَّا تَحِبُّونَ إِلَى مَا تَكْرَهُونَ » . فرجعوا إلى قومهم فناشدوهم الله والإسلام إلا أدلوهم على من يريد تمسيج الفتنة .

فبلغ المستورد ذلك فخرج من دار سليم بن مَخْدُوج ، وأرسل إلى أصحابه فأمرهم بالخروج فخرجوا متفرقين ، واجتمعوا في نحو ثلاثمائة رجل وساروا إلى الصَّراء ^(٣) .

وبلغ المغيرة بن شعبة خبرهم ، فندب معقل بن قيس في ثلاثة آلاف فارس اختارهم من الشيعة .

(١) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) الزيادة من الكامل .

(٣) الصَّراء : نهر بالعراق .

وأما الخوارج فإنهم ساروا إلى أن بلغوا المذار^(١) فأقاموا بها .
 وبلغ ابن عامر بالبصرة خبرهم ، فندب شريك بن الأعور الحرثي ،
 وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس أكثرهم من ربيعة ، فسار بهم إلى المذار .
 وسار معقل وقدم أمامه أبا الرواغ في ثلاثمائة ، فأتى بهم إلى المذار
 وقاتل الخوارج عامة نهاره وهم يهزمون ويعود إلى القتال ، ثم أدركه
 معقل في سبعمائة من أهل القوة ، فجاء وقد غربت الشمس فصلوا
 المغرب ، وحملت الخوارج عليهم فانهزم أصحاب معقل ، وثبت هو في
 نحو مائتين ونزل إلى الأرض فتراجع إليه أصحابه وأتاه بقية الجيش .
 فبينما هم على ذلك بلغ الخوارج أن شريك بن الأعور قد أقبل
 من البصرة في ثلاثة آلاف ، فأشار المستشار على أصحابه بالرجوع
 من حيث جاءوا ، وقال : « إنا إذا رجعنا نحو الكوفة لم يتبعنا أهل
 البصرة ، ويرجعوا عنا فنقاتل طائفة أسهل من قتال طائفتين » .
 فانهاز بأصحابه إلى البيوت ، وخرج من الجانب الآخر وسار ليلته ،
 ولم يعلم الجيش بمسيرهم ، ويات معقل وأصحابه يتحارسون^(٢)
 إلى الصباح ، فأتاهم خبر مسيرهم .

وجاء شريك ، فدعاه معقل أن يسير معه ، فأتى أصحاب
 شريك أتباعهم^(٣) ، فاعتذر إليه لمخالفة أصحابه ورجع .

(١) المذار : بلد بين واسط والبصرة .

(٢) كان معقل قد بحث من يأتيه بخبر الخوارج حين لم ير حواصم ، فعاد إليه بخبره
 يسيرهم ، فخاف معقل أن تكون مكيدة منهم ليأتوا جيشه ليلا ، فاحتاط هو وأصحابه وتحارسوا .
 (٣) قالوا لشريك : لا والله لا تقتل ، إنما أتيناك نحو هؤلاء لتفهم من أرضنا
 وغنمهم من دعوها ، فإذا كفانا الله مؤثرهم فإننا منصرونون إل مصرنا ، وفي أهل
 الكوفة ما يمنون به بلادهم من هؤلاء الأكلب .

ودعا معقل أبا الرواغ ، وأمره باتباعهم ، في ستمائة فارس ،
فاتبعهم ، فأدركهم نحو جَرْجَرَايا مع طلوع الشمس ، فحمل المستورد
على أبي الرواغ ، فانهمز أصحابه وثبت في مائة فارس وقاتلهم طويلا ،
ثم عطف أصحابه من كل جانب ، وصدقوهم القتال ، فلما رأى المستورد
ذلك علم أن معقلا إن أتاهم بمن معه هلكوا ، فمضى بأصحابه وعبر
دجلة إلى بَهْرَسِير ، وتبعهم أبو الرواغ حتى نزل بهم إلى ساباط . فقال
المستورد : هؤلاء حماة معقل وفرسانه ولو علمت أني أسبقهم إليه
بساعة لَسَرْتُ إليهم فواقعتهم ، ثم ركب بأصحابه حتى انتهى إلى جسر
ساباط . فقطعه ، ووقف أبو الرواغ ينتظرهم للقتال وقد عبأ أصحابه .
وسار المستورد حتى أتى دَيْلَمَانَ ، وبها معقل ، فلما رآهم نصب
رايته [ونزل] ^(١) وقال : يا عباد الله الأرض الأرض ! فنزل
معه نحو مائتي رجل ، فحملت الخوارج عليهم ، فاستقبلوهم بالرمح
جُشَاءً على الرُكَب ، فلم يقدروا عليهم ، فتركوهم ، وعدلوا إلى خيولهم
[فحالوا بينهم وبينها] ^(٢) وقطعوا أعنتها فذهبت ، ثم رجعوا إلى
معقل وأصحابه فحملوا عليهم ، واشتد الأمر على معقل ومن معه .

فبينما هم كذلك أقبل أبو الرواغ بمن معه ، وكان سبب عودته أنه
أقام ينتظر عودة الخوارج إليه ، فلما أبطأوا عليه أرسل من يأتيه بخبرهم
فرأوا الجسر مقطوعا وفرحوا بذلك ظنا منهم أن الخوارج فعلوا ذلك
هيبة ، فرجعوا إلى أبي الرواغ فأخبروه أنهم لم يروهم ، وأن الجسر
قد قطعه هيبة لهم ، فقال أبو الرواغ : « لعمرى ما فعلوا هذا

(١) الزيادة من ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ١٥٦ .

(٢) الزيادة من ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢١٦ .

إلا مكيدة ، وما أراهم إلا قد سبقوكم إلى معقل حيث علموا أن فرسان أصحابه معي ، وقد قطعوا الجسر ليُسبغواكم به عن لحاقهم ، فالتجأ النجاء في الطلب « ثم أمر أهل القرية فحقدوا الجسر ، فعبّر عليه ، واتبع الخوارج ، فلقبه أوائل الناس منهزمين ، فصاح بهم : إلى إلى : فرجعوا إليه ، وأخبروه الخبر وأنهم تركوا معقلا يقاتلهم ، وما يظنون أنه لا قتيل ، فجاء في السير ، وردّ معه من لقيه من المنهزمين ، وانتهى إلى العسكر ، فرأى راية معقل منصوبة والناس يقتتلون ، فحمل أبو الرواغ وأصحابه على الخوارج فأزالهم غير بعيد .

ووصل أبو الرواغ إلى معقل فإذا هو متقدّم يحرض أصحابه ، فشدوا على الخوارج شدة منكرا ، ونزل المستورد ومن معه إلى الأرض ونزل أصحاب معقل أيضا ، ثم اقتتلوا طويلا من النهار بالسيوف أشد قتال ، ثم إن المستورد نادى معقلا ليرز إليه ، فبرز إليه ، فمنعه أصحابه ، فلم يقبل [منهم] ^(١) وكان معه سيفه ومع المستورد رمحه ، فقال أصحاب معقل له : خذ رمحك . فأبى ، وأقدم على المستورد ، فطعنه المستورد برمحه ، فخرج السنّان من ظهره ، وتقدم معقل والرمح فيه إلى المستورد ، فضربه بسيفه فخالط دماغه فماتا جميعا .

وكان معقل قال لأصحابه : إن قُتِلت فأميركم عمرو بن مُحرز بن شهاب التميمي ، فلما قُتل معقل أخذ عمرو الراية ، وحمل هو وأصحابه

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ولم تثبت في النسخة (ك) ، وقد قال معقل لأصحابه : لا والله لا يدهون رجل إل مبارزة أبدا فأكون أنا التاكيل .

على الخوارج فقتلوهم ، فلم ينجُ منهم غير خمسة أو ستة ، وانكفَت^(١) الخوارج بعد ذلك مُدة ولاية زياد بن أبيه إلى ستة خمسين .

فخرج قُرَيْب الأزدى وزخاف الطائي بالبصرة وهما ابناخالة ، وكان زياد يومئذ بالكوفة ، وسُمرَة بالبصرة^(٢) فأتى الخوارج بنى ضُبَيْعَة^(٣) وهم سبعون رجلا فقتلوا منهم شيخا ، فاشتد زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر سُمُرَة بذلك ، فقتل منهم يَشْرًا كثيرا ، وخطب زياد على المنبر فقال : « يا أهل البصرة والله لتكفُننّى هؤلاء . أو لأبْذُننّ بكم ، والله لئن أفلت رجل منهم لاتأخذون العام من عطاياكم درهما ، فسار الناس إليهم فقتلوهم .

ثم خرج زياد بن خراش العجلي في سنة اثنتين وخمسين في ثلاثمائة فأتى أرض مَسْكِين من السَّوَاد ، فسرح إلبد زيادُ بن أبيه خيلا عليها سعد بن حذيفة ، أو غيره ، فقتلوهم وقد صاروا إلى ماه^(٤) وخرج رجل من طيء اسمه مُعَاذ في ثلاثين رجلا^(٥) فبعث إليه زياد من قتله وقتل أصحابه ، ويقال بل حلّ لِيَوَاه واستأمن .

وخرج طَوَاف بن غَلَّاق في سنة ثمان وخمسين بالبصرة ، وكان سبب خروجه أن قوما من الخوارج بالبصرة كانوا يجتمعون إلى رجل اسمه

(١) انكفَتوا : انصرفوا من الخروج لقتال .

(٢) كان معاوية قد كتب بهمد زياد على الكوفة والبصرة ، فاستخلف زياد على البصرة سمرَة بن جندب ، وشخص إلى الكوفة ، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة .

(٣) كان بنو ضبيعة بالبصرة لهم علة هناك سميت « ضبيعة » باسمهم .

(٤) ماه : قصبة الكوفة ، لأن « سكن » موضع بالكوفة ، وماه قصبة البلد ، فارسية .

كما في القاموس .

(٥) أموا نهر عبد الرحمن بن أم الحكم ، ولذلك قيل لهم « أصحاب نهر عبد الرحمن » .

حراراً^(١) فيتحدثون عنده ويعيرون السلطان ، فأخذهم عبيد الله بن زياد فحبسهم ، ثم أحضرهم ، وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويحطى سبيل القتالين ، ففعلوا ، فأطلقوا ، وكان طواف من قتل ، فعذّلهم أصحابهم وقالوا : قتلتم إخوانكم ، قالوا أكرهنا وقد يُكره الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان ، وندم طواف وأصحابه ، وقال أما من توبة ؟ فكانوا يبتكون ، وعرضوا على أولياء من قتلوا الدية ، فأبوا قبولها ، وعرضوا عليهم القود ، فأبوا .

ولقى طواف الهشاه بن ثور السدوسي ، فقال له : ما ترى لنا من توبة ! فقال : ما أجد لك إلا آية في كتاب الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) . فدعا طواف أصحابه إلى الخروج على أن يفتكروا بابن زياد ، فبايعوه في هذه السنة ، وهم سبعون رجلاً من عبد القيس بالبصرة ، فسعى بهم رجل من أصحابهم إلى ابن زياد ، وبلغ ذلك طوافاً فعجل الخروج ، فخرجوا من ليبتهم ، فقتلوا رجلاً ، ومضوا إلى الجَلْحَاءِ^(٣) ، فندب ابن زياد الشرط . والبُخَارِيَّةُ^(٤) فقاتلوهم ، فانهزم الشرط . حتى دخلوا البصرة ، واتبعوهم ، وذلك يوم القِطْرِ فكأثرهم الناس ، فقاتلوا فقتلوا . وبقي طواف في ستة نفر

(١) كلا جاء في النسبة (ك) ، وجاء في التنبئة (ن) : « حرار » ، وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٨٧ « جدار » .

(٢) الآية ١١٠ من سورة التحل .

(٣) الجَلْحَاء : موضع على فرسخين من البصرة .

(٤) البخارية : طائفة من بخاري ، ساء عبيد الله بن زياد ونقلهم إلى البصرة ، وبنى لهم فيها سكة خاصة نسبت إليهم ، وهم يلقون الألفين ويميدون الرمي بالنشاب ، ففرض لهم عبيد الله ضلعاً وأسكنهم تلك السكة .

وعطش فرسه ، فاقتحم به الماء ، فرماه البُخَّارِيَّةُ بالنَّشَابِ حَتَّى قَتَلُوهُ
وَأَخَذَ فُصْلَبَ ، ثُمَّ دَفَنَهُ أَهْلُهُ .

ذِكْرُ عُرْوَةَ بْنِ أَدِيَّةٍ وَأَخِيهِ مِرْدَاسِ بْنِ أَدِيَّةٍ

وغيرهما من الخوارج

قال : وفي سنة ثمان وخمسين اشتدَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَى
الْخَوَارِجِ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً ، مِنْهُمْ عُرْوَةُ بْنُ أَدِيَّةٍ
وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ أَنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ خَرَجَ فِي رَهَانٍ لَهُ ، فَلَمَّا
جَلَسَ يَنْتَظِرُ الْخَيْلَ اجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، وَفِيهِمْ عُرْوَةُ بْنُ أَدِيَّةٍ وَهُوَ آخِرُ
مِرْدَاسِ بْنِ أَدِيَّةٍ ، وَأَدِيَّةٌ أُمُّهُمَا وَأَبُوهُمَا ، جَدِيرٌ ^(١) وَهُوَ نَعِمِي ، فَأَقْبَلَ
عُرْوَةَ عَلَى زِيَادٍ يَعِظُهُ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُ : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطْشَ شُتَمَّ جَبَّارِينَ ﴾ ^(٢)
قال : فلما قال له ذلك ظَنَّ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهُ لَمْ يَقْلَهُ إِلَّا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ ^(٣)
فَرَكِبَ وَتَرَكَ رِهَانَهُ ، فَقِيلَ لِعُرْوَةَ : لِيَقْتُلَنَّكَ . فَاخْتَفَى ، فَطَلَبَهُ ابْنُ
زِيَادٍ فَأَتَى الْكُوفَةَ ، فَأَخَذَ وَأَتَى بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
وَقَتْلَهُ ^(٤) وَقَتَلَ ابْنَتَهُ .

وَأَمَّا أَخُوهُ أَبُو بِلَالٍ مِرْدَاسٍ فَكَانَ عَابِدًا مُجْتَهِدًا عَظِيمَ الْقُدْرِ فِي الْخَوَارِجِ

(١) هكذا بالميم يكتب بعضهم - ويراه بعضهم بالحاء (حدير) . وفي جمهرة أنساب
العرب ص ٢١٢ : « وأبوها جرير بن عامر بن عبيد بن كعب بن ربيعة » وذكر أنهما من
بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) الآيات ١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٣٠ من سورة الشعراء .

(٣) لما رأى فيه من الجرأة .

(٤) لما قطعت يده ورجلاه دعا به ابن زياد وقال له : كيف ترى قال : أرى
أنك أضدت دنياي وأضدت آخرتك ، فقتله .

وشهد صفين مع علي فأنكر التحكيم (١) ، وشهد النهرؤان مع الخوارج ، وكانت الخوارج كلها تتولاه .

وكانت البشجاء امرأة من بني يربوع - تحرض على ابن زياد وتذكر تجبره وسوء سيرته ، وكانت من المجتهديات ، فذكرها ابن زياد ، فقال لها أبو بلال : إن التقيّة (٢) لا بأس بها فتغيبي فإن هذا الجبار قد ذكرك . فقالت : أخشى أن يلقي أحد بسبي مكرها ، فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها ورمها في السوق ، فمر بها أبو بلال فعض على لحيته وقال : « لهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس ! ما ميتة أموتها أحب إلى من ميتة البشجاء ! » .

ومر أبو بلال ببعير قد طلي بقطران فغشى عليه ، ثم أفاق فتلا : ﴿ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ (٣) .

ثم إن ابن زياد ألح في طلب الخوارج حتى ملأ منهم السجون .

وحبس أبا بلال لمرداس بن أدية (٤) ، فرأى السجنان عبادته ، فأذن له كل ليلة في إتيان أهله ، فكان يأتيهم ليلا ويعود إلى السجن مع الصبح ، وكان لمرداس صديق يسامر ابن زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم [إذا أصبح] (٥) ، فانطلق صديق مرداس إليه وأعلمه الخبر ، ويات السجنان بليلة سوء خوفاً أنه لا يرجع ،

(١) قيل : إن أبا بلال أول من قال « لا حكم إلا لله » عل ملعب الخوارج يوم صفين .

(٢) التقيّة : الحذر .

(٣) الآية ٥٠ في سورة إبراهيم .

(٤) حبس أبا بلال قبل أن يقتل أخاه عروة بن أدية .

(٥) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٢٣٢ .

فعاد على عادته ، فقال له السجّان : أما بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال : بلى ، قال : وكيف أتيت ؟ قال : لم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقب [بسببي] (١) وأصبح ابن زياد فقتلهم ، فلما أحضر مرداس قام السجّان - وكان ظمراً (٢) لعبيد الله - فشفع فيه وقص عليه قصته ، فوهبه له وخطى سبيله .

ثم تخاف من ابن زياد ، فخرج في أربعين رجلاً إلى الأهواز ، فكان إذا اجتاز به مالٌ لبيت انمال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ، ثم يرد الباقي ، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم أنسلم (٣) بن زُرعة الكلّابي ، وقيل : أبو الحُصَيْن التيمي ، وكان الجيش ألفي رجل ، وذلك في سنة ستين ، فلما أتوه ناشدهم أبو بلال الله أن ينصرفوا عنه ، فأبَوْا ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة . فقالوا أتردنا إلى ابن زياد الفاسق ؟ فرمى أصحاب أنسلم رجلاً من الخوارج فقتلوه ، فقال أبو بلال : قد بدءوكم بالقتال . فشدد الخوارج على أنسلم وأصحابه شدّة رجل واحد ، فهزموهم ، فقدموا البصرة ، فلامه ابن زياد على ذلك ، وقال : « هزمك أربعون وأنت في ألفين ؟ لا خير فيك ! » فقال : لأن تلومني وأنا حيٌ خيرٌ من أن تُثني عليّ وأنا ميتٌ وكان الصبيان إذا رأوا أسلم صاحوا به : « أبو بلال وراك » . فشكا ذلك إلى ابن زياد ، فنهاهم ، فانتهوا .

(١) الرّيادة من تاريخ ابن جرير الطبري .

(٢) ثثرو : زوج مرضته . والأصل في لفظ « الظئر » أن يطلق على المرضعة لغير أولادها ، ثم أطلق على زوج المرضعة .

(٣) ذكر ياقوت في معجم البلدان أنه « معبد بن أسلم الكلّابي » .

وقال رجل (١) من الخوارج :

أَلَفَّا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَقْتُلُهُمْ بِأَسْكَ (٢) أَرْبَعُونَ
كَلَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمُ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يَنْصُرُونَا
هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ ، فَلْنَذْكُرْ حَوَادِثَ السَّنِينَ .

ذكر الحوادث في أيام معاوية بن أبي سفيان

غير ما تقدم ، على حكم السنين منذ خُصَّ له الأمر
إلى أن توفي إلى رحمة الله

سنة إحدى وأربعين

في هذه السنة خُصَّ الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ، بمبايعة الحسن
ابن علي رضي الله عنهما له كما تقدم ، فسمى هذا العام « عام الجماعة »
وذلك لاجتماع الناس على إمام واحد ، وهو معاوية .

وروي أنه لما سار الحسن رضي الله عنه عن الكوفة عرض له
رجل فقال : يَا مُسَوِّدَ وَجْهِهِ الْمُؤْمِنِينَ . فقال : لَا تَعْدِلْنِي فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى (٣) بَنِي أُمَيَّةَ يَنْزُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ رَجُلًا رَجُلًا ،
فَسَاءَ ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (٤) ﴾ وهو نهر
في الجنة ، و ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

(١) هو عيسى بن قازك الخطي ، أحد بني تميم الله بن ثعلبة كما ذكره باقوت في معجم
البلدان ، وذكر سبعة أبيات .

(٢) أسك : بلد من نواحي الأهواز قرب أرجان .

(٣) في المنام .

(٤) الآية الأولى من سورة الكوثر .

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ^(١) يملكها بعدك بنو أمية ، وقد خرج هذا الحديث ^(٢) أهل الصحة . وكانت دولة بني أمية ألف شهر .

ذكر صلح معاوية وقيس بن سعد بن عباد

في هذه السنة تمّ الصلح بين معاوية وقيس بن سعد ، وكان قيس قد خرج على مقدمة الحسن في اثني عشر ألفاً كما ذكرنا .
وقيل: إن عبيد الله بن عباس كان على مقدمته ، وكان قيس بن سعد على مقدمة عبيد الله ، فلما علم عبيد الله ما عزم عليه الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية كتب إليه يسأل الأمان لنفسه وعلى ما أصاب من مال وغيره ، فأجابته إلى ذلك ، وفارق عبيد الله جنده وتركهم بغير أمير ، فأمرؤا عليهم قيس بن سعد ، وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط له ولهم على ما أصابوا من الدماء والأموال ، فراسله معاوية في الدخول في طاعته ، وأرسل إليه بسجّل وختم أسفله ، وقال: اكتب فيه ما شئت فهو لك ، فاشتراط لنفسه ولشيعته على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم يشترط مالا ، فأعطاه ذلك ، ودخل قيس في طاعة معاوية .

(١) الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من سورة القدر .

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي في تعليقات ج ١٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ عن محمود ابن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن القاسم بن الفضل الخداني عن يوسف بن سعد ، ثم قال : وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن ، والقاسم بن الفضل الخداني هو ثقة ، وثقة يحيى ابن سعيد وجهد الرحمن بن مهدي ، ويوسف بن سعد رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث على =

ذكر استعمال معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة

وفي هذه السنة استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة . وكان قد استعمل عليها عبد الله بن عمرو بن العاص ، فأتاه المغيرة وقال : « استعملت عبد الله على الكوفة ، وأباه بمصر ، فتكون أميراً بين نائي أسد » . فعزله ، واستعمل المغيرة .

وبلغ عمرو بن العاص ماقاله المغيرة ، فدخل على معاوية وقال : « استعملت المغيرة على الخراج ، فيغتا المال ، ولا تستطيع أن تأخذه منه ، استعمل على الخراج رجلاً يخافك ويتقيك » فعزله عن الخراج وأقره على الصلاة (١) .

ولما ولي المغيرة استعمل كثير بن شهاب على الرمي ، وكان يُكثر سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر .

ذكر استعمال بسر بن أرطاة

على البصرة وعزله ، واستعمال عبد الله ابن عامر عليها

وفي هذه السنة استعمل معاوية بُسر بن أرطاة بن أبي أرطاة على البصرة ، وكان سبب ذلك أن الحسن لما صالح معاوية وثب حُمران ابن أبان على البصرة ، فأخذها وغلب عليها ، فبعث إليه معاوية بُسر بن أرطاة ، وأمره بقتل بني زياد بن أبيه . وكان زياد على

= هذا اللفظ إلا من هذا الوجه . . ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره ج ٣٠ ص ١٤٣ وإن كان لم يرجحه . ورواه الحاكم والطبراني والبيهقي في الدلائل ، وذكر الآكوسي في تفسيره ج ٣٠ ص ١٨٨ قول المزني فيه : « حيث منكر » ثم يردد في هذا القول . (١) وبعد ذلك لم ينفذ عمرو بن العاص فقال له : أنت المشير على أمير المؤمنين بما أشرت به في عهده قال : نعم ، قال : هذه بتلك .

فارس ، قد أرسله عليها على بن أبي طالب رضى الله عنه كما تقدم .
فلما قدم بُسّر البصرة خطب على منبرها فشمّ عليا ، ثم قال :
نَشَدْتُ الله رجلا يعلم أنى صادق إلا صدقنى أو كاذب إلا كذبنى ،
فقال أبو بكر^(١) ، اللهم إنا لا نعلمك إلا كاذبا ! فأمر به فخنق ،
فقام أبو لؤلؤة الضبى فرمى نفسه عليه فمنعه ، فاقطعه أبو بكر مائة
جريب^(٢) ، وقيل لأبي بكر : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يُناشدنا
الله ثم لا نصدقه .

وكان معاوية قد كتب إلى زياد : أن فى يدك ما لا من مال الله
فأد ما عندك منه . فكتب إليه زياد : « أنه لم يبق عندى شيء ،
وقد صرفت ما كان عندى فى وجهه ، واستودعتُ بعضه لنازلة إن نزلت ،
وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله تعالى » . فكتب إليه معاوية
أن أقبل ننظر فيما وليت ، فإن استقام بيننا أمر وإلا رجعت إلى
مأمئك . فامتنع زياد .

فأخذ بُسّر أولاده الأكابر ، منهم عبد الرحمن وعبيد الله وعباد
وكتب إليه : لتقدمن على أمير المؤمنين أولاً قتلن بئيك ، فكتب إليه
زياد : لست بارحاً مكانى حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك ، وإن قتلت
ولدى فالمصير إلى الله تعالى ، ومن ورائنا الحساب ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ

(١) أبو بكر : قتيب بن الحارث أو مسروح ، وكان قد يدل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حن الطائف بيكرة ، فكتاه صلى الله عليه وسلم أبا بيكرة ، واشتهر بهذه الكنية .

(٢) الجريب فى المساحة : قيل : عشرة آلاف ذراع ، وقيل : ثلاثة آلاف وسبعمائة
ذراع ، وقالوا : يختلف مقدارها بحسب اصطلاح أهل الأقاليم ، والجريب فى الطعام أربعة
انقرة . انظر المصباح .

ظلموا أي منقلب ينقلبون^(١) فلأراد بسر قتلهم وأتاه أبو بكر^(٢) فقال له : قد أخذت ولد أخى بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على ما أصاب أصحاب على رضى الله عنه حيث كانوا ، فليس عليهم ولا على أبيهم سبيل ، وأجله أياماً حتى يأتى بكتاب معاوية ، فركب أبو بكر إلى معاوية وهو بالكوفة ، فلما أتاه قال له : يا معاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال ! قال : وما ذاك يا أبا بكر ؟ قال : بسر يريد قتل بنى أخى زياد ، فكتب إليه بتخليتهم ، فأخذ كتابه وعاد ، فوصل البصرة يوم الميعاد ، وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ، ينتظر بهم الغروب ليقتلهم ، واجتمع الناس لذلك وهم ينتظرون أبا بكر ، إذ رفع على نجيب أوبردؤن يكده^(٣) ، فوقف فنزل عنه والأح بثوبه ، وكبر وكبر الناس معه ، وأقبل يسعى على رجله ، فأدرك بسر قبل أن يقتلهم ، فدفع إليه الكتاب ، فأطلقهم .

وكان زياد قد تحصن بالقلعة التى تسمى « قلعة زياد » .

وأما بسر فلم يطل مقامه بالبصرة ، بل عزله معاوية فى بقية سنة إحدى وأربعين ، وأراد أن يستعمل عتبة بن أبى سفيان^(٤) ، فكلمه ابن عامر وقال له : إن لى بالبصرة ودائع وأموالاً ، فإن لم تولنى عليها ذهبى . فولاه البصرة ، فقدمها فى آخر سنة إحدى وأربعين ، وجعل إليه خراسان وسجستان ، فجعل على شرطته حبيب بن شهاب

(١) آية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

(٢) سياتى فى ذكر استلحاق معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه وهو ابن سمية أن سمية أم زياد ولدت أبا بكر - واسمه نفيح - عند الحارث بن كلثة الطيب الثقفى .

(٣) يكده : يستبيله .

(٤) أى : أراد معاوية بن أبى سفيان أن يستعمل أخاه عتبة بن أبى سفيان على البصرة .

وعلى القضاء عَميرة بن يَثْرُبُ أخا عمرو ، وقد تقدم في وقعة الجمل
أن عَميرة قُتِلَ فيها ، وقيل : المقتول عمرو (١) .

واستعمل ابنُ عامر قَيْسَ بنَ الهَيْثَمِ على خُرَاسان ، وكان أهلُ بَادَغِيْسٍ
وَهَرَاةَ وبو شَنْجٍ (٢) قد نكثوا ، فسار إلى بَلْخَ ، فَأَخْرَبَ ثُوبَهَا رَهَا (٣) ،
وكان الذي تولى ذلك عطاء (٤) بن السائب مولى بنى لَيْثَ ، واتخذ قناطر
على ثلاثة أنهار من بَلْخَ على فرسخ ، فقيل : قناطر عطاء ، فسأكَ أهلُها
الصلح ومراجعة الطاعة ، فصالحهم قَيْسُ ، وقيل : إنما صالحهم الربيع
ابن زياد سنة إِحْدَى وخمسين ، ثم قَدِمَ قَيْسُ على ابن عامر فضربه
وحبسه ، واستعمل عبد الله بن خازم ، فَأَرْسَلَ إليه أهلُ هَرَاةَ وبَادَغِيْسٍ
وبو شَنْجٍ يطلبون الأمان والصلح ، فصالحهم وحمل إلى ابن عامر مالا .

وفيهما ولد على بن عبد الله بن العباس ، وقيل : ولد سنة أربعين
قبل قتل على رضى الله عنه ، والإول أصح .

وحج بالناس في هذه السنة عُتْبَةُ بنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وقيل : عُنْبَسَةُ بن
أَبِي سَفْيَانَ .

(١) الراجح أن المقتول في وقعة الجبل هو عمرو بن يَثْرُبُ أخو عَميرة بن يَثْرُبُ ،
انظر الإصابة ج ٣ ص ١١٩ وجمهرة أنساب العرب ص ١٩٥ والقاموس .

(٢) بوشنج : بلدة حصينة من نواحي هَرَاةَ ، وكذلك «بادغيس» من نواحي هَرَاةَ .

(٣) نوبهار ببلخ بناء : كان أهلها يظلمونه يظلمها ، ويغشون النوبهار : البهار الجديد ، وكان
من عاداتهم أنهم إذا بنوا بناء يمتنون به كلوه بالريحان ويوعوا لذلك أول ريحان يطلق في ذلك
الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان ، فكان البهار ، فسمى
«النوبهار» لذلك .

(٤) وكان يقال له «عطاء الخشك» لأنه أول من دخل من المسلمين باب هَرَاةَ الذي
يقال له «خشك» .

سنة الثنتين وأربعين

في هذه السنة ولَّى معاوية مَرْوَانَ بن الحكم المدينة ، ووخالد بن العاص بن هشام مكة ، فاستقضى مروانُ عبد الله بن الحارث ابن نوفل ^(١) .

ذكر قدوم زياد بن أبيه

على معاوية بن أبي سفيان

في هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية ، وكان معاوية قد كتب إليه يشهدده ، حين قُتل على رضى الله عنه ، فقام زياد خطيباً فقال : العجب من ابن آكلة الكبود ^(٢) ، وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب يشهددنى وبينى وبينه ابناعمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى ابن عباس والحسن بن علي رضى الله عنهم - فى سبعين ألفاً ، واضيعى سيوفهم على عوائقهم ، أما والله لئن خلص إلى ليجِدنى أحمر ضراباً بالسيف ^(٣) .

فلما صالح الحسن معاوية اعتصم زياد بقلعته كما تقدم ثم ، كان من خبر بنيهِ مع بُسر بن أرطاة ماذكرناه ، فأقام معاوية أمره ، وكان زياد قد استودع عبد الرحمن بن أبي بكر ماله ، فبلغ معاوية ذلك ،

(١) عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ، وأمه هى هند بنت أبي سفيان ، فكان معاوية خاله ، وكان مرضياً ظاهراً للصالح .

(٢) كانت هند بنت حبة - وهى أم معاوية - فى جيش المشركين يوم أحد وقد شفت عن بطن حمزة بن عبد المطلب وأخرجت كبده ، وجعلت تلوكها ، فلم تستطع أن تسيها ، فلفقتها . انظر نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٠١ .

(٣) أحمر : شديداً . ثم انظر ما يأتى قريباً فى « ذكر استحقاق معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبيه » .

فبعث إلى المغيرة بن شعبة لينظر في أموال زياد ، فآخذ عبد الرحمن فقال له لئن كان أبوك أساء إليّ لقد أحسن عمك ^(١) - يعني زيادا - فكتب إلى معاوية : إني لم أجِد في يد عبد الرحمن مالاّ يحلّ لي أخذه . فكتب إليه معاوية : أن عذّب عبد الرحمن . فقال لعبد الرحمن : احتفظ بما في يدك ، وألقى على وجهه حريرة ^(٢) ونضحها بالماء فغشي عليه ، فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم خلاه ، وكتب إلى معاوية : إني عذّبتك فلم أجِد عنده شيئا .

ثم دخل المغيرة على معاوية فقال له ^(٣) : ذكرت زيادا واعتصامه بفارس فلم أنم ليلتي . فقال المغيرة : ما زياد هناك ؟ فقال معاوية : « داهية العرب ! معه أموال فارس ، يدبّر الحيل ، ما يؤمنني أن يبائع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هم قد أعادوا الحرب جذعة ! » واستكتمه معاوية ذلك ، فقال المغيرة : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إتيانه ؟ قال : نعم وتلطّأ له ، فتأد المغيرة وقال له : إن معاوية استخفه الوجَل حتى بعثني إليك ، ولم يكن أحد يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع فخذ لنفسك قبل التّوطّين فيستغنى معاوية عنك .

(١) كان الشهود على المغيرة عند عمر بن الخطاب أريمة : أبو بكره وثانف وشل ابن مبد وزياد ، وكلهم أولاد سمية ، إلا أن زيادا لم يقطع الشهادة ، فلم المغيرة من الجلة بسبب زياد .

(٢) يطلق « الحريرة » على ما طبخ من التّيق واللحم ، وعلى قطعة الحرير .

(٣) قال معاوية للمغيرة حين نظر إليه :

إنما موضع سر المرء إن باع بالمر أخوه المتصح

فإذا بحث بر فإل ناصح يستمر أولا تبح

فقال : يا أمير المؤمنين إن تستودعي تهودع ناصحا شقيقا وزعا وثيقا فما ذاك يا أمير المؤمنين قال : ذكرت زيادا الخ .

قال : أَسِرُّ عَلَى وَارِثِ الْفَرَسِ الْأَقْصَى فَإِنِ الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ . فقال المغيرة : أَرَى أَن تَصِلَ حَبْلَكَ بِحَبْلِهِ وَتَشْخَصَ إِلَيْهِ . [قال : أَرَى] ^(١) ويقضى الله . وكتب إليه معاوية بأمانه بعد عود المغيرة عنه .

فخرج زياد من فارس نحو معاوية ، ومعه البنجاب بن راشد الضبِّي ، وحارثة بن بدر ، وقدم على معاوية فسأله عن أموال فارس فأخبره بما حمل منها إلى على رضي الله عنه ، وما أنفق منها في الوجوه التي تحتاج إلى النفقة ، وما بقى عنده وأنه مُودِعٌ للمسلمين ، فصدقه معاوية فيما أنفق وفيما بقى عنده وقبضه منه ، وقيل : إن زيادا لما قال لمعاوية : قد بقيت بقية من المال ، وقد أودعتها [قوما] ^(٢) فمكث معاوية يروده ، فكتب زياد كتباً إلى قوم يقول : قد علمت ماى عندكم من الأمانة ، فتدبروا كتاب الله ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ الآية ^(٣) فاحتفظوا بما عندكم . وسمى في الكتب المال الذي أقربيه لمعاوية ، وأمر رسوله أن يتعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية ، ففعل رسوله ، وانتشر ذلك ، فقال معاوية لزياد حين وقف على الكتب : أخاف أن تكون مكرت بي فصالحنى على ما شئت ، فصالحه على ألفى ألف درهم ، وحملها زياد إليه ، واستأذنه زياد في نزول الكوفة فأذن له ، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه ، وكتب معاوية إلى المغيرة ليُلْزِمَ زيادا وحُجْرَ ابن عدى وسليمان بن

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٢٥ .

(٢) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٢٦ .

(٣) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .

صُرَدَ وَشَيْبِ بْنِ رَبِيعٍ وَابْنِ الْكَوَّاءِ ^(١) وَابْنِ الْحَقِيقِ ^(٢) بِالصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَعَهُ الصَّلَاةَ ^(٣) .

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ .

سنة ثلاث وأربعين

فِيهَا اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ عَلَى خِرَاسَانَ وَعَزَلَ قَيْسُ بْنُ الْهَيْثَمِ عَنْهَا ^(٤) وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ . وَفِيهَا تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

مَعِينُ التَّارِيخِ ذِكْرُ وَفَاةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ لِأَهْلِ التَّارِيخِ

وَشَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَاسْتَعْمَالَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرُو عَلَى مِصْرَ

كَانَتْ وَفَاتِهِ بِمِصْرَ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى الْأَصْحَحِ وَكَانَ لَهُ يَوْمَ مَاتَ تِسْعُونَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِالْمَقَطَمِ مِنْ نَاحِيَةِ السَّفْحِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعِيدِ .

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ فَرَسَانَ قَرِيشَ وَأَبْطَالُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَةِ مَذْكُورًا بِذَلِكَ فِيهِمْ .

(١) ابْنُ الْكَوَّاءِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لُؤَى ، ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٤ ص ١٦٢ وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٢١٩ .

(٢) عَمْرُو بْنُ الْحَقِيقِ ، كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٤ ص ١٤٧ .

(٣) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٣١١ : « وَإِنَّمَا أَلْزَمَهُمْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ عَلٍ » .

(٤) انْظُرْ مَقِيلَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ فِي تَارِيخِ ابْنِ جُرَيْجٍ ج ٤ ص ١٦٠ وَالْكَامِلِ لِابْنِ

الْأَثِيرِ ج ٣ ص ٢١٨ .

وكان حسن الشعر ، فمن شعره يخاطب عُمارة بن الوليد بن
الغيرة عند النجاشي :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينفذ قلباً غاوباً حيث يُمّا
فَقَعَى وَطَرًا منه وَعَادَرَ سُبَّةً إذا ذُكِرَتْ أمثالها تملأ الفما

وكان أحدَ الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي ، وكان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه إذا استضعف رجلا في رأيه قال : أشهد أن
خالقك وخالق عمرو واحد . يريد خالق الأضداد .

حكى أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص
وهو على المنبر عن أمه ، فسأله ، فقال : أمي سلمى بنت حرملة
تلقب النابغة من بنى عنزة ، ثم أحد بنى جُلان ، أصابتها رواح
العرب ^(١) فبيعت بمكأظ . فاشتراها الفاكه بن الغيرة ، ثم اشتراها
منه عبد الله بن جُدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له ،
فأنجبت ، فإن كان جُعِلَ لك شيء فخذهُ .

قالوا : ولما حضرته الوفاة قال : « اللهم أمرتني فلم آمر ،
وزجرتني فلم أنزجر » ووضع يده في موضع القُل ثم قال : « اللهم
لا قوى فأنتصر ، ولا برى فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ،
لا إله إلا أنت » . فلم يزل يرددُها حتى مات .

وروى أبو عمر ابن عبد البر ^(٢) بسنده إلى الشافعي رضى الله عنه
أنه قال . دخل ابن عباس رضى الله عنهما على عمرو بن العاص في
مرضه فسلم عليه وقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال : « أصبحتُ
وقد أصلحتُ من دنياي قليلا ، وأفسدتُ من ديني كثيرا ، فلو كان

(١) سبت وهي من بنى جلان بن هنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

(٢) في الاستيعاب ج ٢ ص ٥١٣ .

الذى أصلحتُ هو الذى أفسدتُ ، والذى أفسدتُ هو الذى أصلحتُ
 لفزتُ ، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبتُ ، ولو كان يُنجينى أن أهربُ
 هربتُ ، فصرتُ كالمُجنون بين السماء والأرض ، لا أرى بيدتين
 ولا أهبطُ برجلين ، فعظي بعظة أنتفع بها يابن أخى . فقال ابن
 عباس : « هيهات يا أبا عبد الله ، صار ابن أخيك أخاك ، ولانشاء
 أن تبكى لإلهاكيت ، كيف يؤمر برحيل من هو مقيم ؟ » . فقال عمرو
 على حينها من حين ابن بضع وثمانين سنة تُقنطنى من رحمة ربى ،
 اللهم إن ابن عباس يقنطنى من رحمتك فخذ منى حتى ترضى ، فقال
 ابن عباس : هيهات يا أبا عبد الله أخذتَ جديداً وتعطى خلقاً ، قال :
 مالى ولك يا ابن عباس ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها .

وروى ^(١) بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب : أن عبد الرحمن بن
 سُماسة حدثه قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى ، فقال
 له ابنه عبد الله : « لم تبكى ؟ أجزعا من الموت ؟ » قال : لا والله ولكن
 لما بعده ، فقال له : لقد كنت على خير ، وجعل يذكره صحبة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وفُتُوحَه الشام . فقال له عمرو : « تركت
 أفضل من ذلك كله ، شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة
 أطباق ^(٢) ، ليس منها طَبَقٌ إلّا عرفت نفسى فيه ، كنت أول شىء
 كافرا ، فكنتُ أشدَّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلومتُ
 حينئذ وجبت لى النار ، فلما بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كنتُ أشدَّ الناس حياء منه ، فما ملأتُ عينى من رسول الله صلى الله

(١) فى الاستيعاب ج ٢ ص ٥١٤ .

(٢) الأطباق : المراد بها الأحوال .

عليه وسلم حياء منه ، فلو مت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمره
أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فترجى له الجنة ، ثم
تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلى أم لا ؟ فإذا مت
فلا تبكين على باكية ، ولا يتبعني ماح ولا زار ، وشئوا على لازاري
فإني مخاصم ، وشئوا على التراب فإن جنبي الأيمن ليس بأحق من
جنبي الأيسر ، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني
فاقعدوا عندي فقدر نحر جزور وتقطيعها [(١) بينكم] أستأنس
بكم ! . ولما مات استعمل معاوية بعده على مصر ابنه عبد الله بن عمرو .

سنة أربع وأربعين

في هذه السنة حج معاوية بالناس .

وفيهما عمل مروان بن الحكم المقصورة ، وهو أول من عملها
بالمدينة ، وكان معاوية قد عملها بالشام لما ضربه الخارجي .

ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة

واستعمال الحارث بن عبد الله

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وسبب ذلك
أنه كان كريماً حليماً ليناً لا يأخذ على أيدي السفهاء ، ففسدت
البصرة في أيامه ، فشكا ذلك إلى زياد ، فقال له : جرد [فيهم] (٢)
السيف ، قال : إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي ! .

فلما علم معاوية حال البصرة أراد عزل ابن عامر ، فأرسل إليه

(١) الزيادة من الاستيعاب .

(٢) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ١٦٢ .

يُسْتَزِيرُهُ ، فُجَاءَ إِلَيْهِ ، فَرَدَهُ إِلَى ^(١) عَمَلِهِ ، فَلَمَّا وَدَعَهُ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ :
 «إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا [فَقُلَ : هُنَّ لَكَ] . ^(٢) قَالَ : هُنَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ أُمِّ حَكِيمٍ ^(٣)
 فَقَالَ : تَرُدُّ عَلَى عَمَلِي وَلَا تَغْضَبُ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتَهَبُ لِي
 مَالَكَ بِعَرَفَةٍ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتَهَبُ لِي دُورَكَ بِمَكَّةَ . قَالَ
 قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَصَلْتُكَ رَحِمَ ! قَالَ ابْنُ عَامِرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنِّي سَأَلْتُكَ ثَلَاثًا ، فَقُلَ هُنَّ لَكَ . قَالَ هُنَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ هِنْدَ ،
 قَالَ : تَرُدُّ عَلَى مَالِي بِعَرَفَةٍ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَلَا تُحَاسِبْ لِي
 عَامِلًا وَلَا تُتَبِعْ لِي أَثَرًا . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالَ : وَتُنْكِحُنِي ابْنَتَكَ
 هِنْدَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

وَيُقَالُ : إِنْ مَعَاوِيَةُ قَالَ لَهُ : «اخْتَرِ إِنَّمَا أَنْ أَتَّبِعَ أَثَرَكَ وَأَحَاسِبُكَ بِمَا
 صَارَ إِلَيْكَ وَأَرُدُّكَ إِلَى الْعَمَلِ ، أَوْ أَعَزُّكَ وَأَسُوِّغُكَ مَا أَصَبْتُ » .
 فَاخْتَارَ الْعَزْلَ وَأَنْ يَسُوِّغَهُ مَا أَصَابَ ، فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ الْحَارِثَ
 ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِي ، وَكَانَ ابْنُ عَامِرٍ قَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى خُرَاسَانَ ، قَبْلَ
 مَقْدَمِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْخٍ الْيَشْكُرِي ، وَقِيلَ : بَلِ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا طُفَيْلُ بْنُ
 عَوْفٍ الْيَشْكُرِي .

(١) عند الطبري وابن الأثير « عمل » .

(٢) الزيادة من ابن جرير في تاريخه وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢١٩ .

(٣) كانت أم عامر والد عبد الله هي أم حكيم اليشكر بنت عبد المطلب بن هاشم .

ذكر استلحاق معاوية بن أبى سفيان

زياد بن أبىه وهو ابن سُمَيَّة

وفى هذه السنة استلحق معاوية زياد بن أبىه ، وقد ذكر عز الدين أبو الحسن على بن الأثير فى تاريخه الكامل^(١) سبب ذلك وكيفيته ، وابتدأ حال سُمَيَّة فقال : كانت سُمَيَّة أم زياد لِدِهْقَان زَنْدَوْرَد^(٢) ، بكنسك فمرض الدهقان ، فدعا الحارث بن كَلْدَةَ الطبيب الثقفى ، فعالجه ، فبرأ ، فوهبه سُمَيَّة ، فولدت عند الحارث أبا بكره واسمه نُفَيْع ، فلم يُقَرِّبه ، ثم ولدت نافعا فلم يُقَرِّبه أيضا ، فلما نزل أبو بكره إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين حضر^(٣) الطائف ، قال الحارث لنافع : أنت ولدى ، وكان قد زوج سُمَيَّة من غلام له اسمه عُبَيْد^(٤) ، وهو رومى ، فولدت له زيادا .

قال : وكان أبو سفيان بن حرب سار^(٥) فى الجاهلية إلى الطائف فنزل على نخمار يقال له أبو مريم السلولى - وأسلم أبو مريم^(٦) بعد ذلك ، وصحب النبى صلى الله عليه وسلم - فقال أبو سفيان لأبى مريم : قد اشتبهت السماء فالتمس لى بَغِيًّا ، فقال هل لك فى سمية ؟ فقال : هاتها على طول ثدييها وذفر بطنها . فاتاه بها ، فوقع

(١) ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢١ .

(٢) زندورد : بلد قرب واسط : وكسكر : كورة صارت قصبها واسط .

(٣) كذا جاء فى النسخة (ك) ، وجاء فى النسخة (ن) : « حصر » ... هذا وقد روى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نازلا بالطائف ، فتأذى مناديه : « من خرج إلينا من عيدهم فهو سر » فخرج إليه نافع ونفيع - بنى أبا بكره وأخاه - فأعطفهما ، وانظر نهاية الأرب ج ١٧-٣٣٧ : وانظر قسمة « أبى بكره » فيما سبق من هذا الجزء .

(٤) انظر خزائن الأدب ج ٢ ص ٥١٧ .

(٥) كذا جاء فى النسخة (ك) ، وجاء فى النسخة (ن) : « صار » .

(٦) أبو مريم السلولى : مالك بن ربيعة ، وهو مشهور بكنيته .

عليها ، فعَلِقَتْ بزِيَاد ، ثم وضعت سنة إحدى ^(١) من الهجرة .
فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعري حين ولي البصرة .
ثم إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استكفى زيادا أمرا ،
فقام فيه مقام مرضيا ، فلما عاد إليه حضر وعند عمر المهاجرون
والأنصار ، فخطب خطبة لم يسمعوا مثلها ، فقال عمرو بن العاص :
«لله در هذا الغلام . لو كان أبوه من قریش لساق العرب الناس بعصاه» .
فقال أبو سفيان وهو حاضر : والله إني لأعرف أباه ومن وضعه في
رحم أمه . فقال له علي بن أبي طالب : ومن هو يا أبا سفيان ؟ قال :
أنا . قال : «مهلا يا أبا سفيان ، اسكت ، فإنك تعلم أن عمر
لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعا » .

وزوى أبو عمر ابن عبد البر ^(٢) بسنده إلى ابن عباس : أن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه بعث زيادا في إصلاح فساد وقع باليمن ، فرجع من
وجهه ، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها (وذكر كلام عمرو بن العاص
ومقالة أبي سفيان وكلام علي رضى الله عنه بنحو ما تقدم) قال : فقال
أبو سفيان :

أما والله لولا خوف شخص يرانى يا على من الأعنادى
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم يكن المقالة عن زياد
وقد طالت مجاملي ثقيفا وتركى فيهمو قدر الفؤاد

(١) كذا جاء في الأصل - يريد السنة الأولى من الهجرة ، وهذه إحدى الروايات
في ميلاد زياد - وفي الاستيعاب وأسد الناقة : ولد عام الهجرة ، وقيل : قبل الهجرة .
وقيل : يوم بدر ، وفي الطيقات : ولد عام الفتح ، وموسم ثمان من الهجرة .
(٢) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٩ .

نعود إلى ماحكاه ابن الأثير قال : فلما ولي علي رضي الله عنه الخلافة استعمل زيادا على فارس فضبطها وحَمَى قلاعها ، واتصل الخبير بمعاوية فسأه ذلك ، فكتب إلى زياد يتهكده ، ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه ، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس فقال : « العَجَبُ ^(١) كُلُّ العَجَب من ابن آكلة الأكباد ^(٢) ، ورأس النفاق ، يخونني بقصده إِيَّايَ وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار . أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشياً ^(٣) ضراباً بالسيف . » وبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فكتب إليه : « إني قد ولَّيتك ماوليتك وأنا أراك له أهلاً ، وقد كان من أبي سفيان فلتة من أمانى الباطل وكذب النفس ، لا توجب له ميراثاً ولا تحل لك نسباً ، وإن معاوية يأتى الإنسان من بين يديهِ ومن خَلْف ، وعن يمينه وعن شماله فاحذَر ثم احذَر ، والسلام .. »

فلما قُتل علي رضي الله عنه وكان من أمر زياد ومصالحة معاوية ما ذكرناه ، وضع زياد مَصْقَلَةً بن هُبَيْرَةَ الشَّيبَانِي ، وضمن له عشرين ألف درهم ، ليقول لمعاوية : « إن زيادا قد أكل فارس برا وبحرا ، وصالحك على أَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ، والله ما أرى الذى يُقال لِإِلْحَقَاءِ فإذا قال لك يقال : وما يقال ؟ فقل : إنه ابن أبي سفيان . ففعل مَصْقَلٌ ذلك . »

(١) انظر ما سبق في « ذكر قوم زياد بن أبيه على معاوية بن أبي سفيان » .

(٢) آكلة الأكباد : أمه ، أكلت كبد حمزة رضي عنه حين قتل يوم أحد ، والمراد بأكلاها أنها لاكتها ، انظر نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٣) يخشاه الناس .

ورأى معاوية أن يستصقي مودته باستلحاقه ، فاتفقا على ذلك ، وأحضر الناس وحضر من شهد لزياد ، وكان قيمن حضر أبو مريم السلولي ، فقال له معاوية : بم تشهد يا أبا مريم ؟ فقال : أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغيًا ، فقلت ليس عندي إلا أسميّة فقال : ايتني بها على قدرها ووضرها . فأتيتها بها فخلا معها ، ثم خرجت من عنده وإن استكثيها ليقطران منيًا . فقال له زياد : مهلا أبا مريم إنما بعثت شاهدًا ولم تبعث شاتمًا . فاستلحقه معاوية .

وكان استلحاقه أول ما رُدّت فيه أحكام الشريعة علانية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالولد للفراس وللعاقر الحجر .

قال (١) : وقد اعتذر الناس عن معاوية في استلحاقه إياه ، فقالوا : إن أنكحة الجاهلية كانت أنواعا ، منها أن الجماعة يجامعون البغي فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم ، فلما جاء الإسلام حرم هذا النكاح ، إلا أنه أقرّ نسب كل ولد إلى من كان ينسب إليه من أى نكاح كان ، فتوهم معاوية أن ذلك جائز له ، ولم يفرق بين ما استلحق في الجاهلية والإسلام .

قال أبو عمر ابن عبد البر (٢) : ولما ادّعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية ، وفيهم عبد الرحمن بن الحَكَم ، فقال : يا معاوية لولم نجد إلا الزّنج لاستكثرت بهم علينا قلةً وذلةً ، فأقبل معاوية على مروان ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع ، فقال مروان : والله إنه لخليع ما يطاق . فقال معاوية : « والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه لا يطاق ،

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢١ .

(٢) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٧٠ - ٥٧١ .

ألم يبلغني شعره في وفي زياد ؟ . ثم قال لمروان أسمعني ، فقال :

أَلَا بَلَّغَ (١) مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ لَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا تَأْتِي الْيَدَانِ
أَنْغَضِبُ أَنْ يُقَالَ : أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ : أَبُوكَ زَانِي ؟
فَأَشْهَدُ أَنْ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرَحِمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْإِنَانِ
وَأَشْهَدُ أَنَّهَا حَمَلَتْ زِيَادًا وَصَخْرٌ مِنْ مُسَبَّةٍ غَيْرِ دَانِ

قال (٢) : وهذه الأبيات تروى ليزيد بن ربيعة بن مفرغ (٣)
الحِمْيَرِي الشاعِر ، وَمَنْ رَوَاهَا لَهُ جَعَلَ أَوْلَاهَا :

أَلَا بَلَّغَ (٤) مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ مُغْلَقَةً مِنْ الرَّجُلِ الْيَمَانِي
قال أبو عمر : وروى عمر بن شبة وغيره أن ابن مفرغ لما شفعت
فيه اليمانية إلى معاوية أو ابنه يزيد ، وكان قدلقى من عباد بن زياد
وأخيه عبيد الله مالتى من النكال مما يطول شرحه ، فلما وصل إلى معاوية
بكى وقال : « يا أمير المؤمنين ركب مني مالم يُركب من مسلم قط ،
على غير حَدَثٍ في الإسلام ولا خَلْعٍ يَدٍ من طاعة » . وكان عبيد الله
ابن زياد قد أمر به فُسِّقَى دواء ، ثم حمل على حمار وطيف به وهو
يَسْلُحُ في ثيابه ، فقال معاوية : أَلَسْتَ الْقَائِلَ ؟ :

أَلَا بَلَّغَ مُعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرٍ . . . وذكر الأبيات .

فقال ابن مفرغ : « لا والذي عَظَّمَ حَقُّكَ ورفَعَ قَدْرُكَ يا أمير المؤمنين

(١) في الاستيعاب : « أبلغ » .

(٢) أبو عمر ابن حيد البر .

(٣) سى جده « مفرغاً » لأنه راعى على أن يشرب صاع من لبن قهره .

(٤) في الاستيعاب : « أبلغ » .

ماقلتها قط ولقد بلغني أن عبد الرحمن بن الحَكَم قالها ونسبها إليّ
قال ألسنت القائل ؟ :

شهدتُ بأنَّ أَمَك لم تباشِرْ أبا سُفيان واضعة القَنَاص
ولكن كان أَمَرُ فيه لُبْسٌ على وَجَل شديد وأزْتِياع
أو لست القائل أيضاً ! :

إنَّ زياداً ونافعاً وأبسا بَكْرَةً عندي منْ أعجَب العَجَبِ
هُمُ رِجالٌ ثلاثَةٌ خلُقُوا في رَحِمِ أُنثى ما كلُّهم لأبٍ (١)
ذا قُرَيشٍ كما يقول ودَا مَوْتِي وهذا بزَعْمِ عَرَبِي

في أشعار قُلَّتْها لزياد وبنيه نهجهم ! أغْرُبْ لاعفا الله عنك !
فقد عفوت عن جرْمك ، ولوصحبت زيادا لم يكن شيء مما كان ،
اذهب فاسكن أى أرض أحببت . فاختار الموصل :

قال أبو عمر : وليزيد بن مفرغ في هجو زياد وبنيه - من أجل
مالقى من عبّاد بن زياد بخراسان - أشعار كثيرة منها :

أعبّادُ ما لِلْؤم عنك مُحَوَّلٌ ومالكَ أُم في قرينس ولا أب
وقلْ لِعَبِيدِ الله مالك والدُّ بحق ولا يدرى أَمَرء كيف تُنسب

(١) جاء في مروج الذهب ج ٢ ص ٥٧ : « في رَحِمِ أُنثى خالتي النسب » .

وقوله ^(١) في زياد :

فَكَرَّرَ فَفِي ذَلِكَ إِنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبِرٌ حَلَّ نِلْتَ مَكْرَمَةً إِلَّا بِتَأْمِيرِ
عَاشَتْ سُمَيَّةٌ مَا عَاشَتْ وَمَا عَلِمَتْ أَنْ ابْنَهَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
قال ^(٢) : وكان أبو بكره أخا زياد لأُمِّه ، فلما بلغه أن معاوية
استحلحقه وأنه رضى بذلك آلى يميناً ألا يكلمه أبداً ، وقال : « هذا
زَنَى أُمُّهُ وانتَفَى مِنْ أَبِيهِ ، لا والله ما علمتُ سُمَيَّةَ رَأَتْ أَبَا سَفِيَانَ قَطُّ ،
وَيَلَهُ ! ما يصنع بأُمِّ حَبِيبَةٍ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أيريد أن
يرأها ؟ فإن حُبَّه فَضَحَتْه ، وإن رَأَاهَا فَيَالَهَا مُصِيبَةً ، يَهْتِكُ مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرْمَةً عَظِيمَةً » . ١ .

فلما حجَّ زياد ودخل المدينة أرادوا الدخول على أم حَبِيبَةٍ ، ثم
ذكر قول أبي بكره فأنصرف عن ذلك . وقيل : إن أم حَبِيبَةٍ حَجَّهَتْه
ولم تأذن له في الدخول عليها ، [قيل] ^(٣) وإنه حج ولم يزرها من أجل
قول أبي بكره ، وقال : جزى الله أبا بكره خيراً لم يدع النصيحة
على كل حال .

قالوا ^(٤) : وكتب زياد « إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها :

(١) روى أن عبيد الله بن زياد قال : ما هجيت بشيء أشد من قول ابن مفرغ ،
فكر ففى ذلك الخ البيهقي .

(٢) أبو عمر ابن عبد البر في الاستيعاب .

(٣) الزيادة من الاستيعاب .

(٤) ذكر هذا القول ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢١ .

من زياد بن أبي سفيان « وهو يريد أن تكذب إليه » إلى زياد بن أبي سفيان « فكتبت إليه . من عائشة أم المؤمنين إلى ولدها زياد . وكان يُقال لزياد قبل الاستلحاق « زياد بن أبيه » و « زياد بن أمه » و « زياد بن سُمَيَّة » و « زياد بن عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ » .

وروى أبو عمر ^(١) بسنده إلى أبي عثمان النهدي قال : اشترى زياد أباه عُبَيْدًا بألف درهم فأعتقه . . فكنَّا نغيظه بذلك .

سنة خمس وأربعين

ذكر ولاية زياد البصرة وخراسان وسجستان

وما تكلم به زياد عند مقدمه ومن استعمله زياد من العمال

وفي هذه السنة عزل معاوية الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وكان قد استعمله عليها في [أول] ^(٢) هذه السنة ، ثم عزله ، فكانت ولايته أربعة أشهر ، واستعمل زيادا على البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

فقدّم زياد البصرة في آخر شهر ربيع الآخر من السنة : فدخلها والفيسق فيها ظاهر فاشير .

فخطب خطبة بترءاء ^(٣) لم يحمد الله فيها (وقيل : بل حمّد الله

(١) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٨ .

(٢) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ٦ « أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسون الخطبة التي لم تبدأ بالتحديد وتستفتح بالتحديد بالتراء » .

فقال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمِهِ وإكرامه ، اللهم كما زِدْتَنَا نِعَمًا فَأَلْهِمْنَا شُكْرًا على نعمك فينا . (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهَّالَةَ الْجَهْلَاءَ وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ وَالْفَجْرَ^(١) الْمَوْقِدَ لِأَهْلِهِ النَّارَ^(٢))

الباقى عليهم سَعِيرُهَا ، مَا بَيَّأْتِيهِ سُفْهًا وَكَمْ وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ حُلُمًا وَكَمْ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، فَيُثَبِّبُ^(٣) فِيهَا الصَّغِيرَ ، وَلَا يَنْحَاشُ عَنْهَا الْكَبِيرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعُوا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَلَمْ يَقْرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا^(٤) مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ الَّذِي لَا يَزُولُ ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ عَرَفَتْ عَيْنُهُ الدُّنْيَا^(٥) وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ وَاخْتَارَ الْفَنَاءَ عَلَى الْبَاقِيَةِ ؟ وَلَا تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ أَحَدْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ الْحَدَّثَ الَّذِي لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ (وَفِي نَسْخَةِ^(٦))

بعد قوله « لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ » قَالَ : مَنْ تَرَكَكُمْ الضَّعِيفُ يُقَهَّرُ وَيُؤْخَذُ مَالُهُ وَالضَّعِيفَةُ الْمُسْكِينَةُ فِي النَّهَارِ الْمُبْصِرِ (هَذِهِ الْمَوَاقِيرُ^(٧) الْمَنْصُوبَةُ ، وَالضَّعِيفَةُ الْمَسْلُوبَةُ فِي النَّهَارِ الْمُبْصِرِ ، وَالْعَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ ! أَلَمْ تَكُنْ

(١) فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ ج ٢ ص ١٢ « وَالنَّبِيُّ » :

(٢) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ج ٤ ص ١٦٥ وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ

ج ٣ ص ٢٢٢ ، وَجَاءَ فِي الْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ ج ٢ ص ٦٢ وَالْمَقْدُ الْقَرِيدُ ج ٤ ص ١١٠ « الْمَوْقِدُ بِأَهْلِهِ حُلُّ النَّارِ » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالْكَامِلِ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ وَالْبَيَانِ وَالْبَيِّنِ وَالْمَقْدُ الْقَرِيدُ : « يَثَبِّتُ » .

(٤) جَاءَتِ الْأَهْدَالُ « يَسْمَعُوا » وَ « يَقْرَءُوا » وَ « يَعْلَمُوا » بِالْيَاءِ فِي النَّسْخَةِ (ك)

وَلَمْ تَقُطْ أَوَّلُهَا فِي النَّسْخَةِ (ن) ، وَجَاءَتِ بِالتَّاءِ فِي تَارِيخِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ وَالْكَامِلِ وَالْبَيَانِ وَالْمَقْدُ .

(٥) أَيْ : طَلَعَتْ بِبَصَرِهِ إِلَيْهَا ، مِنْ قَوْلِهِ « امْرَأَةٌ مَطْرُوقَةٌ بِالرِّجَالِ » إِذَا كَانَتْ طَالِحَةً إِلَيْهِمْ ، وَقِيلَ : طَرَقَتْ عَيْنَهُ لَبَّى صَرْفَهَا إِلَيْهَا ، كَمَا فِي الْبَهَايَةِ .

(٦) كَذَا جَاءَ فِي النَّسْخَةِ (ن) ، وَلَمْ يَثَبِّتْ فِي النَّسْخَةِ (ك)

(٧) قَالَ صَاحِبُ الْبَهَايَةِ : لِلْمَوَاقِيرِ جَمْعُ مَا خُورَ ، وَهُوَ مَجْلِسُ الرِّيَةِ وَجَمْعُ أَمَلِ الْقَسَمِ وَالْفَسَادِ وَبَيُوتِ الْخَائِرِينَ .

منكم نُهاة^(١) تمنع الفؤاة عن ذلك^(٢) الليل وغارة النهار ؟ قربتم
القرابة وباعدتم الدين ! تعذرون بغير العذر وتغطون^(٣) على المختلس !
كل أمرئ منكم يذُبُّ عن سفيهه صنْع من لا يخاف عاقبة ولا يخشى^(٤)
معادا ! ما أنتم بالحُلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يَزَلْ بهم مَاتَرُونَ^(٥)
من قيامكم دُونَهُمْ حَتَّى انْتَهَكُوا حَرَمَ الإسلام ثم أَطْرَقُوا وراءكم كُنُوسًا في
مَكَانِسِ^(٦) الرِّيب ! حرامٌ عَلَى الطعام والشراب حَتَّى أُسْوِيَهَا بالأَرْض
هَذَا وإحراقا ! إني رأيت هذا الأمر لا يصلح إلَّا بما صالح به أوله :
ليس في غير ضعف ، وشدة في غير جبرية وعُنف ، وإني أقسم بالله
لَأَتَّخِذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ وَالْمُقِيمَ بِالظَّاعِنِ ، وَالْمُقِيلَ بِالْمُنْذِرِ ، وَالصَّحِيحَ
مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : اُنْجُ
سَعْدُ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدُ^(٧) ، أَوْ تَسْتَقِيمَ لِي قَتَاتُكُمْ ! إِنْ كَذَبَ الْمُنْبِرُ

(١) ألهاء : جمع التامى ، كما تكون الفؤاة جمع الفؤى .

(٢) دليج الليل : يراد به السير في الليل ، وأكثره يكون للسرقة أو الفجور .

(٣) في الكامل : « تغطون » ، وفي البيان : « تفضون » .

(٤) في تاريخ الطبري والبيان والمقد : « ولا يرجو » .

(٥) في المقد : « بكم ماترون » ، وكذلك بعض نسخ البيان ، وفي بعضا : « هم

مايرون » .

(٦) يقال : كس الظي في كئسه أو مكئسه ، إذا تغيب واستتر في بيته ، قال
صاحب النهاية في شرح هذه الجملة من خطبة زياد : المكائس : جمع مكس ، فعل من
الكئس ، والمضى استتروا في مواضع الرية .

(٧) « انج سعد فقد هلك سعيد » مثل من أمثال العرب ، انظر جميع الأمثال في حرف
النون ج ٢ ص ٣٠١ ، و « سيد » و « سعيد » إنا ضبة بن طابخة بن إلياس بن مضر ،
وكانا قد زوجها في طلب إبل لأبيهما فقررت في الليل ، فوجدتها سعد فردعا ، ومضى سعيد
في طلبها ، فلقى الحارث بن كعب فقتله وأخذ يرديه ، انظر جميع الأمثال ج ١ ص ٣٠١
والفاخر ص ٥٩ .

مشهودة (١) ، فإذا تعلقتُم عليَّ بكذبة فقد حلت لكم مَعْصِيَتِي ! مَنْ بَيَّتَ (٢) منكم فأنَّا ضامنٌ لما ذهب له ، وإيَّايَ ودَلَجَ الليل ، فإني لا أوتى بمُدْلِجٍ إلَّا سَفَكْتُ دمه ، وقد أَجَلْتُكم في ذلك بقَدْر ما يَأْتِي الخبرُ الكوفةَ ويرجعُ إليكم - وإيَّايَ ودَعَوَى الجاهليَّة (٣) ، فإني لأَجِدُ أحداً دعاها إلَّا قَطَعْتُ لسانه ، وقد أَحَدْتُم أحداً لم تَكُنْ ، وقد أَحَدْتُنا لكلِّ ذنب عقوبة ، قمن عَرَّق قوما غَرَقناه ، ومن حَرَّق قوما حَرَّقناه ، ومن نَقَب بَيْتاً نَقَبْتُ عَنْ قلبه ، ومن نَبَشَ قَبراً دَفَنْتُهُ فيه حيًّا ! فَكْفُوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكْهَفُ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي ، ولا يظهر من أَحَدٍ منكم خِلافٌ ماعليَّة عامَّتكم إلَّا ضَرِبْتُ عُنُقَهُ ! وقد كانت بيني وبين أَعْوَامِ إِحْنَ (٤) فجعلت ذلك دَبْرَ أَذْنِي وتحت قدمي (٥) ، فمن كان منكم محسناً فليَزِدْهُ إِحْسَاناً ، ومن كان مُسِيئاً فليَنزِعْ عن إِسْأَته ، إِنِّي لو علمتُ أَن أَحَدَكُم قد قَتَلَهُ (٦) السِّلُّ من بغضِي لم أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعاً ولم أَهْدِكَ لَهُ سِتْراً حتَّى يُبْدِي لي صفحته ، فإذا فعل لم أَنَاظِرْهُ . فاستأنفوا أُمُورَكُم ، وأَعِينُوا عَلَيَّ

(١) روى أبو علي القائل في النوادر ص ١٨٥ قول زياد في خطبه : « ألا وإني لست ككذبة أكثر عليها شاعدا من الله ومن المسلمين من كذبة إمام على منبر » .

(٢) بيت : أصيب من شخص أوقع به ليلا .

(٣) ما كان عليه أهل الجاهلية من التعصب القبلي الأعمى يدعو بعضهم بعضاً عند الحادث فيقول : « يا فلان » ، وفي الصحيحين وغيرهما حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ضرب الخلود وثق الجيوب ودعا يدعى الجاهلية » .

(٤) إحن : جمع إحنة ، بمعنى حقد .

(٥) روى المبردي في الكامل قول زياد : « الإمرة تذهب الحفيظة » وكانت من قوم إل هنات جعلتها تحت قدمي ودبر أذني ، وقال المروزي في شرحه ج ٤ ص ١١٦ : « دبر : معناه خلف ، يريد تصاممت فلم أصنع إليه » .

(٦) رواية المبردي في الكامل : « أخذه » .

أنفسكم ، فَرُبُّ مُبْتَلِّسٍ بِقُدُومِنَا سَيُسِّرَ وَمَسْرُورٍ بِقُدُومِنَا سَيَبْتَلِّسُ (١)
 أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَاذَةٌ (٢) ، نَسْمُو سُمْكُمْ
 بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاهُ ، وَنُذَوُ دَعْنَكُمْ بِقِيَّ اللَّهِ الذِّخْوَلَنَاهُ ، فَلَنَا عَلَيْكُمْ
 السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وُلَّيْنَا ، فَاسْتَوْجِبُوا
 عَدْلَنَا وَفَيْتُنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا . وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَرْتُ عَنْكُمْ (٣)
 فَإِنِّي لَا أَقْصِرُ عَنْ ثَلَاثٍ : لَسْتُ مُحْتَجِّبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ
 أَتَانِي طَارِقًا بِلَيْلٍ ، وَلَا حَابِسًا رِزْقًا وَلَا عَطَاءً عَنْ إِبَّانِهِ ، وَلَا مُجَبَّرًا (٤)
 لَكُمْ بَعَثْنَا ، فَادْعُوا اللَّهَ بِالْصَّلَاحِ لِأَنَّهُمُكُمْ ، فَلَهُمْ سَامِسْتِكُمْ الْمُؤَدَّبُونَ ،
 وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَهَتَّى يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا (٥) ، وَلَا تُشْرِبُوا
 قُلُوبَكُمْ بِغَضَصِهِمْ ، فَيَشْتَدَّ لَذَلِكَ غِيْظُكُمْ ، وَيَطُولَ لَهُ حَزْنُكُمْ ، وَلَا تَذَرُوكُوا
 حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ، أَسْأَلُ اللَّهَ
 أَنْ يُعِينَ كَلًّا عَلَى كُلِّ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفِذْ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَانْفِذُوهُ عَلَى
 أَذْلَالِهِ (٦) . وَابْسُطِ اللَّهُ إِنْ لِي فِيكُمْ لَصْرَعِي كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرِ كُلُّ امْرِئٍ
 مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرَعَايَ ! .

- (١) ذكر المصنف في مروج الذهب ج ٢ ص ٦٧ أن زياداً قال :
 ألا رب مسرور بما لا يسهو وآخر محزون بما لا يضره
 (٢) ذاذة : جمع ذاذة ، وسيال القمل ، « تلود » أي : تدافع .
 (٣) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ الطبري والكمال والبيان : « عه » .
 (٤) تجبير الجنود : حبسهم في أرض العدو عن العودة إلى أهلهم ، وقد جاء في وصية
 عمر بن الخطاب قوله : « ولا تجبرهم في البعث فتقطع نسلهم » .
 (٥) كذا جاء في البيان والتبيين ، وجاء في تاريخ الطبري والكمال لابن الأثير :
 « ومتى يصلحوا يصلحوا » .
 (٦) أذلاله : طريقه ومذاهبه ، فالأذلال : جمع ذل - بكسر الذا - وهو ما عهد
 من الطريق ، قال صاحب النهاية : « ومه غطية زياد » : إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر
 فانفذوه على أذلاله .

فقام إليه عبد الله بن الأدهم فقال : أشهد أيها الأمير أنك أوتيت الحكمة وقُضِلَ الخطاب . فقال : « كذبت ، ذاك نبيُّ الله داود عليه الصلاة والسلام (١) » .

فقال الأحذف : « قد قُلتَ فأحسنْتَ ، أيها الأمير (٢) » والثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لا نثنى حتى نبتلى ، ولا نحمد حتى نُعطى . فقال زياد : صدقت .

فقام أبو بلال مُرداس بن أدية وهو يقول : (٣) أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ ، ألا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وأن لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وأنَّ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (٤) فأوعَدنا الله خيراً مما أوعَدتنا يا زياد (٥) فقال زياد : إنا لا نجد إلى ما نريد منك ومن أصحابك سبيلاً حتى نخوض إليكم الباطل خوفاً ! . (وقيل : إنه قال : حتى نخوض إليها (٦) الدماء) .

(١) يشير إل قول الله تعالى في قصة داود : ﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ الآية ٢٠ من سورة ص .

(٢) زاد المحصرى في زهر الآداب ج ٢ ص ١٠٢٥ والقال في النوادر ص ١٨٦ وابن قتية في حيون الأخبار ج ٢ ص ٢٤٢ : « الفرس يشده ، وال سيف بجده ، والمرو بجده ، وقد بلغ بك جنك ما ترى » .

(٣) عند ابن جرير والجاحظ وابن عبد ربه : خمس وهو يقول :

(٤) الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة النجم .

(٥) ذكر القائل في نوادره أن أيها بلال بعد أن تلا القرآن قال : « وأنت تزعم أنك تأخذ بمقتنا بعض وتقتل بمقتنا بعض » وذكر الجاحظ في البيان والتهيين أنه قال : « حانت تزعم أنك تأخذ البرى بالسقيم والمطيع بالماصى والمقبل بالهدير » فسمه زياد .

(٦) كلما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « إليه » .

وقيل : لأنه لما قدم العراق خطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن معاوية غير مخوف على قومه ، ولم يكن ليُلحق بنسبه من ليس منه ، وقد شهدت الشهود بما قد بلغكم ، والحق أحق أن يتبع ، والله حيث وضع البينات كان أعلم ، وقد رحلت عنكم وأنا أعرف صديقي من عدوي ، وقد قدمت عليكم ، وصار العدو صديقا مناصحا ، والصديق عدوا مكاشحا ، فاشتمل كل امرئ على مافي صدره ، فلا يكونن لسانه شفرة تجرى على ودجه ، وليعلم أحدكم إذا خلا بنفسه أني قد حملت سيفي بيده ، فإن شهرة لم أغمده ، وإن أغمدته لم أشهره » . ثم نزل .

واستعمل على شرطته عبد الله بن حصن .. وأجل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد إليه وصول الخبر ، وكان يؤخر العشاء الآخرة ، ثم يصلي ويأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ أقصى البصرة ، ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج فلا يرى إنسانا إلا قتله .

فخرج ذات ليلة ، فأخذ أعرابيا ، فأثى به زيادا ، فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : « لا والله قدمت بحلوبة لي ، وغشيت الليل ، فاضطرتها إلى موضع ، وأقمت لأصبح ، ولا علم لي بما كان من الأمير » . قال : أظنك والله صادقاً ولكن في قتلك صلاح الأمة . ثم أمر به ففرضت عنقه . وكان زياد أول من شدد أمر السلطان ، وأكد الملك لمعاوية ، وجرد السيف ، وأخذ على الظنة ، وعاقب بالشبهة ، وخاف الناس خوفا شديدا ، حتى آمن بعضهم بعضا ، وحتى كان الشيء يسقط من الرجل

أو المرأة فلا يَغْرِضُ له أحد حتى يَأْتِيَهُ صاحبه فيأخذه ، ولا يغلق أحد بابيه ، وأدَّرَ العطاء ، وبني مدينة الرزق ، وجعل الشُّرَطَ أربعة آلاف .

وقيل له ، إن السبيل مخوفة فقال : « لا أعاني شيئا وراء المِصْرَحَتِي أصلح مصر ، فإن غلبني فغَيْرُهُ أَشَدُّ غلبة منه » . فلما ضَبِطَ المصر وأصلحه تكلف ما وراء ذلك وأحكمه ، وهو أول من سَبَرَ بين يديه بالحرا ب والعمد ، واتخذ الحرس خمسمائة لا يفارقون المسجد . والله أعلم .

ذكر عمال زياد بن أبيه

قال : ولما وُلِّيَ زياد استعان بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، منهم عمران بن حُصَيْن الخُزَاعِي وَلَاهَ قضاء البصرة ، وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن سَمُرَةَ وَسَمُرَةُ بن جندب . فأما عمران فاستعفاه من القضاء فأعفاه ، واستقضى عبد الله بن فضالة اللَّيْثِي ، ثم أخاه عاصم ، ثم زُرَّارَةَ بن أوفى .

وجعل خراسان أرباعا ، فاستعمل على مَرَوْ أَمِير بن أحمر البَشْكِرِي وعلى نَيْسَابُور خُلَيْد بن عبد الله الحنفى ، وعلى مَرَوْ الرُّوذ والفَارِيَّاب والطَّالِقَان قيس بن الهيثم ، وعلى هَرَاة وبَادَغِيْس وبُوشَنج نافع بن خالد الطائي ، ثم عزله واستعمل الحَكَم بن عمر والغفارى ، وكانت له صحبتته ، وكان زياد قد قال لحاجبه : ادع لى الحَكَم (يريد الحكم بن أبي العاص الثقفى) ليوليه خراسان ، فجاء بالحكم الغفارى ، فقال له زياد : ما أردت لك ولكن الله أرادك ، فولاه خراسان وجعل معه رجلا على جباية الخراج ، منهم أَسْلَم بن زُرْعَة الكلابى وغيره ، وغزا الحكم طخارستان فغنم غنائم كثيرة ثم مات ، واستخلف أنس بن

أبي أناس بن زُنَيْم فعزله زياد ، وكتب إلى خُلَيْد بن عبد الله الحنفى بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد الحارثى رضى الله تعالى عنه [إلى خراسان] ^(١) فى خمسين ألفاً من البصرة والكوفة .

[وحج بالناس فى هذه السنة مروان بن الحكم ، وكان على المدينة] ^(٢)

سنة ست وأربعين

ذكر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

وفى هذه السنة مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان قد عظم أمره عند أهل الشام ومالوا إليه لِفَنَائِهِ بِالرُّومِ وَلِأَثَارِ أَبِيهِ ، فخافه معاوية ، فأمر ابن أُنَالَ النصرانى أن يحتال فى قتله ، [ضمن له أن] ^(٣) ويضع عنه خراجَه ما عاش ، ويؤليه خراجَ حِمَضٍ فلما قدم عبد الرحمن من الروم دَسَّ إليه ابنُ أُنَالَ شربةً مسمومة مع بعض مماليكه ، فشربها ، فمات بحمض ، فوقى له معاوية .

ثم قَدِمَ خالد بن عبد الرحمن المدينة ، فجلس يوماً إلى عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ فقال له عروة : ما فعل ابن أُنَالَ ؟ فقام من عنده وسار إلى حِمَضٍ فقتل ابن أُنَالَ ، فحمل إلى معاوية فحبسه أياماً وغرمه دينه ، ورجع إلى المدينة فأُتِيَ عُرْوَةَ فقال له ما فعل ابن أُنَالَ ؟ فقال : قد كَفَيْتَكَه ولكن ما فعل ابن جُرْمُوزَ ؟ (يعنى قاتل الزبير) فسكت عروة . وقد روى ^(٤) فى خبر عبد الرحمن بن خالد أن معاوية لما أراد البَيْعَةَ

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٧٠ .

(٢) ثبتت هذه الجملة فى النسخة (٥) ، وسقطت من النسخة (٤) .

(٣) الزيادة من الكامل ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٤) انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

ليزيد خطب أهل الشام وقال : «يا أهل الشام ، إني قد كبر سنِّي وقرب أجلي ، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاما لكم ، وإنما أنا رجل منكم ، فارتؤا رأيكم » . فاصققوا^(١) واجتمعوا . وقالوا : رضينا عبد الرحمن ابن خالد . فشق ذلك على معاوية وأسرّها في نفسه ، ثم مرض عبد الرحمن فأمر معاوية طبيبا عنده مكيئا أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها ، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات . ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفيا ، هو و غلام له ، فرصدا ذلك اليهودي ، فخرج ليلا من عند معاوية ، ومعه قوم ، فهجم عليه المهاجر فهربوا عنه فقتله المهاجر .

وقد قيل^(١) إن الذي قتل ابن أُنال أو اليهودي خالد بن المهاجر بن خالد ، وأن عروة بن الزبير ، كان يغيره بترك الطلب بشأ عمه ، فخرج خالد ونافع . وولد من المدينة حتى أتيا دمشق ، فرصد الطبيب ليلا عند مسجد دمشق ، وكان يشمر عند معاوية ، فلما انتهى إليهما ومعه قوم من حشم معاوية ، حملا عليهم ، فانفرجوا ، وضرب خالد بن المهاجر اليهودي فقتله ، ثم انصرف إلى المدينة ، وقال لعروة بن الزبير : قَضَى لَابْنِ مَسِيحٍ بِالْحَقِّ سَيْفُهُ وَعُرِّيَ مِنْ حِمْلِ الذُّحُولِ^(٢) رَوَّاحُهُ سَلِ ابْنُ أُنَالٍ هَلْ ثَارَتْ ابْنُ خَالِدٍ ؟ فهدا ابن جرّموز فهل أنت قاتلة ؟

(١) انظر الاستيعاب ج ٣ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) اللوح : جمع ذحل ، وهو الثار ، يقول يمرت رواحله من الثار إذا أخلت به هذا وفي الاستيعاب بيت بين اليتيم وهو :

فإن كان حقا فهو حق أصابه وإن كان ظنا فهو بالظن فاعله

وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان .

سنة سبع وأربعين

في هذه السنة عُزل عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، واستعمل عليها معاوية ابن حُذَيْج وكان عثمانياً ، فمَرَّ به عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما فقال : « يا معاوية ، قد أخذتَ جزاءك من معاوية ، قد قتلتَ أخى محمداً لَتَلِيَّ مصر ، فقد وليتها » . فقال : ما قتلتُ محمداً إلا بما صنع بعثمان ، فقال عبد الرحمن : فلو كنتُ إنما تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع ، حيث عمل عمرو بالأشعرى ماعمل ، فَوُثِّبَتِ أول الناس لِبَايعته .

وحج بالناس في هذه السنة عُنْبَةَ بن أبي سُفْيَان ، وقيل : عُنْبَسَةُ ابن أبي سُفْيَان .

سنة ثمان وأربعين

في هذه السنة استعمل زيادُ غالب بن قُضالة اللَّيْثِي عَلَى خُرَاسَانَ وكانت له صحبة .

وحج بالناس مَرْوَان بن الحَكَم وهو يتوقع العزلَ لِمَوْجِدَةٍ كانت من معاوية عليه ، وارتجع معاوية منه قَدَكَ وكان وهبها له .

سنة تسع وأربعين

في هذه السنة عَزَلَ مُعَاوِيَةُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عن المدينة ، في شهر ربيع الأول ، وأَمَرَ سَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ ^(١) ، فكانت ولاية مَرْوَانَ المدينة ثَمَانِي سَنِينَ وشهرين ، وكان عَلَى قِضَاءِ المدينة عبد الله ^(٢) بن الحارث بن نوفل ، فعزله سعيدٌ حين وُتِيَ ، واستَقْضَى أَبَا سَلَمَةَ بن عبد الرحمن .

ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضى الله عنه

قد اختلف في وقت وفاته رضى الله عنه ، ف قيل : [في سنة تسع وأربعين ، وقيل : بل مات] ^(٣) في شهر ربيع الأول سنة خمسين ، وقيل : مات في سنة إحدى وخمسين ، ودفن في بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ^(٤) ، وصلى عليه سعيد بن العاص أمير المدينة ، قدّمه الحسين للصلاة عليه ، وقال له لولا أنها سنة ما قدمتك .

قال أبو عمر بن عبد البر ^(٥) : وقد كانت عائشة رضى الله عنها أباحت له أن يَدْفِنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بَيْتِهَا ،

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، الأموي القرشي ، أبو عُبَّان ، لزم بيته بعد مقتل عُثْمَانَ بن عفان ، واضْطَرَّ أيامَ الجمل وصفين ، فلم يشهد شيئاً من ذلك الحروب ، إلى أن انتهى الأمر إلى معاوية فمات به حل احتزاله ، ثم ولاء المدينة ، فكان يعاقب بيته وبين مبركون في ولايتها .

(٢) سبق ذكره .

(٣) الزيادة من النسخة (ن) والاستيعاب ج ١ ص ٣٧٤ ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٤) بَقِيعُ الْغَرْقَدِ : مقبرة المدينة المنورة ، وكان هذا الموضع قديماً منبت الشجر المسمى بالغرقد .

(٥) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٤ .

وكان قد سألها ذلك في مرضه ، فلما مات منع عن ذلك مروان بن الحكم ويؤامية .

وروي (١) أبو عمر : أن الحسين لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه : « يا أخى إن أباك رحمه الله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر رجاء أن يكون صاحبه ، فصرفه الله عنه ، وولأها أبا بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضا ، فصبرت عنه إلى عمر ، فلما اختصر عمر جعلها شورى بين ستة هو أخذهم ، فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما هلك عثمان بويج له ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها ، فما صيفا له شيء منها ، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة (٢) ، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة ، فاعرجوك ، وإني قد كنت طلبت إلى عائشة إذا مات أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : نعم ، وإني لأدري لعلها كان ذلك منها حياء (٣) ، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها ، وما أظن إلا أن القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك ، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك ، وادفني في بقيع القرقد ، فإن لي بمن فيه أسوة فلما مات الحسن رضى الله عنه أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها

(١) في الاستيعاب ج ١ ص ٣٧٦ .

(٢) روى الشيرازي في الألقاب عن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : إن عليا وفاطمة والحسن والحسين دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه الخلافة . فقال : « ! » كان الله ليجمع فيكم أمرين : النبوة والخلافة . ذكره في البيان والتعريف .

(٣) زاد صاحب الاستيعاب : « فإذا أتات طالبا فلك إليها . »

فَقَالَتْ : نَعَمْ وَكَرَامَةٌ . فَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ^(١) فَقَالَ : « كَذِبٌ وَكَذِبَتْ ، وَاللَّهِ لَا يُدْفَنُ هُنَاكَ أَبَدًا ، مَنْعُوا عُثْمَانَ مِنْ دَفْنِهِ فِي الْمَقْبَرَةِ وَيُرِيدُونَ دَفْنَ الْحَسَنِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ . » . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحُسَيْنِ فَدَخَلَ دُورًا وَمِنْ مَعَهُ فِي السَّلَاحِ ، وَاسْتَلَّامَ مَرْوَانَ فِي الْحَدِيدِ أَيْضًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا دُوِيَ إِلَّا ظَلَمٌ ، يُنْتَفَعُ الْحُسَيْنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ أَبِيهِ ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . » . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَكَلَّمَهُ وَنَاشَدَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُ : « أَلَيْسَ قَدْ قَالَ أَخُوكَ : إِنْ خُفِيَ أَنْ يَكُونَ قَتَالُ فِرْدَوْسٍ إِلَى مَقْبَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ؟ » . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، وَحَمَلَهُ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَلَمْ يَشْهَدْهُ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا السَّعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، فَقَدَّمَهُ الْحُسَيْنِ لِلصَّلَاةِ ، وَقَالَ : هِيَ لِلْسَّنَةِ ^(٢) . وَشَهِدَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عُقْبَةَ بَعْدَ أَنْ نَاشَدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَنْ يَخْلُوهُ يَشْهَدُ الْجَنَازَةَ فَتَرَكَوهُ فَشَهِدَ دَفْنَهُ فِي الْمَقْبَرَةِ ، وَدُفِنَ إِلَى جَنْبِ أُمِّهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

قَالَ ^(٣) : وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ وَأَبُو بَكْرُ بْنُ حَفْصٍ : سَمِعَ الْحُسَيْنَ ابْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، سَمِعَهُ أَمْرًا تَجْعَدُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِي . قَالَ : وَقَالَتْ طَائِفَةٌ كَانَ ذَلِكَ مِنْهَا بِتَدْسِيسٍ مَعَاوِيَةَ إِلَيْهَا وَمَا بَدَّلَ لَهَا [فِي ذَلِكَ] ، وَكَانَ لَهَا خُضْرَاءُ ^(٤) وَأَنَّهُ وَعَدَهَا بِخَمْسِينَ أَلْفَ

(١) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٢٢٨ وَغَيْرُهُ أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا دَفْنَهُ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرْضَ لِمِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَامَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ وَجَّعَ بَنِي أُمَيَّةَ وَشِيعَتَهُمْ وَمَنَعَ عَنْ ذَلِكَ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « السَّنَةِ » .

(٣) أَبُو عَمْرٍو فِي الْاِسْتِثْبَابِ ج ١ ص ٣٢٥ .

(٤) الزِّيَادَةُ مِنَ الْاِسْتِثْبَابِ .

درهم، وأن يزوجه من يزيد، فلما فعلت وئى لها بالمال، وقال :
حُبْنَا ليزيد بمنعنا من الرِّفَاء لك بالشرط. الثاني .

وروى قتادة قال : دخل الحسين على أخيه الحسن رضى الله عنهم
فقال : « يا أخى إني سقيت السم ثلاث مرات ، ولم أُنسِ مثل هذه
المرّة ، إني لأضع كبدي ! » . فقال الحسين : مَنْ مبقاك يا أخى ؟ قال :
« ما سؤالك عن هذا ؟ أتريد أن تغتاتلهم ؟ أكلهم إلى الله . » (١)
فلما مات ورد الهريذ بموته على معاوية فقال : « يا عجباً من الحسن !
شرب شربة من عسل بماء رومة (٢) فمضى فحجّه ! » .

وأتى ابن عباس معاوية فقال له : يا ابن عباس احتسب الحسرة
لا يحزنك الله ولا يسوءك . قال : أما ما أبغاك الله يا أمير المؤمنين .
فلا يحزننى الله ولا يسوؤنى ، فأعطاه على كلمته ألف ألف درهم
وعروضاً وأشياء . وقال : خذها فاقسمها على أهلِكَ .

ومات الحسن رضى الله عنه واه من السن يومئذ سبع وأربعون سنة .
وقيل : ست وأربعون سنة .

وكان رضى الله عنه وأرضاه ورعاً فاضلاً ، دعاه ورّعه وفضله إلى ترك
الخلافة رغبة فيما عند الله ، وقال : والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى
ويضرّنى أن أبى أمرأة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يُراقَ في
ذلك مخحمة دم .

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

(١) وجاء في رواية أخرى قول الحسن لأخيه الحسين : « فإن كان الذى أظن فادّه
أشد نعمة وإن كان غيره فما أحب أن يقتل في برى » .
(٢) روقه : بئر بالمدينة .

سنة خمسين

ذكر وفاة المغيرة بن شعبه

في هذه السنة تُوُفِّيَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ
مُعْتَبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ
ثَقِيفٌ .

وكان الطاعون قد وقع بالكوفة فهرب المغيرة منه ، فلما ارتفع عاد
إلى الكوفة ، وطُعن فمات ^(١) في شعبان من السنة ، وكان طويلاً
أعور ، ذهب عينه يوم اليرموك ، وتُوُفِّيَ وهو ابن سبعين سنة .

وكان المغيرة من الدهاة ، رُوِيَ عن الشعبي قال : كان دُهاة
العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص والمغيرة بن
شعبة وزيد بن أبيه ، فأما معاوية فللأناة والحلم ، وأما عمرو
فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمباداة ^(٢) ، وأما زيد فللكبيرة والصغيرة .

وحكى الرياشي عن الأصمعي قال : كان معاوية يقول : أنا
للأناة ، وعمرو للبديهة ، وزيد للصغار والكبار ، والمغيرة للأمر العظيم .
ولما دُفِنَ وقف على قبره مَضَقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي قَالَ :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَجُوداً وَخَصِيماً أَلَدٌ ذَا مَعْلَاقٍ ^(٣)
حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ ^(٤) أَرْبَدٌ ^(٥) لَا يَدُ فَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْسُ الرَّاقِي

(١) مات في داره بالكوفة حيث كان أميراً عليها لمعاوية ، وسيأتي ذكر ذلك .

(٢) المباداة : المفاجأة .

(٣) الألد : الشديد النضومة ، والمغلاق الشديد التعلق بالعلم .

(٤) الوجار بالفتح والكسر . الجمر .

(٥) الأربد : الحية الخبيثة .

ثم قال ، أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت ، شديد الأخوة لمن آخيت .

وكان المغيرة كثير الزواج ، قال أبو عمر ^(١) : قال نافع أحسن المغيرة ثلاثمائة امرأة في الإسلام . قال ^(٢) : وغيره ^(٣) يقول : ألف امرأة ولما حضرته الوفاة استخلف على الكوفة ابنه عروة ، وقيل : استخلف جريرا ، فولّى معاوية زيادا .

ذكر ولاية زياد الكوفة

قال ^(٤) : ولما مات المغيرة استعمل معاوية زيادا على الكوفة ، وهو أول من جمع له بين الكوفة والبصرة ، فسار إلى الكوفة ، واستخلف على البصرة سمرة بن جندب ، فكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر ، وبالبصرة ستة أشهر .

ولما وصل الكوفة خطبهم ، فحُصِب وهو على المنبر ، فجلس حتى أمسكوا ، ثم دعا قوما من خاصته فأمرهم فأخذوا أبواب المسجد ثم قال : ليأخذن كل رجل منكم جلسه ، ولا يقولن لأدري من جلسي . ثم أمر بكرسي فوضع ^(٥) على باب المسجد ، ثم دعاهم أربعة أربعة يحلفون : مايتأ من حصبك ، فمن حلف خلأه ، ومن لم يحلف حبسه ، حتى صاروا ثلاثين ، وقيل : ثمانين ، فقطع أيديهم ، واتخذ زياد المقصورة حين حُصِب .

(١) في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٨٩ .

(٢) أبو حنيفة يرويه في الاستيعاب عن ابن وضاح .

(٣) غير نافع :

(٤) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٥) عند ابن جرير ج ٤ ص ١٧٥ فوضع له .

قال : وأما سمرة فإنه أكثر القتل بالبصرة لما استخلفه زياد عليها ، قال ابن سيرين : قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية آلاف . فقال زياد : أتخاف أن تكون قتلت بريئا ؟ قال : لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت . وقال أبو السوار العدوي : قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين ، كلهم قد جمع القرآن .

وركب سمرة يوما ، فلقيت أوائل خياله رجلا فقتلوه ، فمز به سمرة وهو يتشجط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابه أوائل خيلك ، فقال إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أنفسنا .

ذكر ما قصده معاوية

من نقل المنبر من المدينة إلى الشام

ومن قصد ذلك بعده من الأمراء

في هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحمل إلى الشام ، وقال : لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهم قتلة عثمان . فطلب العصا ، وهي عند سعد القرظ^(١) وحرك المنبر ، فكسفت الشمس حتى رويت النجوم بادية ، فأعظم الناس ذلك ، فتركه .

وقيل : أتاه جابر وأبو هريرة فقالا : يا أمير المؤمنين لا يصلح أن تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه ، وتنقل

(١) سعد القرظ : صحابي كان يؤذن في حياة الرسول والخلفاء من بعده ، وقد اشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة المال في يده ، فأمره بالتجارة ، فخرج إلى السوق ، فاشتري شيئا من قرظ ، فباعه ، فربح فيه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره بلزوم ذلك ، فقيل له وسعد القرظ ، والقرظ - يفتح القاف والراء - يطلق على ورق السلم ونحو السنت.

عصاه إلى الشام فانقل المسجد ، فتركه وزاد فيه ست درجات ، واعتذر
مما صنع .

فلما وثى عبد الملك بن مروان همّ بالمنبر ، فقال قبيصة بن ذؤيب
أذكرك الله أن ^(١) لا تفعل ، إن معاوية حركه فكسفت الشمس ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على منبري آثما فليتبوأ مقعده
من النار » وهو مَقْطَعُ الحقوق بينهم ^(٢) بالمدينة . فتركه عبد الملك .

فلما ولي الوليد ابنه وحج همّ بذلك ، فأرسل سعيد بن المسيّب إلى
عمر بن عبد العزيز فقال : كلّم صاحبك لا يتعرّض للمسجد ولا لله
والسخط له ، فكلمه عمر فتركه .

فلما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبره عمر بما كان من الوليد ، فقال
سليمان : « ما كنتُ أحبُّ أن يُذكر عن أمير المؤمنين عبد الملك هذا ،
ولا عن الوليد ، مالنا ولهذا ؟ أخذنا الدنيا فهى في أيدينا ، ونريد
أن نعيد إلى علم من أعلام الاسلام يوقد إياه فنحمله ، هذا مالا يصلح ! » .

وفيهما عزل معاوية معاوية بن حُذَيْج عن مصر ، واستعمل عليها
مُسلمة بن مخلّد مع إفريقية ^(٣) وكان على إفريقية عُقبة بن نافع .
وكان قد اختطف قبروانها ، وكان موضعه غنيضة لانرام من السباع والحيات
فدعا الله عليها ، فلم يبق منها شيء إلا خرج هاربا ، حتّى إن كانت
السباع لتحمل أولادها ، وبنى الجامع ، فلما عزله معاوية عن إفريقية

(١) في الكامل ج ٢ ص ٢٣٠ « أن تفعل » .

(٢) في الكامل « وعنده » ، وقد تبع المؤلف الطبري في تاريخه ج ٤ ص ١٧٨ .

(٣) قال الطبري : « فهو أول من جمع له المغرب كله ومصر وبرقة وإفريقية

وطرابلس » .

وأضافها إلى مُسَلِّمة بن مُخَلَّد استعمل^(١) على إفريقية مؤثى له يقال له : « أبو المهاجر » ، فلم يزل عليها حتى هلك معاوية .

وقيل : إن عُقبة بن نافع ولي إفريقية في هذه السنة وعمر مدينة القيروان ، وكانت غِيْظَة على ما تقدم ، فدعا الله تعالى ، وكان مستجاب الدعوة ، ثم نادى : « أَيُّهَا الْحَيَاتِ وَالسَّيَّاحِ ، إِنَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْحَلُوا عَنَّا فَإِنَّا نَازِلُونَ ، وَمَنْ وَجَدَنَا بَعْدَ ذَلِكَ قَتَلْنَاهُ » . فنظر الناس إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل ، فأسلم كثير من البربر ، وقطع الأشجار [وأمر ببناء المدينة ، فبنيت]^(٢) وبنى المسجد الجامع ، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم ، وكان دور القيروان ثلاثة آلاف باع وستمائة باع . وسنذكر إن شاء الله تعالى ذلك بما هو أبسط من هذا في أخبار إفريقية وبلاد الغرب .

ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري

وفي هذه السنة توفي الحكم بن عمرو الغفاري بعمرو ، على أحد الأقوال ، وله صحبة ، وكان زياد قد كتب^(٣) إليه : « إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفى له الصُّفراء والبيضاء ، فلا تقم بين الناس ذهباً ولا فضة » . فكتب إليه الحكم : « بلغني ما أمر به أمير المؤمنين ، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو أن السماوات والأرض كانتا رَتْقاً على عيد ثم انقى الله لجعل له

(١) عبارة الطبري وابن الأثير : « ولي مسلمة بن مخلد مول له يقال له أبو المهاجر

إفريقية » .

(٢) الزيادة من الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٣٠ حيث نقل المؤلف .

(٣) كتب إليه بعد انصرافه من غزوة جبل الأثل .

فرجاً ومخرجاً ، والسلام عليك . ثم قال للناس : اغدوا على أعطيائكم وما لكم ، ففسمه بينهم^(١) ، ثم قال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك . فمات ، واستخلف لما حضرته الوفاة أنس بن أبي أناس .

وحج بالناس في هذه السنة معاوية ، وقيل : بل حج ابنه يزيد . وفيها توفي عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، وقيل : سنة اثنتين وخمسين ، وتوفي غيرهم من الصحابة^(٢) رضى الله عنهم .

سنة إحدى وخمسين

في هذه السنة استعمل زياد بن أبيه الربيع بن زياد الحارثي على خراسان بعد وفاة الحكم ، وكان الحكم قد استخلف أنس بن أبي أناس كما ذكرنا فعزله زياد ، وولى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي ، ثم عزله ، وولى الربيع في أول سنة إحدى وخمسين ، وسير معه خمسين ألفاً بعيالهم من أهل الكوفة والبصرة ، منهم بُرَيْدَة بن الحُصَيْن وأبو بَرْزَة ، ولهما صحبة ، فسكنوا خراسان ، فلما قدها غزا بَلَخ ففتحها صلحا ، وكانت قد أغلقت بعد ما صالحوهم الأحنف ، وفتح قُهْشْتَان عتوة وقتل من بناحيها من الأتراك ، وبقي منهم نَيْرُك ضَرْخَان فقتله قُتَيْبَة بن مسام في لايته . والله ولي التوفيق .

(١) أي : قسم بينهم ما غنموه من الفتنم مع عزله مقدار الخمس .

(٢) من توفي في هذه السنة سعد بن أبي وقاص - هل أحد الأقوال - وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعقيل بن أبي طالب ودحية بن خليفة الكلبي وزيد بن خالد الجهني ومدايح ابن عمرو السلمي .

ذكر مقتل حجر بن عدي

وعمر بن الحقيق وأصحابهما

وفي هذه السنة كان مقتل حجر بن عدي وأصحابه ، وسبب ذلك أن معاوية لما استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة ، أمر يشتم على رضى الله عنه وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له وعيَّب أصحاب على ، فأتاه المغيرة على الكوفة وهو أحسن الناس سيرة ، غير أنه لا يدع شتم على والوقوع فيه ، والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فلما سمع ذلك حجر بن عدي قال : بل إياكم قد ذمَّ الله ولعن ! ثم قام فقال : أنا أشهد أن من تدمون أحق بالفضل ، ومن تتركون أولي بالذم ! فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته ، فإن غضب السلطان يهلك أمثالك . ثم يكف عنه .

فلما كان في آخر إمارته قال في على وعثمان ما كان يقول ، فقال حجر فصاح بالمغيرة صيحة سمعها كل من في المسجد ، وقال له : « مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستنا عنا ، وليس ذلك لك ، وقد أصبحت مولعا بذم أمير المؤمنين » . فقام أكثر من ثلثي الناس يقولون : صدق حجر وبر ، مر لنا بأرزاقنا ! فنزل المغيرة ودخل القصر ، فجاءه أصحابه وقالوا : علام تترك هذا الرجل يجترئ عليك في سلطانك ؟ فقال لهم : « قد قتلته ، سيأتي بعدى أمير يحسبه مثلى ، فيصنع به ما ترونه ، فيقتله ، إني قد قرب أجلى ، ولا أحب أن أقتل خيار أهل هذه المصر فيسعد وأشقى ، ويعز في الدنيا ومعاوية ويشقى في الآخرة المغيرة ! ^(١) » ثم توفي المغيرة ^(٢) .

(١) جاء في رواية ابن جرير ج ٤ ص ١٨٩ زيادة قول المغيرة : « ولكني قابل من عنيهم ، وعاف عن سيئهم : وحامد حليمهم ، وواظم فقيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت .

(٢) ذكر ابن جرير أن المغيرة ول الكوفة سنة ٤١ وتوفي سنة ٥١ .

وَوُثِّي زِيَاد ، فقام في الناس فخطبهم عند قدومه فترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ، ولعن قاتليه ، فقام حُجْر ففعل كما كان يفعل بالمُغيرة .

ورجع زياد إلى البصرة ، واستعمل على الكوفة عمرو بن حُرَيْث فبلغه أن حجرا يجتمع إليه شيعة على رضى الله عنه ، ويظهرون لمن معاوية والبراءة منه ، وأنهم حصبوا عمرو بن حُرَيْث . فشخص إلى الكوفة ، وصعد ^(١) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وحُجْر جالس ، ثم قال : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ غَيْبَ الْبَغْيِ وَالْغَى وَخَيْمٌ ، إِنْ هَؤُلَاءِ جَمَعُوا فَأَثَرُوا ^(٢) » ، وَأَمِنُونِي فَاجْتَرِعُوا عَلَى اللَّهِ ، لَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِيْنَكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَلَسْتُ بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعِ الْكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ وَأَدْعُهُ نِكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ ! وَيَلْ أَمْلِكُ يَا حُجْر ، سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانَ ^(٣) ! » وَأَرْسَلَ إِلَى حُجْرٍ يَدْعُوهُ وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَنَاهُ الرِّسُولُ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ ، لَايَأْتِيهِ وَلَا كِرَامَةٌ ! فَرَجَعَ الرِّسُولُ فَأَخْبَرَ زِيَادًا ، فَأَمَرَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ - وَهُوَ شُدَادُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْهَلَالِيُّ - أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً ، ففعل ، فسبهم أصحاب حُجْر فرجعوا فأخبروا زيادا .

(١) وقد ليس قباء متلسم ومطرف خز أخضر ، وفرق شعره .

(٢) جموا : استراحوا . وأثروا : بطروا وطفوا .

(٣) « سقط العشاء بك حل سرحان » مثل عربي يضرب في طلب الحاجة الذي يؤدي صاحبها إلى التلف ، قيل : إن أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله ، و« السرحان » يأتى بمعنى الذئب ، وقيل : « سرحان » اسم رجل قاتل يفتيه الناس فقال رجل : والله لأرعين لأبل هذا الوادى ولا أخاف سرحان ، فهجم عليه سرحان وقتله وأخذ إبله .

فجمع أهل الكوفة وقال : « تَشْجُرُونَ بَيْدًا وَتَأْسُونَ بِأُخْرَى ^(١) ،
أبدانكم معى وقلوبكم مع حُجْرٍ الْأَحْمَقِ ، هذا والله من دَحْصِكُمْ ^(٢) ،
والله لَتَظْهَرَنَّ لِي بَرَاءَتُكُمْ ، أَوْ لَا تَبِينُكُمْ بِقَوْمٍ أَقِيمَ بِهِمُ أَوْدَكُمْ وَصَعَرَ كُمْ ^(٣) ،
فقالوا : معاذَ الله أن يكون لنا رأى إِلَّا طَاعَتَكَ وَمَافِيهِ رِضَاكَ . قال :
فَلْيَقْسِمْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ فَلْيَذْغُ مَنْ عِنْدَ حُجْرٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِهِ .
ففعلوا ذلك ، وَأَقَامُوا أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ عَنْهُ .

وقال ^(٤) زياد لصاحب شرطته : انطلق إِلَى حُجْرٍ فَإِنْ تَبِعَكَ
فَاتَّبِعْنِي بِهِ ، وَإِلَّا فَسُدُّوا عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ ^(٥) حَتَّى تَأْتُونِي بِهِ . فَأَتَاهُ
صاحب الشرطة يدعوه ، فمنعه أصحابه من إجابته ، فحمل عليهم ،
فقال أبو العمرة الكِنْدِيُّ لحجْر : « إِنَّهُ لَيْسَ مَعَكَ مِنْ مَعِهِ سَيْفٌ غَيْرِي ،
وَمَا يَفْنَى عَنْكَ سَيْفِي ؟ قُمْ فَالْحَقْ بِأَهْلِكَ بِمَنْعِكَ قَوْمَكَ » . وزياد ينظر
إليهم وهو على المنبر ، فغَشِيَهُمْ أَصْحَابُ زِيَادٍ ، وَضَرَبَ رَجُلٌ رَأْسَ عَمْرٍو
ابن الْحَقِيقِ بَعْدَهُ فَوَقَعَ ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الْأَزْدِ فَاخْتَفَى عَنْهُمْ
حَتَّى خَرَجَ ، وَانْحَازَ أَصْحَابُ حُجْرٍ إِلَى أَبْوَابِ كَنْدَةَ ، وَضَرَبَ بَعْضُ
الشُّرَطِ يَدَ عَائِدٍ ^(٦) بِنِ حِمْلَةِ التَّمِيمِيِّ وَكَسَرَ نَابَهُ ، فَاتَّخَذَ عُمُودًا

(١) مثل عربى ، قال الزمخشري في أساس البلاغة : « فلان يشج مرة ويأسو أخرى ،
إذا أخطأ وأصاب » ، وقال اللحياني في جميع الأمثال : « يشج ويأسو : يضرب لمن يصيب
في التدبير مرة ويخطئ مرة » ، قال الشاعر :

إِنِّي لَأَكْثَرُ مَا سَمَعْتُ حَبِيبًا يَدُ تَشَجٍّ وَأُخْرَى مَثَلُكَ تَأْسُونَ

(٢) الدحس : الإقصاء والنس .

(٣) الأود : الإعوجاج ، والصعر : الميل بالخذ تهاونا واستكبارا .

(٤) في تاريخ ابن جرير : « لما ولّى زياد أن جل من كان مع حجير أقيم عنه قال ... » .

(٥) كلما جاء في المخطوطة مثل الكامل ج ٣ ص ٣٣٤ ، وجاء في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ١٩١

« وَلَا تَقْرَأُ مِنْ مَعَكَ فَلْيَتَّزِعُوا هَذِهِ السُّوقَ ثُمَّ يَشْلُوا بِهَا عَلِيمٌ » ، وهذا هو المناسب لما يأتي .

(٦) في الأصل « علر » ، والتصويب من الكامل وغيره .

من بعض الشرط. فقاتل به ، وحمى حُجرا وأصحابه حتى خرجوا من أبواب كندة ، وأتى حُجْر ببيقلته فقال له أبو العمرطة : اركب فقد قتلنا ونفسك . وحمله حتى أركبه ، وركب أبو العمرطة فرسه ، ولحقه يزيد بن ظريف المُسَلَّى فضرب أبا العمرطة بالعمود على فخذيه ، وأخذ أبو العمرطة سيفه فضرب به رأسه فسقط . فكان ذلك السيف أول سيف ضرب به في الكوفة في اختلاف بين الناس .

ومضى حُجْر وأبو العمرطة إلى دار حُجْر ، واجتمع إليهما ناس كثير ، ولم يأت من كندة كثير أحد ، ثم اختفى حُجْر ، وتنقل من مكان إلى آخر ، والطلب خلفه ، حتى أتى الأزْد ، واختفى عند ربيعة بن ناجِد . فلما أعيام طلبه دعا زياد محمد بن الأشعث ، وقال له : والله أَسَاتِيْنِي به أو لَأَقْطَعَنَّ كل نخلة لك ، وأهدمُ دُورَكَ ، ثم أقطعك إِرْبًا إِرْبًا ، فاستمهله ، فأمهله ثلاثا ، وأقام حُجْر ببيت ربيعة يوما وليلة ، فأرسل إلى محمد بن الأشعث يقول له : لِنِأْخُذْ له أمانا من زياد حتى يبعث به إلى معاوية ، فجمع محمد جماعة ، منهم جرير ابن عبد الله ، وحجر بن زيد ، وعبد الله بن الحارث أخو الأشتر ، فدخلوا على زياد فاستأمنوا له أن يرسله إلى معاوية فأجابهم ، فأرسلوا إلى حُجْر فحضر عند زياد ، فلما رآه قال : « مرحبا أبا عبد الرحمن » ، حرب أيام الحرب : وحربٌ وقد سالم الناس ! على أهلها تجنى بِرَاقِش^(١) . فقال حجر : « ما خلعتُ طاعة ، ولا فارقت جماعة ،

(١) براقش : كيلة سمعت وقع حوافر الدواب ، فتبعت ، فقلت العدو على أصحابها بنجاحها ، فاستباحهم العدو وأوقع بهم ، فضرب مثلا لكل من يعمل عملا يرجع ضرره إليه .

وإني على بيعتي . فأمر به إلى السجن ، فلما ولى قال زياد : والله لأحرّضنّ على قطع خيطة رقبته .. وطلب أصحابه .

فخرج عمرو بن الحمق حتى أتى الموصل ومعه رفاعة بن شدّاد ، فاختبئا بجبل هناك ، فرُفِع خبرهما إلى عامل الموصل ، وهو عبد الرحمن ابن [عبد الله] ^(١) عثمان الثقفي ، ويعرف بابن أم الحكم وهو ابن أخت معاوية ^(٢) ، فسار إليهما فخرجا إليه ، وكان عمرو قد استسقى بطنه ، فأمسك ، وركب رفاعة فرسه وحمل على القوم ، فأفرجوا له ، فنجّا ، وكتب عامل الموصل إلى معاوية بخبر عمرو بن الحمق ، فكتب إليه معاوية : « إنه يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص ^(٣) معه ، فاطعنه كما طعن عثمان » . فطعنه فمات في الأولى منها أو الثانية . وجدّ زياد في طلب أصحاب حجر ، فهربوا منه ، وأخذ من قدر عليه منهم ، فاجتمع له اثنا عشر رجلا في السجن .

ثم دعا رؤساء الأرباع يومئذ ، وهم عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة ، وخالد بن عرفة على ربع تميم وهمدان ، وقيس بن الوليد على ربع ربيعة وكندة ، وأبو بردة بن أبي موسى على ربع مذحج وأسد ، فشهد هؤلاء أن حجر بن عدى جمع الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حربه ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ،

(١) الزيادة من تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ١٩٧ وانظر ترجمة عبد الرحمن في الإصابة ج ٣ ص ٧٠ و ترجمة أبيه عبد الله في الإصابة ج ٢ ص ٢٤٤ ، والذي ذكره ابن جرير أن الذي سار إلى ابن الحمق ورفاعة هو عبد الله بن أبي بلتعة ويبدو أن قبض على عمرو بن الحمق بعث به إلى عبد الرحمن الثقفي عامل البصرة .

(٢) لأن « أم الحكم » بنت أبي سفيان .

(٣) المشاقص : جمع مشقص ، بكسر الميم : ألنهم العريض ، أو النصل العريض أو اللولب من كل منهما .

وأنه وثب بالمضر وأخرج عامل أمير المؤمنين ، وأظهر عذر أبي تراب (١) والترحّم عليه والبراءة من علوه وأهل حزبه ، وشهدوا أن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وأمره .

ونظر زياد في شهادة الشهود فقال : إني أحب أن يكونوا أكثر من أربعة ، فدعا الناس ليشهدوا فشهد إسحاق وموسى ابنا طلحة ابن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عقبة بن أبي مُعيط ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم (٢)

وكتب في الشهود شريح بن الحارث القاضي وشريح بن هانيء ، فكان شريح بن هانيء يقول : ما شهدت (٣)

ثم دفع زياد حُجر بن عدى الكندي وأصحابه (وهم الأرقم بن عبد الله الكندي ، وشريك بن شِداد الحضرمي ، وصيفي بن قيسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، وكريم بن عفيف الخثعمي وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سُمى البجلي ، وكدام بن حَبّان ، وعبد الرحمن بن حسان ، العنزبان التميميان ، ومحرز بن شهاب التميمي ، وعبد الله بن حويّة السعدى التميمي) إلى وائل ابن حُجر الحضرمي وكثير بن شهاب ، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام ، فلحقهم شريح بن هانيء بعد مسيرهم ، وأعطى وإيلا كتابا وقال : أبلغه أمير المؤمنين .

(١) أبو تراب : كنية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٣) وكان شريح القاضي يقول : سألني عنه فأخبرت أنه كان صواما قواما !

فسازوا حتى انتهوا إلى مَرَج عَدْرَاء^(١) بالقرب من دمشق ،
 وأتبعهم زياد برجلين وهما عتبة بن الأخنس من سعد بن بكر ،
 وسعد بن نمران الهمداني ، فكملوا أربعة عشر رجلا ، فلما انتهوا إلى
 مرج عَدْرَاء بعث معاوية إلى وائل بن حجر ، وكثير بن شهاب فأدخلهما ،
 وأخذ كتابهما فقرأه ، ثم قرأ كتاب شُرَيْح فإذا فيه : « بلغني أن زيادا
 كتب شهادتي ، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي
 الزكاة ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،
 حرام الدم والمال ، فإن شئت فأقتله ، وإن شئت فدعه » .

فقال معاوية : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم .

فقام يزيد بن أسد البجلي فاستوهبه أبني عمه وهما عاصم ووزقاء ،

وكان جرير بن عبد الله البجلي قد كتب بتزكيتهما وبرأتهما^(٢)

فأطلقهما معاوية ، وشفع وائل بن حجر في الأرقم فتركه له ، وشفع

ابن الأعور النخعي في عتبة فتركه له ، وشفع خُمرة^(٣) بن مالك

الهمداني في سعد بن نمران فوهبه له ، وشفع حبيب بن مسلمة في

عبد الله بن حوية فتركه له ، وقام مالك بن هُبيرة السكوني ، فقال :

دع لي ابن عمي حُجرا ، فقال : « هو رأس القوم ، وأخاف إن خُلِّيتُ

(١) قال ابن جرير في تاريخه ج ٤ ص ٤٠٣ : « انتهوا بهم إلى مرج عَدْرَاء ،

وبينها وبين دمشق اثنا عشر ميلا » .

(٢) كتب جرير بن عبد الله البجلي الصحابي : « إن امرأين من قومي من أهل الجاهلية

والرأى الحسن سمى بهما ساع ظنين إلى زياد ، فبعث بهما في الثغر الكوفي الذي وجه بهم
 زياد إلى أمير المؤمنين ، وهما من لا يحدث حديثا في الإسلام ولا ينيا على الخليفة ، فليضعهما
 ذلك عند أمير المؤمنين » .

(٣) « حيرة » بضم الحاء وبراء مهمة ، ابن مالك بن ذى المشاعر بن مالك بن منبه

الهمداني ، ووقع في الخطوطة « حيرة » .

سبيله أن يفسد على مصره ، فأحتاج أن أشخصك إليه بالعراق ! » فقال : « والله ما أنصفتني يا معاوية ! قاتلت معك ابن عمك يوم صفين حتى ظفرت وعلا كعبك ، ولم تخف الدوائر ، ثم سألتك ابن عمي فمعتني إياه . » ثم انصرف فجلس في بيته .

فبعث معاوية هذبة بن فياض القضاعي ، والخصين بن عبد الله الكلابي وأبا شريف البلدي إلى حُجر وأصحابه ؛ لبفتلوا من أمرؤا بقتله ، فأتوهم عند المساء ، فلما رأى الخنعمي ^(١) أجدهم أعور ^(٢) قال : يقتل نصفنا ويترك نصفنا ! فكان كذلك ^(٣) ، وغرضوا عليهم قبل القتل البراءة من عليٍّ ولعنه ويتركوه ، فأمتنعوا من ذلك ، فحفرت القبور وأحضرت الأكفان .

فقام حُجر بن عدي وأصحابه يصلُّون عامة الليل ، فلما كان من الغد قدَّموا للقتل ، فقال لهم حُجر : أتركوني حتى أتوضأ وأصلِّي فإني ما توضأت إلا صلَّيت . فتركوه ، فصلَّى ثم انصرف ، وقال : والله ما صلَّيت صلاة قط . أخف منها ، ولولا أن نظنوا بي جزعا من الموت لأستكثر منها . ثم قال : « اللهم إنا نسئد بك على أمتنا ، فإن أهل النكوة شهدوا علينا ، وإن أهل الشام يقتلوننا ، أما والله لئن قتلنا موثي بها لئنِّي لأول فارس من المسلمين هلك في واديها ، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها . » ثم مشى إليه هذبة بن فياض بالسيف ، فأرتعد ، فقالوا له : زعمت أنك لا تنزع من الموت فابراً

(١) الخنعمي : كرم بن حنيفة .

(٢) الأعور : هذبة بن فياض القضاعي من بني سلامان بن سعد .

(٣) جاء رسول معاوية بتخيلة ستة ويقتل ثمانية .

من صاحبك وندعك . فقال : « وما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً وكفنّاً منشوراً وسيقاً مشهوراً . وإنّي والله إن جزعْتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرب » . فقتلوه وقتلوا خمسة (١) .

فقال عبد الرحمن بن حمران - وكريم الخثعمي : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فتحن نقول في هذا الرجل مثل مقاتله . فاستأذنوا معاوية فيهما ، فأذن بإحضارهما ، فلما دخلوا عليه قال كريم : « الله الله يا معاوية ! فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مستول عما أردت بسفك دماننا . فقال : ما نقول في علي ؟ قال : أقول فيه قولك . قال : أنبئاً من دينه الذي يدين الله به ؟ فسكت ، وقام شمر ابن عبد الله من بني حنيفة بن خثعم ، فاستنوبه إياه ، فوجهه له على ألا يدخل الكوفة .

ثم قال لعبد الرحمن : ما نقول في علي يا أخا ربيعة ؟ قال : دعني لا تسألني فهو خير لك . قال : والله لا أدعك . قال : « أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ، من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس رضى الله عنه » . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح أبواب الظلم ، وغلّق أبواب الحق . قال : قتلت نفسك . قال : بل إياك قتلت ولا ربيعة بالوادي . (يعنى ليشفعوا فيه) فردّه إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة ، فدفنه حياً .

وكان عدة من قتل سبعة وهم : حُجر بن عدى ، وشريك بن

(١) الخمسة الذين قتلوا مع حجر بن عدى هم : شريك وصفي وقيصة وكدام وعمرز ، فإذا عد حجر بن عدى منهم كأنه علم متّ كما علم ابن جرير الطبري ، وسواء قريباً ذكر الساج .

شَدَّاد ، وَصَيْفَى بْنِ قَسِيلٍ ، وَقَبِيصَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ ، وَمَحْرَزَ بْنِ شَهَابٍ ، وَكَدَامَ بْنِ حِيَانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الَّذِي دُفِنَ حَيًّا .
 قَالَ : وَأَمَّا مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ السَّكُونِيُّ حِينَ لَمْ يُشَفِّعْهُ مَعَاوِيَةُ فِي حُجْرٍ ، فَلَمَّا جُمِعَ قَوْمُهُ وَسَارَ بِهِمْ إِلَى عَذْرَاءٍ لِيُخْلَصَ حَجْرًا وَأَصْحَابُهُ ، فَلَقِيَهُ قَتَلَتْهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ عِلِمُوا أَنَّهُ جَاءَ لِيُخْلَصَ حُجْرًا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَاوراءَ كُمْ ؟
 قَالُوا : قَدْ تَابَ الْقَوْمُ وَجِئْنَا لِنُخْبِرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَسَكَتَ وَسَارَ إِلَى عِلْرَاءٍ فَلَقِيَهُ بَعْضُ مَنْ جَاءَ مِنْهَا فَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِ الْقَوْمِ ، فَأَرْسَلَ الْخَيْلَ فِي قَتَلَتَهُمْ فَلَمْ يَدْرِكُوهُمْ . وَدَخَلُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا هِيَ حَرَارَةٌ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ ، فَكَأَنَّمَا قَدْ طَفِئَتْ . وَعَادَ مَالِكٌ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَأْتِ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ : « مَا مَنَعْنِي أَنْ أَتَشَفَّعَكَ لِأَخَوْفِ أَنْ تُعِيدُوا لِنَاخِرَتِي ، فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ قَتْلِ حُجْرٍ » .
 فَأَخَذَهَا وَطَابَتْ نَفْسَهُ .

قال ^(١) : وَلَمَّا بَلَغَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ قَتْلُ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : أَصْلُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَنُوهُمْ وَدَفَنُوهُمْ وَاسْتَقْبِلُوا بِهِمُ الْقَبِيلَةَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : حَاجُّوهُمْ ^(٢) وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! .

قال : وَلَمَّا بَلَغَ خَبْرُ حُجْرٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَرْسَلَتْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ الْحَارِثِ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : أَيْنَ غَابَ عَنْكَ حِلْمُ أَبِي سَفْيَانَ ؟ قَالَ : « حِينَ غَابَ عَنِّي مِثْلُكَ مِنْ حُلَمَاءِ قَوْمِي ، وَحَمَلَنِي ابْنُ سُمَيَّةَ فَاحْتَمَلْتُ » .

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) حجورهم : غلبهم بالهبة .

وقالت عائشة : « لولا أنا لم تُغير شيئا إلا صارت بنا الأمور
إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حُجر ! أما والله إن كان ما علمت مسلما
حُجَاجا مُعْتَمرا ! » .

وقال الحسن البصري رحمه الله : « أربع خصال كُنَّ في معاوية ،
لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة : انتزاعه ^(١) على هذه الأمة
بالسيف ، حتى أخذ الأمر عن غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة
وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سيكيرا خميبرا يلبس الحرير
ويضرب بالطنابير ، وأدعاؤه زيادا ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه
ومسلم : الولد للفراش وللعمار الحجر . وقتله حُجَرا وأصحاب حُجَرا ،
فيا وثيلا له من حُجر وأصحاب حُجر ! » .

قيل : وكان الناس يقولون : أول ذلك دخل الكوفة موت الحسن
ابن علي ، وقتل حُجَرا بن عدي ، ودعوة زياد .

وقالت هند ^(٢) بنت زيد الأنصارية ترى حُجرا وكانت تشيع .

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ تَبْصُرُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
يَسِيرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ لِيَقْتُلَهُ كَمَا زَعَمَ الْأَمِيرُ
تَجَبَّرَتِ الْجَبَابِرُ بَعْدَ حُجْرٍ وَطَابَ لَهَا الْخَوَرَنَقُ ^(٣) وَالسُّدِيرُ
وَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ لَهُ مُحُولًا ^(٤) كَأَنَّ لَمْ يُحْيِهَا مُزْنٌ مَطِيرُ

(١) انتزاعه : اضماع من النزع ، وهو تزعج الإنسان إلى الشر وروبه .

(٢) في الأصل « زينة » والتصويب من الكامل وغيره .

(٣) الخورنق : نهر بالكوفة ، والسدير : نهر بناية الحيرة ، والمشهور أنها
قصران عظيمان بالحيرة .

(٤) المحول جمع محل بمعنى القحط .

أَلَا يَا حُجْرَ حُجْرَ بَنِي عَدِيٍّ تَلَقَّتَكَ السَّلَامَةُ وَالسُّرُورُ
أَخَافُ عَلَيْكَ مَا أَرَدْتُ (١) عَدِيًّا وَشَيْخًا فِي دِمَشْقَ لَهُ زَبِيرُ
فَإِنْ يَهْلِكَ فَكُلَّ زَعِيمٍ قَوْمٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكَ يَصِيرُ

وقد قيل في قتل حُجْر غير ما تقدم ، وهو أن زيادا خطب يوم
جُمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عدى : الصلاة .
فمضى في خطبته فقال له : الصلاة . فمضى في خطبته ، فلما خشي
حُجْر قُوَّةَ الصلاة ضرب بيده إلى كَفِّ من حصى ، وقال إلى الصلاة
وقام الناس معه ، فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس ، وكتب
إلى معاوية وكبير (٢) عليه ، فكتب إليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله
إليه ، فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه ، فقال حُجْر : لا ولكن
سمعا وطاعة . فشده في الحديد ، وحُمِلَ إلى معاوية ، فلما دخل عليه
قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : « أمير المؤمنين
أنا ؟ والله لأقتلنك (٣) ولا أستقيلك ! أخرجوه فاضربوا عنقه ! » .
فقال حُجْر للذين يُلُون أمره : دعوني حتى أصلي ركعتين . فقالوا :
فصلى ركعتين خَفَّفَ فيهما ثم قال : لولا أن تظنوا بى غير الذى أردت
لأطلتكما ، وقال لمن حضره من قومه : لا تطلقوا عني حديدا ولا تغسلوا
عني دما ، فإني مُلَاقٍ معاوية غدا على الجادة (٤) ! . وضربت عنقه ..

(١) أردي : أهلك .

(٢) وكبير ، كذا جاء في المخطوطة ، وجاء عند الطبري وابن الأثير « كثر » .

(٣) في الكامل وتاريخ الطبري : لا أتوك .

(٤) الجادة : معظم الطريق ووسطه ، والمراد طريق الحسب بين يدي الله تعالى .

قال (١) فلقيت عائشة معاوية فقالت : أين كان حلمك عن حُجر ؟
- فقال : لم يحضرني رُشدٌ ! وقال ابن سيرين : بلغنا أنَّ معاوية لما
حضرته الوفاة جعل يقول : يومى منك يا حُجرٌ طويل !
وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن معاوية

سنة الثنتين وخمسين

كان فيها من الغزاة وأمر الخوارج ما قدمنا ذكره .
وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

سنة ثلاث وخمسين

في هذه السنة توفي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ،
على أحد الأقوال ، وقيل بعد ذلك (٢) .

ذكر وفاة زياد بن أبيه

كانت وفاته بالكوفة يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان
سنة ثلاث وخمسين ، واختلف في مولده ، فقيل : ولد عام الهجرة ،
وقيل : قبل الهجرة وقيل ولد يوم بلر . وقال المدائني : ولد عام
التاريخ .

وكان يكنى « أبا المغيرة » حكاه أبو عمر (٣) قال : وليست له
صحبة ولا رواية ، قال : وكان رجلاً عاقلاً في دنياه ، داهية ، خطيباً ،
له قدر وجلالة عند أهل الدنيا .

(١) محمد بن سيرين .

(٢) انظر ما يأتي في أواخر ذكر منير معاوية إلى الحجاز وكيف أخذ البيعة
ليزيد على أهل الحجاز .

(٣) في الاستيعاب ج ١ ص ٥٦٧ .

قال أبو جعفر الطبري ^(١) رحمه الله : وكان زياد كتب إلى معاوية : « إني قد ضبطت لك العراق يشمالى ، ويمينى فارغة ، فاشغلها بالحجاز » . ففعل . فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نقر منهم عبد الله ابن عمر بن الخطاب ! فذكروا ذلك له ، فقال : ادعوا الله عليه يكفيكموه . فاستقبل القبلة واستقبلوها ، فدعوا ودعا ، وكان من دعائه أن قال : اللهم اكفنا يمين زياد ! فخرجت طاعونة على إصبع يمينه ، فمات منها فلما حضرته الوفاة دعا شريحا القاضى فقال : قد حدث بي ما ترى ، وقد أمرت بقطعها فأشرب على . فقال شريح : إني أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتلقى الله أجذم ، وقد قطعت يدك كراهية لقائه ، أو أن يكون في الأجل تأخير ، فتعيش أجذم ويغير ولدك ؟ فقال : لا أبيت والطاعون في سجاج ^(٢) واحد ^(٣) ، وخرج شريح من عنده فسأله الناس ، فأخبرهم فلاموه ، وقالوا : هلا أشرت بقطعها ؟ فقال : « المستشار مؤتمن ^(٤) » . وقيل أراد زياد قطعها ، فلما رأى النار والمكاوى جزع وتركها وقيل : تركها لما أشار عليه شريح .

ولما حضرته الوفاة قال له ابنه : هلا هيأت لك ستين ثوبا أكفنك بها ، فقال : يابئنى قد دنا من أبيك لباس خير من لباسه أو سلب سريع !

(١) في تاريخه ج ٤ ص ٢١٤ .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، والسجاج : السر ، وجاء في النسخة (ن)

و في الحاف ، كما عند الطبري ج ٤ ص ٢١٥ . وابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٣) جاء في رواية ابن جرير الطبري : « فحزم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمكاوى

جزع وترك ذلك » . وانتظر ما سيأتى قريبا .

(٤) « المستشار مؤتمن » حديث رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما عن النبى صلى الله

عليه وسلم ، وصار ابن جرير هنا : « فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للمستشار

مؤتمن » .

قامات ودفن بالثَوْبَةِ إلى جانب الكوفة ، وهو موضع فيه مقبرة الكوفة .
فلما بلغ موته ابن عمر قال : « اذهب ابن سُمَيَّة ! لا الآخرة أذكرت ،
ولا الدنيا أبقيت عليك ! » .

قال : « وكان زياد فيه حمرة ، وفي عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية
مخروطها ، عليه قميص ربما رقع .

وفيها مات الربيع بن زياد الحارثي عامل خراسان قبل وفاة زياد ،
وكان سبب موته أنه سخط قتل حُجر بن عدي ، حتى إنه قال : « لا تنزال
العرب تُقتل بعده صَبْرًا ^(١) ! ولو نَفَرْتُ عند قتله لم يُقتل رجلٌ
منهم صَبْرًا ، ولكنها أَقَرْتُ فذلَّت ! » ثم مكث بعد هذا الكلام جمعة ،
ثم خرج يوم الجمعة فقتل : « أيها الناس ، إني قد ملئت الحياة ،
وإني داغ بدعوة . فأمّوا . » ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال : اللهم
إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلاً ! وأمن الناس ، ثم خرج ،
فما توارت ثيابه حتى سقط . وحُمل إلى بيته ، واستخلف ابنه عبد
الله ، ومات من يومه ، ثم مات ابنه بعده بشهرين ، واستخلف خُليد بن
يَرْبُوع ^(٢) الحنفي ، فأقره زياد ، ولما مات زياد كان على البصرة
سَمُرَةُ بن جُنْدَب ، وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، فأقر
معاوية سَمُرَةَ على البصرة ثمانية عشر شهراً ، وقيل ستة أشهر ثم عزله ،
فقال سمرة : « لعن الله معاوية ! والله لو أطعت الله كما أطعته
ما عذبني أبداً ! » .

وخج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص .

(١) جاء في الصياح المير : « كل ذي روح يوتى حتى يقتل فقد قتل صبراً » .

(٢) . كذا . جاء في المخطوطة مثل الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ونحوه
في تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٢١٧ « عبد الله » .

سنة أربع وخمسين

ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان

في هذه السنة عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة ، واستعمل

مروان بن الحَكَم .

وكان سبب ذلك أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان ، ويقبض أمواله كلها فيجعلها صافية ^(١) ويقبض منه ^(٢) قَدْرَ ، وكان وهبها له ، فراجع سعيد في ذلك ، فأعاد معاوية الكتاب بذلك ، فلم يفعل سعيد ، ووضع الكتابين عنده ، فعزله معاوية وولى مروان ، وكتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد وهدم داره فأخذ الفعلة وسار إلى دار سعيد ليهدمها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك أتهدم دارى ؟ قال : نعم كتب إلى أمير المؤمنين ولو كتب إليك في هدم دارى لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل : قال : بلى والله ^(٣) قال : كلاً . وقال سعيد لعلامه : انتنى بكتاتى معاوية ، فجا ، بالكتابين ، فلما رأهما مروان قال : كتب إليك فلم تفعل ، ولم تعلمنى ! فقال سعيد : ما كنت لأمنَّ عليك وإنما أراد معاوية ليحرّض بيننا ! فقال مروان : والله أنت خير منى ! وعاد ولم يهدم داره .

وكتب سعيد إلى معاوية : « العجب لما صنع أمير المؤمنين بنا في

قرابتنا ، إنه يُضغن بعضنا على بعض ، فأمر أمير المؤمنين في حلمه وصبره

(١) الصافية : ما يمد لبيت المال من الأملاك والأراضي .

(٢) فَنَك : بلدة قرية من غير ، مما ألقه الله على رسوله من اليهود بعد جلائهم .

(٣) زاد ابن جرير في قول مروان : « لو كتب إليك لهدمتها » .

على ما يكره من الأخبثين وعقوه ، وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء ،
وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم تكن بنى أب واحد إلا لما جمعنا الله
عليه من نصرة الخليفة المظلوم ، وباجتماع كلمتنا لكان حقاً عليك أن
ترعى ذلك ! فكتب إليه معاوية يعتذر من ذلك ويتنصل ، وأنه عائد
إلى أحسن ما يعهده . -

وقدم سعيد على معاوية فسأله عن مروان فأنى عليه خيرا .

وفي هذه السنة عزل معاوية سمر بن جندب عن البصرة ، واستعمل
عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان ستة أشهر .^٥

ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان

ومسيره إلى جبال بخارى

وفي هذه السنة استعمل معاوية عبيد الله بن زياد على خراسان
وسبب ذلك أنه قدّم عليه بعد وفاة أبيه ، فسأله معاوية عن أعمال
أبيه ، فأخبره بهم ، فقال : لو استعملك أبوك لاستعملتك . فقال
عبيد الله : أنشدك الله أن يقولها لى أحد بعدك لو استعملك أبوك
وعملك استعملتك . فولاه خراسان وكان عمره خمسا وعشرين
سنة .

فسار إليها ، وقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، فكان
أول من قطع جبال بخارى في جيش ، ففتح رامتى ونسف وبيكند ،
وهى من بخارى ، ومن ثم أصاب البخارية وغنم منهم غنائم كثيرة ،
ولما لقي الترك وهزمهم ، كان مع ملكهم زوجته ، فأعجلوها عن لبس

خضيتها ، فلبست أحدهما وبقي الآخر ، فأخذه المسلمون [فقوّم]^(١) بمائتي ألف درهم . وظهر منه بأس شديد

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم [وكان على المدينة]^(٢) وكان على الكوفة عبد الله بن خالد ، وقيل : الضحّاك بن قيس وعلى البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان^(٣) ، والله أعلم .

سنة خمس وخمسين

ذكر ولاية عبيد الله بن زياد على البصرة

في هذه السنة عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة ، وولّاه عبيد الله بن زياد .

وسبب ذلك أن عبد الله خطب على منبر البصرة ، فحصبه رجل من بني ضبّة ، فقطع يده ، فأتاه بنو ضبّة وقالوا : « إن صاحبنا جنى ما جنى وقد عاقبته ، ولا نأمن أن يبلغ خبره أمير المؤمنين فيعاقب عقوبة تعم ، فاكتب لنا كتابا إلى أمير المؤمنين ، يخرج به أحدا إلىه ، نخبره أنك قطعت على شبهة وأمر لم يصح » فكتب لهم ، فلما كان رأس السنة توجه عبد الله إلى معاوية ، ووافاه الصنبيون بالكتاب ، وادّعوا أنه قطع صاحبهم ظلما ، فلما رأى معاوية الكتاب قال : « أما القود من عمالي فلا سبيل إليه ، ولكنني أدى صاحبكم من بيت المال » . وعزل عبد الله عن البصرة ، واستعمل ابن زياد عليها ، فولى ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة الكلبي .

(١) الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تجب في النسخة (ك) .

(٢) الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تجب في النسخة (ك) .

وفيهما عزل معاوية عبد الله بن خالد عن الكوفة ، وولأها الضحاک
ابن قیس ، وقيل : كان قبل ذلك كما تقدم .
وحج بالناس فی هذه السنة مروان بن الحکم وهو أمير المدينة .

سنة ست وخمسين

ذكر البيعة ليزيد بن معاوية بولاية العهد

فی هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية العهد ، قال (١) :
وكان ابتداء ذلك وأوله أن معاوية لما أراد أن يعزل المغيرة بن شعبه
عن الكوفة ، ويستعمل سعيد بن العاص عليها ، قبله ذلك ، فشنخص
إلى معاوية ليستعفيه حتى تظهر للناس كراهيته للولاية ، فجاء إلى يزيد
وقال له : « إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وكبراء قريش ، وإنما بقي أبناؤهم ، وأنت من أفضلهم ، وأحسنهم
رأيا ، وأعلمهم بالسياسة ، وإلى لا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن
يعقد لك البيعة . قال : أوترى ذلك يتم ؟ قال : نعم فدخل يزيد على أبيه
وأخبره بما قال المغيرة ، فلما حضر المغيرة عند معاوية قال له
معاوية : ما يقول يزيد ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سرك
الدماء ، والاختلاف بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلف ، فاعقد البيعة له ،
فإن حدث بك حدث كان كهفا للناس ، ولا تسفك الدماء ولا تكون
فتنة ، قال : ومن لي بهذا ؟ قال : « أنا أ كفيك أهل الكوفة ، ويكفيك
زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المضرين من يخالفك » . قال :
« فارجع إلى عملك وتحدث مع من تشق إليه في ذلك وترى وترى » .

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٤٩ .

فودعهم ورجع إلى أصحابه فقال : لقد وضعت رجل معاوية في غَرْزِ بَعِيد^(١) الغاية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ورجع المغيرة ، فلما قدم الكوفة ذاكر من يثق إليه من شيعة معاوية فأجابوا إلى بيعته ، فأوفد منهم عشرة ، ويقال أكثر ، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم ، وجعل عليهم ابنه موسى ، فقدموا على معاوية وزينوا له بيعة يزيد ، ودعوه إلى عقدها ، فقال : لاتعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم ، ثم قال لموسى ، بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بثلاثين ألفا . فقال : لقد هان عليهم دينهم .

وقيل : أرسل أربعين رجلا ، وجعل عليهم ابنه عروة بن المغيرة ، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا : إنما أشخصنا إليك النظر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقالوا : « يا أمير المؤمنين ، كبرت سنك ، وخفنا انتشار الجبل ، فأنصب لنا علما وحد لنا حدا ننتهى إليه » . فقال أشيروا على . فقالوا : نشير بيزيد بن أمير المؤمنين ، فقال : أو قد رضيتموه ؟ قالوا : نعم . قال : وذلك رأيكم ؟ قالوا : نعم ورأى من ورائنا . فقال معاوية لعروة سرا عنهم : بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بأربعمئة دينار . قال : لقد وجد دينهم عندهم رخيصة ، وقال لهم : « ننظر ما قدمتم له ، ويقضى الله تعالى ما أراد ، والأنفة خير من العجلة » . فرجعوا وقد قوى عزم معاوية على البيعة ليزيد .

(١) الفرز : ركاب كور الجبل ، وهو مثل ركاب السرج للفرس .

ذكر مراسلة معاوية زيادا في شأن البيعة

وما دار بين زياد وبين عبيد بن كعب النعميري من الرأى وما اتفقا عليه

قال : ولما قوى عزم معاوية على البيعة ليزيد ، كتب إلى زياد ابن أبيه يستشير به ، وزياد إذ ذاك يلى البصرة ، فلما ورد عليه كتاب معاوية أحضر عبيد بن كعب النعميري وقال له : « إن لكل مستشير ثقة ، ولكل سر مستودع ، وإن الناس قد أبدع^(١) بهم خصلتان : إذاعة السر وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضع السر إلا أحد رجلين : رجل آخره يرجو ثوابا ، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه ، وقد خبرتهما منك ، وقد دعوتك إلى أمر أبهمت عليه بطون الصحف ، إن أمير المؤمنين كتب إلى يستشيرني في كذا وكذا ، وإنه يتخوف نفرة الناس وبرجوطاعتهم ، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم ، ويزيد صاحب رسالة ونهاون ، مع ما قد أولع به من حب الصيد فالتى أمير المؤمنين وأد إليه عنى فعلات يزيد ، وقل له وويذك [بالأمر]^(٢) وأخرى أن يتم لك ، ولا تعجل فإن دركا في تأخير خير من قوت في عجلة » . فقال له عبيد : أفلا غير هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : « لا تفسد على معاوية رأيه ، ولا تبغض إليه ابنه ، وألقى أنا يزيد^(٣) وأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له ، وأنتك تتخوف خلاف الناس ، لهنات ينقمونها عليه ، وأنتك ترى له ترك ما ينقم عليه ، لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما يريد ، فتكون

(١) أبدع بهم : قطع بهم وعظم .

(٢) الزيادة من الطبرى في ج ٤ ص ٢٢٥ وابن الأثير ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٣) في تاريخ الطبرى : « وألقى أنا يزيد سرا من معاوية » .

قد نصحت أمير المؤمنين ، وسلمت مما يخاف من أمر الناس . فقال زياد : « لقد رميت الأمر بحجره ! اشخص على بركة الله ، فإن أصبت فما لا ينكر ، وإن يكن خطأ فغير مستعش ، ونقول ما ترى ويقضى الله بغيب ما يعلم . »

فقدم عبيد على يزيد ، فذكر ذلك له ، فكف عن كثير مما كان يصنع .

وكتب زياد إلى معاوية يشير عليه بالتؤدة وألاً يجعل . فتأخر الأمر حتى مات زياد ثم عزم معاوية على البيعة .

ذكر ارسال معاوية الى مروان بن الحكم

وأمر البيعة وإنكار أهل المدينة ذلك وما وقع بسببه

قال : ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد أرسل إلى عبد الله بن عمر بمائة ألف درهم ، فقبلها ، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر رضي الله عنه : « هذا أراد ؟ إن ديني إذا عندى لرخيص ! » وامتنع .

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم ، وهو على المدينة يومئذ ، يقول : « إني قد كبرت سنّي ، ورق عظمي ، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدى ، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى ، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم ، وأعلمني بالذى يردون عليك . »

فقام مروان في الناس وأخبرهم ، فقال الناس : أصاب ووفق ، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألوا^(١) . فكتب مروان إلى معاوية

بذلك ، فأعاد عليه الجواب بذكر يزيد ، فقام مروان في الناس فقال : إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل ، وقد استخلف ابنه يزيد بعده .

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال : « كذبت والله يا مروان ، وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنكم أردتم أن تجعلوا هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل ! » . فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِيُؤْيِيهِ أَفٍ لَكُمْ ﴾ الآية (١) . فسمعت عائشة رضي الله عنها مقالته ، فقامت من وراء الحجاب وقالت : يا مروان ! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه ، فقالت : « إن القائل لعبد الرحمن إنه نزل فيه القرآن كذب ، والله ما هو فيه ، ولكنه فلان بن فلان ، ولكنك أنت ففَضُّ من لعنة نبي الله عليه الصلاة والسلام » .

وقام الحسين بن علي رضي الله عنهما فأنكر ذلك ، وفعل مثله عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير .

فكتب مروان إلى معاوية بذلك ، فأوجب ذلك مسيره إلى الحجاز بعد أن أخذ بيعة أهل العراق والشام ! .

(١) الآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٢) في النهاية : « ومعه حديث عائشة قالت لمروان : إن النبي لعن أبك ، وأنت ففَضُّ من لعنة الله ، أي : قطعة أو طائفة منها » . وروى ابن أبي خيثمة من حديث عائشة في هذه القصة أنها قالت : « أما أنت يا مروان فأنشد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبك وأنت في صلبه » . وأبو هريرة بن أبي العاص ابن أبية ، وقد روى الرواة في أسباب لعنة أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه يسل من الأعمال مالا يجوز ، وقد نفد إلى الطائف ، وانظر ما يأتي قريبا .

ذكر من وفد الى معاوية من أهل الأمصار

في شأن البيعة . وماتكلم به بعضهم

وبيعة أهل العراق والشام ليزيد

قال : وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريبه . يزيد ووصفه ،
وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار ، فكان فيمن أتاه محمد بن
عمر^(١) بن حزم من المدينة ، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة :
فقال محمد بن عمرو لمعاوية : إن كل راع مشول عن رعيته فانظر
من تؤل أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخذ معاوية يهتز^(٢)
حتى جعل يتنفس في يوم شات^(٣) ، ثم وصله وصرفه .

وأمر معاوية الأحنف بن قيس أن يدخل على يزيد فدخل عليه ،
فلما خرج من عنده قال له : كيف رأيت ابن أخيك ؟ قال : رأيت
شباباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً .

ثم إن معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود
عنده : إني متكلم فإذا سكنت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد
وتحشني عليها ، فلما جلس معاوية للناس تكلم^(٤) فعظم أمر الإسلام
وحرمة الخلافة وحققها ، وما أمر الله تعالى به من طاعة ولادة الأمر ،
ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة ، وعرض ببيعته .

فعارضه الضحاك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير

(١) كذا جاء في الكامل وكتب الصحابة ، وجاء في المخطوطة « عمر » .

(٢) كذا جاء في الأصل ، والذي في الكامل « بهر » وهو يضم الباء ما يمتري الإنسان
عند السعي الشديد والمعنو من التهييج وتتابع النفس .

(٣) في المقد الفريد ج ٤ ص ٣٦٩ : « فأخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء وذلك
في يوم شات » .

المؤمنين ، إنه لا يبد للناس من وال يعدك وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء ، وأصلح للدهماء ، وآمن للسبيل ، وخيراً في العافية ، والأيام عوج^(١) رواجع ، والله كل يوم في شأن ، ويزيد بن أمير المؤمنين في حسن هذيه وقصد سيرته^(٢) على ما علمت ، وهو من أفضلنا علما وحلما ، وأبعدنا رأيا ، قوله عهدك ، واجعله لنا علما بعدك ، ومفرجا تلجأ إليه ونسكن إلى ظله . . . وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من^(٣) ذلك .

٢١

ثم قام يزيد بن المقنع العنبري فقال : هذا أمير المؤمنين (وأشار إلى معاوية) فإن هلك فهذا (وأشار إلى يزيد) ومن آتني فهذا (وأشار إلى سيفه) فقال معاوية : اجلس فأنتم سيد الخطباء .

وتكلم من حضر من الوفود ، فقال معاوية للأحنف : ماتقول ياأبا بحر ؟ فقال : « نخافكم إن صدقنا ، ونخاف الله إن كذبنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلايته ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه الله تعالى ولهذه الأمة رضى فلا تشاور فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا ، وأنت صائر إلى الآخرة : وإنما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا . . . وقام رجل

(١) كذا جاد في الكامل ج ٣ ص ٢٥١ ولم تنفط الكلمة في المخطوطة . وجاء في المقد الفريد « والأنفس يفتى عليها ويراجع » .

(٢) قصد سيرته : استقامة سيره .

(٣) قال : أيها الناس ، إن يزيد أمل تأملونه ، وأجل تأمنونه ، طويل الباع ، رحب القراع ، إذا صرتم إلى عدله وسعكم ، أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال معاوية : اجلس أبا أمية فقد أوسمت وأحسن .

من أهل الشام فقال : « ماندرى ماتقول هذه المَعْدِيَّةُ ^(١) العراقية ، وإنما عندنا سماع وطاعة وضرب وأزدلاف ^(٢) .

فافترق الناس يحكون قول الأحنف ^(٣) .

قال : وكان معاوية يعطى المقارب ، ويُدَارِي المباعِد ويلطُف به ، حتى استوثق له أكثر الناس ، وببايعوه ، فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز .

ذكر مسير معاوية إلى الحجاز

وكيف أخذ البيعة ليزيد على أهل الحجاز

قال : وفي هذه السنة اعتمر معاوية في شهر رجب ، وسار إلى الحجاز في ألف فارس ، فلما دنا من المدينة لقيه الحسن بن علي رضي الله عنهما أول الناس ، فلما نظر إليه معاوية قال : « لا مرحباً ولا أهلاً ! بَدَنَةٌ يثَرَفُرقَ نَمِها والله مُهْرِيْقُهُ ! » قال : مهلاً فإني لست بأهل لهذه المقالة . قال : بَلَى ولشَرُّ منها .

ثم لقيه عبد الله بن الزُّبَيْر فقال له : « لا مرحباً ولا أهلاً ! خَبَّ ضَبَّ ، تَلَعَّةٌ يُدْخِل رأسه فيضرب بَدَنَبه ، ويوشك والله أن يؤخذ بَدَنَبه ويُدَقَّ ظهره ، نَحْبَاهُ عَنِي » فضرب وجه راحلته .

ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له معاوية : « لا مَرَحِباً ولا أهلاً ! شيخ قد خَرِفَ وذهب عقله » ثم أمر بضرب وجه راحلته : ثم فعل بابن عمر نحو ذلك .

(١) المدينة : الجماعة المنسوبة إلى معد بن عتقان .

(٢) الأزدلاف : الاقتراب إلى الأمران في الحرب .

(٣) ابن الأثير في الكامل ٣ ص ٢٥١ .

فَأَقْبَلُوا مَعَهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَحَضَرُوا بَابَهُ
فَلَمْ يُوَدِّنْ لَهُمْ عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَلَمْ يَرَوْا مِنْهُ مَا يَحْبُونَ ، فَخَرَجُوا
إِلَى مَكَّةَ . فَأَقَامُوا بِهَا .

وخطب معاوية بالمدينة ، فذكر يزيد فمدحه ، وقال : « من أحق
منه بالخلافة في فضله وعقله ؟ وموضعه ؟ وما أظن قوماً بمقتضين حتى
يصيبهم بوائق تجتث أصولهم ، ولقد أنذرتُ إن أغثت النذر ،
ثم أنشأ ممتثلاً :

قَدْ كُنْتُ حَذَرْتُكَ آلَ الْمِصْطَلِقِ وَقُلْتُ يَا عَمْرُو أَطْفِقْ وَانْطَلِقْ
إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَالَهُ أَطِقْ مَا لَكَ مَا سَرَّكَ مَتَى مِنْ خُلُقْ
دُونَكَ مَا اسْتَحْسَقَيْتَهُ فَاحْسُ وَذُقْ

ثم دخل على عائشة رضي الله عنها وقد بلغها أنه ذكر الحسين
وأصحابه ، فقال : « لَا قَاتِلَهُمْ إِنْ لَمْ يَبِيعُوا » فشكاهم إليها ، فوعظته عائشة
وقالت : بلغني أنك تتهددهم بالقتل ، فقال : « يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُمْ
أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي بَايَعْتُ لِيَزِيدَ ، وَبَايَعَهُ غَيْرُهُمْ ، أَفَتَرِينَ أَنَّ
أَنْفُسَ بَيْعَةٍ قَدْ تَمَّتْ ؟ » . قالت : قَارَفَقَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى مَا تَحِبُّ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قال : أَفْعَلْ . وَكَانَ فِي قَوْلِهَا لَهُ : مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَقْعَدَ لَكَ رَجُلًا
يَقْتُلُكَ . وَقَدْ فَعَلْتَ بِأَخِي مَا فَعَلْتَ ؟ تَعْنِي مُحَمَّدًا فَقَالَ لَهَا : كَلَّا
يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي فِي بَيْتِ أَمْنٍ . قالت : أَجَلْ .

ومكث معاوية بالمدينة ما شاء الله ، ثم خرج إلى مكة ، فلقبه

الناس ، فقال أولئك النفر : نلتقاه لعله قد قدم على ما كان منه ، فلقوه في بطن^(١) مَرٍّ ، فكان أول من لقيه الحسين رضي الله عنه ، فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله وسيد شباب المسلمين . وأمر له بدابة وركب وسايره ، ثم فعل بالباقيين مثل ذلك^(٢) ، وأقبل يسايرهم ولا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة ، فكانوا أول داخل عليه وآخر خارج ، ولا يمضي يوم إلا ولهم منه صلة ، ولا يذكر لهم شيئاً ، حتى قضى نسكاً وحمل أثقاله وقرب مَسِيره ، فقال بعضهم لبعض : « لا تُخَدَعُوا فما صنع هذا لحبكم ، وما صنعه إلا لما يريد أن يفعل ، فأعلموا له جواباً » فاتفقوا على أن يكون المخاطب له عبد الله ابن الزبير .

فأحضرهم معاوية وقال : « قد علمتم مسيرتي فيكم ، وصلي لأرحامكم وحمل ما كان منكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وأردت أن تقلدُموه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تُؤثرون وتُعزّلون وتؤمّرون ، وتُجَبّون المال وتُقسِمونه ، ولا يعارضكم في شيء من ذلك » . فسكنوا ، فقال : ألا تُجيبون ؟ مرتين .

ثم أقبل على عبد الله بن الزبير ثم قال : هاتِ فلعمري إنك خطيبهم . قال : نعم ، نخيرك بين ثلاث خصال . قال : اغرِضْهُنَّ . قال : تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو كما صنع أبو بكر ، أو كما صنع عمر رضي الله عنهما ، قال معاوية : ماصدّموا ؟ قال : قُبِضَ

(١) مر الظهران على مرحلة من مكة .

(٢) في المقد الفريديج ٤ ص ٣٧١ : « وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً بشيخ قريش وسيدنا وابن الصديق . وقال لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق ، وقال لابن الزبير : مرحباً بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه . ودعا لهم بواب فحملهم عليها » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدا ، فارتضى الناس
أبا بكر . قال : ليس فيكم مثل أبى بكر وأخاف الاختلاف . قالوا :
« صدقتَ فاصنع كما صنع أبو بكر ، فإنه عهدٌ لى رجل من قاصية
قريش ليس من بنى تيم^(١) » فاستخلفه ، أو كما صنع عمر ، جعل الأمر
شورى فى ستة نفر ، ليس فيهم أحد من ولده ولا من بنى أبيه .
قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ قال : لا ، قال : فأنتم ؟ قالوا :
قولنا قوله : قال « فإنى أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر :
إنى كنت أخطب ، فيقوم إلى القائم منكم فيكذبنى على رؤوس الناس :
فأحمل ذلك وأصفح ، وإنى قائم لمقالة فأقسم بالله لئن ردَّ علىَّ أحدٌ
منكم كلمة فى مقامى هذا لاترجع إليه كلمةٌ غيرها حتى يسبقها السيف
إلى رأسه ، فلا يبقينَّ رجل إلا على نفسه ! »

ثم دعا صاحب حرسه حضرتهم فقال له : أقم على رأس كل رجل
من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فإن ذهب رجل منهم
يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما .

ثم خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يُبْرَم^(٢) أمرٌ دونهم
ولا يُقضى إلّا عن مشورتهم ، وإنهم قد رضوا وباعوا ليزيد ، فبايعوا على

(١) يعنى أن أبا بكر لم يستخلف أحدا من أولاده ولا أقاربه بنى تيم ، فقد كان أبو بكر بن أبى
قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ولكنه استخلف عمر بن الخطاب بن نفيل
بن عبد المطلب بن رباح بن عبد الله بن قريظ بن رزاح بن عدى ، فسر عدى ، وأبو بكر تيمى .
(٢) انظر العقد الفريد ج ٤ ص ٣٧٢ ، وفى المخطوطة « لا يبرم » .

اسم الله . فبايع الناس وكانوا يترقبون بيعة هؤلاء النفر ، ثم ركب معاوية راحله وانصرف إلى المدينة .

فلقى الناس أولئك النفر فقالوا لهم : زعمتم أنكم لا تبائعون فلما أرضيتم وأعطيتم بايعتم ! قالوا : والله ما فعلنا . قالوا : فما منعكم أن تردوا على الرجل ؟ قالوا : كادنا^(١) وخفنا القتل .

وبايعه أهل المدينة ، ثم انصرف إلى الشام ، وجفا بنى هاشم ، فأتاه ابن عباس فقال له : ما بالك جفوتنا ؟ قال : إن صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه . فقال : « يا معاوية ، إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل ، فأقيم به ، ثم أنطلق بما نعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج عليك » . قال يا أبا العباس تُخطون وتُرضون وتُرادون^(٢) !

وقيل : إن ابن عمر قال لمعاوية : « أبايعك على أني داخل فيما تجتمع عليه الأمة ، فوالله لو اجتمعت على حبشي لدخلت معها » . ثم عاد إلى منزله ، فأغلق بابيه ، فلم يأذن لأحد .

وقد ذكرنا وفاة عبد الرحمن بن أبي بكر في سنة ثلاث وخمسين ، والمشهور أنه كان في هذه الحادثة باق^(٣) : وقد ورد خبره مع مروان ابن الحكم وما قالته عائشة رضي الله عنها في الصحيح^(٤) .

(١) في المقد الفريد : « كادكم بنا وكادنا بكم » .

(٢) راده في الكلام : راجعه إليه .

(٣) قال ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٥٢ : « قلت : ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر لا يستقيم على قول من يحمل وفاته سنة ثلاث وخمسين ، وإنما يصح على قول من يحملها بعد ذلك الوقت » . وقد ذكر ابن حبان أنه مات سنة ثمان وخمسين .

(٤) دوى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه الحديث ٤٥٠٩ : « كان مروان على الحجاز ، استعمل معاوية ، فخطب ، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن =

ذكر استعمال سعيد بن عثمان بن عفان

على خراسان وغزوة

في هذه السنة استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد عنها ، وكان سبب ذلك أنه سأل معاوية أن يستعمله على خراسان ، فقال : إن بها عبيد الله بن زياد . فقال : والله لقد أضطنعتك أبي حتى باغت باصطناعه المذى الذى لا تُجاري إليه ولا تُسامى ، فما شكرت بلاءه ولا جازيته [بآلانه] ^(١) ، وقدمت [على] هذا سيعنى يزيد - وبأيعت له ، والله لأننا خير أباً وأماً ونفساً ! « فقال معاوية : أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به ، وقد كان من شكرى لذلك أنى طلبت بدمه ، وأما فضل أبيك على أبيه فهو والله خير منى ، وأما فضل أمك على أمه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ^(٢) ، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة ^(٣) ملئت به رجالاً مثلك ! ، فقال له يزيد : « يا أمير المؤمنين ، ابن عمك ، وأنت أحق من نظر في أمره ، قد عتب عليك فأعنيته ^(٤) . فولاه حرب خراسان ، وولى إسحاق ابن طلحة ^(٥) خراجها ، فمات إسحاق بالرعى فولى سعيد حربها وخراجها .

== ابن أبي بكر شيئا ، فقال : خطوه ، ففعل بيت عائشة فلم يقدروا ، فقال مروان إن هذا الذى أنزل الله فيه : والذى قال لوالديه أن لكما أجداناً فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فيها شيئا من القرآن ، إلا أن الله أنزل طوى . أم وانظر ما سبق قريباً .

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٢٦ .

(٢) أم سعيد بن عثمان هي فاطمة بنت الوليد بن المغيرة الخزومية القرشية ، وأم يزيد ابن معاوية هي ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبي .

(٣) الغوطة : الكورة التى منها دمشق ، وهى مروة بيسانها .

(٤) الإعتاب : الإرضاء .

(٥) كان إسحاق ابن خالة معاوية .

فلما قدم خراسان قطع النهر إلى سمرقند ، فخرج إليه [أهل] (١) الصغد ، فتوافقوا يوماً إلى الليل ولم يقتتلوا ، ثم اقتتلوا من الغد ، فهزمهم سعيد ، وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رهنًا منهم خمسين غلاماً من أبناء عظمائهم ، فسار إلى الترمذ ففتحها صلحاً ، ولم يَفِ لأهل سمرقند ، وجاء بالغلان معه إلى المدينة . وفي هذه الغزوة قتل قُثم بن العباس بن عبد المطلب .

وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان

سنة سبع وأربعين

في هذه السنة عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة ، واستعمل الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان . وقيل : لم يعزل مروان في هذه السنة (٢) . وحج بالناس الوليد بن عُتبة .

سنة ثمان وأربعين

في هذه السنة توفيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وتوفي هبيرة بن يثرب قاضي البصرة ، فاستقضى مكانه هشام بن هبيرة . وحج بالناس الوليد بن عُتبة .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٧ ، والصغد : قرى متصلة خلال الأشجار والبياتين من سمرقند إلى قريب من بخارى .
(٢) وقيل : في سنة ثمان وخمسين .

ذكر عزل الضحّاك عن الكوفة

واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم وطرده عنها

واستعماله على مصر وطرده عنها أيضا

في هذه السنة عزل معاوية الضحّاك بن قيس عن الكوفة ، واستعمل عليها عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي ، وهو ابن أمّ الحكم ، وأمّ الحكم أخت معاوية ، فخرج الخوارج بالكوفة في ولايته على ما قدمناه من خبرهم .

ثم طرد أهل الكوفة عبد الرحمن لسوء سيرته ، فلحق بخاله معاوية ، فولاه مصر ، فاستقبله معاوية بن حُديج على مَرَحَلَتَيْنِ من مصر ، فقال له : ارجع إلى خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع .

ثم وقد معاوية بن حُديج إلى معاوية ، وكان إذا قدم زُيِّنَتْ له الطرق [بقباب الرّيحان] ^(١) تعظيما لشأنه ، فدخل على معاوية وعنده أخته أمّ الحكم فقالت : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : « بَخْ بَخْ » ! هذا معاوية بن حُديج ! فقالت : « لا مرحبا ! تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه » ^(٢) . فسمعها ابن حُديج ، فقال : « على رِسْلِكَ يا أمّ الحكم ، والله لقد تزوجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أفجيت ، أردتِ أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، ما كان الله ليُيريّه ذلك ، ولو فعل لضربناه ضربا يُطأُطى »

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) « بَخ » اسم فعل ، يقال عند إظهار الرضا والإعجاب ، ويكرر للمبالغة .

(٣) مثل عربي يقرب لمن خبره غيره من رؤيته .

منه ولو كره هذا القاعد ! ، يعنى معاوية ، فالتفت إليها معاوية فقال :
كفى . فكفّت .

سنة تسع وخمسين

فى هذه السنة استعمل معاوية الثعمان بن بشير الأنصارى
على الكوفة ، بعد ابن أم الحكم .

واستعمل معاوية عبد الرحمن بن زياد على خراسان فبقى عليها
إلى أن قُتل الحسين ، ثم قدم على يزيد ومعه عشرون ألف ألف
درهم ، فقال له يزيد : « إن شئت حاسمناك وأخذنا مامعك ورددناك إلى
عملك ، وإن شئت أعطيناك مامعك وعزلناك ، وتعطى عبد الله بن جعفر
خمسمائة ألف درهم » قال : بل تُعطينى ما معى وتعزلى . ففعل ،
وأرسل عبد الرحمن إلى ابن جعفر بألف ألف ، وقال : هذه خمسمائة
ألف من يزيد وخمسمائة ألف منى .

ذكر عزل عبيد الله بن زياد

عن البصرة وعوده إليها

وفى هذه السنة عزل معاوية عبيد الله بن زياد عن البصرة وأعاد
إليها ولم يؤلّ غيره .

وسبب ذلك أن ابن زياد وفد على معاوية فى وجوه أهل البصرة
وفيههم الأحنف بن قيس ، وكان ابن زياد لا يكرمه ، فلما دخلوا على
معاوية رحب بالأحنف وأجلسه معه على سريريه ، فأحسن الوفدُ الشئ
على عبيد الله بن زياد والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مابالك
يا أبا بحر لا تتكلم ؟ فقال : إن تكلمتُ خالفتُ القوم . فقال معاوية :

انهضوا ، عزلته عنكم واطلبوا واليا ترصونه : فلم يبق من القوم رجل إلا أتى رجلا من بني أمية أو من أهل الشام ، والأحنف لم يبرح من منزله . ولم يأت أحدا ، فلبثوا أياما ، ثم جمعهم معاوية : وقال لهم : من اخترتم فاختلفت كلمتهم ^(١) ، والأحنف ساكت ، فقال ^(٢) : مالك لا تتكلم ؟ فقال : « إن وليت علينا أحدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحدا ، وإن وليت غيرهم فانظر في ذلك » . فردّه معاوية عليهم ، وأوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباحلته .

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وفيها توفي شعيد بن العاص .

سنة ستين

ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان وما أوصى به عند وفاته

كانت وفاته بدمشق في شهر رجب من هذه السنة ، قيل : في مستهلّه ، وقيل : في النصف منه ، وقيل : لأربع بقين منه ، وقيل : في يوم الخميس لثمان بقين من شهر رجب سنة تسع وخمسين ^(٣) قال ^(٤) : وكان معاوية قد خطب الناس قبل موته فقال : « إني

(١) سى كل فريق منهم رجلا .

(٢) معاوية .

(٣) تبع في ذلك ما جاء في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٨ ، وعبارة الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢٣٩ : « وقال علي بن محمد : مات معاوية بدمشق سنة ٦٠ يوم الخميس لثمان بقين من رجب ، حدثني بذلك الحارث عنه » . وقال الطبري قبيل هذا : « اختلف في وقت وفاته بعد إجماع جميعهم على أن هلكه كان في سنة ٦٠ وري رجب منها » .

(٤) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٥٩ .

لزوع^(١) مستحصد^(٢) وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم
ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيت فراقى ، لن يأتىكم بعدى إلا
من أنا خير منه ، كما أن من كان قبلى كان خيراً منى ، وقد قيل :
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم إني أحببت لقاءك فأحِبْ
لقاءى وبارك لى فيه . فلم يحض غير قليل حتى ابتدا به مرضه
الذى مات فيه .

قال^(٣) ولما مرض^(٤) دعا ابنه يزيد وقال : « يا بنى إني قد
كفيتك الشدة والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت الأعداء :
وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فانظر أهل
الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم ، وتعاهد من غاب
وانظر أهل العراق ، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ،
فإن عزل عامل أيسر من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل
الشام ، فليكونوا بطانتك وعيبتك^(٥) ، فإن رابك^(٦) من غدوك
شئ فانتصر بهم ، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم : فإنهم
إن أقاموا بغيرها تغيرت أخلاقهم ، وإني لست أخاف عليك أن ينازعك
هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن على وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر ، فأما ابن عمر فرجل قد

(١) فى الكامل : « كزوع » .

(٢) استحصد الزرع : حان أن يحصد .

(٣) ابن الأثير فى الكامل ، وأصله فى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٣٨

(٤) قال الطبرى : « مرض مرضته التى هلك فيها » .

(٥) عيبتك : موضع شرك .

(٦) كذا جاء فى المخطوطة مثل الكامل ، وجاء فى تاريخ الطبرى « نابك » .

وقدّته^(١) العبادة ، فإذا لم يَبْقَ أحد غيره بايعك ، وأما الحسين فإنه رجل خفيف ، ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه ، فإن خرج فظفرت به قاصفح عنه ، فإن له رَحْمًا ماسة وحققا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما ابن أبي بكر فإن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثله^(٢) ليست له همة إلا في النساء واللهم ، وأما الذي يجثم لك جُثوم الأسد ، ويرواغك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلمها بك فظفرت به فقطعه إربا إربا ، واحقن دماء قومك ما استطعت .. هكذا في هذه الرواية^(٣) ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، والصحيح أنه مات^(٤) قبل معاوية .

وقيل إن يزيد كان غائبا في مرض أبيه وموته ، وأن معاوية أحضر الضحّاك بن قيس ومسلم بن عقبة المرّي وأمرهما أن يؤدّيا عنه هذه الرسالة إلى يزيد ابنه . وصححه ابن الأثير .

قيل : ولما اشتدّت علته وأرجف به قال لأهله : احشوا عيني إثميدا واذنوا رأسي ، ففعلوا وبرّقوا وجهه^(٥) ، ثم مهّد له مجلسا

(١) وقدّته : غلّته .

(٢) في تاريخ الطبري : « مثلهم » ، والذي جاء هنا مثل الكامل .

(٣) وذكر ابن جرير رواية ثانية فيها قول معاوية : « وإن لست أخاف من فريش إلا ثلاثة : حسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير » .

(٤) وذكر ابن حبان أن عبد الرحمن بن أبي بكر مات سنة ثمان وستين ، وقيل غير ذلك

كما سبق .

(٥) عند ابن جرير وابن الأثير : « برّقوا وجهه بالدمن » .

وأذن للناس ، فدخلوا وسلموا قياما ولم يجلس أحد ، فلما خرجوا
تمثل بقول الأول وهو الهذلي^(١) :

وتجلدني للشامتين أريهمو أننى ليريب الدهو لا أتضعضع
وإذا المنيبة أنشبت أظفارها ألفت كل تميم^(٢) لا تنفع
ومات في يومه .

وكان يتمثل - وقد اختصر^(٣) - :

فهل من خالده إما هلكنسا ؟ وهل بالموت بالناس عار ؟
وروى محمد بن عبد الله بن الحكم قال : سمعت الشافعي رضي
الله عنه يقول : لما ثقل معاوية كان يزيد غائبا ، فكتب إليه بحاله
فلما أتاه الرسول أنشأ يقول :

جاء البريد بقرطاس يخب به^(٤)

فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا : لك الويل ! ماذا في صحيفتكم

قال : الخليفة أمسى مضببا^(٥) وجما

(١) هو أبو ذؤيب اللؤلؤ يرقى بنين له ماتوا في عام واحد بقصيدة مشهورة تجدها في أول ديوان الهذليين ، وانظر المفضلة ١٢٥ في المفضليات وجبهة أشعار العرب ص ٢٦٤ - ٢٧٣ والاستيعاب ج ٤ ص ٦٧ والإصابة ج ٤ ص ٦٥ وشواهد العيني ج ٣ ص ٣٩٣-٣٩٤ وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٠٢ وحلمة البحري ص ٩٩ ، ١٢٨ وأمال القائل مع شرح البكري في سطر اللؤلؤ ج ٢ ص ٢٨٨ - ٢٨٩

(٢) التيمية : ما يملفه بعض الناس على أولادهم لانتفاء العين والحسد بزعمهم .

(٣) ويلفه أن قوما يفرحون بموته .

(٤) القرطاس : الصحيفة . والمجب : السير السريع .

(٥) المثبت : الذي لا يفارق الفراش لثقل مرضه .

فمادت الأرض أو كادت تميدبنا
 كَانَ ثَهْلَانُ^(١) مِنْ أَرْكَانِهِ انْقَلَعَا
 وَأَوْدَى ابْنُ هَنْدٍ^(٢) وَأَوْدَى الْمَجْدِي تَبْعُهُ
 كَانَا جَمِيعًا وَظِلًّا يَشْمُرِيَانِ مَعَا
 لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى^(٣) وَإِنْ جَهَلُوا
 أَنْ يَرْفَعُوهُ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ مَا رَفَعَا
 أَغْرُ الْبَلَجِ^(٤) يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ
 لَوْ قَارَعَ النَّاسُ عَنْ أَحْلَامِهِمْ قَرَعَا
 وَالْبَيْتَانِ^(٥) الْأَخِيرَانِ لِلْأَعْشَى
 قَالَ : فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ مَغْمُورًا فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 لَوْ عَاشَ حَتَّى إِذَا لَعَاشَ إِمَامَا
 مُ النَّاسِ لَا عَاجِزٌ وَلَا وَكِيلٌ^(٦)
 الْحَوْلُ الْقَلْبُ الْأَرِيبُ^(٧) وَلَنْ
 يَدْفَعُ رَيْبَ الْمَنِيَّةِ الْحَيَلُ

(١) ثهْلان : جبل .

(٢) أودى : هلك . وهند : أم معاوية .

(٣) أوهى : أضغفه وأستقه .

(٤) الأغر : السيد الشريف في قومه . والأبلج : الذى يكون طلق الوجه مغنيه .

(٥) هذا من قول الإمام الثاقلنى كما فى الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩٩ وهما البيتان ٧٢ ، ٧٣ .

من عيبه الأعشى في ديوانه ص ١١١ ، ١٠٧ وجاء أولها يلفظ :

لا يرفع الناس ما أوهى وإن جهلوا طول الحياة ولا يوهون ما رفعا
 وجاء ثانيهما بلفظ :أغر أبلج يستقى الغمام به لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا
 (٦) الوكيل : البليد الذى يكل أمره إلى غيره .

(٧) الحول : البصير بالحيل وتحويل الأمور . والقلب : البصير بفتايب الأمور . والأريب : الماثل

قال فأفاق معاوية وقال : يا بني إني نصحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج لحاجته ، فاتبعته بإداوة^(١) ، فكساني أحد ثوبيه الذي يلي جلده ، فخبأت له هذا اليوم ، وأخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام من أظافره وشعره ذات يوم ، فأخذته وخبأت له هذا اليوم ، فإذا أنا ميتٌ فاجعل ذلك القميص دون كَفَتِي ممَّا يَلِيَّ جلدي ، وخذ ذلك الشعر والأظافر فاجعله في قمِي وعلى عُنِي ومواقع السجود مني ، فإن نفع شئ فذاك ، وإلا فإن الله غفور رحيم .

وهذه الرواية تدل على أن يزيد أذكره قبل وفاته ، وقد قيل : إنه أوصى بها غير يزيد^(٢) والله أعلم .

قال ابن الأثير : وتمثل معاوية عند موته بشعر الأشهب بن زُمَيْلَة^(٣) النَّهْشَلِيّ^(٤) :

(١) الإداوة : إناؤه صغير من جلد .

(٢) ذكر الطبري في إحدى روايات تاريخه ج ٤ ص ٢٤٢ أن معاوية مات ، ويزيد بجوارين . وكانوا كتبوا إليه حين مرض ، فأقبل وقد دفن ، فألقى قبره فصل عليه ودعاه ، ثم أتى منزله . وانظر ما يأتي .

(٣) كذا جاء في المخطوطة والكمال لابن الأثير « زميله » بالتراءى : كما نص عليه العمري وشواهد الكبرى ج ١ ص ٤٨٢ : « لم يذكر في معجم الشعراء ، وفي أكثر الكتب « زميلة » بالراء ، كما نص عليه صاحب خزنة الأدب ج ٢ ص ٥٠٩ . وترواه في تاريخ الطبري وأمال الفراء وسدس الأزد والبيان والتبيين والحيوان ، وانظر ترجمة الأشهب بن زميلة في الأغاني ج ٩ ص ٢٦٩ (طبع دار الكتب المصرية) والإصاية ج ١ ص ١٠٧ .

(٤) قال الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢٤١ : شعر الأشهب بن زميلة النهشل يملح به القبايع .

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْجُودُ وَأَنْقَطَعَ النَّدَى

مِنَ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرِّدٍ^(١)

وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا

مِنَ الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِخِلْفٍ مُجَدِّدٍ^(٢)

فَقَالَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْكَ .

فَقَالَ مَتَمُّثَلًا :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا (البَيْت) وَقَالَ لِأَهْلِهِ :

اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا وَاقِيَ لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ ثُمَّ قَضَى^(٣)

وَأَوْصَى أَنْ يُرَدَّ نَصَفُ مَالِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ^(٤) .

وَأَنْشَدَ لِمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ :

إِنْ تُنَاقَشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَارَبِّ

بِ عَذَابِي ، وَلَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ

أَوْ تُجَاوِزَ فَأَنْتَ رَبُّ صَفْوَحٍ

عَنْ مُسَيِّبٍ ذَنْبُهُ كَالْثَرَابِ

قَالَ : وَلَمَّا مَاتَ خَرَجَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبِرَ ، وَأَكْفَأَ

مَعَاوِيَةَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ

(١) مصرد : مقلل ، ففيه مهالفة في القلة .

(٢) اتخلف : خزع والفرس والثاقه ونحوهما : والمجدد : الداهب البين ، والمعروف بهذا المعنى في هذه المادة « الأجد » و « المتجدد » .

(٣) قضى : مات .

(٤) قال الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢٤٢ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٦٠ « كانه أراد أن يعطي له الباقي ، لأن عمر قاسم حاله » .

عَوْدُ (١) العرب ، وَحَدَّ (٢) العرب ، وَجَدَّ (٣) العرب ، قَطَعَ اللهُ به
 الفِتْنَةَ ، وَمُلْكُهُ عَلَى الْعِبَاد ، وَفَتَحَ بِهِ الْبِلَادَ ، أَلَا إِنَّهُ قَدَمَات ، وَهَذِهِ
 أَكْفَانُهُ وَنَحْنُ مُذْرِجُوهُ فِيهَا ، وَمُنْخِلُوهُ قَبْرَهُ ، وَمُخْلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 عَمَلِهِ ، ثُمَّ هُوَ الْبَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ! فَمَنْ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَشْهَدَهُ فَعِنْدَ
 الْأَوَّلَى . . . قَالَ : وَصَلَى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ لَغَيْبَةَ يَزِيدَ ، وَكَانَ بِحَوَارِينَ (٤)
 فَقَدِمَ بَعْدَ دَفْنِهِ فَصَلَّى عَلَى قَبْرِهِ :

وَكَانَ مُلْكُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا تَقْرِيبًا مِنْذُ خَلَصَ
 لَهُ الْأَمْرُ :

وَكَانَ عَمْرُهُ خَمْسًا وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ ،
 وَقِيلَ : ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وَقِيلَ تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْخُدَّامَ الْمُلَازِمَةَ (٥) فِي الْإِسْلَامِ . وَأَوَّلَ مَنْ عَلَّقَ
 السُّتُورَ وَاتَّخَذَ الْحَرَمَ وَأَرْيَابَ الشَّرْطِ . وَاسْتَخْدَمَ الْحِجَابَ وَرَكِبَ
 الْهَمَّالِيجَ (٦) ، وَقِيدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْجَنَائِبُ (٧) وَلَبَسَ الْخَزَّ
 وَالْوَشْيَ الْخَفِيفَ ، وَعَمَلَ الطَّرَازَ بِمَصْرِ وَالْيَمَنَ وَالرُّهَا وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ .

(١) العود : الجمل الكبير اللدب ، ويشبه به الرجل كذلك .

(٢) الحد : اليأس والفصل بين شيئين .

(٣) الجد : الحظ والسعادة والغنى .

(٤) حوارين ، بتشديد الواو : من قرى الشام ، وهى غير « حوارين » بتشخيف
 الواو التى فى الجزيرة .

(٥) كذا جاء فى النسخة (ن) ، وجاء فى النسخة (ك) : « الأزمة » وجاء فى لامتجاف
 « أول من اتخذ الحصان فى الإسلام .

(٦) الهماليج : جمع هملج ، وهو البرذون الحسن السير ، ويسمى « الرهوان » .

(٧) الجنائب : جمع جنيبة وهى الدابة تجاز إلى جنب ، والناقاة يطليها الرجل القوم

يبتارو عليها له .

وأول من قتل مسلماً صَبْرًا ، قَتَلَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ كَمَا تَقْدُم .
وهو أول من اقْتَنَى الضِّيَاع ، وأحدث في أيامه ديوان الخاتم ،
وكان سبب ذلك أنه أمر لعمر (١) بن الزُبَيْرِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ،
وكتب له بها عَلَى زِيَاد ، فَصِيرَ (٢) عمرو المائتين ، فلما [رفع] (٣)
حساب زياد أنكرها معاوية ، وأخذ عمرًا بردًا (٤) ، فوفَّهاها عنه
أخوه عبد الله . ثم أمر معاوية بِخَتْمِ الكُتُبِ وَخَزْمِهَا .

وزاد في منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله ثَمَانِي
درجات ، وأول من جعل درجات المنبر خمس عشرة مَرَقَةً ، وانخذ
المقصورة (٥) في المسجد .

وأول خليفة بايَع لابنه ، وأول من وضع البريد ، وأول من سَمِيَ
الغالية التي يطيب بها « غالية » .
وكان يقول : أنا أول الملوك .

ذكر شيء من سيرته وأخباره

كان يُضْرَبُ بِحِلْمِ معاوية المَثَل ، ولم يعرف له زَلَّةٌ تنافي الحلم
إلا قَتَلَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ .

وقد نقل من كلامه ألفاظ . منها أنه قال : إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي
أَنْ يَكُونَ ذَنْبُ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي ، وَجَهْلُ أَكْثَرَ مِنْ حِلْمِي ، وَعَوْرَةُ
لَا أَوَارِيهَا بِسْتَرِي ، أَوْ إِسَاءَةُ أَكْثَرَ مِنْ إِحْسَانِي ..

(١) أمر معاوية لعمر بهذا في موته وقضاه دينه .

(٢) قض عمرو الكتاب وصير المائتين .

(٣) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) .

(٤) وحيه .

(٥) عل معاوية للمقصورة في الشام لما ضربه الخارجي ، ثم عمل مروان المقصورة في المدينة

وقال : العقل والحلم أفضل ما أُعطيَ العبد ، فإذا ذُكِّرَ ذُكِّرَ ،
وإذا أُعطيَ شكر ، وإذا ابتُلِيَ صبر ، وإذا غُصِبَ كَظَم ، وإذا قدر
غفر ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز . .

قال عبد الله (١) بن عُمر : أغلظ رجل لمعاوية ، فأكثر ،
فقبل له : أتَحلم عن هذا ؟ فقال : إني لأحُول بين الناس وألستهم .
مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا .

وروى ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال : أخبرنا المِسُورُ
ابن مخرمة أنه وفد على معاوية ، قال : فلما دخلتُ عليه سلّمت ،
فقال : ما فعل طعنك على الأمة يامِسُور ؟ قلت : دعنا من هذا وأحسن فيما
قدّمنا له ، قال : والله لتكلمني يذات نفسك . قال فلم أدع شيئا
أعجبه عليه إلا أخبرته به . فقال : « لا أبرأ من الذنوب ! أفعالك
يامِسُور ذنوب تخاف أن نهلك إن لم يغفرها الله لك ؟ » قلت : بلى .
قال : « فما جعلك أحقّ بأن ترجو المغفرة مِنِّي ؟ فوالله لبما أنا (٢)
من الإصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل الله والأمر
العظام التي ليست (٣) أحصيتها ولا تحصيلها أكثر مما تلي . وإني
لعلّ دين يتقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات ، والله لعلّ (٤)
ذلك ما كنت لأخير بين الله وبين ماسواه إلا اخترتُ الله على ماسواه .
قال المِسُور : ففكرتُ حين قال ما قال فعرفتُ أنه خصّمني ! قال : فكان

(١) كذا جاء في المخطوطة مثل الكامل لابن الأثير ، وجاه في رواية الطبري : « عبد الملك بن عير » .

(٢) في الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠٢ : « قوله لما أنا من الإصلاح » .

(٣) في الاستيعاب : « لست » .

(٤) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ك) كما في الاستيعاب ، وسقطت من النسخة (ن) .

إذا ذكر بعد ذلك دعا له بخير . قال أبو عمر ^(١) : هذا الخبر من أصح ما يروى عن ابن شهاب .

وقد نُسب معاوية إلى بُخلٍ مع كثرة عطاياه ، فمن ذلك ما حكى أن عبيد الله بن أبي بكر دخل على معاوية ، ومعه ولده ، فأكثر من الأكل ، فلحظه معاوية ، وفطن عبيد الله ، فأراد أن يغمز ابنه [فلم يمكنه] ^(٢) فلم يرفع رأسه حتى فرغ من أكله ، ثم عاد عبيد الله وليس معه ابنه ، فقال معاوية ما فعل ابنك التلقاة ^(٣) ؟ [قال : اشتكى] ^(٤)

ذكر صفة معاوية وأولاده وأزواجه

وكتابه وقضائه وحجابه وشرطه وعمله

كان معاوية طويلاً أبيض اللون إذا ضحك تقلصت شفقه العليا ، وكان يخضب بالحناء والكنم .

وأما نساؤه وولده : فمن نسائه ميسون ابنة بحدل بن أنيف الكلبية ، وهى أم يزيد ، وقيل ، ولدت له بنتا اسمها أمة رب المشارق ، فماتت صغيرة .

ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ، وكان عبد الله أحق ، وعبد الرحمن مات صغيراً .

(١) أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٤٥ .

(٣) الطفلة : الكبير القم .

(٤) الزيادة من الكامل ، سقطت من الأصل .

ومنهن نائلة ابنة عُمارة الكلبية ، تزوجها وقال لَمَيْسُون : انظري إليها ، فنظرت إليها وقالت : « رأيتها جميلة ، ولكني رأيت تحت سُرَّتِها نخالا ، ليوضعن رأس زوجها في حجرها » فطلقها معاوية ، فتزوجها حبيب بن مسلمة الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان ابن بشير ، فقتل ووضع رأسه في حجرها (١) .
ومنهن كُثُوة (٢) ابنة قُرظ ، أخت فاختة ، غزا قُبُرس (٣) وهي معه فماتت هناك .

وأما كتابه فكان كاتبه وصاحب أمره سُرْجُون الرومي ، وكتب له عبيد الله بن أُوَيْس الغساني .
وقضائه . كان على القضاء قَصَّالة بن عبيد الأنصاري ، فمات فاستقضى أبا إدريس الخولاني .
وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن مَخْصَن الجُمَيْرِي ، ونُقش خاتمه « لكل عمل ثواب » ، وقيل : كان نقشه « لاحول ولا قوة إلا بالله » .

وحاجبه سَعْد مولا ، ثم صفوان مولا .
وكان على شرطته قيس بن حمزة الهمداني ثم عزله ، واستعمل زَمَل (٤)
ابن عمرو العُدْرِي ، وقيل : السكسكي .

(١) كان النعمان بن بشير أميراً على حصص ليثيد ، فلما مات يزيد صار النعمان زبيرياً كالفساك بن قيس ، فلما قتل الفسك في وقعة « مرج داحط » وانتصر المروانيون طلب أهل حصص النعمان وقتلوه واحتزوا رأسه ، فقالت امرأته نائلة ابنة : عمارة ألقوا رأسه في سحري فانا أحقيه (٢) في لاصل : لبوة ، والتصحيح من الكامل وتاريخ الطبري .
(٣) قُبرس : جزيرة مروة .
(٤) في لإصابة ج ١ ص ٥٥١ والقلموس : زمل بن عمرو بن أبي المثر بن غشاف العلوي ، صحابي ، ويقال له « زميل » مصغراً .

وكان على حَرَمِهِ رجل من الموالي يقال له الختار ، وقيل : أبو الْمُخَارِقِ مالك مولى جَمِير .

وأما عمّاله فقد تقدم ذكرهم ، وكان العمّال عند وفاته : على المدينة الوليد بن عُبَيْة بن أَبِي سَفْيَانَ ، على مكة عمرو بن سعيد الأشدق ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى الكوفة النعمان بن بَشِير ، وعلى خُرَاسان عبد الرحمن بن زياد ، وعلى سَجِسْتَان عباد بن زياد ، وعلى كِرْمَانَ شريك بن الأعور ، وعلى مصر مسلمة ابن مُخَلَّد الأنصاري ، وكان القاضي بمصر سليمان بن عمير عشرين سنة .

ذكر بيعة يزيد بن معاوية

هو أبو خالد يزيد بن معاوية بن أَبِي سَفْيَانَ صَخْر بن حَرْب بن أُمَيَّة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ ، وأمه مَيْسُون بنت بحدل الكلبية .

وهو الثاني من ملوك بني أُمَيَّة ، بويع له بعد وفاة أبيه في شهر رجب سنة ستين .

فكان أول ما بدأ به يزيد أَنْ كتب إلى الوليد بن عُبَيْة بن أَبِي سَفْيَانَ ، وهو عامل المدينة ، يخبره بموت معاوية (١) ، وكتاباً آخر

(١) نص كتاب يزيد بن معاوية إلى ابن عمه الوليد بن عُبَيْة - كما ذكره الطبري -
«بسم الله الرحمن الرحيم ، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عُبَيْة ، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه وغوله ومكن له ، فهاش بقدر ، ومات بأجل فرجه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات براً يتقياً ، والسلام .»

صغيراً فيه : « أما بعدُ فخذُ حُسَيْنَا وعبدَ الله بنِ عُمر وابنِ الزبير بالبيعة أخذًا ليس فيه رُخصةٌ حتى يبايعوا والسلام » .

فلما أتاه نَعِيُّ معاوية استدعى ^(١) مروان بن الحكم ، وكان قبل ذلك قد صارمه وانقطع عنه ^(٢) ، فلما جاءه قرأ عليه الكتاب بموت معاوية استرجع ^(٣) وترحم عليه ، واستشاره الوليد كيف يصنع ، قال : « أرى أن تدعوهم الساعة وتأمروهم بالبيعة ، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم ، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموته وثب كل رجل بناحية ، وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه ، أما ابن عُمر فلا يرى القتال ، ولا يحب أن يلي على الناس إلا أن يدفع إليه هذا الأمر عفوا » .

(١) ذكر الطبري وابن الأثير أن الوليد لما أتاه نعي معاوية فطع به وكبر عليه ، ثم ما أمره به يزيد من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة ، ففرغ عند ذلك إلى مروان بن الحكم .
(٢) لما عزل مروان عن المدينة واستعمل عليها بعده الوليد بن حنظلة صار مروان يحى متكارها فلما رأى الوليد ذلك شتمه عند جلسائه ، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه .
(٣) قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ذكر ارسال الوليد بن عتبة

إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ،
وما كان بينهم في أمر البيعة وخروجهما إلى مكة
رضى الله عنهما

قال ^(١) وأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو غلام
حدث ، إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما ، فوجدهما في المسجد ،
فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ، فقال : أجييا الأمير
فقالا : انتصرف الآن نأتيه .

فقال ابن الزبير للحسين : ماتراه بعث إلينا في هذه الساعة
التي لم يكن يجلس فيها ؟ فقال الحسين رضى الله عنه : أظن
طاعتهم هلك فبعث إلينا لينأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس
الخبر . فقال : وأنا ما أظن غيره ، فما تريد أن نصنع ؟ قال الحسين :
أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه . قال :
فإني أخاف عليك إذا دخلت . قال : لا آتيه إلا وأنا قادر على الامتناع .
فقام الحسين رضى الله عنه فجمع إليه أصحابه وأهل بيته ، ثم
أقبل إلى باب الوليد ، وقال لأصحابه : « إني داخل ، فإذا دعوتكم
أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا علي بأجمعكم ، وإلا فلا تبرحوا حتى
أخرج إليكم » .

ثم دخل فسلم ومروان عنده ، فقال الحسين : « الصلة خير
من القطيعة ، والصلح خير من الفساد ، وقد آن لكما أن تجتمعا ،
أصلح الله ذات بينكما » وجلس ، فقرأ الوليد الكتاب ،

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٢٦٤ ، وأصله في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥١ .

ونعى إليه معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فاسترجع الحسين وترحم على معاوية ، وقال : « أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً ، ولا تجتزئ بها مني سرا ، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم إلى البيعة دعوتنا معهم فكان الأمر واحد » فقال له الوليد - وكان يحب العافية - انصرف . فقال له مروان : « لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينك وبينه ، احبسه ، فإن بايع وإلا ضربت عنقه » . فوثب الحسين عند ذلك وقال : « يا ابن الزرقاء أنت ، تقتلني ^(١) أو هو ؟ كذبت والله ولؤمت ^(٢) ! ثم خرج حتى أتى منزله .

فقال مروان للوليد : عصيتني ! لا والله لا يملكك من نفسه بمثلها أبدا ، فقال الوليد : « ويح ^(٣) غيرك يا مروان ! ، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وعربت عنه من مال الدنيا ومملكها وأني قتلْتُ حسينا إن قال لا أبايع ! والله إنى لأظن أمراً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة ! » قال مروان : قد أصبت بقولك هذا [يقول] ^(٤) وهو غير حامد له على رأيه .

وأما ابن الزبير فإنه أتى داره وجمع أصحابه واحترز ، فألح الوليد في طلبه وهو يقول « أمهلوني » . فبعث الوليد إليه مواليه فشتموه ، وقالوا له : يا ابن الكاهلية لتأتين الأمير أو ليقتلنك

(١) في تاريخ الطبرى : « أم » .

(٢) كلما جله هنا مثل الكامل ، و الطبرى « وآمت » .

(٣) كلما في الأصل ، وفي تاريخ الطبرى « ويح غيرك » .

(٤) التهمة من الكامل وتاريخ الطبرى .

فقال لهم : والله لقد لمستربتُ لكثرة الإرسال ، فلا تُعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتييني برأيه . فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال له : « رحمك الله ، كُفَّ عن عبد الله فإنك قد أفزعته وذعرته (١) ، وهو يأتيك غدا إن شاء الله تعالى ، فمر رسلك فليُنصرفوا عنا ، فبعث إليهم ، فأنصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث قسارا نحو مكة (٢) . فسرَّح الوليد الرجال في طلبه فلم يدركوه ، فرجعوا ، وتشاغلوا به عن الحسين يومهم .

ثم أرسل الوليد الرجال إلى الحسين (٣) فقال لهم : أصبحوا ثم تروُن ونرى . فكفُّوا عنه ، فسار من ليلته (٤) نحو مكة ، وأخذ معه بنيه وإخوته وبنى أخيه وجُلَّ أهل بيته إلاَّ محمد بن الحنفية فإنه قال للحسين رضى الله عنهما : « يا أخى أنت أحب الناس إلى وأعزهم عليَّ ، ولست أذخر النصيحة لأحد من الخلق أحقَّ بها منك ، تنح ببيعتك (٥) عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت ، وابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوك حمدت الله على ذلك ، وإن اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولا يُذهب به مروءتك ولا فضلك ، إني أخاف أن تأتي مصر وجماعة من الناس فيختلفون عليك ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتتلون ، فتكون لأول الأُسنة ، فإذا

(١) زاد الطبري في روايته : « بكثرة رسلك » .

(٢) وتجنبا للطريق الأعظم مخالفة الطلب

(٣) عند المساء .

(٤) قال الطبري : « وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ » ، وكان خرج ابن الزبير قبله ليلة ، خرج ليلة السبت .

(٥) كذا جاء في الأصل مثل الكلل ، وجهه في تاريخ الطبري : « بنحك » .

خير هذه الأمة كلها نفسا وأبا وأما ، أَضْيَعُهَا دَمًا وَأَذْلُهَا أَهْلًا ! قال الحسين : فأين أذهب يا أخى ؟ قال : « انتزل مكة ، فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشَعَفَ الجبال ^(١) وخرجت من بلد إلى أخرى ، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، ويفرق لك الرأى ، فإنك أصوب ما تكون رأيا وأخرمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالا ، ولا تكون الأمور أبدا أشكلَ منها حين تستدبرها ! » قال : قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديدا موفقا إن شاء الله .

ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ :

لاذعرتُ السَّوَامَ في شَفَقِ ^(٢) الصُّبْحِ مُفِيرَا وَلَا دُعَيْتُ بَزِيدَا
يَوْمَ أُعْطِيَ مِنَ الْمَهَابَةِ ^(٣) ضَيْمًا وَالْمَنَائِيَا يَرْصُدُنَنِي أَنْ أَحِيدَا

ثم خرج نحو مكة وهو يتلو ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) ، ولما دخل مكة قرأ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَمَّى رَبِّي أَنَّ يَهْدِيَني سِوَا السَّبِيلِ ﴾ ^(٥)

(١) شَفَّ الجبال : روعها .

(٢) كذا جاء « شلق » في الأصل مثل الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٥ والمعروف فيه « فلق » كما جاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٣ ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٨٦ والمفاتيح لابن جني ج ٣ ص ٢٧٣ وشرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ١ ص ٣٠٢ وجاء في ترجمة يزيد بن مفرغ من وفیات الأعيان ج ٣ ص ٣١٥ « غلس » .

(٣) كذا جاء في الأصل وتاريخ الطبري : وجاء في الكامل « من المهابة » وفي شرح ابن أبي الحديد « من الخافة » ، وفي وفیات الأعيان « حل الخافة » ، وفي مروج الذهب (غافة الموت » .

(٤) الآية ٢١ من سورة القصص .

(٥) الآية ٢٢ من سورة القصص .

قال : وأما ابن عمر فإن الوليد أرسل إليه ليبيع ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فتركوه ، وكانوا لا يخافونه .
وقيل : إن ابن عمر كان بحكة هو وابن عباس ، فعادا إلى المدينة ، فلقيهما الحسين وابن الزبير ، فقالا لهما : ما وراءكما ؟ قالا : موت معاوية وببيعة يزيد ، قال ابن عمر : لاتفرقا جماعة المسلمين . وقدم هو وابن عباس المدينة ، فلما بايع الناس بايعا .
قال : ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فقال : أنا عائذ بالبيت . ولم يكن يصلى بصلاتهم ، ولا يفيض بإفاضتهم ، وكان يقف هو وأصحابه ناحية .

ذكر استعمال عمرو بن سعيد على المدينة

وإرسال عمرو بن الزبير بالجيش إلى مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير وهزيمة جيشه ، ووفاة عمرو بن الزبير تحت السياط .
وفي هذه السنة عزل يزيد بن معاوية الوليد ابن عتبة عن المدينة ، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق ، فقدمها في رمضان ، واستعمل على شرطته عمرو بن (١) الزبير ، لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء ، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا : ليهوهم في أخيه عبد الله ، منهم أخوه المنذر بن الزبير وأبنة محمد بن المنذر وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ومحمد بن عمار بن ياسر ، وغيرهم (٢) ، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين .

(١) سبق أن معاوية أمر عمرو بن الزبير بمائة ألف درهم ... الخ .

(٢) وهناك من فر منه إلى مكة : كعب الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عمرو بن سهل .

فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله إلى أخيه فقال : لاتوجه إليه رجلاً أنكأ له منى ، فجهز معه سبعمائة فيهم أنيس بن عمرو الأسلمي .

فجاء مروان بن الحكم إلى عمرو بن سعيد فقال له : « لاتغز مكة ، واتق الله ولا تحل حرمة البيت ، وخلوا ابن الزبير فقد كبر ، له ستون سنة » فقال عمرو بن الزبير : والله لنتغزوه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم .

وأقى أبو شريح ^(١) الخزاعي إلى عمرو فقال له : لاتغز مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما أذن لي في القتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس » فقال له عمرو : نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ ^(٢) .

فسار عمرو بن الزبير وصار أنيس في مقدمته .

وقيل إن يزيد كتب إلى عمرو بن سعيد أن يرسل عمرو بن

(١) اختلف في اسم أبي شريح ، والراجح خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزى العلوي الكوفي الخزاعي ، وقد أسلم قبل فتح مكة ، وكان معه لواء خراعة يوم الفتح .

(٢) هذا الحديث رواه الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٢٥٧ وذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٦٦ وهو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحهما يستلهما عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبيت البعوث إلى مكة : اتذّن لي أيها الأمير أحثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد من يوم الفتح ، سمعته أذنّي ووعاء قلبي وأبصر عيني ، حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له : إن الله قد أذن لرسوله ولم يذّن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرّمها اليوم كحرمها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب » فقيل لأبي شريح : ما قال لك عمرو ؟ قال : « أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح . إن الحرم لا يعضد عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة » . انظر شرح الكرماني لصحيح البخاري ج ٢ ص ١٠٢ وج ٩ ص ٤١ وشرح التتوي لصحيح مسلم ج ٩ ص ١٢٧

الزبير إلى أخيه عبد الله ، فأرسله ومعه جيش نحو ألفى رجل ، فنزل أنيس بنى طوى ^(١) ، ونزل عمرو بالأبطح ^(٢) ، فأرسل عمرو إلى أخيه : برّ عيني يزيد - وكان قد حلف أنه لا يقبل بيعته إلا أن يؤتى به في جامعة ^(٣) - تعال حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لا تريد ، ولا يضرب الناس بعضهم ببعض ، فإنك في بلد حرام .

فأرسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكة ممن اجتمع إليه ، فهزمه بذي طوى ، وقتل أنيس . وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمرو بن الزبير ، فنفرق عن عمرو أصحابه ، فدخل دار ابن علقمة ، فأتاه أخوه عبدة فاجاره ، ثم أتى عبد الله فقال : قد أجرت عمرا . فقال : « أنجير من حقوق الناس هذا مالا يصلح ، وما أمرتك أن تجير هذا الفاسق المستحلّ لحرمت الله ! » . ثم أقاد عمرا من كل من ضربه إلا المنذر وابنه فلإنهما أبيا أن يستقيدا ، ومات عمرو بن الزبير تحت السباط .

ولنرجع إلى أخبار الحسين رضي الله عنه .

ذكر مقدم الحسين إلى مكة

وماورد عليه من كتب أهل الكوفة ، وإرساله مسلم بن عقيل إليهم وما كان في خلال ذلك

قال : لما خرج الحسين من المدينة إلى مكة لقيه عبد الله بن مطيع ، فقال له : جُعِلْتُ فداك أين تريد ؟ قال : أما الآن فمكة وأما بعدُ

(١) ذو طوى : موضع قرب مكة يعرف الآن بالزاهر . كما في تلج العروس .
 (٢) الأبطح : ميل وادي مكة . وفي تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٦ « فسار عمرو ابن الزبير حتى نزل في داره عند الصفا » .
 (٣) جامعة : غل : لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

فإني أَسْتَحِيرُ اللهَ . فقال : خار الله لك وجعلنا فِداك ، فإذا أَتَيْتَ مكةَ فإيَّاكَ أن تقرب الكوفة فإنها بلد مَشْمُومة ، بها قُتِلَ أبوك وخُذِلَ أخوك ، واغْتِيلَ بطعنة كادت تَأْتِي على نفسه ، الزَّمْ فإنك سَيِّدُ العرب ، لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً ويتداعى إليك الناس من كل جانب ، ولا تفارق الحرم فِداك عَمِي وخَالِي ، فوالله لئن هلكت لَنُسْتَرْقَنَّ بعدك ! .

فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مكة ، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزُبَيْر يَأْتِي إليه وَيُشِيرُ عليه بالرأى ، وهو أثقل خلق الله على ابن الزُبَيْر ، لأن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين بمكة .

قال : ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزُبَيْر رضى الله عنهم من البيعة ، أَرْجَفُوا بيزيد ، واجتمعت الشُّبَيْعة في منزل سليمان بن صُرَد ، فذكروا مسير الحسين رضى الله عنه إلى مكة ، وكتبوا إليه عن نفر منهم : سليمان بن صُرَد^(١) والمسَيَّب بن نَجْبَةَ ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظهر^(٢) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وسلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ،

(١) سليمان بن صرد أبو مطرف الخزاعي له ترجمة في الإصابة ج ٢ ص ٧٥ وله ذكر

في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٦

(٢) كذا جله في ترجمته في الإصابة ج ١ ص ٢٧٣ ، ومن رجزه في معركة الحسين :

أنا حبيب وأبى مظهر فارس هيجاء وحرب تمر

أنهم أعد علة وأكبر ونحن آوى منكرو وأصبر

ونحن أهل حجة وأظهر حقاً وأبغى منكرو وأصلد

وقد اعتظمت كتابة اسم أبيه في مواضع وروده في المخطوطتين والكتب بين « مظهر

و « مظاهر » و « مظهر » .

أما بعد فالحمد لله الذى قَصَمَ عدوك الجبار العنيد الذى انتَزَى على هذه الأمة فابْتَزَهَا أمرها وغَصَبَهَا فيثما وتَأَمَّر عليها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وإنه ليس علينا إمام ، فأَقْبِل ، لعل الله يجعلنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى جمعة ولا عيد ، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نُلحقه بالشام إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وسيرروا الكتاب مع عبد الله بن سبيع الهذلي وعبد الله بن وائل (١) .

ثم كتبوا إليه كتابا آخر وسيرروه بعد ليلتين ، فكتب الناس معه نحواً من مائة وخمسين صحيفة ثم أرسلوا إليه رسولا ثالثا بحثونه على المسير إليهم ، ثم كتب إليه شَبَث بن ربعي وحجَّار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن زُوَيْم وعَزْرَة بن قيس (٢) وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عُمَيْر النخعي بذلك .

فلما اجتمعت كتبهم عنده كتب إليهم : وأما بعد فقد فهمتُ كل الذى اقتضصتم ، وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثِقَى من أهل بيتي مُسَلِّم بن عقيل ، وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلى أنه قد اجتمع رأى ملتكم وذوى الحجة منكم على مثل ما قُدمت به رسالكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله تعالى ،

(١) اختلفت الكتب فى كتابة هذا الاسم .

(٢) كلما جاء فى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٦٢ وهو عزرة بن قيس بن غزوة الأحس للجهل ، وفى المخطوطة والكامل « عزرة بن قيس » .

فلَعَمْرَى ما الإمام إلا العالم^(١) بالكتاب ، والقائم بالقسط والدائن بدين الحق والسلام .

وقدم على الحسين رضى الله عنه من البصرة يزيد بن أبى نُبَيْط^(٢) وابناه عبد الله وعبيد الله إلى مكة ، فكانوا معه حتى قُتل وقتلوا معه . ثم دعا الحسين مُسلم بن عقيل فسيره إلى الكوفة ، وأمره بتقوى الله وكنمان أمره واللفظ فإن رأى الناس مجتمعين له عجل إليه بذلك .

فسار مسلم إلى المدينة ، فصلى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم^٣ وسلم ، وودع أهله ، وسار حتى بلغ الكوفة ، فنزل في دار المختار وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فكلما اجتمع إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين ، فيبكون ويعيدونه النصر والقتال ، فبلغ النعمان بن بشير أمير الكوفة ذلك ، فصعد المنبر فقال : « أما بعدُ فلا تسارعوا إلى الفِتنة والفرقة ، فإن فيهما تهلك الرجال وتُسفك الدماء وتُغصب الأموال » ثم قال : « إني لا أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أئيبُ على من لا يشب علي ولا أئيبُ نائمكم^(٤) ولا أتحرش بكم ، ولا آخذ بالقرَف ولا الظَنَّة ولا التهمة ، ولكنكم إن أبديتُم صفحتكم ونكثتم ببيعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذى لا إله إلا هو لا أضربنكم بسيفي مادام^(٥) قائمه في يدي ، ولو لم يكن لى منكم ناصير ولا معين . أما إني لأرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يُردِّيه الباطل ،

(١) في تاريخ الطبرى والكامل : « العامل » .

(٢) عند الطبرى وابن الأثير : « ابن نبيط » .

(٣) كذا جله في المخطوطة مثل الكامل ، وفي تاريخ الطبرى : « ولا أشاتمكم » .

(٤) عند الطبرى وابن الأثير : « ما لوت » .

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال : « إنه لا يصلح ماترى إلا القُثم ، إن هذا الذي أنت عليه رأى المستضعفين » . فقال : لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله . ثم نزل . وكان حليما ناسكا يحب العافية . وقيل : إنه لم يقل ذلك ، وإنما قال : يا أهل الكوفة إن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من ابن بنت بحدك .

ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على الكوفة

وقدومه إليها وخبره مع هاني بن عروة

قال : ولما تكلم النعمان بن بشير بما تكلم به ، كتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقلوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، ومبايعة الناس له ، ويقول : « إن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعّف » ثم كتب إليه بعده عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك .

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية . فأقرأه الكتب ، واستشاره فيمن يولّيه أمر الكوفة ، وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد ، فقال له سرجون : أرايت لو نُشر لك معاوية أكنت تأخذ برأيه ؟ قال : نعم . فأخرج له عهد عبيد الله على الكوفة ، فقال : هذا رأي معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب ، فأخذ يزيد برأيه ، وجمع له بين الكوفة والبصرة ، وكتب له بعهد

وسَيَّرَهُ إِلَيْهِ مع مسلم بن عمرو الباهليّ والدِ قُتَيْبَةَ ، وأمره بطلب مسلم بن عَقِيل وقتله أو نفيه .

فلَمَّا وصل كتابه إِلَى عُبيد الله تجهز ليسيّر من الغد .

وكان الحسين قد كتب إلى أشرف البصرة ، منهم مالك بن مِشْمَع ، والأخنف بن قيش والمنذر بن الجارود ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، وعمر بن عبيد الله بن مَعْمَر . يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن السنة قد ماتت ، والبدعة قد أحييت ، فكلهم كَتَم كتابه إلا المنذر بن الجارود ، فإنه خشي أن يكون دسيسا من بن زياد ، فأتاه بالرسول والكتاب ، فضرب عنق الرسول ، وخطب الناس ثم قال في آخر كلامه : « يا أهل البصرة ، إن أمير المؤمنين ولأُتَى الكوفة ، وأنا غادٍ إليها بالغد ، وقد استخلفت عليكم أخى عثمان بن زياد ، فإياكم والخلاف والإرجاف ، فوالله لئن بلغنى عن رجل منكم خِلافٌ لَأَقْتُلَنَّهُ وعَرِيفَه وولِيَه ، ولأأخذن الأذى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم خلاف ولا شِقَاقٌ ^(١) إني أنا ابن زياد ، أشبهته من بين من وطىء الحصى ، فلم ينتزعنى شَبَهُ خالٍ ولا ابن عمٍّ ! » .

ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهليّ وشريك ابن الأعور الحارثي وحَشَمُه وأهل بيته ، وكان شريك شِيعيا . وقيل : كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه ، وكان أول من سقط شريك ، ورجوا أن يقف عليهم فيسبقه الحسين إلى الكوفة ، فلم يقف على أحد منهم حتّى دخل الكوفة وحده ، فجعل يمر بالمجالس فلا يشكّون أنه

(١) عند الطبري وابن الأثير : « مخالف ولا مشاق » .

الحسين بن عليّ فيقولون : مرحبا بك يا ابن رسول الله ، وهو لا يكلمهم ، وخرج إليه الناس من دورهم ، فساء ما رأى منهم .

وسمع به النعمان ، فأغلق عليه الباب ، وهو لا يشك أنه الحسين ، وانتهى إليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون ، فقال له النعمان : « أنشدك الله إلا تنحيت عني ، فوالله ما أنا مسلم إليك أمانتي ، ومالي في قتالك من حاجة ! » فلدنا منه عبيد الله وقال : « افتح لافتح ! » فسمعها إنسان خلفه فرجع إلى الناس فقال : إنه ابن مرجانة ^(١) « ففتح له النعمان فدخل ، وأغلقوا الباب وتفرق الناس .

وأصبح فجلس على المنبر ، وقيل بل خطبهم من يومه ، فقال : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين ولأني مصركم وثغركم وفيحكم وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم ، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا منيع فيكم أمره ، ومُنْفَذ فيكم عهده ، فإنا لمحسنكم كالوالد البر ، ولمطيعكم كالأخ الشقيق ، وسيبقى وسوطي على من ترك أمرى وخالف عهدي فليبقى امرؤ على نفسه . ثم نزل .

وأخذ العرفاء والناس أخذًا شديدًا ، وقال : « اكتبوا إلى الناس الغرباء ، ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين ، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيتهم الخِلاف والشقاق ، فمن كتبهم لي فقد برئ ، ومن لم يكتب لنا أحدا فليضمن لنا ما في عرافته لا يخالفنا فيهم مخالف ، ولا يبغي علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة ، وحلال

(١) مرجانة : أم عبيد الله بن زياد ، وسائق بعض ما يتعلق بها .

لنا ماله ودمه ، وأيما عريف وجد في عرافته أحد من بغية أمير المؤمنين لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألغيت تلك العرافية من العطاء وسُير إلى موضع بعمان . ثم نزل .

قال : وسمع مسلم ابن عقييل بمقالة عُبيد الله فخرج من دار المختار وأتى دار هاني بن عروة المرادى فدخل بابه واستدعاه ، فخرج إليه ، فلما رآه كره مكانه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجبرني وتضيفني . فقال هاني : « لقد كُلفتنى شططا » ، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني ، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام ^(١) ، ادخل ! فتأواه ، واختلقت الشيعة إليه في دارهاني .

قال ومرض هاني ، فاتاه عُبيد الله يعوده ، فقال له عُمارة بن عمير ^(٢) السلوي : دعنا نقتل هذا الطاغية ، فقد أمكن الله منه ، فقال هاني ما أحب أن يُقتل في داري ، وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج ، فما مكث إلا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور ، وكان قد نزل على هاني ، وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ، وكان شديد التشجيع ، فأرسل إليه ابن زياد : إني رائح إليك العشي . فقال لمسلم ابن عقييل : « إن هذا الفاجر عائد العشي فإذا جلس فاقتله ثم اقصد القصر ليس أحد يحول بينك وبينه ، فإن بُرئت من وجهي صرت إلى من بالبصرة فكفينك أمرهم » . فلما كان من العشي أتاه عُبيد الله فقام مسلم بن عقييل ليدخل ، فقال له شريك لا يفوتنك إذا جلس . فقال هاني بن عروة : إني لأحب أن يقتل في داري . وجاء عُبيد

(١) التمام : النهي .

(٢) في تاريخ ابن جرير : وعيد .

الله فجلس عند شريك وأطال ، فلما رأى شريك أن مسلماً لا يخرج
خشي أن يفوته ، فأخذ يقول : « ما تنظرون بسلامي أن تحيوها !
اسقونيها ^(١) » وإن كانت فيها نقسي ! » يقول ذلك مرتين أو ثلاثاً ،
فقال عبید الله : « ماشأنه ؟ تروته يخلط ! » فقال هاني : « نعم ،
ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه . » فانصرف .

وخرج مسلم ، فقال له شريك : مامنعك من قتله ؟ فقال : « أمران :
أحدهما كراهية هاني أن يقتل في منزله ، والثاني حديث حدثه علي ^(٢)
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الإيمان قيد الفتك ^(٣)
ولا يفتك مؤمن » . فقال هاني : لو قتلته لقتلت قاسقاً فاجراً كافراً غادراً ! .

ومات شريك بعد ذلك بثلاث ، فصلى عليه عبید الله ، فلما علم
أنه كان يحرض مسلماً على قتله قال : والله لأصلي على جنازة
عراق أبداً ! .

قال : وكان عبید الله بن زياد قد أعطى مولى ^(٤) له ثلاثة آلاف درهم
وأمره أن يتطأ في الدخول على مسلم بن عقييل وأصحابه ،

(١) كذا جاء في لأصل مثل الكامل ، وفي تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧١ « اسقنيها » .

(٢) يرواه أبو داود وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة والزيبر وسأوية .

(٣) كذا جاء ضبطه في بعض كتب الحديث : وضبط في مادة (ف ت ك) من نسخ النهاية
لابن الأثير « قيد » بتشديد الياء مفتوحة ، وجاء في مادة (ق ي د) من النهاية : « قيد الإيمان
الفتك » أي أن الإيمان يمنع عن الفتك كما يمنع القيد عن التصرف ، فكانه جعل الفتك مقيداً ومنه
قولهم في صفة القرس : هو قيد الأوابد ، وكذلك جاء في لسان العرب . ويرى بعض العلماء
أن الحديث « الإيمان قيد الفتك » أحسن من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » انظر فيس التلخيص ٣
ص ١٨٦ ، والفتك : أن يقتل الرجل جهراً آمناً فافلا .

(٤) اسمه « عقيل » .

[وقال] ^(١) : أعطهم هذا المالَ وأَعْلِمَهُمْ أَنَّكَ مِنْهُمْ وَأَعْلَمَ أَخْبَارَهُمْ .
 ففعل ، وأتى مُسْلِمُ بْنُ عَوَسَجَةَ الْأَسَدِيُّ ^(٢) فقال له : « يا عبد الله ، إني
 امرؤٌ من أهل الشام ، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ بِحُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وهذه ثلاثة
 آلاف درهم أردتُ بها لِقَاءَ رجلٍ مثمهم بلغنى أَنه قدم الكوفة يبايع لابن
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سمعتُ نفرًا يقولون :
 إنك تعرف أمر هذا البيت ، وإني أتيتك ليقبض المال وتدخلني
 على صاحبك أبايعه ، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه .
 فقال : « لقد سَرَّنى لِقَاؤُكَ إِيَّائى لتنال الذى تحبُّ ، وينصر الله بك
 أهل [بيت نبيه] ^(٣) » وقد ساءنى معرفة الناس هذا الأمر من قبل أن
 يتم ، مخافة هذا الطاغية وسطوته « فأخذ بيعته والمواثيق العظيمة
 ليناصحهم وَلِيَكُنُّهُمْ .

واختلف إليه أياما ، حتى أدخله على مسلم بن عقيل ، فأخذ بيعته
 وقبض ماله ، وذلك بعد موت شريك ، وجعل يختلف إليهم ويعلم
 أسرارهم وينقلها إلى ابن زياد .

وكان هاني قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض ، فدعا عبيدُ
 الله محمد بن الأشعث وابن أسماء ^(٤) بن خازجة ، وعمر بن الحجاج
 الزبيدي ، فسألهم عن هاني وانقطاعه ، فقالوا إنه مريض . قال :

(١) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) زاد الطبري وابن الأثير « بالمسجد » .

(٣) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من (ك) .

(٤) ابن أسماء هو حسان بن أسماء بن خازجة ، كما يلقى قريبا ، وفي تاريخ الطبري والكمال :

« وإسماء » .

بلغنى أنه يجلس على باب داره وقد برئ ، فأتوه فمروه لا يدع ما عليه
فى ذلك [من التحق] ^(١) .

فأتوه فقالوا له : « الأمير قد سأل عنك ، وقال : لو أعلم أنه
شاك لعدته ، وقد بلغه أنك تجلس على باب دارك ، وقد استبطأك ،
والجفا لا يحتمله السلطان ، أقسمنا عليك لئلا ركبنا معنا » . ففعل
فلما دنا من القصر أحسست نفسه بالشر ، فقال لحسان بن أسماء
ابن خارجة : يا بن أخى إلى لهذا الرجل لخائف ، فما ترى ؟ فقال
ما أتخوف عليك شيئا ، فلا تجعل على نفسك سبيلا ، ولا يعلم
أسماء ^(٢) مما كان شيئا .

قال : فدخل القوم على ابن زياد ، فلما رأى هاتين بن عروة
قال لشريح القاضى : أتنك بحائن رجلاه ^(٣) . فلما دنا منه قال
عبيد الله ^(٤) :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ ^(٥) وَيُرِيدُ قَتْلِي عَنِّيْرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٢) كذا جاء هنا مثل الكامل وتاريخ الطبرى ، وانظر ما سبق فريبا .

(٣) « أتنك بحائن رجلاه » مثل عربى قديم ، قيل : فائله عبيد بن الأبرص الأسدى إذمر
بالنعمان بن المنذر فى يوم يؤسه قتل له النعمان : ما جاء بك يا عبيد ؟ قال : أتنك بحائن رجلاه .
وقيل : فائله الحارث ابن جبلة ، إذ هجاه الحارث بن عيف البدي ثم وقع فى أسر . انظر
الفائز ص ٢٥٠ - ٢٥١ وجميع الأشكال ج ١ ص ٢٣ وقال صاحب لسان العرب : حان الرجل :
هلك ، وفى المثل « أتنك بحائن رجلاه » والأول أن يفسر « الحائن بالى قدر حيته ، أى هلاكه ،
كما ذكر الميدانى فى شرح المثل « لا يملك الحائن حيته » ج ٢ ص ١٧٧

(٤) قال عبيد الله بن زياد هذا البيت متشابها ، وقد تمثل به على بن أبى طالب من قبل ،
والبيت من قصيدة لمرو بن معد يكرب وقد سبق بيان ذلك .

(٥) فى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٧٢ « حياه » ، وفى الكامل ج ٣ ص ٢٧٠ « حياه »
وانظر ما سبق .

فقال له هاني وماذا ؟ فذكر له خبر مُسلم بن عَقِيل ، وأنه في داره ، فأُنكر ذلك ، وطال بينهما النزاع ، فاستدعى عبید الله مولاه الذي كان يأتيهم ، فجاء فوقف بين يديه ، فقال : أتعرف هذا فقال نعم . وعلم هاني أنه كان عَيْنًا عليهم ، فسُقِط في يده ساعة ، ثم راجعته نفسه فقال : « اسمع مني وصدقني ، فوالله لا أكذبك ، والله مادعوته ولا علمت بشيء من أمره حتى رأيته [جالساً] ^(١) على بابي يسألني النزول علي ، فاستحييت من رَدِّه ودخلني من ذلك ذمام ، فأدخلته داري وضيفته ، وقد كان من أمره الذي بلغك ، فإن شئت أعطيكَ الآن مَوْثِقًا تطمئن إليه ، ورهينة تكون في يدك حتى أنطلق وأخرجه من داري وأعود إليك » فقال : لا والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به . قال : لا أتيك بضيفي لتقتله أبداً ، فقال ابن زياد : والله لتأتيني به أولاً ضرباً عنقك . قال إذا والله تكثر البارقة ^(٢) أحول دارك . فقال : أيا البارقة تخوفني ؟ ١ .

وقيل إن هانثا لما رأي ذلك اللعين قال : أيها الأمير إنه قد كان الذي بلغك ، ولم أضيع يدك عندي ، فأنت آمن وأهلك فسر حيث شئت ، فأطرق عبید الله عند ذلك ومِهْران ^(٣) قائم على رأسه ، فقال واذلاه ! هذا الحائك يؤمنك في سلطانك ! فقال : خذه ، فأخذ مهران ضفيرتي هاني ، وأخذ عبید الله القضييب ولم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخديه حتى كسر أنفه ومَسِيل الدماء على ثيابه ، ونشر لحم

(١) ثبتت هذه الكلمة في النسخة (ن) ، ولم يثبت في النسخة (ك) .

(٢) البارقة : السيوف .

(٣) مهران الترجيحان كان له تأثير في عبید الله بن فزول .

خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيبي ، وضرب هاتئ يده إلى قائم سيف شُرطى وجبذه فمنع منه ، فقال عُبيد الله : ^(١) أحرؤرى ! أحللت بنفسك وحل لنا قتلك ، ثم أمر به فألقى فى بيت وأغلق : فقام إليه أسماء بن خارجة وقال : « يا غادر أرسله » أمرتنا أن نجيشك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه ، وسيلت دمه ، وزعمت أنك تقتله . فأمر به عُبيد الله فلُهِز وتُتَع (٢) ثم ترك فجلس (٣) . وأما ابن الأشعث فقال : رضينا بما رأى الأمير ، لنا كان أو علينا . وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانبا قد قتل ، فأقبل [بى] (٤) مَدْحَج حتى أحاطوا بالقصر ، ونادى : « أنا عمرو بن الحجاج ، هذه فرسان مَدْحَج ووجوهها ، لم نخلع طاعة ، ولم نفارق جماعة . فقال ابن زياد لشريح القاضى : « ادخل على صاحبهم ، فانظر إليه . ثم اخرج إليهم فأعلمهم أنه حى [لم يُقتل وأنت قدرأيته (٥)] ، فدخل عليه ، وخرج إليهم فقال . قد نظرت إلى صاحبكم وأنه حى لم يقتله ، فقالوا : إذ لم يقتله فالحمد لله ، ثم انصرفوا .

(١) نص لفظ عبيد الله « أمروى » بالهاء بدلا من الهاء ، كما ذكره الجاسط في البيان والتبيين ج ١ ص ٧٢ وذكر فى مواضع من هذا الكتاب وابن قتيبة فى المعارف أن عبيد الله كان خطيباً على لكتة كانت فيه ، لأنه نشأ فى الأساورة - وهم قوم من البسيم نزلوا البصرة قديماً - مع أمه مرجانة ، وكان زياد قد زوجها من شيرويه الأسوارى ودفع إليها عبيد الله .

(٢) ألهِز : اللغز والضرب . والتمتة : التحريك بشف .

(٣) كذا جاء فى الأصل موافقاً لما فى الكامل ، وجاء فى تاريخ الطبرى : « فحبس » .

وهذا يذكر أن عبد الله بن زياد تزوج هند بنت أسماء بن خارجة كما فى الأغاني ج ١٨ ص ١٢٨ .

(٤) ثبتت هذه الكلمة فى النسخة (ن) ، وصفت من النسخة (ك) .

(٥) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٧٤ .

ذكر ظهور مسلم بن عقيل

واجتماع الناس عليه ، ومحاصرته عبيد الله بن زياد بالقصر وكيف خذله من اجتمع إليه وتفرقوا عنه وخبر مقتله ومقتل هاني بن عروة

قال (١) : ولما أتى الخبر مسلم بن عقيل خرج من دار هاني ، ونادى في أصحابه : « يا منصور أمت » (٢) وكان قدبايعه ثمانية عشر ألفا ، وحوله في الدور أربعة آلاف ، فاجتمع إليه ناس كثير ، فعقد لعبد الله بن عزيير الكِنْدِيُّ على ربع كندة ، وقال : سر أمامي . وعقد لمسلم بن عروسة على ربع مذحج وأسد ، وعقد لأبي ثُمَامَةَ الصَّائِدِيُّ على ربع تميم وهمدان ، وعقد لعباس بن جَعْدَةَ الجَدَلِيُّ على ربع المدينة ، وأقبل نحو القصر .

فلما بلغ ابن زياد إقباله تحرز بالقصر وأغلق الباب ، وأحاطه مسلم بالقصر ، وامتلاء المسجد والسوق بالناس ، ومازالوا يجتمعون حتى المساء ، وضاق بعبد الله أمره ، وليس معه في القصر إلا ثلاثون رجلا من الشُّرَطَ . وعشرون من الأشراف وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشراف الناس يأتون [ابن زياد] (٣) من قبل الباب الذي يلي دار الروميين ، والناس يسبون ابن زياد وأباه .

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم : وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٧١ .

(٢) كان هذا معلوما .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٦ .

الأمان لمن جاءه من الناس ، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شُور الذُهَلِي ،
وَسَبَّحَ بن رَبِيعِ التَّمِيمِي ، وَحَجَّار بن أَبْنَر العَجَلِي ، وشمر بن
ذِي جَوْثَمِ الضَّبَابِي^(١) وترك وجوه الناس عنده استثناساً بهم ،
لقلّة من معه .

وخرج أولئك النفر على الناس من القصر ، فمِنُوا أَهْلَ الطَّاعَةِ ،
وَحَوْفُوا أَهْلَ المَعْصِيَةِ ، فلما سمع الناس مقالة أشرافهم تفرقوا ،
حَتَّى إِنَّ المَرْأَةَ لَتَأْتِي ابْنَهَا وَأَخَاهَا ، فتقول : « انصرف ، الناس يَكْفُونُكَ » ،
ويفعل الرجل مثل ذلك .

فما زالوا يتفرقون حتى بقي مُسْلِم بن عَقِيل في المسجد في ثلاثين
رحلاً^(٢) ، فلما رأى ذلك خرج نحو أبواب كِنْدَةَ ، فلما وصل
إلى الباب لم يَبْقَ معه أحد ، فمضى في أَرْقَةِ الكوفة لآبِدِي أَيْنَ
يذهب .

فانتَهَى إلى باب امرأة من كِنْدَةَ يقال لها طَوُوعَة (أم ولد كانت
للأَشْعَث ، فأعتقها ، فتزوجها أَسِيد الحضرمي ، فولدت له بلالاً
وكان بلال قد خرج مع الناس ، وهي تنتظره) فسَلِمَ عليها ، وطلب
منها ماء فسقنه ، فجلس ، فقالت : يا عبد الله أَلَمْ تَشْرَب ؟ !
قال : بلى ، فقالت ، فاذهب إلى أهلك ، فسكت ، فكررت ذلك
عليه ثلاثاً فلم يبرح ، فقالت : سبحان الله ! إني لأُحِلُّ لك الجلوس
على بابي . فقال : ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة ، فهل لك
في أَجَر معروف ، ولعلّي أكافئك به بعد اليوم . قالت وماذا ؟ قال :

(١) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وجد في تاريخ الطبري : « العامري » .

(٢) هم الذين صلوا معه للغرب .

أنا مُسلم بن عَقِيل ، كَذَبَنِي هؤلاء القوم وعَرَّوْنِي . قالت : ادْخُلْ ؛
فَادْخَلْتُهُ بَيْتًا فِي دَارِهَا [غَيْرِ الْبَيْتِ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ] ^(١) وَعَرَضْتُ
عَلَيْهِ الْعَشَاءَ فَلَمْ يَتَعَشَّ ، وَجَاءَ ابْنُهَا فَرَأَاهَا تَكَثَّرَ الدَّخُولُ فِي ذَلِكَ
الْبَيْتِ ، فَسَأَلَهَا ، فَلَمْ تَخْبِرْهُ ، فَأُلْحَ عَلَيْهَا ، فَأَخْبَرْتَهُ ، وَاسْتَكْتَمْتَهُ
وَأَخَذَتْ عَلَيْهِ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ .

قال ^(٢) : وَأَمَّا ابْنُ زِيَادٍ ، فَلَمَّا سَكَنْتُ ^(٣) الْأَصْوَاطَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :
انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا ؟ فَنَظَرُوا فَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا ، فَنَزَلَ إِلَى
الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْعَتَمَةِ ^(٤) ، وَاجْلَسَ أَصْحَابُهُ حَوْلَ الْمَنْبَرِ ، وَأَمَرَ فَنَوْدَى :
« بَرِئْتُ الذِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الشَّرْطِ . وَالْعُرْفَاءُ وَالْمَنَاقِبُ وَالْمُقَانِظَةُ صَلَّى
الْعَتَمَةَ ^(٥) إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ ، فَامْتَلَأَ الْمَسْجِدُ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ قَامَ فَحَمِدَ
ثُمَّ قَالَ : « أَتَبَا بَعْدَ ، فَإِنَّ ابْنَ عَقِيلِ السُّفِيهِ الْجَاهِلُ قَدْ أَتَى مَا رَأَيْتُمْ
مِنَ الْخِلَافِ وَالشُّقَاقِ ، فَبَرِئْتُ الذِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ وَجَدْنَاهُ فِي دَارِهِ ،
وَمِنْ أَتَانَا بِهِ فَلَهُ دَيْتُهُ ، وَأَمَرَهُمْ بِالطَّاعَةِ وَلِزُومِهَا ، وَأَمَرَ الْحَصِينَ
ابْنَ تَمِيمٍ أَنْ يُعْمِكَ أَبْوَابَ السُّكَّكِ ، ثُمَّ يَفْتَشِ الدُّورَ .

وَأَصْبَحَ ابْنُ زِيَادٍ فَجَلَسَ ، فَأَتَى بِلَالَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنَ الْأَشْعَثِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ ابْنُ عَقِيلٍ ، فَأَتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَبَاهُ وَهُوَ
عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ فَسَارَهُ بِذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ مُحَمَّدَ ابْنَ الْأَشْعَثِ ابْنَ زِيَادٍ ، فَقَالَ
لَهُ : قِمِ فَأَتَنِي بِهَ السَّاعَةِ ؛ وَبِعَثْ مَعَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

(١) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧٨ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٧٢ .

(٣) كذا جاء بالنون في النسخة (ك) ، وجاء « سكنت » و« تاملت » في النسخة (ن) .

(٤) حصة الليل : ظمته .

(٥) كانت الأعراب يسمون صلاة العشاء « صلاة العتمة » تسمية بالوقت .

السُّلَمَى في سبعين من قيس ، فَأَتَوْا الدار ، فخرج ابن عقيل إليهم
بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه فحمل عليهم فَأَخْرَجَهُمْ
مراوا ، وضربه بكر بن حُثْران الأحمري ففقط شَفَتَهُ العُلَيَّا وسقط
سنتاه ، وضربه مسلم على رأسه وثْنَى بِأُخْرَى على جيل العاتق فكدادت
تطلع على جوفه ، فلما رأوا ذلك أشرفوا على سطح البيت ، وجعلوا
يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه ، فلما رأى ذلك
خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكة ، فقال له محمد بن الأشعث :
لك الأمان فلا تقتل نفسك ؛ فَأَقْبَلَ يقاتلهم ويقول :

أَقْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا حُرًّا وَإِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ شَيْثًا نُكْرًا
ويخلط. الباردُ سخناً مرا رد شعاع النفس مُسْتَقْرًّا^(١)
كلُّ أَمْرٍ يَوْمًا مُلَاقٍ شَرًّا أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أَغْرَأَ

فقال له محمد بن الأشعث : إنك لا تكذب ولا تُخدع ، القوم
بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك ، وكان قد أُخِذَ بالحجارة ،
وعجز عن القتال ؛ وَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ. تلك الدار ، فَأَمْنَهُ ابن
الأشعث والناس غَيْرَ عمرو بن عُبَيْدِ اللَّهِ السُّلَمَى فَإِنَّهُ قَالَ : لَنَا قِيٌّ فِيهَا
ولا جمل^(٢) .

وَأَتَى بِبَغْلَةٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا ، وانتزعوا سيفه ، فَكَانَ أَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ
فدمعت عيناه وقال : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ . قال محمد : أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ بَأْسٌ .
قال : يَوْمًا هُوَ إِلَّا الرَّجَاءُ ! أَيْنَ أَمَانُكُمْ ! ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ لَهُ عمرو بن عُبَيْدِ اللَّهِ :

(١) كذا جاء في الأصل ، وجاء عند الطبري وابن الأثير : « رد شعاع الشمس فمستقرا »

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « لا نقاة له في هذا ولا جمل » .

مَنْ يَطْلُبُ الَّذِي تَطْلُبُ إِذَا نُزِلَ بِهِ مِثْلُ الَّذِي نُزِلَ بِكَ لَمْ يَبْكْ ، فَقَالَ :
 مَا أَبْكِي لِنَفْسِي ، وَلَكِنْ أَبْكِي لِأَهْلِ الْمُنْقَلِبِينَ إِلَيْكُمْ : أَبْكِي لِلْحُسَيْنِ
 وَآلِ الْحُسَيْنِ . ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ : « إِنِّي أَرَاكَ تَعْجَزُ ^(١) »
 عَنْ أَمَانِي ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْعَثَ مِنْ عِنْدِكَ رَجُلًا يَخْبِرُ الْحُسَيْنَ
 بِحَالِي ، وَيَقُولُ لَهُ عَنِّي : لِيَرْجِعَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا يَغْرَهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ ،
 فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ أَبِيكَ الذَّنِّي كَانَ يَتَمَنَّى فِرَاقَهُمْ بِالْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ ؟
 فَقَالَ ابْنُ الْأَشْعَثِ : وَاللَّهِ لَا فَعْلَانُ . وَفَعَلَ ^(٢) وَأَبَى الْحُسَيْنُ الرَّجُوعَ .
 قَالَ : وَجَاءَ مُحَمَّدٌ بِمُسْلِمٍ إِلَى الْقَصْرِ فَأَجْلَسَهُ عَلَى بَابِهِ ^(٣) وَدَخَلَ
 هُوَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَأَخْبِرَهُ بِأَمَانِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَنْتَ وَالْأَمَانُ ! مَا أَرْسَلْنَاكَ
 لِنُؤْمِنَهُ ، إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ لِنَأْتِيَنَا بِهِ .

قَالَ : وَلَا جُلَسَ مُسْلِمٌ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ رَأَى جَرَّةً فِيهَا مَاءٌ بَارِدٌ
 فَقَالَ اسْقُونِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ :
 أَتَرَاهَا مَا أَبْرَكَهَا ! وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مِنْهَا قَطْرَةً حَتَّى تَذُوقَ الْحَمِيمَ فِي
 نَارِ جَهَنَّمَ ! فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : « أَنَا مَنْ عَرَفَ
 الْحَقَّ إِذْ أَنْكَرْتَهُ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَإِمَامَهُ إِذْ غَشَّشْتَهُ ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ
 إِذْ عَصَيْتَهُ ، أَنَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ : لَأَمْلِكُ النُّكْلَ ،

(١) عند الطبري وابن الأثير : « متعجز » .

(٢) دعا محمد بن الأشعث إياس بن المنذر الطائي ، من بني مالك بن عمرو بن ثعلبة ، وكان
 شاعراً ، وكان محمد زواراً ، فقال له محمد : اتق حسيتاً فأبلغه هذا الكتاب ، وكتب في الكتاب ما
 أمره به مسلم بن عقييل ، وأعطى لرسوله إياس زاده وجهازه وراحته ومئة لبعاله ، فخرج
 الرسول ومضى أربع ليال حتى استقبل الحسين بموضع يسمى « زباله » ، فأخبره الخبر وبلغه الرسالة
 فقال له الحسين : كل ما هم بائزول وعند الله نحسب أنفسنا وفساد امتنا .. وانظر ما سياتي
 (٣) وكان على باب القصر أناس ينتظرون الإذن ، منهم مسلم بن عمرو وحمارة بن عقبة
 ابن أبي معيط وعمرو بن حريشوكثير بن شهاب .

ما أجفأك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك ! أنت يا ابن باهلة أوتي^١ بالحميم والخلود في نار جهنم مني ! قال : فدعا عمارة بن عتبة بماء بارد فصب له في قدح ، فأخذ يشرب فامتلاً القدح دما : فعل ذلك ثلاثا ، ثم قال : لو كان من الرزق المقسوم لشربته .

وأدخل على ابن زياد ، فلم يسلم عليه بالإمرة ، فقال له الحرابي : ألا تسلم على الأمير . فقال : إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه ! وإن كان لا يريدني فليكثر تسليمي عليه . فقال ابن زياد : لعمري لتقتلن . قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي . قال : افعل . فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص : « إن بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة وهي سر » . فلم يمكنه من ذكرها ، فقال له ابن زياد : لا تمنع من حاجة ابن عمك . فقام معه ، فقال : « إن علي بالكوفة دينا استدنته^(١) أنفقته : سبعمائة درهم ، فاقضها عني » ، وانظر جثتي فاستوهبها فوارها ، وابعث إلى الحسين فاردده » . فقال عمر لابن زياد : أتدرى ما سارتني ؟ فقال : أكثرتم على ابن عمك ؟ فقال : الأمر أكبر من هذا . قال : اكتم على ابن عمك : قال الأمر أكبر من هذا ، وأخبره بما قال . فقال ابن زياد لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤتمن الخائن . أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت ، وأما حسين فإن لم يرنا لم نرده : وإن أرادنا لم نكف عنه ، وأما جثته فلنا لا نشفعك فيها ، وقيل : إنه قال : وأما جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها .

ثم قال : يا ابن عقيل ، أتميت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة

(١) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٢ : « استدنته من قسمة الكوفة » .

لنشتيت بينهم ، وتفريق كلمتهم . قال : « كلا ولكن أهل هذا المصر
 زعموا أن أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم وعيل فيهم أعمال
 كسرى وقبصر فأتيناهم لنأمر بالعدل ، وندعو إلى حكم الكتاب . فقال
 وما أنت وذاك ؟ ثم كانت بينهما مقالة قال له ابن زياد في آخرتها :
 قتلتني الله إن لم أقتلك قتلته لم يقتلها أحد في الإسلام ، فقال : « أما
 إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه ، أما إنك لا تدع سوء
 القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد من الناس أحق
 بهامتك ! » فشتمه ابن زياد وشم حسيناً وعلياً وعقيلاً ولم يكلمه مسلم .
 ثم أمر به ، فأصعد فوق القصر وهو يستغفر الله تعالى ويسبح ،
 وأشرف به على موضع الحدادين ^(١) فضربت عنقه ، وكان الذي
 قتله بؤكير بن حمران ، ثم أذبح رأسه جسده .

قال وقام محمد بن الأشعث فكلّم ابن زياد في هاني بن عروة ،
 وقال قد عرفت منزلته من المصر وبيته ، وقد علم قومه أني أنا وصاحبي .
 سقناه إليك ، فأنشدك الله لما وهبته ، فإني أكره عداوة قومه !
 فوعد أن يفعل ، ثم بدا له فأمر به حين قُتل مسلم فأخرج إلى
 السوق فضربت عنقه .

وبعث عبيد الله بن زياد برأسيهما إلى يزيد ، فكتب إليه يزيد
 يشكره ، ويقول له : « قد بلغني أن الحسين بن عليّ توجه نحو
 العراق ، فضع المراسد والمسالح واحترس ، واحبس على التهمة ،
 وخذ بالظنة ، غير ألا تقتل إلا من قاتلك . »

(١) جاء في تاريخ الطبري : « أشرف به على موضع الجزارين اليوم » .

قال : وكان مخرج [مسلم بن ^(١)] عَقِيل بالكوفة ^(٢) لثَمَان لِيَالٍ مَضَيْنَ من ذى الحجة سنة ستين . وقيل : لثَمَع ^(٣) مَضَيْنَ منه .

وكان فيمن خرج معه الْمُخْتَار ^(٤) بن أَبِي عُبيد ، وعبد الله ^(٥) بن الحارث بن نُوفل ، وطلبهما ابن زياد وحبسهما .

وكان فيمن قاتل مسلما محمد بن الأشعث ، وشَبِث بن رِبْعِي - وهو أحد من كتب إلى الحسين - والقَعْقَاع بن شُور ، وجعل شَبِثُ يقول : انتظروا بهم إلى ^(٦) الليل يتفرقوا . فقال له القَعْقَاع : إنك قد سَلَدْتَ عليهم وجه مَهْرَبِهِمْ ، فافْرِجْ لهم يتفرقوا .

وحج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد الأشدق ، وهو عامل مكة والمدينة . وفيها مات أبو أُسَيْد الساعدي ^(٧) ، واسمه مالك ابن رَبِيعَة ، وهو آخر من مات من البَذْرِيِّين ^(٨) ، وقيل : مات سنة خمس وستين . ومات حَكِيم بن حِزَام ^(٩) وله مائة وعشرون سنة ، ستون

معين التارخ لأهل التارخ

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .

(٢) يوم الثلاثاء .

(٣) يوم الأربعاء .

(٤) خرج المختار برأية خضراء .

(٥) خرج عبد الله برأية حمراء وعليه ثوب حر .

(٦) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « انتظروا بهم الليل » .

(٧) انتهى نسب آل ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكان مشهوراً بكنيته .

(٨) شهد بدرًا واحدًا وما بعدها ، وكانت معه رأية بني ساعدة يوم الفتح .

(٩) حكيم بن حزام بن غويك بن أسد بن عبد العزى بن قصي هو بن أخى غنجة بنت

غويك ووجه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان حكيم من سادات قريش ، وكان صديق النبي قبل الميث ، وكان يوده بعد الهجرة ، ولكنه تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح ، وقد جاهد الإسلام وفيه يد حكيم الرلدة .

في الجاهلية ومستون في الإسلام . ومات جماعة ممن لهم صحبة في هذه السنة .

سنة احدى وستين

ذكر مسير^(١) الحسين بن علي رضي الله عنهما

وخبر من نَهَاد عن المسير

كان مقتله بالطَّف عَلَى شاطئِ الْفُرَات من أرضِ كَرْبَلَاء ، وذلك في يوم الجمعة لَعَشْرَ خَلَوْنَ من المحَرَّم من هذه السنة .

ولنبدأ بخبر مسيره من مكة شرفها الله تعالى ، وسبب مسيره ومن أشار عليه بالمقام بمكة وترك المسير إلى الكوفة ، ثم نذكر ما كان من خبره في مسيره إلى أَنْ قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فنقول :

كان مسيره من مكة لِقَصْدِ الكوفة يَوْمَ التَّروِيَةِ ، وكان سبب مسيره إلى الكوفة ماورد عليه من كُتُب أهلها كما تقدم ، ثم أَكَّدَ ذلك عنده وَحَمَلَهُ عليه وقَوَّى عَزْمَهُ وروُدُ كتاب مُسلم بن عَقِيل بن أَبِي طالب عليه يخبره أَنه بآيَعه بالكوفة ثمانية عشر ألفاً ، ويستحثه على المسير إليها ، وكان هذا من مسلم في ابتداء أمره^(٣) .

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٦ من توفي في هذه السنة صفوان بن المظلل الصحابي ، وأبو مسلم الخولاني جد بن ثوب بيلاد اليمن وهو الذي دعاه الأسود العنسي إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال : لا اسمع أشهد أن محمداً رسول الله ، ويقال : إنه توفي فيها التهان ابن بشير والأظهر أنه مات بعد ذلك ... وذكر ابن العباد في شذرات الذهب ج ١ ص ٦٥ من توفي في هذه السنة حمزة بن جندب الفزاري وعبد الله بن مغفل المزني وبلال بن الحارث المزني .

(٢) كلما جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « مقدم » .

(٣) كان مسلم بن عقيل حيث ذهب في أول أمره بالكوفة إلى دار هاني بن عروة وبإيه ثمانية عشر ألفاً أرسل إلى الحسين مع هابس بن أبي شبيب الشاذلي كتاباً كتب فيه : « أما بعد إن الرائد لا يكلب أهله وقد يأمي من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فقبل الإتيان حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم منك ، ليس لم في آل علي ولا هوى ، والسلام » ، وانظر ما سبق .

قال (١) : ولما عزم الحسين رضي الله عنه على المسير إلى الكوفة أنه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له : «إني أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك ، فإن كنت ترى أنك تستنصحنى قلتها وأذيتُ ماعلى من الحق فيها ، وإن ظننت أنك لاتستنصحنى كففت عما أريد ! » فقال له : قل فوالله ما أستغشك ولا أظنك بشيء من (٢) الهوى . قال : « قد بلغنى أنك تريد العراق ، وإني مشفق عليك أنك تأتى بلدا فيه عماله وأمرأؤه ومعهم بيوت الأموال ، والناس عبيد الدينار والدرهم ، فلا آمنُ عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه ! » فقال له الحسين رضي الله عنه : جزاك الله خيرا يا ابن عم ، فقد علمت أنك مشيت بنصح ، وتكلمت بعقل ، ومهما يُقضى من أمر يكن ، أخذتُ برأيك أو تركته ، فأنت عندي أحمدُ مُشير ، وأنصحُ ناصح .

وأناه عبد الله بن عباس فقال له : قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لي ما أنت صانع فقال له : قد أجمعتُ السير في أحد يومئ هذين إن شاء الله تعالى . فقال له ابن عباس : وفاني أعيذك بالله من ذلك ؛ خبرني رحمك الله ، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم ؟ فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم ، قاهر لهم ، وعماله تعجبى بلادهم ، فإنما دعوك إلى الحرب ، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك ، فيكونوا

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٧٥ .

(٢) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨٧ : « ما أظنك بشيء ولا هوى التبع من القبل » .

أشد الناس عليك ! فقال الحسين : قاني أستخير الله وأنظر ما يكون .
فخرج ابن عباس .

وأثاه عبد الله بن الزبير فحدثه ساعة ، ثم قال : « ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم ، وكفنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين ، وولاء هذا الأمر دونهم ، خبرني ما تريد أن تصنع ؟ » فقال الحسين : « لقد حدثت نفسي بآتياني الكوفة ، ولقد كتب إلي شيعتي بها ، وأشرف الناس وأستخير الله » . فقال ابن الزبير : أما إنه لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها . ثم خشي أن يتهمه ، فقال أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر هاهنا ما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحناك . فقال له الحسين رضي الله عنه : « إن أبي حدثني أن لها كبشاً به تستحل حرمتها ، فما أحب أن أكون ^(١) ذلك الكبش ! » قال : فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر فنطاع ولا تُعصى ، قال : ولا أريد هذا الأمر أيضاً . ثم إنهما أخفيا كلامهما ، فالتفت الحسين إلى من هناك وقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال : فإنه يقول قبح في هذا المسجد أجمع لك الناس ، ثم قال الحسين : « والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إلي من أن أقتل فيها ، ولأن أقتل خارجاً منها بشيرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشير ، ويم الله ، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ، والله ليغتدن ^(٢) [على] كما اعتدت اليهودي السبت ! » فقام ابن الزبير وخرج من عنده .

(١) جاءه الطبري وابن الأثير : « أكون أنا » .

(٢) الزيادة من الطبري وابن الأثير .

فلما كان من العشي أو من الغد أتاه ابن عباس فقال : « يا ابن عم ، إني أنصبر ولا أصبر ، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال ، إن أهل العراق قوم غدر ^(١) فلا تنفر إليهم ^(٢) ، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم لينفوا عاملهم وعدوهم ، ثم قدم عليهم ، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصونا وشعبا ، وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شعبة ، وأنت على الناس في ^(٣) عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعائك ، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية . » فقال له الحسين : « يا ابن عم ، إني والله لأعلم أنك ناصح مُشفق ، وقد أزمعتُ وأجمعتُ المسير ، » فقال ابن عباس : « فإن كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيانك ، فإني لخائف أن تقتل كما قُتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه ، » ثم قال له ابن عباس : « لقد أقررت عين ابن الزبير بالخروج من الحجاز ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك ، والله لو أعلم أني إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعنتي فأقمته لفعلت ذلك ! » . ثم خرج من عنده .

فمر بابن الزبير فقال : قررت عينك يا ابن الزبير ، ثم قال ^(٤) :

(١) كلما يحى على الوصف ، ويجوز أن يكون « غدر » بفتح اللين وسكون الدال مصدرا مضافا إليه .

(٢) أى : فلا تسرع إليهم ، وجاء في تاريخ الطبرى والكمال : « فلا تنفر بهم » .

(٣) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وجاء في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦٠ « ولكن عن الناس في منزل » وجاء في مروج الذهب ج ٢ ص ٨٦ « فلما في عزلة » .

(٤) أى : قال هذا الرجز القديم ممثلا به ، كما قتل به قيس بن سعد في قوله لمعاوية ابن أبي سفيان : « فلو أنك أمرك يا معاوية ، فإن ملك كما قال الشاعر : يالك من قبرة بمصر ... » أنظر المقدم الفريد ج ٤ ص ٣٤ .

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ^(١) خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيَقْبِي وَأَصْفَرِي^(٢)

وَنَقَرِي مــــ شئتَ أَنْ تَنْقَرِي^(٣)

هذا حسين يخرج إلى العراق ويُخْلِيكَ والحجاز .

قال وخرج حسين من مكة يوم التَّروِيَةِ^(٤) ، فاعترضه رُسل عمرو بن سعيد مع أخيه يحيى يمنعونهُ ، فَأَبَى عليهم ومضى ، وسار فمر بالتنعيم^(٥) فرأى عِيراً قد أَقْبَلَتْ من اليمَن ، بعث بها بحير

(١) القبرة : طائر صغير . والممر : المكان الواسع من جهة الماء والكلأ ينزل فيه النازلون فيمرونه .

(٢) « غلاك الجو ليضي واصفري » مثل يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها ، كما ذكره الميداني في جميع الأمثال ج ١ ص ٢٤٩ ، وذكر بن عدي في المقد الفريد ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ أن هذا المثل يقال في « الرجل يخلو بجليته » .

(٣) نقر الطائر في الموضع : سله ليضي فيه ، وقيل : التفتير مثل الصغير .. وقد زاد ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦٠ ، ص ١٦٥ في التمثل بهذا الرجز مشطوراً رباعياً : « صيادك اليوم قتيل فابشرى » والمعروف في رواية الرجز القديم : « قد رحل الصياد منك فابشرى » .. والمشهور أن قاتل هذا الرجز هو طرفة بن العبد الشاعر ، كما في الحيوان ج ٣ ص ٩٦ ، ج ٥ ص ٢٢٧ والقلندر ص ١٨٩ - ١٩٠ والصحاح (ع م ر ، ق ب ر) وجميع الأمثال وحياة الحيوان ، وذلك أن طرفة كان وهو صبي صغير مسافراً مع عمه فتزلا على ماء عليه قبرات ، فصعب طرفة فذلماً ، فغرت ، وقعد حانة يومه فلم يعد شيئاً ، فانتزع فنه من التراب وحمله وارتمل مع عمه واتفت وولاه فرأى القبرات يلقطن ماثر لمن من الحب ، فقال هذا الرجز ... وذكر ابن برى في حواشيه على الصحاح أن هذا الرجز لكليب بن ربيعة التغلبي ، وليس لطرفة كما ذكر الجوهري ، وذلك أن كليلاً خرج يوماً في حماه ، فإذا هو ببقيرة على يفسها ، فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحها ، فقال لها : أمن وودت أنت ويضك في فمي ، ثم دخلت فالتقت البيسوس إلى الحمى فكسرت البيض ، فرماها كليب في ضرعها ، فهاجت حرب بكر وتطلب ابني وائل بسببها أربعين سنة ، انظر لسان العرب في (ب و) وفي (ع م ر ، ذق ر)

(٤) يوم التروية هو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة ، سمي به لأن الحاجج كانوا يرتدون فيه من الماء وينهضون إلى منى .

(٥) التنعيم : موضع قريب من مكة في الحجاز ، على فرسيتين منها .

ابن ريسان الحميرى عامل اليمن إلى يزيد ، وعليها الورس^(١) والحل ، فأخذها الحسين ثم سار ، فلما انتهى إلى الصفاح^(٢) لقيه الفرزدق الشاعر^(٣) فقال له الحسين : بين لى خبر الناس خلقت فقال : « الخبير سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل مايشاء ! » فقال الحسين صدقت ، لله الأمر يفعل مايشاء ، وربنا كل يوم فى شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه ، هو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد^(٤) من كان الحق نيته ، والتقوى سريره .

قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله بن جعفر مع ابنه عون ومحمد بقول : « أما بعد ، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فإني مُشْفِقٌ عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت الآن طُفِيَ نور الأرض فإنك عَلمُ المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسبر ، فإني فى إثر كتابي ، والسلام ! » .

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد وقال : « اكتب للحسين كتابا تجعل له فيه الأمان ، وتمنيه فيه البر والصلة ، وترفق

(١) كذا جاء فى النسخة (ن) مثل الكامل وتاريخ الطبرى ، وجاء فى النسخة (ك) : « الورس » .
والورس : نبت أصفر يزود باليمن ويصغ به - والورس : نوع من الثياب المنقوشة .

(٢) الصفاح : موضع بين حنين ومكة .

(٣) كان الفرزدق يحج بأمه ويسوق بغيرها ، فلقى الحسين خارجاً من مكة ، فسأله الحسين : من أنت ؟ قال : الفرزدق : امرؤ من العراق ، فقال له الحسين : بين لى ... الخ .

(٤) عند الطبرى وابن الأثير : « فلم يتعد » .

في كتابك ، وتسأل^(١) الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو اكتب ما شئت ، وأنتى به حتى أختمه . فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ، ثم أتى به عمر بن سعيد : فقال : اختمه وابعث به مع أخيك يحيى فإنه أحرى أن تطمئن به نفسه ، ويعلم أنه الجد منك ففعل . وكان مضمون الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن على ، أما بعد ، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يؤبqك ، وأن يهديك لما يرشدك . بلذى أنك قد توجهت إلى العراق ، وإنى أعيدك بالله من الشقاق ، فإنى أخاف عليك فيه الهلاك ، وقد بعثت إليك عبد الله ابن جعفر ويحيى بن سعيد ، فأقبل إلى معهما ، فإن لك عندى الأمان والصلة والبر وحسن الجوار ، لك الله على بذلك شهيد وكفيل ، وراع ووكيل ، والسلام عليك . »

فأخذ الكتاب ولحقا حسيننا ، فأقرأه يحيى الكتاب . وكان مما اعتذر به أن قال : إنى رأيت رؤيا ، رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت بأمر أنا ماضٍ له ، فقالوا له : ماتلك الرؤيا ؟ قال : ما حدثت أحدا بها ولا أنا محدث أحدًا بها حتى ألقى ربى .

وكتب الحسين إلى عمرو بن سعيد : « أما بعد ، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ، فخير الأمان أمان الله ، ولن يؤمن بالله يوم القيامة من لم يخفه فى الدنيا ، فنسأل الله مخافة فى

(١) كلا جرد فى الأصل مثل تلويح الطبرى ج ٤ ص ٢٩١ ، وجاء فى الكامل ج ٣ ص ٢٧٧ :

الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة ، فإن كنت نويت بالكتاب
صلى وبرى فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، والسلام .

قال (١) : ولما بلغ ابن زياد مَسِيرُ الحسين من مكة بعث الحُصَيْن
ابن نُمَيْر (٢) التَّمِيمِي صاحبَ شرطته ، فنزل القادسية ، ونظم الخيل
مابين القادسية إلى خَفَّان (٣) ، ومابين القادسية إلى القُطْقُطَانَة وإلى
جبل لَعْلَع .

وأقبل الحسين حتى إذا بلغ الحاجز من بطن الرُّمَة بعث قيس
بن مُشهر الأَسَدِي ثم الصِّدَاوِي إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين
والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد ؛ فإن كتاب مُسلم بن عَقِيل جاعني يخبرني فيه بحسن
رأيكم ، واجتماع مَلِكِكُمْ على نصرنا والطلب بحَقِّنا ، فنسأل الله
أن يحسن لنا الصنع ، وأن يُشيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد
[سَخَّصْتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثَمَانٍ مَضِيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يوم
الثَّروِيَةِ ، فإذا قدم عليكم رَسُولِي فأنكمشوا (٤) في أمركم وجِدُوا ،
فإني قادم عليكم في أَيَّامِي هذه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة
الله . »

(١) ابن الأثير في الكامل .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) : « تميم » ، والذي في جمهرة أنساب
العرب ص ٤٠٣ أنه الحُصَيْن بن نُمَيْر بن قاتل بن لَيْد بن جَشَنَة بن الحارث بن سلمة بن شَكْلَة
ابن السكون ، وصيقل وصفه بالسكوني .

(٣) خَفَّان : موضع فوق القادسية ، وهو وما بعده مواضع بين الكوفة ومكة .

(٤) إنكمشوا : تشمروا .

وكان مُسلم بن عَقِيل قد كتب إلى الحسين قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، أما بعد ؛ فإن الرائد لا يكذب أهله ، إن جميع^(١) أهل الكوفة معك ، فاقبل حين تقرأ كتابي والسلام .

قال : وأقبل قيس بن مُشهر بكتاب الحسين إلى أهل الكوفة ، فلما بلغ القادسية أخذه الحُصَيْن بن نُمَيْر^(٢) فبعث به إلى ابن زياد ، فقال له عُبيد الله : اصعد [القصر]^(٣) فُسبُ الكُذَّاب ابن الكُذَّاب الحسين بن علي . فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إن هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتك بالحاجز فأجيبوه » ثم لعن عُبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلّي ، فأمر به عُبيد الله فرُمي من فوق القصر فتقطع فمات .

قال^(٤) : ثم أقبل الحسين رضي الله عنه يسير نحو الكوفة ، فانتهى إلى ماء مياه العرب ، فإذا عليه عبد الله بن مُطِيع العدوي فلما رأى الحسين قام إليه ، فقال : بياي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ما أقدمك ؟ واحتمله فأنزله فقال له الحسين : إنه كان من موت معاوية ما قد بلغك ، فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى أنفُسهم . فقال : « أذكرك بالله^(٥) يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تُنتَهك ، أنشدك الله

(١) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٩٧ «جمع» ، وانظر ما سبق .

(٢) انظر ما سبق قريبا ، وفي المخطوطة « تميم » .

(٣) الزيادة من ابن الأثير والطبري .

(٤) ابن الأثير في الكامل ، وأصله عند الطبري .

(٥) عند الطبري وابن الأثير : « أذكرك الله » .

في حرمة قريش ^(١) ، أَنشُدَكَ اللهُ في حرمة العرب ، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية لَيَقْتُلَنَّكَ ، وَلَئِنْ قَتَلُوكَ لَإِيْهَابُونَ بعدُ أحدا أبداً ، والله إنها لحرمة الاسلام تُنتَهَكُ ، فلا تفعل ، ولا تأت الكوفة ، ولا تُعرض نفسك لبني أمية ! ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَمْضَى .

فلما نزل بزروود ^(٢) أتاه الخبر بقتل مسلم ابن عَقِيل وهالئ ابن عروة ، فاسترجع ^(٣) مرارا ، فقال له عبد الله بن سليم والمذري ابن المُشَمِّعِلِ الأَسديان ، وكانا قد لحقاه حين قضيا حجهما : « نَشُدُكَ اللهُ في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شعبة ، بل نشخوف أن يكونوا عليك ! ، فوثب بنو عَقِيل فقالوا لا : والله لا نبرح حتى نُدرك ثأرنا أو نلنوق ماذا أقومنا . فقال الحسين رضى الله عنه : لاخير في العيش بعدهؤلاء . فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مُسلم بن عَقِيل ، ولو قلدت الكوفة لكان الناس إليك أسرع . فانتظر الحسين حتى إذا كان السحر قال لفتيان غلمانته : أكثروا من الماء . فاستقوا فأكثروا ، ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زُبالة ^(٤) .

وقيل : كان الحسين لا يبرح بماء إلا اتبعه أهل ذلك الماء ، حتى انتهى إلى زُبالة ، فاتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بُغَطَر ،

(١) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وجاء في تاريخ الطبري : « رسول الله صل الله عليه وسلم » .

(٢) قال ياقوت : « لعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تملؤها السحاب ، لأنها رمال بين الثلجية والحزبية بطريق الحاج من الكوفة » .

(٣) استرجع : قال « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٤) زُبالة : موضع معروف بطريق مكة من الكوفة .

وكان سَرَّحَهُ إلى مُسْلِم بن عَقِيل من الطريق ، وهو لا يدري أَنَّهُ أُصِيبَ
فَأَخَذَهُ الْحَصِين بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى زِيَادَ فَقَالَ لَهُ : اصْعَدْ فَوْقَ
الْقَصْرِ فَالْعَنِ الْكَذَّابُ ابْنُ الْكَذَّابِ ثُمَّ انْزِلْ حَتَّى أَرَى فِيكَ رَأْيِي ،
فَصَعِدَ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي رَسُولُ
الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكُمْ ،
لَتَنْصُرُوهُ وَتَوَازِرُوهُ عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ ابْنِ سَمِيَةِ الدَّعَى ! » فَأَمَرَ بِهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ فَأُلْقِيَ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ إِلَى الْأَرْضِ فَتَكَسَّرَتْ عِظَامُهُ وَبَقِيَ بِهِ
رَمَقٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمِيرٍ اللَّخْمِيُّ ^(١) فَذَبَحَهُ ،
فَلَمَّا عَیِبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ قَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُرِيحَهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْحُسَيْنُ الْخَبَرَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنْصَرِفَ
فَلْيَنْصَرِفْ غَيْرَ حَرْجٍ ، لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ
فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .

قَالَ : وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْأَعْرَابَ ظَنَّتْ أَنَّهُ يَأْتِي بِلَدَا
قَدْ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْلَمُوا عِلَامَ يَقْدُمُونَ .

قَالَ ثُمَّ ارْتَحَلَ الْحُسَيْنُ وَمَسَارَّ حَتَّى مَرَّ بِطَنْ الْعَقْبَةِ فَنَزَلَ بِهَا ، فَأَتَاهُ
بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَسَأَلَهُ عَنْ مَقْصِدِهِ فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : « إِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ
لَمَّا أَنْصَرَفْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا تَقْدَمُ إِلَّا عَلَى الْأَيْسَةِ وَحَدِّ السِّیُوفِ ، إِنْ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَيْكَ لَوْ كَانُوا كَقَوِّكَ مُؤَنَّةَ الْقِتَالِ وَوُطَّنُوا لَكَ الْأَشْيَاءُ
فَقَدِمَتْ عَلَيْهِمْ ، كَانَ ذَلِكَ رَأْيًا ، فَأَمَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي تَذَكَّرُ فَيَايَ

(١) قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَمْ يَكُنِ الَّذِي ذَبَحَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمِيرٍ ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ جَدِيدٌ
طَوَّلَ بِشَيْءٍ عَبْدَ الْمَلِكِ .

لا أرى لك أن تفعل ! فقال الحسين : يا عبد الله ، إنه ليس يخفى على ما رأيت ، ولكن الله لا يُقَلِّبُ على أمره ! .

ثم ارتحل منها وقد استهلَّت إحدى وستين ، وسار حتى نزل شَراف^(١) فلما كان في السحر أمر فتَيَّانه فاستقوا من الماء وأكثروا ، ثم ساروا منها صَدْرَ يومهم حتى انتصف النهار ، فكَبَّرَ رجل من أصحابه فكبر الحسين ، وقال : مِمَّ كَبُرَتْ ؟ قال : رأيت النخل ، فقال عبد الله بن سليم والمذنبى ابن المُشَمِّلِ الأسديان : والله إن هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قط ، قال : فما تريان . قالَا : نراه والله [رأى]^(٢) هُوَادَى^(٣) الخيل . فقال الحسين : وأنا والله أرى ذلك ، مَالْنَا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقليل له : « بلى هذا ذُو حُسَمٍ إلى جنبك تميل إليه عن يسارك ، فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد ، فما إليه ، فما كان بأسرع من أن طلعت هُوَادَى الخيل ، فلما رأوهم قد عدلوا عن الطريق عدلوا عنها إلى قصدهم ، فسبق الحسين إلى ذى حُسَمٍ ، فنزل وأمر بأبنية^(٤) ففُضِرِبَتْ ، وجاء القوم وهم ألف فارس عليهم الحرُّ بن يزيد التميمي ، فجاءوا حتى وقفوا مقابل الحسين رضى الله عنه : وكان مسير الحر ومن معه من القادسية من قبل الحُصَيْن بن نُمَيْر^(٥) التميمي .

(١) شَراف : موضع بعد المعية ورائعة وقبل القرعاء في الطريق من مكة إلى الكوفة .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٠٢ .

(٣) هُوَادَى الخيل : أوائلها ، والهاضى والهادية : المتى ، لأنها تتقدم حل البدن ولأنها تهدى البدن .

(٤) أبنية : جمع بناء ، وهو ما يسكنه الناس ، فيطلق حل ما يضره الرب في الصحراء من خيمة وغيرها .

(٥) كذا جاء في تاريخ الطبرى والكمال ج ٣ ص ٢٧٩ : « نمير » رجاء في المخطوطة : « ميم » وانظر ما سبق .

فلم يزل الحرُّ مواقفًا حسينا حتى حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن ، قاذن ، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين رضى الله عنه ، في إزار ورداء ونعلين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، معذرة إلى الله وإليكم ، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ، وقدمت على رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق ، إن كنتم على ذلك فقد جئتمكم ، فإن تُعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقتلهم كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم » فسكتوا عنه ، وقال للمؤذن : أقم فأقام الصلاة ، فقال الحسين للحر : أتريد أن تصلى بأمر حابك ؟ فقال : لا ، بل صل أنت ونصلى بصلاتك ، فصلّى بهم الحسين ، ثم دخل واجتمع إليه أصحابه .

وانصرف الحر فدخل خيمة قد ضربت له ، واجتمع عليه جماعة من أصحابه ، وعاد بعض أصحابه إلى صفهم الذي كانوا فيه ، ثم أخذ كل رجل بعنان دابته وجلس في طلبها .

فلما كان وقت العصر أمر الحسين أصحابه أن يتهيئوا للرحيل ففعلوا ، ثم خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام ، وصلى الحسين بالقوم جميعا ، ثم سلم وانصرف إليهم بوجهه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تنفقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسايرين فيكم بالجور والعُدوان ، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به

كتبكم ، وقدمت عليّ به رُسُلُكم ، انصرفتُ عنكم » ، فقال له الحر :
 إنا والله ماندرى ماهذه الكتب والرسل التي تذكر . فأمر الحسين رضي
 الله عنه بإخراج كتبهم ، فأخرجت في خرجين مملوءين ، فنثرهما
 بين أيديهم ، فقال الحر : إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ،
 وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نُقدّمك الكوفة على
 عُبيد الله بن زياد . فقال له الحسين : الموت أذكّي إليك من ذلك ،
 ثم قال لقومه : قوموا فاركبوا ، وركب نسأوهم .

فلما أرادوا الانصراف حال القوم بينهم وبين المسير ، فقال الحسين
 للحر : ثَكِلْتُكَ أُمُّك ! ماتريد؟ قال له : « أما والله لو غيرك من العرب
 يقولها وهو على مثل الحال التي عليها ما تركت ذكر أمه بالكل أن
 أقوله كائنًا من كان ، ولكن والله ما لي ذكر أُمِّك من سبيل إلا بأحسن
 ما نقدر عليه » ، فقال له الحسين : ماتريد؟ قال : أريد أن أنطلق بك إلى
 عُبيد الله بن زياد . فقال له الحسين : إذا والله لا أتبعك فقال الحر :
 إذا والله لا أدعك . فنَرا القول ثلاث مرات ، فلما كثرت الكلام بينهما
 قال الحر : « إني لم أومرُ بقتالك ، إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك
 الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة
 يكون بيني وبينك نصفا ، حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى
 يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه ، أو إلى عُبيد الله إن شئت ،
 ففعل الله أن يرزقني العافية من أن أثبتَ بشيء من أمرك ! » قال :
 فتيأسر عن^(١) طريق العُدَيْب والقادسية ، وبينه حينئذ وبين العُدَيْب
 ثمانية وثلاثون ميلا . ثم سار والحر يسايره .

(١) عبارة الطبري : « قال : فخذ من ههنا فتيأسر . . . »

قال (١) : ثم إن الحسين خطبهم (٢) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطانا جائرا ، مستحلا لحرم الله ، ناكثا لعهد ، مخالفا لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول ، كان حقا على الله أن يدخله مدخله » .
 ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود واستأثروا بالقى ، وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحق من غيرى (٣) ، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فإن تمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسى مع أنفسكم ، وأهل مع أهلكم ، فلكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكر ، لقد فعلتموها بآبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغتربكُم ، فحفظكم أخطائكم ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه : وسيغنى الله عنكم ، والسلام .

فقال له الحر : إني أذكرك الله في نفسك ، فإنني أشهد لئن قاتلت لتُقتلن ، فقال الحسين رضى الله عنه : أبا الموت تخوفنى ؟ أ وهل يغدو بكم الخطب أن تقتلوني ! وما أدري ما أقول لك ؟ ! ولكنى أقول

(١) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٢) أى : خطب أصحابه وأصحاب المهديين يزيد النخعي بالبيضة .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبرى .

كما قال أخو الأوس لابن عمه ، [لقيه ^(١)] وهو يريد نصرة
النبي صلى الله عليه وسلم ، [له ^(٢)] فقال أين تذهب فإنك
مقتول ؟ فقال :

سأَمْضَى وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا نَوَى خَيْرًا وَجَاهَدَ مُسْلِمًا
وَأَتَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ مُتَّبِعِينَ وَخَالَفَ مُجْرِمًا
فَإِنْ عَشْتُ لَمْ أُنْدَمْ وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَلَمَّ كَفَى بِكَ ذُلًّا أَنْ تَعِيشَ وَتُرْغَمَا
قال : فلما سمع الحرُّ ذلك تنحى عنه ، فكان يسير ناحية
عنه ، حتى انتهوا إلى عُذَيْبِ الْهَجَانَاتِ ^(٣) ، فإذا هم بأربعة نفر
قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال
له الكامل ، ومعهم دليلهم الطَّرِمَّاحُ وهو يقول :

يَا نَاقِنَا لَا تُذْعِرِي مِنْ زَجَرِي وَتَسْمُرِي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
بَخِيرِ رُكْبَانٍ وَخَيْرِ سَفَرٍ حَتَّى تَجَلِّيَ بِكَرِيمِ النَّحْرِ
الْمَاجِدِ الْحَرِّ رَحِيبِ الصُّدْرِ أَتَى بِهِ اللَّهُ لَخَيْرِ الْأَمْرِ
ثُمَّتْ أَبْقَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ

فلما انتهوا إلى الحسين رضى الله عنه والتحقوا به ، فقال
الحر : إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا بمن أقبلوا معك ،
وأنا حابسهم أو رادهم ، فقال الحسين رضى الله عنه : « لَا مُنْعَنَهُمْ

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبرى .

(٣) عذيب الهجانات : موضع بطريق الكوفة .

مما أَمْنَع منه نفسى ، إنما هؤلاء أعوانى وأنصارى ، وقد كنتَ أعطيتنى
ألا تُعْرِض لى حتى يأتىكَ كتاب من ابن زياد ، قال : أجل ولكن
هؤلاء لم يأتوا معك ^(١) .

فقال : « هم أصحابى ، وهم بمنزلة من جاء معى ، فإن نعمتْ
على ما كان بينى وبينك وإلا ناجزتك » . فكفَّ عنهم الحرُّ .

وسألهم الحسين عن خبر أهل الكوفة ، فقال له مجمع بن
عبد الله العائلى - وهو أحد الأربعة - : « أما أشرف الناس فقد
أعظمتْ رشوتهم ومُلئتْ غرائرهم ، فهم لب ^(٢) واحد عليك ، وأماسائر
الناس بعدُ فإن أفتدتهم تَهْوَى إليك وسيوفهم غداً مشهورةٌ عليك » .
فقال : هل لكم برسولى إليكم علم ؟ فقالوا : من هو ؟ قال : قيس
ابن مُشهر الصيداوى . قالوا : نعم ، وأخبروه بمقتله ، فترقرقت عينا
حسين ولم يملك دَمْعُه ، ثم قال : ﴿ فمنهم من قَصَى نَجْبَه ومنهم
مَنْ يَنْتَظِر وما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ^(٣) ﴾ اللهم اجعل لنا ولهم الجنة
نُزُلًا ، واجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك ورغائب مذكور ثوابك .
قال : ودنا الطَّرماح من الحسين ، فقال له : « والله إني لَأَنْظُرُ
فما أرى معك أحدا ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك
لكان كُفْواً لهم ^(٤) » ، وقد رأيتُ قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم
ظَهَرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم ترَ عَيْنَاى فى صعيد واحد جمعاً أكثر

(١) من هنا يبدأ ما صار يباحث فى النسخة (ك) وثبت فى النسخة (ن) انظر ص ٤٥٥ .

(٢) الإلب : القوم يجتمعون على عدوة إنسان ، وقد تألبوا أى تجسوا .

(٣) من الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٤) كذا جاء فى المخطوطة وفى تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٠٦ والكمال ج ٣ ص ٢٨١ :

منه ، فسألت عنهم ، فقليل : اجتمعوا ليُعْرَضُوا ثم يُسَيَّرُوا إِلَى
الحسين ، فَأَنْشَدَكَ اللهُ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَلَا تَقْدَمَ إِلَيْهِمْ شَبْرًا
إِلَّا فَعَلْتَ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْزَلَ بِلَدَا يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِ حَتَّى تَرَى مِنْ رَأْيِكَ
وَيَسْتَبِينَ لَكَ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَيَسِرْ حَتَّى أَنْزِلَكَ مَنَاعَ جِبِلْنَا الَّذِي ^(١)
امْتَنَعْنَا بِهِ مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ وَحِمِيرَ وَمِنْ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّيرِ وَمِنْ الْأَشْبُودِ
وَالْأَحْمَرِ ، فَأَسِيرْ مَعَكَ حَتَّى أَنْزِلَكَ الْقَرْيَةَ ، ثُمَّ لَتَبَعْتُ إِلَى الرِّجَالِ
مَنْ يَأْجَأُ وَسَلَّمَى ^(٢) مِنْ طَبِئٍ ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ
حَتَّى يَأْتِيَكَ طَبِئٌ رِجَالًا وَرُكْبَانًا ، ثُمَّ أَقِمْ فِينَا مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنْ
هَاجَكَ هَيْجٌ فَأَنَازِعِمِ لَكَ بِعَشْرِينَ أَلْفَ طَائِيٍّ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ
بِأَسْيَافِهِمْ ، وَوَاللَّهِ لَا يُوَصِّلُ إِلَيْكَ أَبَدًا وَفِيهِمْ عَيْنٌ تَطْرُقُ ! .

فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللهُ وَقَوْمَكَ خَيْرًا ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ قَوْلٌ لَسْنَا نَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى الْإِنْصِرَافِ ، وَلَا نَدْرِي عِلَامَ
تَتَصَرَّفُ بِنَا وَبِهِمُ الْأُمُورُ ١ .

قَالَ الطَّرْمَاحُ : فَوَدَّعَنهُ وَقُلْتُ : « إِنْ قَدْ ائْتَرْتُ لِأَهْلِ مِيرَةَ ، وَمَعَى
نَفَقَةٍ لَهُمْ فَاتِيَهُمْ فَأَصْنَعْ ذَلِكَ فِيهِمْ ، ثُمَّ أَقْبِلْ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللهُ ،
فَإِنْ أَلْحَقَكَ فَوَاللَّهِ لَا أَكُونَنَّ مِنْ أَنْصَارِكَ » . فَقَالَ لِي : فَإِنْ كُنْتَ
فَاعِلًا فَعَجَّلْ رَحِمَكَ اللهُ .

قَالَ الطَّرْمَاحُ : فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى أَهْلِ وَضَعْتُ عَنْدهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ ،

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « الَّذِي يُدْعَى أَجَا » .

(٢) أَجَا وَسَلَمَى : جِبِلَانٌ لِقَبِيلَةِ طَبِئٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ يَاقُوتٌ « سَبَبَ نَزُولِ طَبِئٍ الْجَبَلَيْنِ
وَإِخْتِصَامِهِمْ بِسَكَنَاتِهِمَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ » .

وأوصيت^١ ، وأخبرتهم بما أريد ، وأقبلت حتى دَبَّوْتُ من عُذَيْبِ
الهجانات^(١) ، فَتَأْتَانِي نَعْيُ الْحُسَيْنِ هُنَاكَ^(٢) ١ .

قال المؤرِّخ^(٣) : ثم مضى الحسين إلى قصر بني مُقَاتِل^(٤) ،
فنزل به . قال عقبة بن سمان : فلما كان آخرَ الليل أمر الحسين
بالاستقاء من الماء ، ثم أمرنا بالرحيل ، ففعلنا ، فلما سِرنا ساعة
خَفَقَ^(٥) الحسين برأسه خفقة فقال : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
الحمد لله رب العالمين » يُعِيدُهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنَهُ
عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ، فَاسْتَرْجَعَ وَحَمْدَ اللَّهِ وَقَالَ : « يَا أَبَتِي ، جُعِلْتُ
فِدَاكَ ، مِمَّ حَدَّثَ اللَّهُ وَاسْتَرْجَعْتَ ؟ » ، قَالَ : « يَا بُنَيَّ ، إِنِّي خَفَقْتُ
بِرَأْسِي خَفَقَةً ، فَغَنَى فَارِسٌ عَلَيَّ فَرَسٌ فَقَالَ : الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنَابِإُ
تَسِيرُ بِهِمْ . فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا ! » قَالَ : يَا أَبَتِي أَلَسْنَا
عَلَى الْحَقِّ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَالَّذِي إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْعِبَادِ . قَالَ : يَا أَبَتِي إِذَنْ لَا نُبَالِي
أَنْ نَمُوتَ مُحَقِّقِينَ . فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرَ مَا يَجْزِي وَلَدًا عَنْ وَالِدِهِ .

فلما أصبح نزل فصلَى الغداة ، ثم عَجَلَ الرُكُوبَ ، وسار حتى
انْتَهَى إِلَى نَيْنَوَى ، وَالْحَرُّ وَمَنْ مَعَهُ يَسَايِرُونَهُ فَإِذَا رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ
عَلَيْهِ السِّلَاحُ يَمْسِكُ قَوْسًا مُقْبِلَ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَوَقَفُوا جَمِيعًا يَنْتَظِرُونَهُ ،

(١) حليب الهجانات : موضع بطريق الكوفة .

(٢) زاد ابن الأثير : « فرجع إلى أهله » .

(٣) ابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٠٧-٣٠٨ ، وتوهمه ابن الأثير في الكامل ج

٣ ص ٢٨٢ .

(٤) في معجم البلدان لياقوت : « قصر مقاتل : منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة

الشمسي » .

(٥) خفق برأسه : حرك رأسه حتى يثبت ذقنة على صدره وهوائيم قاعدا .

فلما انتهى إليهم سلم على الحر وأصحابه ، ولم يسلم على الحسين ، ودفع إلى الحر كتابا من عبيد الله بن زياد : «أما بعد ، فجمع^(١) بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسول ، فلا تنزله إلا بالعرء في غير حِضْن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسول أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري ، والسلام » .

فقال الحر : هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد ، يأمرني فيه أن أجمع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه ، وهذا رسوله ، وقد أمره ألا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره .

قال : فأخذهم الحر بالتزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية ، فقالوا : دَعْنَا نَنْزِلَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ (يَعْنُونَ زَيْنَوِي) أَوْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ (يَعْنُونَ الْقَاصِرِيَّةَ) أَوْ هَذِهِ الْأُخْرَى (يَعْنُونَ شَفِيَّةَ) . فقال : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل بُعِثَ عَيْنًا عَلَيَّ .

فقال زهير بن القَيْن للحسين : «يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قِتَالُ هَؤُلَاءِ السَّاعَةِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ قِتَالِ مَنْ يَأْتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَلَعَمْرِي لَيَأْتِيَنَّا مِنْ بَعْدِنَا نَرَى مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ » فقال له الحسين : ما كنت لأبدأهم بالقتال . فقال له زهير : «سِرْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ حَتَّى نَنْزِلَهَا فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ وَعَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ، فَإِنْ مَنَعُونَا قَاتِلْنَاهُمْ ، فَتَقَاتِلْهُمْ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ قِتَالِ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُمْ » . فقال له الحسين : أَبَةُ قَرْيَةٍ هِيَ ؟ قال : الْعَقْر . فقال الحسين : اللهم إني

(١) - جمع بالحسين : ضيق عليه المكان ، وقد ذكر صاحب النهاية هذه العبارة من كتاب زياد .

أعوذ بك من العقر ! ^(١) ثم نزل ، وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين .

فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة . وكان سبب مسيره لقتال الحسين أن عبّده الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة ، يسير بهم إلى دُستبى ، وكانت الدّيلم قد خرجوا إليها وغلّبوا عليها ، فكتب ابن زياد له عهدته على الرّى ، وأمره بالخروج ، فخرج وعسكر بالناس ، فلما كان من أمر الحسين ما كان ، دعا ابن زياد عُمَرَ بن سعد وقال : سر إلى الحسين فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عملك . فاستغفاه ، فقال : نعم ، على أن تردّ علينا عهدنا . فلما قال له ذلك قال : أمهلنى اليوم حتى أنظر . فاستشار عمرُ نصحاءه ، فكلّهم ناه ، وأتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة - وهو ابن أخته - فقال له : « أنشدك الله يا خالئ ألا تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمتك ! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها - لو كان لك - خيرٌ من أن تلقى الله بدم الحسين ! » فقال : أفعل إن شاء الله ، وبات ليّله مفكراً في أمره فسُمِع وهو يقول :

أأترك ملك الرّى والرّى رغبى

أم أزجّع مذموماً يقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها

حجاب ، وملك الرى قرّة عين

(١) أنظر معجم البلدان وقاج المروس فى « المقر » و « كربلاء » .

ثم أتى ابن زياد فقال له : إنك قد ولّيتني هذا العمل وسمع الناس به ، فإن رأيت أن تُنفذ لي ذلك وتبعث إليّ الحسين من أشرف الكوفة من لست أغني ولا أجزأ عنك في الحرب منه - وسمّي له أناسا - ، فقال له ابن زياد : لا تعلمني بأشرف الكوفة ، فلست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث ، فإن سرت بجنودنا وإلا فأبعث إلينا بعهودنا ، قال : فيأني سائر . فأقبل في ذلك الجيش حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث إليه عزرة ^(١) بن قيس الأحمسي ، فقال له : انته فاسأله : ما الذي جاء بك ؟ وماذا تريد ؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين ، فاستحى منه أن يأتيه ، فعرض عمر ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلّهم أباه وكرهه .

فقام إليه كثير بن عبد الله ، وكان فارسا شجاعا ، فقال : أنا أذهب إليه والله إن شئت لأفنيك به . فقال عمر : ما أريد أن يفتك به ولكن أن تسأله : ما الذي جاء به ؟ فأقبل إليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين : أصلحك الله ، قد جاءك شر أذل الأرض وأجروه على دم وأفتكه . فقام إليه ، فقال له : ضع سيفك . قال لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول فإن سمعتم أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ، وإن أبيئتم انصرفت عنكم . فقال له رجل : فيأني آخذ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك . قال : لا والله لا تمسه . فقال له : أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه فإنك فاجر . فاستبأ ، ثم انصرف إلى عمر فأخبره الخبر .

(١) قال صاحب الإصافة ج ٣ ص ١٠٥ في ترجمته : عزرة بن قيس بن غزوة الأحمسي البجلي

فدعا عمر قُرّة بن قيس الحنظلي ، فقال له : ويحك يا قرة ،
 ألتى حسينا فاسأله : ما جاء به ؟ وماذا يريد ؟ فأتاه فأخبره رسالة
 ابن سعد ، فقال له الحسين : كتب إلى أهل مصر كم أن أقدم عليهم ،
 فأما إذ كرهتموني فإني أنصرف عنهم . فانصرف قُرّة إلى عمر فأخبره
 الخبر ، فقال عمر : إني لأرجو أن يهأبني الله من حربه وقتاله .

ثم كتب إلى عبيد الله بن زياد : « ^(١) أما بعد ، فإني حيثُ
 نزلت بالحسين بعثتُ إليه رسولي ، فسألتُه عما أقدمه وماذا يطلب
 وماذا يسأل ، فقال : كتب إلى أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم فسألوني
 القدوم ففعلت ، فأما إذ كرهوني وبكدهم غيرُ ما أتتني به رسلهم
 فأنا منصرف عنهم » .

فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآن إذ علقتُ مَخالبنا به

يرجو النجاة ولاتَ حينَ مناصٍ

وكتب إلى عمر بن سعد : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ
 فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت ، فأعرض على الحسين أن يبايع
 يزيدَ بن معاوية أمير المؤمنين هو وجميعُ أصحابه ، فإذا هو فعل
 رأينا والسلام » فلما قرأ عمر الكتاب قال : قد أحسستُ ألا يقبلَ
 ابنُ زياد العافية .

قال : وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد : « أما بعد ، فُخل

(١) أثبت الطبري البسلة في أول هذا الكتاب .

بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، فَلَا يَلْقَوْنَ مِنْهُ قَطْرَةً ، كَمَا صُنِعَ
بِالْتَّقَى الزُّكِّي الْمَظْلُومِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ .

فَبَعَثَ عُمَرُ عَمْرُو بْنُ الْحِجَّاجِ عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَارَسٍ ، فَنَزَلُوا
عَلَى الشَّرِيعَةِ ، وَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَمَنْعُوهُمْ
أَنْ يَسْقُوا مِنْهُ قَطْرَةً ، وَذَلِكَ قَبْلَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بِثَلَاثِ .

وَنَادَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَصِينٍ الْأَزْدِيُّ : « يَا حُسَيْنَ ، أَلَا تَنْظُرُ
إِلَى الْمَاءِ كَأَنَّهُ كَبِدُ السَّمَاءِ ! وَاللَّهِ لَا تَذُوقُ مِنْهُ قَطْرَةً حَتَّى تَمُوتَ
عَطْشًا ! » . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : « اللَّهُمَّ اقْتُلْهُ عَطْشًا وَلَا تَغْفِرْ لَهُ
أَبَدًا ! » . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ^(١) : قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ
« وَاللَّهِ لَقَدْ عَذَّبْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَرَضِهِ ، فَأَلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ
رَأَيْتُهُ يَشْرَبُ حَتَّى يَبْغَرُ ^(٢) ، ثُمَّ يَقِيءُ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَشْرَبُ حَتَّى
يَبْغَرُ ، فَمَا يَزُولُ ، فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى لَفَظَ غُصَّتَهُ » (يَعْنِي
نَفْسَهُ) .

قَالَ : فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى الْحَمْسِينَ وَمِنْ مَعِهِ الْعَطَشُ دَعَا أَخَاهُ الْعَبَّاسَ
ابْنَ عَلِيٍّ ، فَبِعِثَهُ فِي ثَلَاثِينَ فَارَسًا وَعِشْرِينَ رَاجِلًا ، وَبَعَثَ مَعَهُمَ بَعْشَرِينَ
قُرْبَةً ، فَدَنَوْا مِنَ الْمَاءِ ، وَقَاتَلُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى مَلَكُوا الْقُرْبَ وَعَادُوا بِهَا إِلَى
الْحُسَيْنِ .

قَالَ : ثُمَّ بَعَثَ الْحُسَيْنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ الْقَتْلَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ
عَسْكَرِي وَعَسْكَرِكَ . وَكَانَ رَسُولُهُ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ قَرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ

(١) ج ٤ ص ٣١٢ .

(٢) يَكْثُرُ الشَّرْبُ فَلَا يَرُوى بِسَبَبٍ لَهُ أَسَاسُهُ .

الأنصاري^(١) ، فخرج عمر في نحو من عشرين فارساً ، وأقبل الحسين في مثل ذلك ، فلما التقيا أمر الحسين أصحابه أن يتنحروا عنه ، وأمر عمر بمثل ذلك ، فتكلما ، فأطالا حتى ذهب من الليل جانب ، ثم انصرف كل منهما إلى عسكره .

قال : وتحدث الناس فيما بينهم ظناً يظنون أنه الحسين قال لعمر ابن سعد : اخرج معي إلى يزيد بن معاوية ونَدِّع العسكرين . فقال له عمر : إذن تُهْذِم داري . قال : إذن أبنيها لك . قال : إذن تُؤْخِذ ضياعي . قال : إذن أعطيك خيراً منها بالحجاز . فكره ذلك عمر بن سعد . فتحدث الناس بذلك من غير أن يكونوا سمعوه .

قال : وذكر جماعة من المحدثين أن الحسين قال : اختاروا مني خِصَلاً ثلاثاً : إما أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه ، وإما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه ، وإما أن أن أسير إلى أيِّ ثغر من ثغور المسلمين شئتُ فأكون رجلاً من أهلِهِ مالههم وعلى ما عليهم .

وأنكر عُبَيْدُ بن سَمْعَانَ هذه المقالة وقال : « صَحِبْتُ الحسين ، فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قُتِل ، وليس من مخاطبته الناس كلمةٌ بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ، ألا والله ما أعطاهم ما يَتَذَكَّر الناس ويزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسبِّره إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعوني

(١) الخزرجي ، كان أبوه صحابياً من ساكني الكوفة .

أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه ، أو دَعُوْنِي أَذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر : إِيَّيَ مَنْ يَصِيرُ أَمْرُ النَّاسِ ؟ .

وقيل : أَلْتَقَى الْحُسَيْنَ وَعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ مِرَارًا ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ : « أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَطْفَأَ النَّارَ » (١) وَجَمَعَ الْكَلِمَةَ ، وَأَصْلَحَ أَمْرَ الْأُمَّةِ ، هَذَا الْحُسَيْنَ قَدْ أَعْطَانِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي مِنْهُ أَتَيْتُ ، أَوْ أَنْ نَسِيرَهُ إِلَى قَعْرِ مِنَ الثُّغُورِ شِئْنَا فَيَكُونَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مَالُهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَنِي يَزِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَضَعُ يَدَهُ فِي يَدِهِ فَيَرَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ رَأْيَهُ ، وَفِي هَذَا لَكُمْ رِضَى وَلِلْأُمَّةِ صَلَاحٌ .

فلما قرأ عُبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأمره مشفق على قومه ، نَعَمْ ، قَدْ قَبِلْتُ .

فقام إليه شمر بن ذِي الْجَوْشَنِ (٢) فقال : « أَتَقْبِلُ هَذَا مِنْهُ وَقَدْ نَزَلَ بِأَرْضِكَ وَإِلَى جَنْبِكَ ، وَاللَّهِ لَئِنْ رَحَلَ مِنْ بِلَادِكَ وَلَمْ يَضَعْ يَدَهُ فِي يَدِكَ لَيَكُونَنَّ أَوَّلَى بِالْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَلَتَكُونَنَّ أَوَّلَى بِالضَّعْفِ وَالْعِجْزِ ، فَلَا تُغْطِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَإِنَّهَا مِنَ الْوَهْنِ ، وَلَكِنْ لِيُنْزَلَ عَلَى حُكْمِكَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَأَنْتَ وَلِيُّ الْعُقُوبَةِ ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ ذَلِكَ لَكَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ يَجْلِسَانِ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَيَتَحَدَّثَانِ عَامَةَ اللَّيْلِ » .

(١) النائرة : فار الحرب وشرها .

(٢) الجوشن : النزع أو الصدر ، وقو الجوشن : اسمه شرحبيل بن قرط الأعور ، وقيل : أوس ، ولقب بذلك لأنه دخل على كسرى فأطاعه جوشن قلبه ، فكان أول حربٍ لبه ، أو لأنه كان نائياً الصدر .

فقال له ابن زياد : « نِعَمَ ما رأيتَ ، اخرجْ بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد ، فليعرض على حسين وأصحابه النزول على حكى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلما ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الناس وثب عليه فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه . »

وكتب ابن زياد إلى عمر بن سعد : « أما بعدُ ، فإنى لم أبعثك إلى الحسين ليتكف عنه ، ولا ليتطاوله ، ولا لتُمنّيه السلامة والبقاء ، ولا لتقعّد له عندى شافعا ، انظر ، فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قُتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فإنه عاق مُشاق قاطع ظلوم ، فإن أنت ، مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعتزل عملنا وجندنا ، وخلّ بين شمر وبين العسكر ، فبأنا قد أمرناه بأمرنا ، والسلام . »

فأقبل شمر بكتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد ، فقراه ، فقال له عمر : « مالك ؟ وئلك ! لا تُرَبِّ الله دارك ، وبيع الله ما قدمت به على ! والله إنى لأظنك أنت الذى ثنيت أنه يقبل ما كتبت به إليه ، أفسدت علينا أمرا كنا نرجو أن يصلح ، لا يستسلم والله حسين أبدا ، والله إن نفسا أبيّة لبين جنبينه ! »

فقال له شمر : أخبرنى ما أنت صانع : أتمضى لأمر أميرك وتقاتل علوه وإلا فخلّ بينى وبين الجند والعسكر ؟ فقال : لا ، ولا كرامة لك ، ولكن أنا أتولى ذلك .

فنهض إليه عشية الخميس لتسع مَضَيْن من المحرم .

وكان شعر لما قبض كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد قام هو وعبد الله بن أبي المحل ، وكانت عمته أم البنين ابنة حزام عند علي بن أبي طالب فولدت له العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . قال عبد الله : « أصلح الله الأمير ، إن بني أختنا مع الحسين ، فإن رأيت أن تكتب لهم أماناً فعلت » . فقال : نعم ونعمة عين ^(١) فأمر كاتبه فكتب لهم أماناً .

فلما نهض عمر إلى الحسين جاء شعر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال : أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو علي ، فقالوا : مالك ؟ وما تريد ؟ قال : أنتم يا بني أختي آمنون ، فقالوا له : لعنك الله ولعن أمانك ! لكن كنت خالنا أنؤمننا وابن رسول الله لا أمان له !

قال : ثم إن عمر بن سعد نادى : يا خيل الله اركبي وابشري . فركب الناس ، ثم زحف بهم نحوهم بعد صلاة العصر ، والحسين جالس أمام بيته مخبطاً بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبته ، وسمعت أخته الصبيحة ، فدنّت منه فأيّظّنه وقالت : أما تسمع الأصوات قد اقتربت ؟ فرفع الحسين رأسه فقال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : إنك تروح إلينا . فلبطت وجهها وقالت : واويلّته ! فقال : ليس لك الويل يا أختي ، اسكتي رحمك الله ^(٢) .

(١) أي : أقل ذلك إنعاماً لعينك وإكراماً .

(٢) جاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٥ : « اسكتي رحمك الرحمن » .

وقال له العباس : يا أخى أذاك القوم . فنهض ثم قال : يا عباس أركب بنفسى . فقال له العباس : بل أروح أنا . فقال : اركب أنت يا أخى حتى تلقاهم فتقول لهم : مالكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم . فأتاهم العباس فاستقبلهم فى نحو عشرين فارسا ، فقال لهم : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم . قال : فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم . فوقفوا ، وانصرف راجعا يركض إلى الحسين فأخبره الخبر ، فقال له الحسين : ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلى لربنا الليلة وندعوه ونستغفره . فرجع العباس إليهم فقال : « ياهؤلاء ، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه الليلة ، حتى ينظر فى هذا الأمر ، فإن هذا الأمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطلق ، فإذا أصبحنا اتقينا إن شاء الله ، فإما رضيناه فأتينا الأمر الذى تسألوننا وتسومونناه ، أو كرهناه فرددناه » .

قال : وإنما أراد الحسين أن يردهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ويوصى أهله .

فاستشار عمر بن سعد شمر بن ذى الجوشن فى ذلك ، فقال شمر أنت الأمير والرأى رأيك : فأقبل عمر على الناس فقال : ماذا ترون ؟ فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى : سبحان الله ! والله لو كان من الديلم ثم سألك هذه المنزلة لكان ينبغى لك أن تجيبهم إليها . وقال قيس بن الأشعث : أجيبهم إلى ما سألك فلعلهم ليضبحنك

بِالْفِتَالِ غُدُوَّةً . فقال : والله لو أعلم أن يفعلوا . أَخَذَتْهُمْ الْعِشْيَةُ . .
ثم رجع عنهم .

قال : وجمع الحسين أصحابه بعد ما رجع عمر بن سعد عنهم فقال :
« أَتُنبِئُنِي عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ : وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرِّاءِ
وَالضَّرِّاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنَّبُوَّةِ ، وَعَلِمْتَنَا
الْقُرْآنَ ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ،
فَاجْعَلْنَا لَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ^(١) ، أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى
بِلَا خَيْرٍ مِنْ أَصْحَابِي ، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَتَمَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ،
نَجَزَاكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا عَنِّي خَيْرًا ، إِلَّا وَإِنِّي لَأُظَنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا ،
إِلَّا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ
كَيْ ذِمَام ^(٢) ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَخَلُّوهُ جَمَلًا ، ثُمَّ لِيَأْخُذْ
كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِبَدِيٍّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي : ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فِي
سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ ، حَتَّى يَفْرَجَ اللَّهُ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يَطْلُبُونَنِي
وَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَوُا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي ! » .

فقال له إخوته وأبنائوه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر :
« لِمَ نَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ لِنَبْقَى بِعَدِكَ ! لَا أَرَانَا اللَّهَ ذَلِكَ أَبَدًا ! » . بدأهم بهذا
تقول العباس بن علي ، ثُمَّ تَكَلَّمُوا بِهَذَا وَنَحْوِهِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ :
« يَا بَنِي عَقِيلَ ، خَسِبَكُمْ مِنَ الْفِتْلِ بِمُسْتَلِيمٍ ، أَذْهَبُوا فَقَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ ! .
تَالُوا : « فَمَاذَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ يَقُولُونَ : أَنَا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا

(١) جاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٧ بدلا من هذه الجملة قوله : « ولم نجعلنا من
المشركين » .

(٢) ذمام : حق .

وبنى عمومنا خير الأعمام ، لم نَرَمْ معهم بسهم ، ولم نَطْعن معهم
برمح ، ولم نَضْرِبْ معهم بسيف ، ولا نَدْرِي ، ما صنعوا ! الا والله لا نفعل ،
ولكن نَفْدِيكَ بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نَرِدَ مَوْرَدَكَ
فَقَبِحَ اللهُ العَيْشَ بعدك ! » .

وقام إليه مُسلم بن عَوْسَجَةَ الأَسَدِي ، فقال : « أَنَحْنُ نَتَخَلَّى
عَنكَ ولم نُغْدِرْ إِلَى اللهِ في أداءِ حَقِّكَ ؟ أَمَّا وَاللهِ لا أَفَارِقُكَ حتى أَكْبِيرَ في
صَدُورِهِمْ رمحي وَأَضْرِبَهُمْ بِسِيفِي ما نَبَتَ قائمُهُ في يَدِي ! وَاللهِ لو لم
يَكُنْ مَعِيَ سِلاحُ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ لَفَضَلْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ ! » .

وقال له سعد بن عبد الله الحنفى : « وَاللهِ لا نَخْلُبُكَ ، حَتَّى يَعْلَمَ
اللهُ أَنَّا قَدْ حَفَظْنَا غَيْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ ، وَاللهِ
لو عَلِمْتُ أَنِّي أَخِياءُ ثُمَّ أُخْرِقُ حَيًّا ثُمَّ أُذْرَى - يُفْعَلُ بِي ذَلِكَ سَبْعِينَ
مَرَّةً - مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى جِمامِي دُونَكَ ! فَكَيْفَ لا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ
قَتْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا ! » .

وقال زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ : « وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ
ثُمَّ قُتِلْتُ ، حَتَّى أَقْتَلَ هَكَذَا أَلْفَ قَتْلَةٍ : وَأَنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلِ
عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ! » .

وَتَكَلَّمَ جَمَاعَةُ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ يَشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي وَجْهِ وَاحِدٍ ، فَقَالُوا
« وَاللهِ لا نَفَارِقُكَ ، وَلَكِنْ أَنْفُسَنَا لَكَ الْقِدَاءُ ! وَنَقِيكَ بِتُحُورِنَا وَجِبَاهِنَا
وَأَيْدِينَا وَأَبْدَانِنَا ! فَإِذَا نَحْنُ قُتِلْنَا وَقَتِينَا وَقَصِينَا مَا عَلَيْنَا ! » .
وهذا القول من كلام الحسين وكلامهم مَرْوِيٌّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَى
أَيِّنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

قال (١) : وسمعتُه زَيْنَبُ أُخْتُهُ في تلك الليلة وهو في خباء له يقول - وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه - :

يا دهرُ أف لك من خليل
كَمْ لك بالإشراق والأصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قَتِيلٍ
والدهرُ لا يَقْنَعُ بالبديـلِ
وإنَّمَا الأمرُ إِلَى الجليـلِ
وَكُلُّ حَيٍّ مَالِكُ السبيلِ

فَأَعَادَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً ، فَلَمَّا سَمِعَتْهُ لَمْ تَمْلِكْ لِنَفْسِهَا أَنْ وَثَّبتَتْ تَجَرُّؤُوبَهَا وإِنَّمَا لِحَاسِرَةٍ حَتَّى انْتَهتْ إِلَيْهِه فَقَالَتْ : « وَائْكُلَادَ ! لَيْتَ الْمَوْتَ أَعَدَمَنِي الْحَيَاةَ ! الْيَوْمَ مَانَتْ فَاطِمَةُ أُمِّي وَعَلَى أَبِي وَحَسَنُ أَخِي ! يَا خَلِيفَةَ الْمَاضِي وَثِمَالِ الْبَاقِي ! » . فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ : يَا أُخْتِي لَا يَذْهَبَنَّ حِلْمُكَ الشَّيْطَانُ . قَالَتْ : يَا بَنِي وَأُمِّي أَنْتَ اسْتَقْتَلْتَ نَفْسِي فِدَاؤُوكَ ! فَرَدَّدَ غَضَبَهُ ، وَتَرَقَّرَقَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : « لَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ (٢) ! » . فَقَالَتْ : « يَا وَثِلْنَا ! أَفَتُغْصَبُ نَفْسُكَ اغْتِصَابًا ؟

(١) القائل : زين العابدين : قال : إني جالس في تلك العتبة التي قتل أبي صبيحها ، وعنتي زينب عندي تمرضني إذ اعتزل أبي أصحابه في خبائه ، وعنده حوى مولى أبي ذر الغفاري : وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول : يا دهر أف لك الخ .

(٢) تمثل بعد زهد لخدّام ابنة الديان : وله قصة ذكرها الميداني في مجمع الأمثال والمفصل بن سلمة في القاهر والماخذ في الحيوان والنبات في شواهد الكبرى وذلك أن الديان وقومه - باسم أعدائهم ليلا ، فلما كانوا قريبا منهم أثاروا القطا - من الطير - فمرت بأصحاب الديان ، فخرجت خدّام إلى قومها فقالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسبروا قلر ترك القطا ليلا لنا

فذلك أَفْرَحَ لِقَابِي وَأَشَدُّ عَلَى نَفْسِي ! . ثم لَطَمْتُ وَجْهَهَا وَأَهْوَتْ
إِلَى جَنِبِهَا فَشَقَّقْتُهُ ، ثُمَّ خَرَّتْ مَغْشِيَا عَلَيْهَا ، فَقَامَ إِلَيْهَا الْحَسَنِ
فَصَبَّ عَلَى وَجْهِهَا الْمَاءَ وَقَالَ لَهَا : « يَا أَخِيَّةُ ، اتَّقِي اللَّهَ ، وَتَعَزَّيْ بَعْزَاءِ
اللَّهِ ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ ، وَأَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لَا يَبْقَوْنَ ،
وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ ، وَيُبْعَثُ
الْخَلْقَ فَيَعُودُونَ وَهُوَ فَرْدٌ وَحْدَهُ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنِّي ، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي ،
وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي ، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ أُسْوَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ! . فَعَزَّاهَا بِهَذَا وَنَحَوَهُ ، وَقَالَ لَهَا : « يَا أَخِيَّةُ ، إِنِّي أَقْسَمُ
عَلَيْكَ فَأَبْرِي قَسَمِي ، أَلَّا تَشْقَى عَلَى جَنِبِي^(١) ، وَلَا تَخْمِشِي عَلَى
وَجْهِهَا ، وَلَا تَدْعِي عَلَى بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ » .

ثم خرج إلى أصحابه ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْرُبُوا بَيْتَهُمْ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ ، وَأَنْ يُدْخِلُوا الْأَطْنَابَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، وَأَنْ يَكُونُوا هُمْ بَيْنَ
الْبَيْتِ ، فَيَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَالْبَيْتُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَعَنْ
أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ .

قال : وقاموا الليل كله يصلُّون ويستغفرون ويدْعُونَ ويتضرَّعون .
فلما صلى عُمر بن سعد الغداة ، وذلك يوم السبت ، وهو يوم
عاشوراء ، وقيل : يوم الجمعة ، خرج فيمن معه من الناس .

== أَيْ : أَنَّ الْقَطْلَ لِرَبِّكَ مَا طَارَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، فَقَدْ أَتَاكُمْ الْقَوْمُ ، فَغَالِ دَيْسَمَ بْنَ طَارِقٍ
بَصُوتِ هَالٍ : -

إِذَا قَالَتْ حَذَامُ قَصَدُوْهَا فَبَيْنَ الْقَوْلِ مَا قَالَتْ حَذَامُ

وَهُنَاكَ بَعْضُ الرَّاِيَاتِ الْآخَرَى .

(١) أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعباً الحُسَيْن أصحابه بِالْعَدَاة (١) ، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ، فجعل زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ في ميمنته ، وحبيب بن مَظْهَر (٢) في ميسرته ، وأعطى زايته العباس أخاه ، وأمر بِحَطَبِ وقصب فألقى في مكان مخفض من ورائهم كأنه ساقية (٣) كانوا عملوه (٤) في ساعة من الليل ، وأضرَم فيه ناراً ، لِئَلَّا يُؤْتُوا من ورائهم ، فنفعهم ذلك .

وجعل عُمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزُبَيْدِي ، وعلى ميسرته شمر بن ذِي الْجَوْشَنِ ، وعلى الخيل عَزْرَةُ بن قَيْسِ الْأَخْمَسِي ، وعلى الرجال شَبِثُ بن رَبِيعٍ ، وأعطى الراية ذُوَيْدًا (٥) مَوْلَاهُ ، وجعل على رُبْعِ الْمَدِينَةِ عبد الله بن زهير الْأَزْدِي . وعلى ربع ربيعة وَكِندة قَيْسُ بن الْأَشْعَثِ بن قَيْس ، وعلى ربع مَذْحِجِ وَأَسَدِ عبد الرحمن بن أَبِي سَبْرَةَ الْخَنْفِي ، وعلى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ الْحَرَبِيِّ يَزِيدُ الرِّيَّاحِي . فشهد هؤلاء كُلُّهُمْ مقتلَ الْحُسَيْنِ إِلَّا الْحَرَّ بن يَزِيدَ : فإنه عَدَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَقُتِلَ معه على ما نذكره .

قال : ولما أَقْبَلُوا إِلَى الْحُسَيْنِ أَمَرَ بِفُسْطَاطٍ ففُضِرِبَ ، ثم أَمَرَ

(١) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ج ٤ ص ٣٢٠ « وَصَلَى بِهِمْ صَلَاةَ الْعَدَاة » .

(٢) اِخْتَلَفَتْ الْكُتُبُ فِي كِتَابَةِ هَذَا الْاسْمِ انْظُرْ مَا سَبَقَ ، وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ وَالْإِسَابَةِ ج ١ ص ٣٧٣ : ٥٢٧ .

(٣) لَمْ يَنْقُطْ فِي الْمَخْطُوطَةِ الْحَرَفَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ وَالْكَامِلِ ج ٣ ص ٢٨٦ : « سَاقِيَةٌ » وَقَدْ تَكُونُ : « سَاقِيَةٌ » وَالسَّاقَةُ : مُؤَخَّرُ الْجَيْشِ .

(٤) حَفَرُوهُ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَجَعَلُوهُ كَالْحَدِثِ .

(٥) كَذَا جَاءَ الْاسْمُ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « ذُرَيْدًا » وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ :

« ذُرَيْدًا » .

بِمِشْك ، فَمِيتٌ^(١) فِي جَفْنَةٍ عَظِيمَةٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُسَيْنُ ذَلِكَ الْفُسْطَاطَ .
وَأَسْتَعْمَلَ النُّورَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكِبَ دَابَّتَهُ ، وَدَعَا بِمُصْحَفٍ فَوَضَعَهُ
أَمَامَهُ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ تُثِقَنِي فِي كُلِّ كَرْبٍ ، وَرَجَائِي
فِي كُلِّ شِدَّةٍ ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَوَعْدَةٌ ، كَمْ مِنْ هَمٍّ
يُضْعَفُ فِيهِ الْقَوَادُ ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ ، وَيَشْمَتُ
فِيهِ الْعَدُوُّ أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَنِيَّ إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ،
فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَنِيهِ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ
حَسَنَةٍ ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ ! » .

وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْحُسَيْنِ ، فَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ تَضْطَرِّمٍ فِي الْحَطَبِ
وَالْقَصَبِ ، فَقَالَ شَمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ : يَا حُسَيْنُ اسْتَعْجَلْتَ النَّارَ
فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : يَا ابْنَ رَاعِيَةِ الْبِعْزَى
أَنْتَ أَوَّلِي بِهَا صُلِيًّا ! .

ثُمَّ رَكِبَ الْحُسَيْنُ رَاحِلَتَهُ ، وَحَمَلَ ابْنَهُ عَلِيًّا عَلَى فَرْسِهِ « لَاحِقٌ » .

ذَكَرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَبْلَ إِنْشَابِ الْحَرْبِ وَمَا وَعَظَ بِهِ النَّاسَ وَمَا أَجَابُوهُ

وَمَا تَكَلَّمَ بِهِ أَصْحَابُهُ وَمَا أَجِيبُوا بِهِ وَخَبِرَ مَقْتَلَهُ

قَالَ : وَلَمَّا رَكِبَ الْحُسَيْنُ رَاحِلَتَهُ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ نِدَاءً يُسْمَعُ
جُلُ النَّاسِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا قَوْلِي ، وَلَا تُعْجِلُونِي حَتَّى أَعْظِمَ كُمْ
بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ ، وَحَتَّى أَعْتَذَرَ لَكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ
عَذْرِي وَصَدَقْتُمْ قَوْلِي وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ وَلَمْ يَكُنْ

لكم على سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تُعطوا النصف من أنفسكم
﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ^(١) ﴾
ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ^(٢) ، ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ^(٣) ﴾ .

ثم ^(٤) حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى ملائكة الله وأنبيائه ^(٥) ، ثم قال : أما بعد ، فأنسبوني
وانظروا من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم ، وعاتبوا ، فانظروا هل
يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتي ؟ ألسنتُ ابن بنت نبيكم وابن
وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من
عند ربه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الطيار
في الجنة بجناحين يعمى ؟ أولكم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولأخي : هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟
فلن صدقتموني بما أقول ، وهو الحق ، وما تعمدت كذبا مذ علمت
أن الله يمحّط عليه أهله ويضر به من اختلقه ، وإن كذبتهموني فإن
فيكم من إن سألتهموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري

(١) مستورا ، بل أنهروه وجاهروني .

(٢) من الآية ٧١ من سورة يونس

(٣) الآية ١٩٦ من سورة الأعراف .

(٤) قال الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٢٢ وابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٨٧ :

إن أخوات الحسين لما سمعن كلامه السابق يكنين وصحن : فأرسل لأبيه أخاه العباس
وابنه عليا يسكتان ، وقال : لعمرى ليكرن بكاهن . ثم حذا الله . . . الخ .

(٥) روى الطبري عن الضحاك أنه ذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يحصى ذكره .

واقسم إنه ما سمع بتكلمنا أبيخ في منلق منه .

أو أبا سعيد الخُدْرِيَّ أو سَهْلَ بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم
أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي ولأخي ، أما في هذا حاجزٌ نكم عن سفك
دمي ؟ ! .

فقال له شمر : هو يعبد الله على حَرْفٍ إن كان يدري مايقول .
فقال له حبيب بن مظهر : « والله إني لأراك تعبد الله على سبعين حَرْفاً ،
وإني أشهد أنك صادق وأنك لا تدري ما تقول ، ، قد طَبَعَ الله على
قلبك ! » .

ثم قال الحسين : فلأن كنتم في شك من هذا القول فْتَشْكُونُ أني
ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري
منكم ولا من غيركم ! أخبروني أنطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مال
لكم استهلكته ، أو بقصاص من جراحة ؟ ! .

فلم يكلموه ، فنادى : « ياشَبَثَ بن رُبَيْعٍ ، وياحجار بن أبهر ،
ويا قيس بن الأشعث ، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا لي أن قد
أُيْنِعَتِ الثمار ، واخضر الجناب ، وطمت الجمام ^(١) ، وإنما تقدم
على جند لك مجند ، فاقبل . ؟ »

قالوا : ام نفعل قال : « سبحان الله ! بلى والله لقد فعلتم ! »

(١) طمت : بتخفيف الميم وتشديدها ، يقال « طما الماء » إذا ارتفع ،
« وطما البحر » إذا احتلأ ، ويقال : « طم الماء » إذا غمر : و « طم الشيء »
إذا كثر ، ومنه « طم الأمر » إذا عظم وتفاقم . . والجمام : ماعلا وأس المكياك
فوق طفاقة ، ويأتى « الجمام » جمعا لـ « الجلم » وهو معظم الماء والكثير من الشيء ،
ولـ « الجمة » وهي مجتمع ماء البحر ومعظم الشيء .

ثم قال : أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما أمني من الأرض .

فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حُكَم بني (١) عمك فإنهم لن يُرُوك إلا ماتحبّ ولن يصل إليك منهم مكروه . فقال له الحسين : أنت أخو أخيك (٢) ، أتريد أن يطلبك بنوها هاشم بأكثر من دم مُسلم بن عَقِيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد ! ! عباد الله ، إني عُدْتُ بربي وربكم أن ترجحون (٣) إني عُدْتُ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (٤) ! ثم أناخ راحلته ، ونزل عنها ، وأمر عقبة بن سميان فعقلها . وأقبلوا يرحلون نحوه .

فخرج زُهَيْر بن القَيْن على فرس له شاكى السلاح ، وقال : يا أهل الكوفة ، نَذَارُ لكم من عذاب الله نَذَار ، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد وولادة واحدة ، ما لم يقع بَيْننا وبَيْنكم السيف ، فأنتم للنصيحة أذل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وليأكم بذرية محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون ،

(١) كذا جاء عند الطبري ، وهو المناسب لما بعده ، وجاء في الكامل : ابن عمك ، يعني ابن زياد .

(٢) يشير إلى ما صنه أخوه محمد بن الأشعث إذا قال لمسلم بن عَقِيل . «ك الأمان : إن القوم بنوعك : وليسوا بقاتليك ولا ضاريك » ثم أقبل بمسلم إلى قصر عبيد الله بن زياد ولم يهتم عبيد الله بهذا الأمان ، وقتل مسلماً ، كما مر .

(٣) من الآية ٢٠ من سورة النحل .

(٤) من الآية ٢٧ من سورة هافر .

إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَىٰ نَصْرِهِمْ وَخِذْلَانِ الطَّاعِيَةِ ابْنِ الطَّاعِيَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ،
فَبِأَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَبِغِثْلَانِ بَكُمْ ، وَيَرْفَعُ أَيْدِيَكُمْ عَلَىٰ جُنُودِ النَّخْلِ ،
وَيَقْتُلَانِ أَمْثَالَكُمْ وَقُرَّاءَكُمْ ، أَمْثَالِ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ ، وَهَاشِي بْنِ
عُرْوَةَ وَأَشْبَاهِهِ ! »

قال : فَسَبَّوْهُ ، وَأَثْنَوْا عَلَىٰ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَدَعَوْا لَهُ ، وَقَالُوا :
وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ حَتَّىٰ نَقْتُلَ صَاحِبِكَ وَمَنْ مَعَهُ أَوْ نَبْعَثَ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ إِلَى
الْأَمِيرِ عُبَيْدِ اللَّهِ سَلَامًا .

فَقَالَ لَهُمْ : « عِبَادَ اللَّهِ ، إِنْ وَلَدَ فَاطِمَةُ أَحَقُّ بِالْوَدِّ وَالنَّصْرِ مِنْ ابْنِ
سُمَيَّةٍ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَنْصُرُوهُ فَأَعْيِذْكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَقْتُلُوهُ : خَلُّوا
بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَلَعَمْرِي إِنْ يَزِيدُ
لِيَرْضَىٰ مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ! » .

فَرَمَاهُ شَمْرُ بِسَهْمٍ وَقَالَ : اسْكُتْ ، أَسْكُتَ اللَّهُ تَأَمَّنَكَ ^(١) .
أَبْرَمْتُنَا بِكَثْرَةِ كَلَامِكَ !

فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ : « يَا ابْنَ الْبَوَالِ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ ، مَا إِلَيْكَ أَنْ تَخَاطَبَ ، إِنَّمَا
أَنْتَ بِهَيْمَةٍ ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّكَ تُحْكِمُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَتَيْنِ ، فَأَبَشِّرُ بِالْخَزْيِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ! »

فَقَالَ لَهُ شَمْرٌ : إِنْ اللَّهُ قَاتِلُكَ وَصَاحِبُكَ عَنْ سَاعَةٍ . قَالَ : « أَفَبِالْمَوْتِ
تَخَوْفُنِي ؟ فَوَاللَّهِ لَأَمُوتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخُلْدِ مَعَكُمْ ! » ثُمَّ رَفَعَ صَرِيحًا
وَقَالَ : « عِبَادَ اللَّهِ ، لَا يَغُرَّنْكُمْ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الْجِلْفُ الْجَائِزُ وَأَشْبَاهُهُ ،

(١) الذَّامَةُ : التَّعْذِيرُ وَالصَّوْتُ ، يُقَالُ « اسْكُتَ اللَّهُ فَلَمَّتْ » أَيْ : أَمَاتَ .

ثم ضرب قَرَسَه ، فلحق بالحسين ، فقال له : « جعلني الله فداك يا ابن رسول الله ، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسأبرئك في الطريق ، وجعجتُ بك في هذا المكان ، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننتُ أن القوم يردون عليك ما عرضتَ عليهم أبدا ولا يبلغون منك هذه المنزلة ! فقلت في نفسي : لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يروُن أني خرجتُ من طاعتهم ، وأما هم فسيقبلون من الحسين بعض هذه الخصال التي يَغْرِضُ عليهم ، والله لو ظننتُ أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك ! وإني قد جثتُك ثائبا مما كان مني إلى ربِّي مُواسيّا لك بنفسي حتى أموتَ بين يديك ! أفترى ذلك لي نوبة ؟ » قال : نعم يتوب الله عليك ويغفر لك .

قال : فتقدم الحرّ ، ثم قال : « أيها الأمير ^(١) ، ألا تقبلون من الحسين خُصْلَةً من هذه الخصال التي عَرَضَ عليكم فيعافاكم الله من حربه وقتاله ؟ » فقال له عمر : « قد حَرَضْتُ ، لو وجدتُ إلى ذلك سبيلا فعلتُ ! » فقال : « يا أهل الكوفة ، لأُكم الهَبْلُ ^(٢) ! دَعَوْتُمُوهُ حَتَّى إِذَا أَنَاكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ ! وزعمتُم أنكم قاتلو أنفُسكم دُونَهُ ثُمَّ عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ لَتَقْتُلُوهُ ! أَمْسَكْتُمْ بِنَفْسِهِ وَأَخَذْتُمْ بِكَظْمِهِ ^(٣) وَأَحْطَمْتُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَمَنْعْتُمُوهُ التَّوَجُّهَ فِي بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيضَةِ ، حَتَّى يَأْمَنَ وَيَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ ، فَأَصْبَحَ فِي أَيْدِيكُمْ كَالْأَسِيرِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٢٥ والكمال ج ٣ ص ٢٨٨ « أيها القوم » وهو أولُ لُتَابِيَةِ مَابَعِدِهِ .
(٢) الهَبْلُ : التكل .
(٣) الكَظْمُ : خُرج النَفس ، ويقال « أَخَذَ بِكَظْمِهِ » إِذَا أَصَابَهُ بِالكَرْبِ وَالنَمِّ .

نفعا ولا يدفع عنها ضرا ! ومنعتموه ومن معه من ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودى والنصرانى والمجوسى ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، وهامم قد صرعهم العطش ! بشس ما خلفتم محمدا فى ذريته ! لا أسقاكم الله يوم الظما إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه ! « فرموزه بالنبل ، فرجع حتى وقف أمام الحسين .

وزحف عمر بن سعد ، ثم نادى : « يا قُوَيْد ^(١) ، أذن رايته » ثم رمى بسهم وقال : اشهدوا أنى أول من رمى بسهم . . . ثم ارتقى الناس .

وخرج يسار مولى زياد بن أبيه وسالم مولى عبيد الله بن زياد ، فقالا : من يبارز ؟ فخرج إليهما عبد الله بن عمير الكلبي ، فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا له : لانهرك ، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظهر أو بربر بن خضير . وكان يسار أمام سالم ، فقال له الكلبي : « يا ابن الزانية ، أوبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ؟ وهل يخرج إليك أحد من الناس إلا هو خير منك ؟ » ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد ^(٢) ، فإنه لم يستغل به يضربه إذ شد عليه سالم فلم يأنه له ، حتى غشيته فبكره الضربة ، فأتقاه الكلبي بيده البشرى فأطار أصابع كفه اليسرى ، ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله .

وكان الكلبي هذا قد رأى النمار من أهل الكوفة يالئخيلة وهم

(١) أنظر ما سبق فى هذا الاسم .

(٢) برد ، مات .

يعرضون ليسرّحوا إلى الحسين : فقال : « والله لقد كنتُ على جهاد
أهل الشرك حريصاً ، وإنى لأرجو ألا يكونَ جهادُ هؤلاء الذين يغزّون
ابنَ بنتِ نبيّهم أيسرّ ثواباً عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين ! »
فدخل على امرأته أمّ وهب بنت عبد^(١) ، فأخبرها بما سمع وأعلمها
بما يريد ، فصوّبت رأيه وقالت : أخرجنى معك ! فخرج بها ليلاً حتى
أتى الحسين فقام معه ، فلما قتل العبدَيْن أقبل يرتجز ويقول :

إِنْ تُنْكِرُونِي فَأَنَا ابْنُ كَلْبٍ
حَسْبِي بَيْتِي فِي عَلِيمِ حَسْبِي
إِنِّي امْرُؤُ ذُو مَرَّةٍ وَعَصْنَبٍ
وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ التُّكْبِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمُّ وَهْبٍ
بِالطُّغْنِ فِيهِمْ مُقْدِمًا وَالضَّرْبِ
ضَرْبِ غُلَامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ

فأخذت امرأته أمّ وهب عموداً ثمّ أقبلت نحوه تقول له : « فإدراك
أبي وأمي ! قاتِلْ دُونَ الطُّيَّيْنِ ذُرِّيَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! »
فأقبل إليها يردّها نحو النساء . وأخذت تُجاذب ثوبه وقالت : لن
أدعَكَ دُونَ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ ! فزادها الحسين فقال : « جُزَيْتُمْ مِنْ أَهْلِ
بَيْتٍ خَيْرًا ! ارجعي رحلك الله إلى النساء فاجلبي معهنّ ، فإنه ليس
على النساء قتال . » فانصرفت إليهن .

وحمل عمرو بن الحجاج ، وهو في الميمنة ، فلماً دنا من الحسين

(١) من قبيلة النسر بن قاسط .

جَنُّوا لَهُ عَلَى الرُّكْبِ ، وَأَشْرَعُوا الرِّمَاحَ نَحْوَهُمْ ، فَلَمْ تُقَدِّمْ خَيْلُهُمْ عَلَى الرِّمَاحِ ، فَذَهَبَتِ الْخَيْلُ لِيَرْجِعَ : فَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبِيلِ ، فَصَرَعُوا مِنْهُمْ رَجَالًا وَجَرَحُوا آخَرِينَ .

وجاء عبد الله بن حَوْزَةَ التَّمِيمِي حَتَّى وَقَفَ أَمَامَ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا حُسَيْنَ ^(١) فَقَالَ : مَا تَشَاءُ ؟ قَالَ : أَبِيرُزْ بِالنَّارِ . قَالَ : « كَلَّا ، إِنِّي أَقْدَمُ عَلَى رَبِّ رَحِيمٍ شَفِيعٍ مُطَاعٍ ! مَنْ أَنْتَ ؟ » . قَالَ أَصْحَابُهُ : هَذَا ابْنُ حَوْزَةَ . قَالَ : رَبُّ حَزْزَةَ إِلَى النَّارِ ! فَاضْطَرَبَ بِهِ فَرَسُهُ فِي جَنُوكَ : فَوَقَعَ فِيهِ ، وَتَعَلَّقَتْ رِجْلَاهُ بِالرُّكَابِ ، وَنَفَرَ الْفَرَسُ ، فَمَرَّ بِهِ بِضَرْبِ بَرَأْسِهِ كُلَّ شَجَرَةٍ وَحَجَرٍ حَتَّى مَاتَ ، وَانْقَطَعَتْ فَخْذُهُ وَسَاقُهُ وَقَدَمُهُ .

ثُمَّ بَرَزَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَصَاحَ عُمَرُو بْنُ الْحِجَّاجِ بَانْنِاسٍ : « يَا حَقْمَقِي ، أَتَدْرُونَ مَنْ تَقَاتِلُونَ ؟ فُرْسَانُ الْمَصْرِ قَوْمًا مُسْتَحْيَتَيْنِ لَا يَبِيرُزُ ^(٢) لَهُمْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ، فَيَنْهَمُ قَلِيلٌ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَرَوْهُمْ إِلَّا بِالْحِجَارَةِ لَقَتَلْتُمُوهُمْ ! » فَقَالَ عُمَرُ : « صَدَقْتَ ، الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ » ^(٣) .

ثُمَّ حَمَلَ عُمَرُو بْنُ الْحِجَّاجِ عَلَى الْحُسَيْنِ مِنْ نَحْوِ الثُّغَرَاتِ ، فَاضْطَرَبُوا سَاعَةً ، فَصُرعَ مُسْلِمُ بْنُ عَوَسَجَةَ الْأَسَدِيُّ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ ^(٤) مَاتَ ، فَتَرَحَّمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « فَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَنِي نَجْبَةً - وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِرُونِي بِدُلُوكَ تَبْدِيلًا » ^(٥) .

(١) في تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٢٧ : « ياحسين ، ياحسين » .

(٢) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٣١ : « لا يبرزن » .

(٣) ومنع الناس من المجازة ، كما ذكره ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٩٠ .

(٤) مثنى الحسين إلى ربه ومثى .

(٥) من الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

وحمل شَعر بن ذى الجَوْدَ من بالمَيْسرة على من يليه من أصحاب
الحسين ، فنبتوا له وطاعنوه ، فقتل الكلبي (١) ، بعد أن قتل
رجلين آخرين وقاتل قتالا شديدا ، فكان هو القاتل الثاني من أصحاب
الحسين .

وقاتل أصحابُ الحسين قتالا شديدا ، فكانوا لا يحملون على
جانب من خيل الكوفة إلا كَشَفُوهُ ، فلما رأى ذلك عَزْرَةُ بن قيس -
وهو على خيل الكوفة - بعث إلى عمر بن سعد فقال : « ألا ترى
ما تُلْقِي خيلي منذ اليوم من هذه العِدَّةِ اليسيرة ؟ ابعث إليهم الرجال
والرِّمَّةَ ! » . فقال عمر لشبث بن ربعي : تقدِّم إليهم . فقال :
سُبْحَانَ اللَّهِ ! أتعيد إلي شيخ مُضَر وأهل المصرعائه تبعه في الرِّمَّة ؟
لم تجد من تندُّب لهذا ويُجزى عنك غيري ! » وكان لا يزالون
يُرَوْن من شَبَث الكراهة لقتال الحسين .

قال (٢) : فلما قال شَبَث ذلك دعا عمر بن سعد الحُصَيْن بن
نعمير (٣) وبعث معه المجففة (٤) وخمسائة من الرماية ، فلما دَنَوْا من
الحسين وأصحابه رَشَقُوهم بالنبل ، فلم يلبثوا أن عَقَرُوا خيولهم
وصاروا رِجَالاً كلهم .

وقاتل الناس أشدَّ قتال حتى انتصف النهار ، وهم لا يقدرّون

(١) هو عبد الله بن صير ، من بني طيم ، وقد سبق قريبا ذكره ورجزه ، وقتله مولى
زياد ومولى حبيد الله .

(٢) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٩١ .

(٣) انظر ما سبق في هذا الاسم .

(٤) المجففة : المائدة التي تُلحس : « التجفاف » من الآلات الراتية في الحرب .

على أن يأتوا الحسين وأصحابه إلا من وجه واحد ، لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض.

فأرسل عمر بن سعد رجالا يُقَوِّضُونَهَا عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ليعيطوا بهم ، فكان نفر من أصحاب الحسين الثلاثة والأربعة يتخلَّلون البيوت فيقتادون الرجل وهو يقوِّض وينهب . فأمر بها عمر بن سعد فأحرقت ، فقال الحسين : « دعوهم يحرقوها ، فإنهم إذا أحرقوها لا يستطيعون أن يجوزوا إليكم منها ! » . فكان ذلك كذلك : وجعلوا لا يقانئونهم إلا من وجه واحد .

وخرجت أم وهب امرأة الكلبي تمشي إلى زوجها ، حتى جلست عند رأسه ، فجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول : هنيئاً لك الجنة ! فقال شمر لغلام اسمه رستم : اضرب رأسها بالعمود . فضرب رأسها ، فشذَّخه ^(١) ، فماتت مكانها .

وحمل شمر حتى بلغ قُسطاط. الحسين ونادى : « على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله » . فصاح النساء وخرجن من القُسطاط . وصاح به الحسين ودعا عليه ^(٢) ، فردَّه شُبَّان بن ربعي عن ذلك : وحمل زهير بن القين في عشرة من أصحابه على شمر ومن معه فكشفهم [عن البيوت حتى ارتفعوا عنها] ^(٣) وقتلوا أبا عزة الضُّبَّاني من أصحاب شمر ، وعطف الناس عليهم فكثروهم ^(٤) ،

(١) شذَّخه (يشديد الذال أو تخفيفها) : كسره .

(٢) قال : « يا ابن ذي الجوشن ، أنت تدمو بالنار لتبرق بيتي على أهل حركك أنت بالنار » .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٤) فأقروهم بكثرتهم .

فقال أبو ثُمَامَةَ عَدُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّائِلِيُّ لِلْحُسَيْنِ : « يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ،
نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ ، إِنْ أَرَى هَؤُلَاءِ قَدْ اقْتَرَبُوا مِنْكَ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تُقْتَلُ حَتَّى أَقْتُلَ
دُونَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ! وَ أَحِبُّ أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَقَدْ صَلَّيْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي قَدْ دَنَا
وَقْتُهَا ! » فِدَعَا ^(١) . لَهُ الْحُسَيْنُ وَقَالَ : نَعَمْ هَذَا أَوَّلُ وَقْتُهَا . ثُمَّ قَالَ سَلُّوهُمْ
أَنْ يَكْفُوا عَنَّا حَتَّى نَصَلِّيَ . ففعلوا ، فقال لهم الحُصَيْنُ بْنُ نُعَيْرٍ :
إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ . فَسَبَّ حَبِيبَ بْنَ مَظْهَرٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْحُصَيْنُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ
حَبِيبُ بْنُ مَظْهَرٍ ، فَضْرَبَ وَجْهَ فَرَسِهِ بِالسَّيْفِ ، فَثَسَّبَ ، فَسَقَطَ عَنْهُ
الْحُصَيْنُ ، فَاسْتَنْقَذَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَاتَلَ حَبِيبٌ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلَ بِدِيلٍ
بِهِ صَرِيمُ التَّمِيمِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ آخَرُ مِنْ تَمِيمٍ ، فَطَعَنَهُ ، فَوَقَعَ ، فَذَهَبَ لِيَقُومَ ،
فَضْرَبَهُ الْحُصَيْنُ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ ، فَوَقَعَ ، فَتَرَلَّ إِلَيْهِ التَّمِيمِيُّ
فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ .

فقال حسين عِنْدَ ذَلِكَ ^(٢) : أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ أَصْحَابِي !

وَحَمَلَ الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ وَزُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلَ
الْحُرُّ ، وَقَتَلَ أَبُو ثُمَامَةَ الصَّائِلِيُّ ابْنَ عَمِّ لَهُ كَانَ عَدُوَّهُ .

ثُمَّ صَلَّى الْحَبِيبِيُّ صَلَاةَ الظُّهْرِ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا
بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَاسْتَدَّ قِتَالَهُمْ ، وَوُصِلَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَاسْتَقْدَمَ سَبْعَ عِدِينَ
عَبْدَ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ أَبَامَهُ ، فَاسْتَهْدَفَ لَهُمْ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ حَتَّى سَقَطَ .
وَقَاتَلَ زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ قِتَالًا شَدِيدًا وَجَعَلَ يَقُولُ :

(١) قَالَ الْحُسَيْنُ : « ذَكَرْتُ الصَّلَاةَ ، جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذَّاكِرِينَ » .

(٢) عِبَادَةُ الْعَبْرِيِّ وَابْنُ الْأَثِيرِ : « لَمَّا قَتَلَ حَبِيبُ بْنُ مَظْهَرٍ هَذَا ذَلِكَ حُسَيْنًا ، وَقَالَ

أنا زهير وأنا ابن القَيْنِ
أذودهم بالسيف عن حسين
وجعل يضرب على منكب الحسين ويقول !

أقدم هديت هاديا مهدينا
فاليوم تلقى جدك النبيينا
وحسنا والمرضى عليا
وذا الجناحين^(١) الفتى الكمي
وأمد الله^(٢) الشهيد الحيا

قال : فحمل على زهير كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن
أوس فقتلاه .

قال : وكان نافع بن هلال البجلي^(٣) قد كتب اسمه على أفواق^(٤)
نبله ، وكانت مسمومة ، فقتل بها اثني عشر رجلا يسوي من جرح ،
فضرب حتى كسرت عضده ، وأخذ أسيرا ، فألقى به شبر عمر
ابن سعد والدم يسيل على لحيته ، فقال له عمر : « ويحك يا نافع !
ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ » قال : « إن ربي يعلم ما أردت !
والله لقد قتلت منكم اثني عشر يسوي من جرح ، وما ألوم نفسي ،

(١) ذو الجناحين جعفر ابن أبي طالب ، هم الحسين ، استشهد بمؤتي من أرض
الشام مجاهدا لروم مقبلا غير مدبر ، في جسده بضع وتسعون بين طلعة ورمية ، وقدرأ
النبي صلى الله عليه وسلم ذا جناحين مضرجين بالدم يطير مع الملائكة في الجنة ، وفيه رمز
لطيف ، لأنه قاتل حتى قطعت يده .

(٢) أمد الله : حمزه بن عبد المطلب ، هم النبي وأبي الحسين : استشهد بأحد ،
ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم « أمد الله » .

(٣) في تاريخ الطبري : « الجمل » .

(٤) أفواق : جمع فوق (بضم اللام) وهو مشق رأس السهم حيث يقع الرتر .

ولو بقيت لي عضدٌ وساعدٌ ما أسرعوني ! ، فقال له شمر : اقتله
أصلحك الله . قال : أنت جئتَ به فإن شئتَ فاقتله . فانتفضى (١)
شمر سيفه ، فقال له نافع : « أما والله لو كنتَ من المسلمين لعظمَ
عليك أن تلقى الله بدمائنا ! فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدِ
شرار خلقه ! » فقتله .

ثم حمل شمر على أصحاب الحسين ، فلما رأوا أنهم قد كثروا
وأهم لا يقدرّون على أن يمنعوا الحسين تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ،
فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزة الغفاريان فقالا : قد جازنا
العدو وإليك فأحببنا أن نقتل بين يديك ! فرحب بهما ، وقال : اذنوا
منى فدنوا منه ، فجعللا يقاتلان قريباً منه .

وجاءه الفتيان الجابريان : سيف بن الحارث بن سريع ومالك
ابن عبد بن سريع ، وهما ابنا عم وأخوان لأم ، وهما يبكيان ، فقال :
« ما يبكيكما ؟ » والله إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرى عين ! »
قالا : « والله ماعلى أنفُسنا نبكى ، ولكننا نبكى عليك ! نراك قد
أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك ! » . فقال : جزاكم الله خيراً ! (٢)

وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي فوقف بين يدي الحسين ،
وجعل ينادى : « يا قوم ، إني أخاف عليكم مثلَ يومِ
الأحزاب ، مثلَ دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
وما الله يُريدُ ظُلماً للعباد ، ويا قوم إني أخافُ عليكم يومَ التناد ،

(١) انتفضى سيفه : استل سيفه من غده .

(٢) دوى الطبرى قول الحسين لما : « جزاكم الله يا ابني أخى بوجه كما من ذلك

ومراسمكما إلهى بأنفسكما أحسن جزاء لمتين » .

يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١١﴾ يَا قَوْمِ لَا تَقْتُلُوا الْحُسَيْنَ فَيُشْحَتَكُمْ ^(٢) اللَّهُ بِعَذَابٍ وَاقِدٍ عَذَابُ مَنْ افْتَرَى ! » . فقال له الحسين : « رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا الْعَذَابَ حِينَ رَدُّوا عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَنَهَضُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَبِيحُوكَ ، فَكَيْفَ بِهِمُ الْآنَ وَقَدْ قَتَلُوا إِخْوَانَكَ الصَّالِحِينَ ؟ ! » قال : « صَدَقْتَ أَفَلَا نَرْوُحُ إِلَى رَبِّنَا وَنُلْحِقَ بِإِخْوَانِنَا ؟ ! » . قال : رُحْ إِلَى خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِلَى مُلْكٍ لَا يَبُلَى . فَسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ وَاسْتَقْدِمَ فِقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثم استقدم الفتيان الجابريان ، فودعا حسيناً ، وقاتلا حتى قُتلا .

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر إلى الحسين ، فسَلِّمًا عليه ، وتقدما فقاتلا ، فقتل شوذب ، وتقدم عابس نحوهم بالسيف ، وبه ضربة على جبينه ، وكان أشجع الناس ، فجعل ينادى : « أَلَا رَجُلٌ لِرَجُلٍ ؟ » . فعرفه ربيع بن تميم الهمداني ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، هَذَا الْأَسَدُ الْأَسْوَدُ ، هَذَا ابْنُ أَبِي شَبِيبٍ ، لَا يَخْرُجَنَّ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْكُمْ ! » . فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة . فرموه من كلِّ جانب ، فلما رأى ذلك ألقى دِرْعَهُ وَمِقْفَرَهُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى النَّاسِ ، فَهَزَمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ عَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَفَقَتَاوَهُ ، فَادَّعَى قَتْلَهُ جَمَاعَةٌ وَأَتَوْا ابْنَ سَعْدٍ ، فَقَالَ : « لَا تَخْتَصِمُوا

(١) من الآيات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ من سورة غافر .

(٢) جاء في الآية ٦٠ من سورة طه : « ... فَيُشْحَتُكُمْ بِعَذَابٍ ، وَقَدْ غَابَ مَنْ افْتَرَى »

هذا لم يقتله إنسان واحد ! : ففرق بينهم [بهذا القول] (١) .

وجاء أبو الشعثاء يزيد بن أبي زياد الكندي ، وكان رامياً ،
فجثا على ركبتيه بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ماسقط منها
خمسة أسهم ، وكان يزيد هذا ممن خرج مع عمر بن سعد ، فلما
رؤوا ما عرّض عليهم الحسين عدل إليه ، فقاتل حتى قُتل .
وكان آخر من تبقّى مع الحسين من أصحابه سُويد بن عمرو
ابن أبي المطاع الخثعمي .

وكان أول قتيل من بني أبي طالب يومئذ علي الأكبر ابن الحسين ،
وأمه ليلى ابنة أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية ، وذلك أنه حمل
على الناس وهو يقول :

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحكمُ فينا ابن الدعي

فعل ذلك مرارا وهو يشدُّ على الناس بسيفه ، فاعترضه مرة بن
منقلد بن النعمان العبدي ، وطعنه ، فضرع ، وقطعه الناس بأسيا ففهم ،
فقال الحسين : « قتل الله قوما قتلوك يابئتي ! ما أجراًهم على الله
وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بعدك العفاء ! » وأقبل الحسين
إليه ومعه فتياه فقال : احملوا أخاكم . فحماوه حتى وضعوه بين (٢)
يدي القسقاط الذي كانوا يقتلون أمامه .

(١) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٢٩ .

(٢) هنا ينتهي ما كان يضاف في النسخة (ك) وثبت في النسخة (ن) ، مع مراجعته على ما
أثبت ابن جرير الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل . انظر ما سبق ص ٤٢١

وشد عثمان بن خالد الجهني وبشر بن سوط. الهمداني على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب [فقتلاه ، ورمى عبد الله بن عزة الخثعمي جعفر بن عقيل بن أبي طالب] ^(١) وقتلاه ، ورمى عمرو بن صبيح الصدائي عبد الله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته فلم يستطيع أن يحركها ثم رماه بسهم آخر فقتله .

وحمل الناس عليهم من كل جانب ، فحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله ، وحمل القاسم بن الحسن ابن علي فحمل عليه عمرو بن سعد بن نضيل الأزدي : فضرب رأسه بالسيف فوق القاسم إلى الأرض لوجهه ، وقال : باعماة ! فانقض الحسين إليه كالصقر ، ثم شد شدة لثأ غضب ، فضرب عمرا بالسيف ، فأنقاه بالساعد ، فقطع يده من المرفق : فصاح ، وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرا ، فاستبقته بصلدورها . وجالت عليه بغرمائها ، فوطئته حتى مات ، وانجلت الغبرة والحسين قائم على رأس القاسم وهو يفحص برجليه . والحسين يقول : « بُعْداً لِقَوْمٍ قَتَلُواكَ وَمِنْ خَصْمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [فيك] ^(٢) جَدُّكَ ! » ثم قال : « عزَّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك . وأن يجيبك فلا ينزعك صوتُ والله كثيرَ وائره وقلَّ ناصره ! » ثم احتمله على صدره حتى ألقاه مع ابنه علي ومن قُتِلَ من أهل بيته .

قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار ، كلماً انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله وعظيم إثمه ، فأتاه رجل من

(١) ثبت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤١ والكامل ج ٣ ص ٢٩٣ .

كِنْدَةَ يقال له «مالك بن النسيير» فضربه على رأسه بالسيف ، فقطع
 البُرْنُس ، وأذمى رأسه ، وامتلاً البُرْنُس دَمًا ، فقال له الحسين :
 « لا أكلتَ بها ولا شربتَ ! وحشرك الله مع [القوم] ^(١) الظالمين ! »
 وألقى ذلك البرنس ، ثم دعا بقلنسوة فلبسها واعتم . وجاء الكِنْدِيُّ
 فأخذ البُرْنُس وكان من خَزٍّ ، فقدم به على امرأته ، وأقبل يمسكه
 من الدم ، فقالت له : « أَسْلَبُ ^(٢) ابن بنت رسول الله يدخل
 بيبي ؟ أخرجه عنى ! » فلم يزل ذلك الرجل فقيرًا بشر حتى مات .
 قال : ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير ، فأجلسه في حجره
 فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه ، فأخذ الحسين دمه بيده فصَبَّه
 في الأرض ، ثم قال : « اللهم رَبِّ إِن كُنتَ حَبِستَ عنا النصر من
 السماء فاجعلْ ذلك لما هو خير ، وانتقمْ من هؤلاء الظالمين ! » ورمى
 عبد الله بن عَقْبَةَ الغَدَوَى أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله ، وقتل
 إخوة الحسين وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان .

قال : واشتدَّ عطشُ الحسين : فدنا من القُرَات ليشرب فقال رجل
 من بني أُبَانَ بن دَارِم : « وَيْلَكُمْ ! حُولُوا بينه وبين الماء » ،
 وضرب فرسه ، واتبعه الناس حتى حال بينه وبين القُرَات ،
 فقال الحسين : اللهم أظمئه ! وانتزع الأباني سَهْمَا فَأَثْبَتَهُ فِي حَنَكِ
 الحسين ، فانتزع الحسين السهم ، ثم بسَطَ كَفَّيْهِ فَأَمْتَلَا دَمًا ؛ فقال
 اللهم إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ مَايُفْعَلُ بَابِنِ بِنْتِ نَبِيِّكَ ، اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا
 واقتلهم بَدَدًا ^(٣) ، ولا تبق منهم أحدا . وقيل أن الذي رماه حصين

(١) ثبت هذه الزيادة في النسخة (ك) ولم تثبت في النسخة (ن) .

(٢) السلب : ما يؤخذ سليما .

(٣) أي متفرقين في القتل واحدا بعد واحد .

ابن نمير : قال : فما مكث الذي رماه إلا يسيراً ، ثم صب الله عليه الظمأ فجعل لا يبرؤى ، والماء يبرّد له فيه السكر ، وعَسَسُ^(١) فيها لبن ، وقبّل فيها الماء ، وإنه ليقول : ويلكم ؛ اسقوني ، فتلنى الظمأ ؛ فيعطى القلّة أو العُسن فيشربه ، فإذا شربه اضطجع هنيهة ، ثم قال : ويلكم ، اسقوني فتلنى الظمأ ، فيعطى القلّة والعُسن فيشربه ، فما لبث إلا يسيراً حتى انقضى بطنه انقداد بطن البعير .

قال : ثم إن شير بن ذى الجوشن أقبل في نحو عشرة من رجاله أهل الكوفة قبّل منزل الحسين الذي فيه أهله وعياله ، فمشى نحوهم فحاثوا بينه وبين رَحْء : فثان : ويلكم ؛ إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم العاد فكونوا في دنياكم أحراراً ذوّي أحساب ، امنوا رحلي وأهلي من طعّامكم وجهاً لكم . قال شير : ذلك لك يا ابن فاطمة . وأقدم شعر عليه بالرجالة منهم أبو الجنوب عبد الرحمن الجعفي ، وصالح بن وهب البزقي ، وسنان بن أنس النخعي ، وخولي بن يزيد الأصبحي ، وجعل شير يحرضهم على الحسين ، وهو يحمل عليهم فينكشفون عنه : ثم أحاطوا به : وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذته زينب بنت عليّ لتحبسه ، فأبى الغلام : وجاء يشتد حتى قام إلى جنب الحسين ، وقد أذوى بن كعب بن عبيد الله - من بني تميم الله بن ثعلبة - إلى الحسين بالسيف ، فقال له الغلام : يا ابن العبيثة أنتقتل عُمى ؟ ! فضربه بالسيف فاتّقاء الغلام بيده ، فأطنّها^(٢) إلى الجلدة^(٣) ، فنادى الغلام :

(١) عَسَسَ : جمع عَس ، وهو القلع الناعم .

(٢) أطنّها : قطعها .

(٣) فإذا يده معلقة .

يا أُمّاه ، فضمه الحسين إليه وقال : « يا ابن أختي اصبري على منازل بك ، واحتسبي في ذلك الخير ، فإن الله يلحقك ببائتاك الصالحين : برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى وحدة وجعفر والحسن » ثم قال الحسين : « اللهم أمسك عنهم قَطْرَ السماء ، وامنعهم بَرَكَاتِ الأرض ، اللهم فإن متعتهم إلّا حين ففرقهم فِرْقًا ، واجعلهم ظرائقَ بَدَدًا ، ولا ترزقهم الولادة أبدا ، فإنهم دعونا لينصرونا ، فعدّوا علينا فقتلونا ! » ثم ضارب الرجالة حتى انكشفوا عنهم .

قال : ودنا عمر بن معدن الحسين فخرجت زينب بنت علي أخت الحسين فقالت . يا عمر ، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ؟ فجعلت دهوع عمر تسميل على خديّه ولحيته ، وصرف وجهه عنها .

ومكث الحسين طويلا من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتنمى بعضهم ببعض ، ويحبّ هؤلاء أن يكتنهم هؤلاء ، فنادى شور ابن ذي الجوشن في الناس : ويحكم ، ماتنظرون بالرجل ؟ ! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم ! فحملوا عليه من كل جانب ، فضرب زُرْعَة بن تريك كفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو ، وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوق ، وقال لخنو بن يزيد الأصبحي احتز رأسه ، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد ، فقال له سنان : فتّ الله عضدك ، وأبان يدك ، ونزل إليه فذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولي .

وسلب الحسين ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، فكانت

يداه في الشتاء تضحخان الماء ، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود. وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وهي من خَزٍّ ، فكان يُسَمَّى بعد « قيس قطيفة » . وأخذ نعلبه الأسود الأودي ، وأخذ سيفه رجل من بني نَهْشَل . ومال الناس على الورس والحُلل والإبل فانتهبوها ، وانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ، حتى إن كانت المرأة لتُنازَع ثوبها فيؤخذ منها .

ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة ، وأربع وثلاثون ضربة ، وكان سُويْد بن عمرو بن أبي المطاع قد صُرع ، فوقع بين القتلى مُنْخِذاً بالجراح ، فسمعه يقولون : قُتل الحسين فوجد خِيفَةً فوثب ومعه سكين فقاتلهم بها ساعة ، ثم قتله عروة بن بطان النعلبي ، فكان آخر قتيل من أصحاب الحسين

قال . وانتهبوا إلى علي بن الحسين ودوزين العابدین ، فأراد شمر قتله وكان مريضاً فمنعه حُمَيْد بن مسلم ، وجاء عمر بن سعد فقال : لا بدخان بيت هؤلاء النسوة أحد ، ولا يعرضن لهذا الغلام المريض : ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم ، فمادّ أحد شيئاً ، فقال الناس لِسنان بن أنس : « قتلت حسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ، قتلت أعظم العرب خطراً ، أراد أن يزيل ملك هؤلاء ، فأنت أمراءك فاطميت ثوابك منهم ، فإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتله كان قليلاً » فأقبل على فرسه حتى وقف على باب قُسطاط. عمر بن سعد ، ثم نادى بأعلى صوته :

أَوْفَرُ رَكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبَا (١)
 قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمَّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا
 فقال عمر بن سعد : أشهد أنك مجنون ، أدخلوه ، فلما دخل
 حذفه بالقضيب وقال : يا مجنون أنتظم بهذا الكلام ؟ لو سمعتك ابن
 زياد لَضَرَبَ عَنْقَكَ . وقيل : إنه قال ذلك لعبيد الله ابن زياد ، فقال :
 فإن كان خير الناس أُمَّا وَأَبَا فلم تقتله ؟ وأمر به فضربت عنقه ،
 خسر الدنيا والآخرة .

ذكر تسمية من قتل مع الحسين بن علي

رضي الله عنهما ومن سلم ممن شهد القتال

قال : ولما قُتِلَ الحسين جاءت كِنْدَةُ بِثَلَاثَةِ عَشَرَ رَأْسًا وَصَاحِبِهِمْ
 قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَجَاءَتْ هَوَازِنُ بِعِشْرِينَ رَأْسًا ، وَصَاحِبِهِمْ
 مُسِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ ، وَجَاءَتْ بَنُو نَعِيمٍ بِسَبْعَةِ عَشَرَ رَأْسًا ، وَجَاءَتْ
 بَنُو أَسَدٍ بِسِتَّةٍ ، وَجَاءَتْ مَذْحِجٌ بِسَبْعَةٍ ، وَجَاءَ سَائِرُ الْجَيْشِ بِسَبْعَةٍ ،
 فَذَلِكَ سَبْعُونَ رَأْسًا .

منهم إخوة الحسين ستة ، وهم : العباس ، وجعفر ، وعبد الله ،
 وعثمان ، ومحمد - وليس هو ابن الحنفية - وأبو بكر ، أولاد
 علي بن أبي طالب

ومن أولاد الحسين : علي ، أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة الثقفي ،
 وعبد الله ، وأمّه الرِّبَابُ بنت امرئ القيس الكلبي .

(١) في النسخة (ن) وروايت الطبري والكمال : « المحجبا » وهو المشهور ، وفي

النسخة (ك) : « المحتجبا » .

ومن أولاد الحسن بن عليّ ثلاثة : وهم أبوبكر ، وعبد الله ، والقاسم .

ومن أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : عون ، ومحمد .

ومن أولاد عقيل بن أبي طالب : جعفر ، وعبد الرحمن ، وعبد الله ،
ومسلم بالكوفة

ومن موالى الحسين : سليمان ، ومنجج .

وتكملة من قُتل من اتبعه ، وقد ذكرنا بعضهم بأسمائهم في أثناء
هذه القصة .

وأما من سلم منهم : فالحسن بن الحسن ، وعمر بن الحسن
لصغرهما ، وعليّ بن الحسين لمرضه ، والضحاك بن عبد الله المشرق ،
وذلك أنه جاء إلى الحسين فقال : « يا ابن رسول الله ، قد علمت
أنى قلت لك : إني أقاتل عنك ما رأيت مقاتلاً ، فإذا لم أرمُ مقاتلاً فأننا
في جُلٍّ من الانصراف » فقال له الحسين : « صدقت ، وكيف لك
بالنجاة ؟ إن قدرت عليه فأنت في جُلٍّ » وذلك بعد أن فنى أصحاب الحسين ،
قال الضحاك : فأقبلت إلى فرسى وكنت قد تركته في خيأ حيث
رأيتُ خيل أصحابنا تُعقر ، وقاتلت راجلاً ، فقتلت رجلين ،
وقطعت يد آخر ، ودعا لي الحسينُ مراراً قال : فاستخرجت فرسى
واستويّت عليه ، وحملت على عرض القوم فأفرجوا لي ، وتبغى
منهم خمسة عشر رجلاً ، فقتلهم ، فسَلِمْتُ .

ومنهم عقبة بن سميان مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبي
امرأة الحسين ، أخذه عمر بن سعد فقال : ما أنت ؟ فقال : أنا عبد

مملوك فخلّى سبيله ، فنجّا . ومنهم الرقع ^(١) بن تمامة الأسدي ، وكان قد نثر نبله فقاتل فجاءه نفر من قومه فأمّنتوه ، فخرج إليهم فلما أخبر ابن زياد به نفاه إلى الزارة ^(٢) .

ذكر ما كان بعد مقتل الحسين

مما هو متعاقب هذه الحادثة

قال : ولما قُتل الحسين نادى عمر بن سعد في أصحابه : من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه ، فانتدب له عشرة ، منهم إسحاق بن حيوة الحضرمي ، وهو الذي سلّب قديص الحسين فبرّص بعد ذلك ، فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصلوه .

قال : ودفن جُثة الحسين وجثث أصحابه أهل الغاصرية من بني أسد بعد ما قتلوا بيوم .

وقتل من أصحاب ابن سعد ثمانية وثمانون رجلاً يسوى الجرحى ، فصلّى عليهم عُمر ودفنهم .

قال : وسرح عمر برأس الحسين من يومه ذلك مع خوّلى بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبّيد الله بن زياد ، فأقبل به خوّلى فوجد باب القصر مغلقاً ، فألقى منزله فوضعه تحت إجمانة ^(٣) في الدار ، ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه ، فقالت له امرأته وهي النّوّار بنت مالك الحضرميّة : ما الخبر ؟ قال : جثتك بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين منك في الدار ، قالت : فقلت : ويحك ! جاء الناس

(١) كذا في النسخة «ك» ، وفي النسخة «ن» : «الرقع» ، وفي شرح القاموس :

رقع ، كزبر ، الأسدي .

(٢) الزارة : قرية بالبحرين . (٣) إجمانة : إناة تفسل فيه الثياب .

بالذهب والفضة وجثت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا ، قالت : فقامت من فراشي
فخرجت وجلست أنظر ، فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود
من السماء إلى الإحانة ، ورأيت طيرا بيضا ترفرف عليها ^(١) ، فلما
أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد .

وقيل : بل الذي حمل الرأس شمر بن ذى الجوشن ، وقيس ،
ابن الأشعث ، وعمرو بن الحجاج ، وعزرة بن قيس ، فجلس
ابن زياد ، وأذن للناس فأحضرت الزووس بين يديه ، فجعل ينكت
بقضيب بين ثنيتي الحسين ، فلما رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه ،
قال له : اغل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين ، فوالله الذي لا إله
غيره لقد رأيت شفقتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين
الشفقتين يقبلهما ! ثم بكى : فقال له ابن زياد : أبكى الله عينك ،
فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك .
فخرج وهو يقول : أنتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن
فاطمة وأمرتم ابن مرجاته ، فهريقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم
بالذل ^(٢) فبعد المن رضي بالذل قال : وأقام عمر بن سعد يومه هذا والغد ، ثم
أذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة ، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ،
ومن كان معه من الصبيان ، وعلى بن الحسين مريض ، فاجتازوا به على
الحسين وأصحابه صرعى ، فصاح النساء ولطمن الخلود ، وصاحت
زينب أختها : « يا محمداه ! صلى عليك ملائكة السماء ، هذا حسين

(١) كلما جاء في النسخة (ك) : وجاء في النسخة (ن) : وحوا .

(٢) ثبتت هذا العبارة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

بالعراء مُرْمِلٌ ^(١) بالدماء مقطَّع الأعضاء ! يا مُحمداه ! وبناتك سَبايا !
 وذُرَيْتِكَ مَقْتَلَةٌ تُسْفِي عَلَيْهَا الصُّبَا ! ، فَأَبَيْتَ كُلَّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ .
 قال : ولما أَدْخَلُوا عَلَى عبيد الله لِبَسْتَ زَيْنَبَ أَرْذَلَ ثِيَابَهَا وَتَنَكَّرَتْ ،
 وَحَفَّ بِهَا إِمَاؤُهَا ، فَقَالَ عبيد الله : من هذه الجالسة ؟ فلم تَكَلِّمْهُ
 حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَهِيَ لَا تَكَلِّمُهُ ، فَقَالَ بَعْضُ إِمَائِهَا : هذه زَيْنَبُ بِنْتُ
 فَاطِمَةَ ، فَقَالَ لَهَا ابْنُ زِيَادٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتْلَكُمْ وَأَكْذَبَ
 أَخَذُوثَكُمْ . فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَطَهَّرَنَا تَطْهِيرًا لَا كَمَا نَقُولُ ، إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ
 الْفَاجِرُ . قال : فَكَيْفَ رَأَيْتَ صُنْعَ اللَّهِ بِأَهْلِ بَيْتِكَ ؟ قالت : كَسَبَ
 عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مُضَاجِعِهِمْ ، وَسَبَّجَ أُمَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ
 فَتَحَاجَّوْنَ إِلَيْهِ وَتَخَاصِمُونَ عِنْدَهُ ، فَغَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ وَاسْتَشْطَبَ ،
 ثُمَّ قَالَ لَهَا : قَدْ سَفَى اللَّهُ نَفْسِي مِنْ طَاغِيَتِكَ وَالْعَصَاةِ الْمَرْدَّةِ مِنْ أَهْلِ
 بَيْتِكَ . فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَعَزَى لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي وَأَبْرَزْتَ أَهْلِي وَقَطَعْتَ
 فِرْعَى وَاجْتَنَنْتَ أَصْلِي ، فَإِنْ يَشْغِكَ هَذَا فَقَدْ اسْتَفَيْتَ . فَقَالَ لَهَا
 عبيد الله . هذه شَجَاعَةٌ فَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ شَجَاعًا ، قَالَتْ : مَا لِلْمَرْأَةِ
 وَالشَّجَاعَةِ ؟ إِنْ لِيَ عَنِ الشَّجَاعَةِ لَشُغْلًا . وَنَظَرَ عبيد الله إِلَى عَلِيِّ بْنِ
 الْحُسَيْنِ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : أَوْلَمْ
 يَقْتُلِ اللَّهُ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَسَكَتَ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ يَادٍ : مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟
 قَالَ : قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يَقَالُ لَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ النَّاسُ ، قَالَ : إِنْ اللَّهُ قَتَلَهُ ،
 فَسَكَتَ عَلِيٌّ ، فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَكَّى الْأَنْفُسَ

(١) مرمِل : مطلق .

حين موتيها» (١). ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢)
 قال : أنت والله منهم ، ثم قال لرجل : ويحك انظر هذا هل أدرك ؟
 والله إلى لأحسبه رجلا ، فكشف عنه مومي بن معاذ الأحمرى فقال :
 نعم قد أدرك ، قال : اقتله ، فقال علي : من توكل هؤلاء النسوة ؟
 وتعلقت به زينب عمتي ، فقالت : يا ابن زياد حَسْبُكَ مِنَّا أَمَا رَوَيْتَ
 مِن دماننا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ واعتنقته وقالت : أسألك بالله
 إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلتي معي ، وقال علي : يا ابن زياد إن
 كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحة
 الإسلام . فنظر إليهن ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : يا عجباً للرجم
 والله إلى أظنها ودّت لو أتي قتلته أتي قتلتها معي ، دَعُوا الغلام ،
 انطلق مع نسائك .

ثم نودي : « الصلاة جامعة » فاجتمع الناس في المسجد الأعظم
 فصعد ابن زياد المنبر ، فقال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر
 أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب
 الحسين بن علي وشيعته ، فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي :
 وكان من شيعة علي ، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي ،
 والأخرى بصيفيين معه ، وكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم ، يصلي
 فيه إلى الليل ثم ينصرف ، فقال : يا ابن مَرْجَانَةَ إِنَّ الكذاب ابن
 الكذاب أنت وأبوك ، والذي ولاك وأبوه ، يا ابن مرجانة تقتلون
 أبناء النبيين ، وتكلمون بكلام الصديقين . فقال ابن زياد : علي

(١) من الآية ٤٢ من سورة الزمر .

(٢) من الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .

به ، فوثبت عليه الجلاوة^(١) فأخذه ، فنادى بشعار الأزد « يامبرور »
فوثبت إليه فئة من الأزد ، فانتزعوه ، وأتوا به أهله ، فأرسل إليه
من أتاه به فقتله ، ثم أمر بصلبه في السبحة^(٢) فصلب .

قال : وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة .

قال : ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورووس أصحابه مع
زخر بن قيس إلى يزيد بن معاوية ومعه جماعة ، وقيل : مع شمر
وجماعة ، وأرسل معهم النساء والصبيان ، وفيهم على بن الحسين ،
وقد جعل ابن زياد الغل في يديه وعنقه ، وحملهم على الأتخاب ، فلم
يكلمهم على في الطريق ، فدخل زخر بن قيس على يزيد فقال له :
« ماوراءك وملك وما عندك ؟ » قال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك
ونصره ، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين
من شيعته ، فسرنا إليهم فسالناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم
الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فغدونا عليهم
مع شروق الشمس فأحطناهم من كل ناحية ، حتى أخذت السيوف
مأخذها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير وزر^(٣) ، ويلوذون
منا بالآكام والحفر لوأدا^(٤) كما لا ذحمائم من صقر ، فوالله يا أمير
المؤمنين ما كان إلا جزر جزور^(٥) ، أو نومة قائل^(٦) حتى أتينا

(١) الجلاوة : الشرطة .

(٢) السبحة : موضع بالبصرة .

(٣) الوزر : الملجأ .

(٤) لوأدا : التجاء .

(٥) الجزر : النحر ، والجزور : القتي من الإبل .

(٦) القائل : النائم وقت الظهيرة .

على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجردة ، وثيابهم مرملة ^(١) ، وخلودهم
 مغفرة ^(٢) ، نصهرهم الشمس وتسقى عليهم الريح ، زوارهم العقبان
 والرخم يقي ^(٣) سبب . قال : فدمعت عينا يزيد وقال : كنت
 أرضى من طاعتكم بلون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية ، أما والله لو أرى
 صاحبه لعفوت عنه ، فرحم الله الحسين . قال : ولما وصل على بن الحسين
 ومن معه والرأس إلى دمشق ، وقف مُحَضَّر بن ثعلبة العائذي ، وكان
 عبيد الله قد تركهم معه ومع شمر على باب يزيد بن معاوية ، ثم رفع
 صوته وقال : هذا مُحَضَّر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين بالثام الفجرة ، فأجابه
 يزيد ما ولدت أم مُحَضَّر شرًّا وألأم ، ولكنه قاطع ظلوم . ثم دخلوا على
 يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه ، فسمعت الحديث هندُ
 بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وكانت تحت يزيد ، فتقنعت بنوبها
 وخرجت فقالت : يا أمير المؤمنين رأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول
 الله ؟ قال : نعم فَنَعُولِي عليه وحِدِّي على ابن بنت رسول الله وصريحة
 قريش ، عجل عليه ابن زياد فقتله ، قتله الله ، ثم أذن للناس فدخلوا
 عليه ، والرأس بين يديه ، ومعه قضيب وهو ينكت في ثفره ،
 ثم قال : إن هذا وأنا كما قال الخُصين بن الحُمام :

أَبْرَ قَوْمُنَا أَنْ يُنْصَفُونَا فَانْصَفْتُ قَوَاضِبَ ^(٤) فِي أَيْمَانِنَا تَقَطَّرَ الدَّمَا

(١) مرملة : ملطخة بالدماء .

(٢) مغفرة : من العفر ، وهو التراب

(٣) يقي بالكسر والتشديد من القوا : الأرض القفر الحالية ، والسبب (نبت) : المفازة
 المستوية .

(٤) قواضب : سيوف .

نُفِلَقُ هَامًا ^(١) من رجال أعزّة عليّنا وهُم كانوا أعزّ وأظلمًا ^(٢)

فقال أبو برزة الأسلمي : « أتنتك بقضيبك في ثغر الحسين ؟
أما لقد أخذ قضيبك في ثغره مأخذًا لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه ، أما إنك يا يزيد تجي يوم القيامة وابن زياد شفيحك ويجي هذا ومحمد شفيحه ! » ثم قام فوّل . فقال يزيد : يا حسين والله لو أني صاحبك ما قتلتك ، ثم قال : « أندرون من أين أني هذا ؟ قال : أبي خير من أبيه ، وأمي فاطمة خير من أمه ، وجدّي رسول الله خير من جده ، وأنا خير منه ، وأنا أحق بهذا الأمر منه . فأمّا قوله : أبوه خير من أبي فقد حاجّ أبي أباه إلى الله وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله : أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمي ، وأما قوله جدّي رسول الله خير من جده ، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلًا ولا نِدًا ، ولكنه إنما أني من قبل فقته ، ولم يقرأ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ ^(٣) .

قال : ثم أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه ، فجعلت فاطمة وسكينة ابنتا الحسين تتطاوّلان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد يتطاوّل ليستر عنهما الرأس ، فلما رأين الرأس صحن ، فصاح نساء يزيد وولكن وبناات معاوية ، فقالت فاطمة بشت الحسين ،

(١) الهام : مفردة هامة : من الرأس .

(٢) أنظر المفصلة ١٢ من المفضليات والجملة بشرح المروزي ج ١ ص ١٢٩ ، ٣٩١ والأغاني ج ١٤ ص ٧ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٣٠ والمؤلف والمختلف ص ٩١ وخزانة الأدب ج ٢ ص ٧ .

(٣) من الآية ٢٦ في سورة آل عمران .

وكانت أكبر من سُكَيْنَةَ : أبنات رسول الله ميبايا ياريزيد ؟ فقال :
يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكرهه ، فقام رجل من أهل الشام فقال :
هب لي هذه ، يعني فاطمة بنت علي ، فأخذت بثياب أختها زينب
وكانت أكبر منها ، فقالت زينب : كذبت ولو مت ، ما ذلك لك
ولا له ، فغضب يزيد وقال : كذبت والله إن ذلك لي ، ولو شئت
أن أفعله لفعلته ، قالت : كلاً والله ما جعل الله ذلك لك ، إلا أن تخرج
من ملتنا وتدين بغير ديننا ! فغضب يزيد واستطار ، ثم قال : إياي
تستقبين بهذا ، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، قالت زينب :
بدين الله ودين أبي وأخى اهتديت أنت وأبوك وجدك ، قال : كذبت
يا عدوة الله ، قالت أنت أمير تشتم ظالماً وتقهقر بسطانك . فاستحي
وسكت ، ثم أخرجن وأدخلن دور يزيد فلم تبقى امرأة من آل يزيد إلا
أنتهن وأقمن المأتم ، وسألن عما أخذن منهن فأضعفهن ، وكانت
سُكَيْنَةُ تقول : ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد بن معاوية .

قال : ثم أمر بعلي بن الحسين فأدخل مغلولاً ، فقال : اورآنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مغلولين لقلبك عنا ؟ قال : صدقت ، وأمر بفك غلّه
عنه ، فقال علي : لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بعد
لأحب أن يقربنا ؟ فأمر به فقرب منه ، وقال له يزيد : يا علي أبوك الذي
قطع رجلى وجهي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت . فقال
علي : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ ﴾ (١) فقال

يزيد: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾^(١) ثم سكت عنه ، وأمر بإنزاله وإنزال نسائه في دار على حدة ، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتهشى إلاّ دعا علياً إليه ، فدعاه يوماً فجاء ومعه عمرو بن الحسن وهو غلام صغير ، فقال يزيد لعمرو : أتقاتل هذا ؟ يعني خالدا ابنه ، فقال : أعطيني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أقاتله . فضمه يزيد إليه وقال شِنْشَنَةً^(٢) أعرفها من أخزم ، وهل تلد الحية^(٣) إلاّ حِيَّة ؟ وقيل : لما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده ، ووصله ، وسره ما فعل ، ثم لم يلبث إلاّ يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ، ولعنهم إياه ، وسبهم ، فندم على قتل الحسين ، وكان يقول : « وما علىّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يريد ، وإن كان عليّ من ذلك وهن في سلطاني ، حفظاً لرسول الله ورعاية لحقه وقربته ، لعن الله ابن مَرْجَانة ، فإنه اضطره ، وقد سأله أن يضع يده في يدي ، أو يَلْحَقَ بِثَغْرِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ الله ، فلم يُجِبْه إلى ذلك : وقتله ، فبغضني بقتله إلى المسلمين ،

(١) من الآية ٣٠ في سورة الشورى .

(٢) هذا مثل يضرب في قرب الشبه ، تمثل به يزيد ، وأصله أن رجلاً من طيء يسمى « أخزم » كان حاكماً للولد ، فلما مات ترك بنتين يشبهونه في العقوق ، فوثبوا يوماً على جدم أبي أخزم وضربوه وأدموه ، فقال :

إن بني ضرجوني بالسدم شِنْشَنَةُ أعرقها من أخزم

والشِنْشَنَةُ : الطليعة والمعدة .

(٣) هذا مثل تمثل به يزيد كسابقه ، جاء في نوح الغرورس (ح ي) « ومن أمثالهم : لا تلد الحية إلاّ حية » رحيمة : مصغير حية وكفى الحرورى في مقاماته عن أبي زيد وابنه بـ « الحية والحية » .

وزرع في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتل
حسينا ، مالى ولا بن مَرَجَانة^(١) لعنه الله وغضب عليه ! » .

قال : ثم ندم ابن زياد أيضا على قتله الحسين ، وقال لعمر بن
سعد : يا عمر ائتني بالكتاب الذى كتبته إليك في قتل الحسين ؟
قال : مضيتُ لأترك وضاع الكتاب ، قال : لتجئ به ، قال : ضاع
قال : لتجئ به ، قال : ترك والله يقرأ على عجايز قريش بالمدينة اعتذاراً
إليهن ، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لونها نصحتها أبى سعد
ابن أبى وقاص لكنت قد أديت حقه ! فقال عثمان بن زياد : « صدق ، والله
لو ددت أنه ليس من بنى زياد رجل إلا وفى أنفه خزيمة إلى يوم القيامة ،
وأنَّ حسيناً لم يُقتل ! » فما أنكر ذلك عبید الله بن زياد على أخيه .

ذكر ورود الخبر بمقتل الحسين

رضى الله عنه إلى المدينة وعود أدله إليها

قال : لما قُتل الحسين أمر عبید الله بن زياد عبد الملك بن
الحارث^(٢) السلمي بالمسير إلى المدينة ، ليبيشّر عمرو بن سعيد أمير
المدينة بقتل الحسين ، فاعتذر عبد الملك ، فزجره ابن زياد ، فخرج حتى
قدم المدينة ، فلقبه رجل من قريش فقال : ما الخبر ؟ فقال : الخبر
عند الأمير . فاسترجع^(٣) القرشي ، وقال : قُتل والله الحسين !

(١) سبق ذكر مرجانة أم عبید الله بن زياد ، وقد جاء حديثها في مقتل الحسين في رواية
لابن جرير الطبري في تاريخه ج ٤ ص ٣٧١ : « كانت مرجانة امرأة صدق فقالت امييد الله
حين قتل الحسين عليه السلام : ويلك ماذا صنعت وماذا ركبت »

(٢) في تاريخ ج ٤ ص ٣٥٦ : « أبى الحارث »

(٣) قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ودخل عبد الملك على عمرو بن سعيد فأخبره بقتل الحسين ،
 فقال : نادِ بقتله ، ففعل ، قال عبد الملك : فامِ أسمع واعية^(١) قَطُّ. فقل واعية
 نساء بنى دأشم في دورهن على الحسين ! فلما سمع عمرو بن سعيد أصواتهن
 ضحك وقال : واعية بواعية عثمان^(٢) وأنشد بيت عمرو بن مغيرة كَرِبَ :
 عَجَّتْ نساءُ بنى زياد عَجَّةً كعَجيجِ نسوتنا غداة الأرنَبِ^(٣)
 (والأرنَب : يوم كان لبنى زُبَيْد على بنى زياد من بنى الحارث بن
 كعب) ثم صعد عمرو المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين .

(١) الرواية : الصراخ على الميت ونحوه .
 (٢) ذكر المبدائي في مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٧٩ أن عمرو بن سعيد تمثل
 بالكل « يوم يوم الحقد المجرم » أي يوم يوم عثمان ، كما تمثل بالبيت « عجت
 نساء . . . » ثم ذكر أصل هذا المثل ، وكذلك ذكر الأصل الثاني في أماليه
 ج ٢ ص ١٩٢ .
 (٣) كان من خبر هذا الشعر أن نبيتي « جرم » و « نهد » كانتا مجاورتين
 لـ بنى « الحارث » ، فقتلت جرم رجلاً من أشرف بنى الحارث يقال له « معاذ بن زيد » ،
 فارتحلت الجرميون إلى « بنى زبيد » دحط عمرو بن معد يكرب ، فخرجت بنو
 الحارث يطلبون بثأرهم ومعهم بنو نهد ، فجعل عمرو جرماً أمام بنى نهد ، وجعل
 نفسه وقومه أمام بنى الحارث ، ولكن جرماً انهزمت سريعاً : فكان ذلك سبباً في
 كسر بنى زبيد في ذلك اليوم ، ثم إن صراغاً بنى الحارث قاصب فيهم وانصف
 منهم ، فقال :

لما رأوني في الكتيبة مقبلاً وسط الكتيبة مثل ضو الكوكب
 واستيقنوا منا بوقع صلاتن هربوا وليس أوان ساعة مهرب
 عجت نساء بنى زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنَبِ
 ويذكر بعض الرواة رواية أخرى : أن البيت لرجل من بنى أسد ؛ ولنظفه :
 عجت نساء بنى زبيد عجة . . الخ ، ومن المؤلفين من خلط بين الروايتين . وقد ذكر
 القالي في أماليه ج ١ ص ١٢٦ أن مثل هذا البيت قول الشاعر :

رفنا الحمدوش من وجوه نائنا إلى نسوة منهم وأبدن مجدا
 وذكر القالي أن « الأرنَب » موضع ، وكذلك تتبع صاحب اللسان والناج من نقل عن القالي
 ولم يعلم ذلك له ، ولم تذكر كتب البلدان والمعروف أن أرنَب انفتحت في ذلك اليوم فتفألوا
 بالنظر : فظفروا : فسمى « يوم الأرنَب » والعرب قتيبن بالأرنَب إذا التفجت .

قال : ولما نودي بقتله خرجت زينب بنت عَقِيل ابن أبي طالب
ومعها نساؤها حائرة ناشرة شعرها ، تلوى ثيابها ، وهي تقول :
ماذا تقولون إن قال النبي لكم : ماذا فعلتُمْ وأنتم آخر الأمم ؟
بعثتني وبأهلي بعد مُفتقدي منهم أسارى وقتلي ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تخلّفوني بسوء في ذوّي رَحِمِي
وقيل : سَمِعَ بعضُ أهل المدينة يومَ قتل الحسين منادياً ينادي :

أيُّها القاتلون جهلاً حُسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلُّ أهل السماء يدعُو عليكم من نبي وملاك وقبيل
قد لُعنتُم على لسان ابن داوُدَ وموسى وحامل^(١) الإنجيل
وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في الليلة التي قُتل فيها الحسين وبهذه قارورة ، وهو
يجمع فيها دماً ، فقلت : يا رسول الله ما هذا ؟ قال هذه دماء الحسين
وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى ! » فأصبح ابن عباس فأعلم الناس
بقتل الحسين ، وقصَّ رؤياه .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة تراباً من
تربة الحسين ، حملة إليه جبريل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« إذا صار التراب هذا دماً فقد قُتل الحسين » فحفظت أم سلمة
ذلك التراب في قارورة ، فلما قُتل الحسين صار ذلك التراب دماً

(١) كلما جاء في الأصل مثل تاريخ الطبري ، ونجاء في الكامل ، وصاحب .

فأعلمت الناس بقتله . وهذا القول يستقيم على قول من يقول إن أم سلمة توفيت بعد الحسين ^(١) .

قال ^(٢) : ولما أراد يزيد أن يسير آل الحسين إلى المدينة ، أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم ، ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ، ومعه ^(٣) خيل تسيرهم إلى المدينة ، ودعا عليا ليودعه وقال : «لئن الله ابن مرجانة ، أما والله لو أتي صاحبه ما سألني خصلة أبدا إلا أعطيته إياها ، ولقد فعت الخف عنه بكل ما استطعت ، ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله بذلك ! كائيتني حاجة تكون لك » وأوصى بهم ذلك الرسول .

فخرج بهم ، فكان يسايرهم ليلا فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه ، وإذا نزل تنحى عنهم هو وأصحابه ، فكانوا حولهم كهيشة الحرّس ، وكان يسألهم عن حوائجهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة . فقالت فاطمة بنت علي لأختها زينب : لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصلة بشيء ؟ فقالت : والله مامعا ما نصله به إلا حليئا ، فأخرجنا سوارين وذملجين لهما فبعثنا به إليه ، واعتذرتا ، فردّ الجميع ، وقال : لو كان الذي صنعتك للدنيا لكان في هذا ما يرضيني ، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) أنظر الكامل ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٢) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٣) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « ومعه » .

ذكر ما ورد من الاختلاف

في مقر رأس الحسين وأين دفن

قد اختلف المؤرخون في مقر رأسه ، فمنهم من قال : إنه دفن بدمشق ، ومنهم من زعم أنه نقل إلى مرو ، ومنهم من يقول : إنه أعيد إلى الجسد ودفن بالطائف ، ومنهم من قال : دفن بعسقلان ، ثم نقل إلى مصر ، ومنهم من قال : دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة رضي الله عنهما . وقد رأينا أن نذكر أقوالهم في ذلك ومستحجهم^(١) .

قال : فأما من قال إنه دفن بدمشق فإنه يقول : إنه لما قُتل الحسين رضي الله عنه ، وحُمِلَ رأسه إلى حُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد بالكوفة كما تقدم وقصد حمله إلى دمشق ، طلب من يقوره فلم يجبه إلا طارق بن المبارك فولى بني أمية وكان حجاجاً ، ففعل ، وقد هُجِيَ أبو يعلى الكاتب ، وهو أحد أسباط طارق هذا ، ف قيل فيه :

شَقَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ جَدُّ أَبِي يَـ ۖ لِي وَسَاطَ^(٢) الدَّمَاعِ بِالْإِنْهَامِ

ثم أرسل ابن زياد به إلى دمشق ، فنصبه يزيد بن معاوية بها ثلاثة أيام ، ووضع في مسجد عند باب المسجد الجامع ، يعرف بمسجد الرأس ، (وهو تجاه باب الساعات ، كان بابه هناك ، ثم سُدَّ وفتح من مشهد زين العابدين في سنة ثلاثين وستمائة ونحوها) ، ثم كان الرأس في خزانة يزيد بن معاوية .

واختلف أيضاً القائلون إنه دفن بدمشق في المكان الذي دفن فيه بها . فحكى ابن أبي الدنيا في المقتل عن منصور بن جمهور أنه قال : دخلتُ

(١) كلما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « وجبجهم » .

(٢) ساط : خطه وكتبه .

خزانة يزيد بن معاوية ، فلما فُتحت أصبت^(١) جونة حمراء فقلت
الغلام لى يقال له سليم : احتفظ. بهذه الجونة فلإنها كنز من كنوز
بنى أمية ، فلما فتحتها وجدت بها رأساً وورقة مكتوب فيها : « رأس
الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وإذا
هو مخضوب بالسواد ، فلفه في ثوب ثم دفنه عند باب القرايين ،
عند البرج الثالث مما يلي المشرق. وحكى الاستربادي في كتابه : الداعي
إلى وداع الدنيا « عن أبي سعيد الزاهد أنه قال : قبر الحسين بكر بلاء
ورأسه بالشام في مسجد دمشق على رأس أسطوانة ، وقال غيره : على
عمودين يمين القبلة ، وقيل إن يزيد دفنه في قبر أبيه معاوية ، ومنهم
من قال : في مقابر المسلمين .

وأما من قال : إنه بمرؤ فانه يقول : إن أبا مسلم الخراساني لما استولى
على دمشق ، أخذ الرأس ونقله إلى مرؤ ، ودفن بها في دار الإمارة : وأن
الرأس حُشى بالمسك وكُفّن وصُلّي عليه مرة بعد أخرى .

وأما من قال : إنه أعيد إلى الجسد ودفن معه ، فمنهم من يقول : إن يزيد
أعاده بعد أربعين يوماً ؛ ومنهم من يقول : بل استقر في خزانة السلاح
إلى أن ولي سليمان بن عبد الملك فأحضره وقد قَحَلَ^(٢) ؛ وبقي عظم
أبيض فجعل عليه ثوباً وجعله في سَقَط^(٣) وصُلّي عليه ودفن في مقابر
المسلمين ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى خازن السلاح يطلب منه
الرأس ، فطالعه بما كان من أمره فأمره بنيشه وأخذه ، فإله أعلم بما

(١) الجونة : السلة .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) : « قتل » ومعناه : ييس ، وجاء في النسخة (ك) :

« نحل » .

(٣) السقط : دعاء كالنفقة ، وحرره بعض العامة إلى « سبت » .

صنع به ، لكنهم أستدلوا من ديانة عمر بن عبد العزيز وصلاحه وخيره أنه نقله إلى الجسد ودفن معه .

وأما من قال : إنه كان بعسقلان ثم نقل إلى مصر فاستنادهم في ذلك إلى رؤيا منام ، وذلك أن رجلا رأى في منامه ، وهو بعسقلان أن رأس الحسين في مكان بها ، عيّن له في منامه فتبش ذلك ^(١) الموضع ، وذلك في أيام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر ، ووزارة بكر الجمالي ، فابتنى بدر الجمالي له مشهدا بعسقلان ، فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن تغلب الفرنج على عسقلان ، في سنة ثمان وأربعين وخمسائة ، فحمل إلى القاهرة في البحر .

وحكى محمد بن القاضي المكين عبد العزيز بن حسين ^(٢) في سيرة الصالح بن رزيك ، قال : لما ولي عباس بن أبي الفتوح الوزارة بمصر في سنة ثمان وأربعين وخمسائة ، في مستهل جمادى الآخرة وصل الخبر بتملك الفرنج عسقلان ، فنقل رأس الحسين فيها - من المشهد الذي أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي : وكماله الأفضل ^(٣) - إلى القاهرة ، فكان وصوله إليها في يوم الأحد ، ثمان جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسائة ، وكان قد سير أحد الأستاذين الخواص لتلقيه إلى مدينة تينيس ^(٤) ، فوصل في عشاري ^(٥)

(١) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « فتبش في ذلك » .

(٢) كذا جاء في النسخة (ن) ، وجاء في النسخة (ك) : « عبد العزيز الحسين » .

(٣) الأفضل : هو ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ، وقد قتل الأفضل في شهر رمضان

من سنة خمس عشرة وخمائة ، انظر النجوم الزاهرة ج ٥ .

(٤) جاءت هذه الكلمة في الأصل غير منقوطة وغير واضحة ، والأقرب أنها « تينيس » وهي مدينة ندية في جزيرة صغيرة في الجهة الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة .

(٥) عشاري : فوج من السفن المصرية الخاصة بعطاء الدولة وصفها عبد اللطيف البغدادي في مختصر أخبار مصر طبع أوروبا ص ١٧٢ .

من عشاريات الخدمة ، ودخل فيه إلى خليج القاهرة ، وأدخل من باب
البستان المعروف بالكافورى ، فى ليلة الاثنين التاسع من الشهر ،
وسلك به إلى القصر الغربى إلى أن وصل إلى القصر الشرقى ، ولم يزل
الحال على ذلك إلى أن حدث من عباس وابنه ما حدث ، من قبل
الظافر وإخوته وابن أنجيه ، على ما ذكر ذلك إن شاء الله فى أخبارهم
فى كتابنا هذا ، فلما نهض الصالح بن رزىك فى الطلب بشأركم ،
وولى الوزارة ، لم يقدم شيئا على الشروع فى بناء المشهد بالقصر ،
فى الموضع المعروف بقبة الخراج من دهاليز باب الديلم وكمل المشهد ،
فلما كان فى ليلة يسفر صباحها عن تاسع المحرم سنة خمس وخمسين
وخمسمائة ، خرج ابن رزىك من داره راجلا إلى الإيوان ، فأتخرج
الرأس فحملة خاتمة مستكينة إلى أن أحله بالفريخ ، ومدحه
الشعراء ، فمن ذلك قول أحدهم :

أدركت من عباس ثارا دونه	ما أدرك السفاح من مروان
وحقرت ما فخر ابن ذى يزن به	لما أقر الملك فى غمدان
وجمعت أشلاء الحسين وقذغدت	بددا فاضحت فى أعز مكان
وعرفت للعضو الشريف محله	وجليل موضعه من الرحمن
أكرمت مشواه لذيك وقبل فى	آل الطريد غدا يدار هوآن
وقضيت حق المصطفى فى حملة	وحظيت من ذى العرش بالرضوان
ونصبتة للمسامين تزوره	مهج إليه شديدة الهيمان
أنسكنته فى خير مأوى خطه	أبناؤه فى سالف الأزمان
ولو استطعت جعلت قلبك لكده	فى موضع التوحيد والإيمان

حَرَمٌ تَلَوُذُ بِهِ الْجَنَّةَ فَتَنَّتْنِي مَحْبُوءَةٌ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرِانِ
 قَدْ كَانَ مَقْتَرِبًا زَمَانًا قَبْلَ ذَا . فَالآن عُدْتُ بِهِ إِلَى الْأَوْطَانِ
 وَأَمَّا مَنْ قَالَ : إِنَّهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهُ لَمْ يَنْصِبْ بِدَمَشَقَ
 وَطَيْفَ بِهِ ، أَمْرَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنْ يَحْمِلَهُ
 إِلَى الْمَدِينَةِ ، لِيَشَاهِدَهُ النَّاسُ ، وَلِيَرْهَبَ بِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا
 وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ بِهِ عَلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ الْأَشْدُقِ ، قَالَ :
 وَدِدْتُ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَكُنْ بِعَثَ بِهِ إِلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ :
 أَسَكْتُ لَأَسَكْتُ ، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا قَالَ :

ضَرَبْتُ دَوْسَى فِيهِمْ ضَرْبَةً أَثْبَتَتْ أَوْتَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّ
 ثُمَّ أَمَرَ بِهِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ فَكُفِّنَ وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ أُمِّهِ فَاظْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا .

وقيل : بَلْ أُرْسِلَ إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، أَنْ (١) دُونَكُمْ
 رَأْسَ صَاحِبِكُمْ ، فَأُخَذُوهُ ، فَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ وَصَلُّوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ عِنْدَ
 قَبْرِ أُمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَمْرُ بْنُ أَبِي الْمَعَالِي
 أَسْعَدُ بْنُ عِمَارٍ (٢) بَيْنَ سَعْدِ بْنِ عِمَارٍ [بِنِ عَلَيْهِ] (٣) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 فِي كِتَابِهِ الَّذِي تَرَجَّمَهُ « الْفَاصِلُ بَيْنَ الصَّدُقِ وَالْمَعِينِ فِي مَقَرِّ رَأْسِ
 الْحُسَيْنِ » عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَوَهْنَهَا وَضَعْفُهَا [وَاسْتَدَلَّ عَلَى
 ضَعْفِهَا (٤)] ، وَرَجَّحَ أَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ ، حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ بِهِ مَبْلَغُ الْقَطْعِ ،

(١) كَذَا جَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ك) : « أَوْدُونَكُمْ » .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ك) ، وَجَاءَ فِي النُّسْخَةِ (ن) : « عِمْرَانُ » .

(٣) ثَبَتَ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ (ن) ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي النُّسْخَةِ (ك) .

(٤) ثَبَتَ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي النُّسْخَةِ (ن) ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي النُّسْخَةِ (ك) .

فقال ما معناه : أما قولهم إنه كان في خزائن بني أمية إلى أن ظهرت الخلافة العباسية ، وأن أبا مسلم نقله إلى خراسان ، فهذا بعيد جدا ، وذلك أن أبا مسلم لما فتح الشام كان بخراسان ، والذي فتح دمشق عبد الله بن علي بن [عبد الله بن] ^(١) عباس ، فكيف يتصور أن ينقله أو يمكن من نقله إلى مولاة بخراسان ؟ ولو ظفّر به في خزائن بني أمية لأظهره للناس ليزدادوا لبني أمية بغضا ، وأيضا فقد ولي العبد الصالح عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وبعيد أن كان يترك رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزائن السلاح ولم يؤاخره .

وأما قولهم إنه كان بمسقلان فلم يوجد ذلك في تاريخ من التواريخ أنه نقل إلى مسقلان ولا إلى مصر ، ويقوى ذلك أن الشام ومصر لم يكن بهما شيعة علوية فينقل إليهم ليزودوه وتقطع آمالهم من الحسين وتضعف نفوسهم عن الوثوب مع غيره والانضمام ^(٢) إليه .

وأما قولهم إنه بالمدينة عند قبر أمه فقد قاله محمد بن سعد في طبقاته ، وابن أبي الدنيا وأبو المؤيد الخوارزمي خطيب خوارزم في إحدى رواياتهما ، وصححه أبو الفرج ابن الجوزي ، والله تعالى أعلم . وقد أخذ هذا الفصل حقه ، فلنذكر خلاف ذلك من الأخبار التي اتفقت في أيام يزيد بن معاوية على حكم اليقين :

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

(٢) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) وأو الإتيان .

ذكر مقتل أبي بلال مرداس

بن حُمَيْر الحَنْظَلِي (١) الخارجي

قد ذكرنا في أيام معاوية خروجه وأن ابن زياد بعث (٢) إليه أنسلم بن زرعة الكلبي في ألفين ، فhezهم بأسك .

فلما كان في هذه السنة أرسل إليه ابن زياد ثلاثة آلاف ، عليهم عباد بن الأخضر التميمي (والأخضر زوج أمه ، نسب إليه وإنما هو عباد بن علقمة بن عباد) فسار إليه ، واتبعه حتى لحقه بتَّوَج (٣) ، فاقْتَتَلُوا حتى دخل وقت العصر ، فقال أبو بلال : هذا يوم جمعة ، وهو يوم عظيم ، دعونا حتى نصلي ، فتوادعوا ، فعجل عباد الصلاة وقيل : بل قطعها ، والخوارج يصلُّون ، فشدُّ عليهم هو وأصحابه ، فقتلهم وهم ما بين قائم ورايح وساجد ، لم يتغير منهم أحد عن حاله ، فقتلوا عن آخرهم .

ورجع عباد إلى البصرة برأس أبي بلال ، فرصده عبيدة بن هلال ومعه ثلاثة نفر ، فأقبل عباد يريد قصر الإمارة : فقالوا له : قف حتى نستفتيك . فوقف ، فقالوا : نحن لإخوة أربعة قُتِلَ أخونا فما ترى ؟ قال : استعْمَلُوا الأمير : قالوا : استعْدَيْنَاهُ فلم يُعْلِنَا . قال : فاقْتُلُوهُ قَتَلَهُ اللهُ . فَوَثَبُوا عليه وقتلوه ، واجتمع الناس على الخوارج فقتلوا (٤) .

(١) حمير : أبو مرداس ، وأم مرداس : أدبية ، وقد اشتهر ، ومرداس بن أدية كما سبق .

(٢) ستة ثمان وخمسين .

(٣) توج : مدينة بفارس ، ويقال فيها : توج .

(٤) في الكامل : فقتلوا غير عبيدة .

وفيها استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان
وسجستان ، وعزل عنهما أخويه : عبد الرحمن وعباداً ابني زياد ،
فكتب عبيد الله ^(١) بن زياد إلى أخيه عباد ^(٢) يخبره بولاية سلم ،
فقسم عباد ما في بيت المال على عبيدة ، وفضل فضل فنادى : من
أراد سلفاً فليأخذ ، فأنسلف كل من أناه ، وخرج عن سجستان ،
فلما كان بجيرقت ^(٣) بلغه مكان أخيه سلم ، وكان بينهما جبل ،
فعدل عنه ، فذهب لعباد تلك الليلة ألف مملوك ، أقل ما مع أحدهم
عشرة آلاف ، وسار عباد حتى قدم على يزيد ، فسأله عن المال ،
فقال : كنت صاحب زفر فقسمت ما أصبت بين الناس .

قال : ولما سار سلم إلى خراسان كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد
منه ^(٤) بنحية ستة آلاف فارس ، وقيل ألفين ، فكان سلم ينتخب
الوجوه [والفرسان ^(٥)] ، فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي
والمهلب بن أبي صفرة وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وغيرهم ،
وسار حتى قدم خراسان ، وعبر النهر غازيا ، وكان عمال خراسان
قبله يغزون ، فإذا دخل الشتاء رجعوا إلى مرو الشاهجان ^(٦) ، فإذا

(١) كلما جاء عبيد الله في النسخة (ن) مثل الكامل ج ٣ ص ٣٠٣ وتاريخ
الطبري ٤ ص ٣٦١ ، وجاء في النسخة (ك) عبد الرحمن .
(٢) وكان له صديقا .

(٣) جيرقت : مدينة بكرمان .

(٤) عبارة ابن الأثير : كتب مع يزيد إلى أخيه عبيد الله بن زياد ، وعبارة الطبري
: قدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله .

(٥) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٦) مرو الشاهجان هي مرو العظمى ، والشاهجان كلمة فارسية معناها : نفس
السلطان ، لأن وجان هي نفس أو روح ، والشاه هو السلطان ، سميت بذلك لجلالة
منهم .

انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة ممّا بلى خوارزم ،
 فيتعاقدون ألا يغزو بعضهم بعضا ويتشاورون في أمورهم ، وكان
 المسلمون يطلبون إلى أمرائهم غزو تلك المدينة ، فيأبؤون عليهم ،
 فلما قدم سلم غزا فشتى في بعض مغازيه ، فسأله المهلب أن يوجهه
 إلى تلك المدينة ، فوجهه في ستة آلاف ، وقيل : في أربعة آلاف ،
 فحاصروهم ، فطلبوا الصلح على نيف وعشرين ألف ألف ، فصالحهم ،
 وكان في صلحهم أن يأخذ منهم عروضاً ، فكان يأخذ العروض من
 الرقيق والدواب والمتاع بنصف قيمتها ، فبلغ ما أخذ منهم خمسين
 ألف ألف ، فحظى بها المهلب عند سلم ، وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه
 وبعث به إلى يزيد .

وغزا سلم سمرقند ، وعبر معه النهر امرأته أم محمد بنت عبد الله
 ابن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وهي أول امرأة من العرب قطعت
 بها النهر ، فولدت له ابناً سماه « صغدي » واستعارت امرأته من امرأة
 صاحب الصفد حليها فلم تعهده إليها وذهبت به ^(١) .

ووجه جيشاً إلى خجندة ^(٢) فيهم أعشى همدان ، فهزموا ، فقال
 الأعشى في ذلك :

لَيْتَ ^(٣) خَيْلى بوم الخُجَنْدَلَمْ تُهْ زَمْ وَغُودِرْتُ في المَكْرَ سَلِيبا ^(٤)
 تَحْضُرُ الطَيْرُ مَضْرَعِي وَتَرَوْحُ مَتَ إلى الله في الدِّماءِ خَضِيبا

(١) عبارة الطبري : « وأرسلت إلى امرأة صاحب الصفد تستعير منها حلياً ، فبعثت
 إليها بتاجها ، وقللو فذهبت بالتاج » .

(٢) خجندة : مدينة على شاطئ سيحون .

(٣) سقط البيتان من النسخة (ن) .

(٤) كذا جاء في الكامل ومعجم البلدان ، وجاء في المخطوطة « المكان » .

وفيهما عزّل يزيد عمرو بن سعيد ، واستعمل الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ، وسبب ذلك أن الوليد وناساً من بني أمية قالوا ليزيد : لو شاء عمرو لأخذ بن الزبير وسرح^(١) به إليك . فعزله ، ولم يكن كذلك ، بل كان ابن الزبير كاده .

وحج الوليد في هذه السنة بالناس .

سنة اثنين وستين

ذكر وفد أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية

وخلعهم له عند عودهم

وفي هذه السنة وفد جماعة من أهل المدينة إلى يزيد بن معاوية بالشام ، فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة^(٢) وعبد الله بن أبي عمرو بن حصص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة .

وكان ابن الزبير قد كتب^(٣) إلى يزيد لما استعمل الوليد ابن عتبة على الحجاز يقول : « إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج ، لا يتجه لرشد ، ولا يرعوى لعظة الحكيم ، فلو بعثت رجلاً سهل الخلق

(١) في الكامل ج ٣ ص ٣٠٦ و سرحه ، ، وفي تاريخ الطبري ج ٤ ص

٣٦٦ و بعث به .

(٢) لقب حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الأوسي ب « غسيل الملائكة » لأنه لما استشهد في غزوة أحد أخبر النبي صل الله عليه وسلم أنه « تغسله الملائكة » وابنه « عبد الله » مولود على عهد النبي صل الله عليه وسلم .

(٣) في تاريخ الطبري والكامل : « أن ابن الزبير حمل بالمرء في أمر الوليد بن

عتبة فكتب » .

رَجَوْتُ أَنْ يَسْهَلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهَا ، وَأَنْ يَجْتَمَعَ مَا تَفَرَّقَ ، ^(١) فَغَزَا
فَعَزَلَ يَزِيدَ الْوَلِيدَ ، وَاسْتَعْمَلَ عِثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ
فَتْنِي غَيْرُ حَدَّثَ لَمْ تُحَنِّكْهُ التَّجَارِبَ ، وَلَا يَكَادُ يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ
وَلَا عَمَلِهِ .

فَوَفِدَ هَذَا الْوَفْدُ إِلَى يَزِيدَ ، فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ
وَأَعْظَمَ جَوَائِزَهُمْ ، فَأَعْطَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ
مَعَهُ ثَمَانِيَةُ بَنِينَ فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَأَجَازَ الْمُنْدَرَ بْنَ
الزُّبَيْرِ بِمِائَةِ أَلْفٍ كَتَبَ لَهُ بِهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ
فَقَبِضُهَا .

وَرَجَعَ الْوَفْدُ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا الْمُنْدَرَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ قَامُوا فِي النَّاسِ
فَأَظْهَرُوا شَيْئَ يَزِيدَ وَعَيْبِهِ ، وَقَالُوا : « قَدِمْنَا مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ
دِينَ ، يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَعْرِفُ بِالطُّنَابِيرِ ، وَتَعْرِفُ عَنْدَهُ الْقِيَانُ ،
وَيَلْعَبُ بِالْكَلَابِ ، وَيَسْمُرُ عَنْدَهُ الْحُزَابُ (وَهُمُ اللَّصُوصُ) وَإِنَّا نَشْهَدُكُمْ
أَنَّا قَدْ خَلَعْنَاهُ » .

وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ فَقَالَ : « جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ لَوْ لَمْ أَجِدْ
إِلَّا بَنِي هَؤُلَاءِ لَجَاهَدْتُهُ ، وَقَدْ أَعْطَانِي وَأَكْرَمَنِي ، وَمَا قَبِلْتُ مِنْهُ عَطَاءَهُ
إِلَّا لِأَتَقَوَّى بِهِ » .

فَخَلَعَهُ النَّاسُ ، وَبَايَعُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ عَلَى خَلْعِهِ ، وَوَلَّوْهُ
عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ قَدِمَ الْمُنْدَرُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحَرَّضَ النَّاسَ عَلَى يَزِيدَ ،

(١) زَادَ الطَّبْرِيُّ « يَنْظُرُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ فِيهِ صَلَاحٌ خَوَّصْنَا وَصَوَّأْنَا إِنْ شَاءَ
اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ » .

وقال : « إنه أجازنى بمائة ألف ^(١) ، ولا يمنعنى ما صنع فى أن أخبركم خبره ، والله إنه ليشرب الخمر ، وإنه ليشكر حتى يدع الصلاة ! » وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشد .

فبعث يزيد النعمان بن بشير الأنصارى وقال له : « إن عدد الناس بالمدينة قومك ، فأتهم فالفيتهم عما يريدون ، فإنهم إن لم ينهضوا فى هذا الأمر لم يجترأء الناس على خلافى . فأتى النعمان قومه ، وأمرهم بلزوم الطاعة ، وخوفهم الفتنة ، فعصوه ولم يرجعوا إلى قوله ، فرجع . وبسبب هذه الواقعة كانت وقعة الحرّة . وفى هذه السنة كان من الحوادث فى بلاد المغرب ما تذكره إن شاء الله تعالى فى أخبار أفريقية .

وحج بالناس فى هذه السنة الوليد بن عتبة .
وفيهما ولد محمد بن عبد الله بن عباس والد السفاح والمنصور .

سنة ثلاث وستين

ذكر وقعة الحرّة

كان سبب هذه الواقعة ما قدمناه من خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية ، فلما كان فى هذه السنة أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد ابن أبى سفيان عامل يزيد ، وحصروا بنى أمية ، فاجتمع بنو أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم فى ألف رجل ، ونزلوا دار مروان ابن الحكم ، وكتبوا ^(٢) إلى يزيد يستغيثون به ، فلما قرأ الكتاب

(١) فى تاريخ الطبرى : « أجازنى بمائة ألف درهم » .

(٢) كان الذى بعث إليه منهم مروان بن الحكم وحمود بن عتبة بن هفان ، وكان مروان هو الذى يدير أمرهم ، فأما هفان بن حماد بن أبى سفيان ، فأما كان غلاماً قرأ ليس له رأى ، كما سبق قريباً .

بعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق ، فأقرأه الكتاب وأمره بالمسير في الناس ، فقال قد كنت ضببْتُ لك الأمور والبلاد ، فأما الآن إذ صارت دماء قریش تُهراق بالصعيد فلا أحبُّ أن أتولَّى ذلك .

فبعث إلى عُبيد الله بن زياد ، فأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة عبد الله بن الزبير بمكة ، فقال : « والله لا أجمعهما ^(١) للفاسق : قتل ابن بنت رسول الله وغزو الكعبة ! » ثم أرسل إليه يعتذر .

فبعث إلى مسلم بن عقبة الرُّمِّي ^(٢) وهو شيخ كبير مريض فأخبره الخبر ، فقال : أما يكون بنو أمية [ومواليهم وأنصارهم بالمدينة] ^(٣) ألف رجل ؟ قال : بلى ؛ قال : « أما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ ليس هؤلاء بأهل أن يُنصروا فإنهم أذلاء دغهم يا أمير المؤمنين حتى يُجهِدوا أنفُسَهم في جهادِ علوهم ، ويتبين لك مَنْ يقاتلُ على طاعتك ومن يستسلم » ؛ قال : « وَيَحْك ! إنه لاخير في العيش بعدهم ! فاخرج بالناس » .

وقيل : إن معاوية قال ليزيد : إن لك من أهل المدينة يوما ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفت نصيحته ، فأمره بالمسير إليهم .

فنادى في الناس بالتهجير إلى الحجاز وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار لكل رجل ؛ فانتدب لذلك اثنا عشر ألفا ، وساروا مع

(١) جاء في نسخة (ن) : « لاجمعهما » .

(٢) هو مسلم بن عقبة بن رباح بن أسد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن مرثد بن غنم بن مرة ، فهو منسوب إلى « مرة » ، وقد قال عند موته « لبي مرة ذراعي إلى بحران صدقة حل مرة » . ووقع في النسخة (ن) : « الزن » .

(٣) الزيادة من تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧١ .

مسلم ، فقال له يزيد : **إِنْ حَدَّثَ بِكَ حَدَّثْتُ فَاسْتَخْلَفَ الْخَصَيْنِ**
ابن نمير السَّكُونِي^(١) ، وقال له : « اذْغُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا فَإِنْ أَجَابُوا
وَلَا فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ فَأَيُّهَا ثَلَاثًا بِمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ
أَوْ رَقَّةٍ^(٢) أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ ، فَهُوَ لِلْمَجْدِ ، فَإِنْ انْقَضَتِ الثَّلَاثُ
فَاكْشُفْ عَنِ النَّاسِ ، وَاكْشُفْ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَاسْتَوْصِ بِهِ
خَيْرًا^(٣) فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ مَعَ النَّاسِ ، وَقَدْ أَتَانِي كِتَابُهُ . »

قال : **وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ خَبَرَ الْجَيْشَ اسْتَدَّ حَصَارَهُمْ لِبَنِي**
أُمَيَّةٍ بَدَارَ مَرْوَانَ ، وَقَالُوا : « وَاللَّهِ لَا نَكْفُ عَنْكُمْ حَتَّى نَضْرِبَ
أَعْنَاقَكُمْ^(٤) أَوْ تَعْطُونَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ أَنْكُمْ لَا تَبْغُونَا غَائِلَةً ، وَلَا تَدْلُوا
لَنَا عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا تُظَاهِرُوا عَلَيْنَا عَلُونًا ، فَكَشَفَ عَنْكُمْ وَنَخَّرَ جُحُومَهُمْ ،
فَعَاهَدُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَارُوا بِأَثْقَالِهِمْ حَتَّى
لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ بِوَادِي الْقُرَى ، فَدَعَا عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَوَّلَ
النَّاسِ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي مَا وَرَاءَكَ وَأَشِيرْ عَلَيَّ ، قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَدْ
أَخِذَ عَلَيْنَا الْعَهْدُ وَالْمَوَاقِيقُ أَلَا نَذِلُّ عَلَى عَوْرَةٍ وَلَا نُظَاهِرُ عَدُوًّا ، فَانْتَهَرَهُ
وَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْتَ ابْنُ عَثْمَانَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ، وَابِمْ اللَّهِ لَا أُقِيلُهَا
قُرْشِيًّا بِعَدْلِكَ ! »

- (١) هو الحسين بن نمير بن ثابت بن ليث بن جشنة بن حارث بن سلمة بن شكاة
 ابن السكون ، كما في جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٣ .
 (٢) الرقة : الدراهم ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ٣١١ « دابة » .
 (٣) يروى أن أهل المدينة لما ثاروا حل بني أمية كلم مروان بن الحكم حل
 بن الحسين في أن يجعل أهل عتده ، فقبل ابن الحسين ، وخرج بحرمه وحرم مروان
 حتى وضعهم في ينبع .
 (٤) كلما جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « وقابكم » ، وجاء في
 الكامل ح ٣ ص ٣١٢ : « حتى تستزلكم وتضرب أعناقكم » .

فخرج إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك : ادخل عليه قبل لعله يجتريء بك عني ، فدخل عبد الملك على مُسلم ، فقال « نَعَمْ : [هاتِ ماعندك ؟] فقال ^(١) نعم ، أَرَى أن تسير بمن معك ، فإذا انتهيت إلى أدنى نخلها نزلت ، فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صَقْرِهِ ^(٢) ، فإذا أصبحت من الغد مضيت ، وتركت المدينة ذات اليسار ، ثم دُرْتُ بها حتى تأتيهم من قِبَلِ الحَرَّة مشرقاً ^(٣) ثم تستقبل القوم ، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم [الشمس] ^(٤) طلعت من أكتاف أصحابك فلا تؤذيتهم ، ويصيبهم إذاها ^(٥) ويرَوْن من اتِّثْلَاقٍ بَيْنُكُمْ وأَسِنَّةٍ رماحكم وسيوفكم ودُروعكم مالا تَرَوْنه أنتم منهم ، ثم قاتلهم ، واستغن عنهم بالله تعالى . » فقال له مُسلم : « لله أبوك . أَى أموى ! » ثم دخل عليه مروان فقال له [إيه . قال] ^(٦) أليس قد دخل عليك عبد الملك ؟ قال : « بَلَى ، وأى رجل عبد الملك ! قلما كلمتُ من رجال قريش رجلا به شبيها ! » فقال له مروان : إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني .

ثم ارتحل مسلم من مكانه ، وفعل ما أمره به عبد الملك ، ثم دعاهم فقال : « إن أمير المؤمنين يزعم أنكم الأصل ، وإنى أكره إراقة

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ؛ ولم تثبت في النسخة (ك) .
 (٢) يقال لعل الرطب عند أهل المدينة « صقر » يسكون القلق ؛ ويقال لهذا الرطب « صقر » بكسر القاف .
 (٣) الحرة - بفتح الحاء وتشديد الراء - أرض يظهر المدينة فيها حجارة سود كثيرة .

(٤) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ولم تثبت في النسخة (ك) .
 (٥) لأن أشعة الشمس تقع في وجودهم ، بخلاف جيش مسلم بن عقبة .
 (٦) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ؛ ولم تثبت في النسخة (ك) .

دمائكم ، وإني أوجلكم ثلاثا ، فمن أزعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم إلى هذا الملحد الذى بمكة ، وإن أبيتم كُنَّا قد أغدَرْنَا إليكم .

فلما مضت الثلاث قال مسلم : يا أهل المدينة ماتصنعون ؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بلى تحارب ، فقال لهم : « لا تفعلوا ، بل ادخلوا فى الطاعة ، ونجعل حدَّنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع إليه المُرَّاقى ^(١) والفُسَّاق من كل أَوْب ^(٢) » يعنى عبد الله بن الزبير ، فقالوا له : « يا عدو الله ، لو أردتم أن تجوزوا إليه مايركناكم : أنحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام فتخيفوا أهل مكة وتُلحدوا فيه وتستحلوا حرمة ؟ لا والله لا نفعل ! » .

قال : وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقا ، وعليه جمع منهم ، عليهم عبد الرحمن بن أزهر بن عوف [وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف] ^(٣) وكان عبد الله بن مطيع مع ربيع قريش فى جانب المدينة ، وكان معقل بن سنان الأشجعى ، أحد الصحابة على ربيع المهاجرين ، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى فى أعظم تلك الأرباع ، وهم الأنصار .

وصمد مسلم بن عقبة فيمن معه ، فأقبل من ناحية الحرَّة ، حتى

(١) المارق الخارج من الدين بقلالة ، وجسه : المراق .

(٢) أوب ، جهة .

(٣) ثبتت هذه الزيادة فى النسخة (ن) ، ولم يثبت فى النسخة (ك) ، وقد ذكرها كذلك بعض العلماء ، منهم ابن جرير الطبرى فى تاريخه ج ٤ ص ٢٧٤ وابن الأثير فى الكامل ج ٣ ص ٢١٢ ، والراجح عند الزبير بن بكسر وأبي نعيم وابن عبد البر وابن حجر أنه ابن أُمى عبد الرحمن بن عوف .

ضَرَبَ فُسْطَاطَهُ عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ مَرِيضًا ، فَأَمَرَ فَوْضِعَ لَهُ كُرْسَى بَيْنَ الصَّفِيْنِ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ حَرَّضَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ ، فَجَعَلُوا لَا يَقْصِدُونَ رُبْعًا مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ إِلَّا هَزَمُوهُ ، ثُمَّ وَجَّهَ الْخَيْلَ نَحْوَ بَنِي الْغَسِيلِ ، فَكَشَفَهُمْ ^(١) ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَسْلَمٍ ، فَتَهَضَّ فِي وَجْهِهِمْ بِالرِّجَالِ ، وَصَاحَ بِهِمْ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا .

ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ بْنَ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ جَاءَ إِلَى ابْنِ الْغَسِيلِ ، فَقَاتَلَ مَعَهُ فِي ذَوِ عَشْرِينَ فَارِسًا قِتَالًا حَسَنًا ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ ابْنِ الْغَسِيلِ : « مُرَّ مَنْ مَعَكَ فَارِسًا فَلْيَأْتِنِي ، فَلْيَقِفْ مَعِيَ ، فَإِذَا حَمَلْتُ فَلْيَحْمِلُوا (٢) » ، فَوَاللَّهِ لَا أَنتَهَى حَتَّى أَبْلُغَ مُسْلِمًا فَأَقْتُلَهُ أَوْ أَقْتُلَ دُونَهُ ! فَفَعَلَ ، وَجَمَعَ الْجُنْدَ ، فَحَمَلَ بِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَانْكَشَفُوا ، ثُمَّ حَمَلَ وَحَمَلَ أَصْحَابَهُ حِمْلَةً أُخْرَى ، فَانْفَرَجَتْ خَيْلُ الشَّامِ عَنْ مُسْلِمٍ وَمَعَهُ خَمْسُمِائَةٍ رَاجِلٍ جُثَاةً عَلَى الرُّكْبِ مُشْرِعِي الْأَيْسَنَةِ نَحْوَ الْقَوْمِ ، وَمَضَى الْفَضْلُ نَحْوَ رَايَةِ مُسْلِمٍ فَضْرَبَ رَأْسَ صَاحِبِهَا فَقَطَّ . الْمَغْفَرَ وَفَلَنَ هَامَتَهُ ، فَخَرَّ مَيِّتًا ، وَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ! وَظَنَ أَنَّهُ قَتَلَ مُسْلِمًا ، فَقَالَ : قَتَلْتُ طَاغِيَةَ الْقَوْمِ وَرُبَّ أُنْكَبَةٍ ! فَاتَّخَذَ مُسْلِمٌ رَايَتَهُ ، وَكَانَ الْمَقْتُولُ غُلَامًا رُومِيًّا ^(٣) شَجَاعًا ، وَحَرَّضَ مُسْلِمٌ أَهْلَ الشَّامِ ، وَقَالَ : شَلُّوا مَعَ هَذِهِ الرَّايَةِ ، فَمَشَى بِرَايَتِهِ ، وَشَلَّتْ الرِّجَالُ أَمَامَ الرَّايَةِ ، فَضُرِعَ الْفَضْلُ وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ [أَطْنَابِ] ^(٤)

(١) فِي الْكَامِلِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ، « فَعَمِلَ عَلَيْهِمُ ابْنُ الدَّبِيلِ فِي مَنْ مَعَهُ فَكَشَفَهُمْ » .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي (ك) وَجَاءَ فِي النُّسَخَةِ : (ن) : « فَلْيَسْلُ مَعِيَ » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْمَخْطُوطِ مِثْلَ الْكَامِلِ ح ٣ ص ٣١٣ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ح ٤ ص ٣٧٥ : « يَقَالُ لَهُ رُومِي » .

(٤) كَذَا جَاءَ فِي النُّسَخَةِ (ن) ، وَجَاءَ فِي النُّسَخَةِ (ك) : « وَبَيْنَ فُسْطَاطٍ » ،

وَجَاءَ فِي الْكَامِلِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ وَبَيْنَ وَأَطْنَابِ » .

فسطاط. مسلم إلا نحو عشرة أذرع ، وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وأقبلت خيل مسلم ورجاله تحو ابن الغسيل ، فحرض ابن الغسيل أصحابه ، فنهضوا واقتتلوا أشد قتال ، وأخذ ابن الغسيل يُقدم بنيه واحداً واحداً ، حتى قُتلوا بن يديه ، ثم قُتل وقُتل معه أخوه لأمه محمد ابن ثابت بن قيس بن شماس ، وعبد الله بن زيد بن عاصم ، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى . وانهزم الناس .

وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً ، يقتلون الناس ، ويأخذون المتاع والأموال ، فسُمي مسلم بعد وقعة الحرة ^(١) مسرفاً .

وقيل إن مسلماً لما نزل بأهل المدينة خرج إليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة ، فهابهم أهل الشام ، وكرهوا قتالهم ، فلما رأهم مسلم سبهم وذمهم وحرضهم ، وكان شديد الوجع ، فقاتلوا ، فبينما أهل المدينة في قتالهم ^(٢) إذ سمعوا التكبير من خلفهم من جوف المدينة ، وكان سببه أن بنى حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة ، فانهزم الناس ، فكان من أصيب في الخنلق أكثر ممن قُتل .

ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم حوّل ^(٣) له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ماشاء ، فمن امتنع من ذلك قتله .

وأتى يومئذ بعمر بن عثمان بن عفان ، وكان ممن لم يخرج مع

(١) انظر قول علي بن عبد الله بن عباس :

هموا منوا ذمارى يوم جاءت كتاب مسرف وبنوا الكعبة

(٢) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) مثل تاريخ الطبري في ج ٤ ص ٣٨١

وسقطت من النسخة (ك) .

(٣) الخول : العبيد ولعومهم .

بنى أمية ، فقال مسلم : يا أهل الشام تعرفون هذا ؟ قالوا : لا ، قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، هذا عمرو بن عثمان ، هي ياعمرؤ إذا ظهر^(١) أهل المدينة قلت أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، وأمر به فنتفت لحيته ، ثم خلى سبيله .

وكانت وقعة الحرّة لليلتين بقيتاً من ذى الحجة سنة ثلاث وستين . وقتل مسلم جماعة من أهل المدينة صبراً ، فكان منهم على ما ذكر ابن إسحاق والواقدي وويثمة وغيرهم : الفضل بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأبو بكر بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ويعقوب ابن طلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن زيد بن عاصم ، ومعتل ابن سنان الأشجعي ، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، وقتل أيضاً صديراً ابناً زينب بنت أم سلمة ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما^(٢) ابنا عبد الله^(٣) بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى بن قصي ، ولما قُتلا خُملاً إلى أمهما فوضعا بين يديها ، فاسترجعت^(٤) وقالت : والله إن المصيبة علىّ فيهما لكبيرة ، وهي علىّ في هذا أكبر منها في هذا ، أما هذا فجلس في بيته وكف

(١) ظهر : ظلم .

(٢) دلت زينب بنت أبي سلمة بأرض الحبشة ، وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أمها - أم سلمة - وهي ترضعها ، فكانت ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي سماها " زينب " ، وكانت من أمه نساء زمانها .

(٣) كان عبد الله ابن أخت أم سلمة .

(٤) استرجعت : قالت إنا لله وإنا إليه راجعون .

يده فُدِخِلَ عَلَيْهِ فُقُتِلَ مَظْلُوماً ، فَأَنَا أَرْجُوهُ الْجَنَّةَ ، وَأَمَّا هَذَا فَبَسْطَ .
يده ففُتِلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَلَا أُدْرِى عَلامَ هُوَ فِي ذَلِكَ ؟ فَالْمَصِيبَةُ بِهِ أَعْظَمُ
مِنْهَا عَلَى فِي هَذَا ! وَقُتِلَ أَيْضاً يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ .

وانتهى القتل يومئذ فيما ذكروا إلى ثلاثمائة ، كلهم من أبناء
المهاجرين والأنصار . ومنهم جماعة ممن صحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وبلغت قَتْلُ قُرَيْشٍ يومئذ نحو مائة ، وقَتْلُ الأنصار
والحلفاء والموالي نحو مائتين .

وقيل : إن يزيد بن معاوية لما بلغه ما كان من خبر هذه الواقعة
قال :

لَيْتَ أَشْبَاخِي يَبْذُرُ شَهْدُوهَا جَزَعُ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
لَأَهْلُوهَا وَأَسْتَهْلُوهَا فَسَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ
لَسْتُ مِنْ عُتْبَةٍ إِنْ لَمْ أَتُتْرَ^(١) مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلُ
هَكَذَا حُكِي^(٢) عَنْ بَعْضِ الْمُؤَرِّخِينَ . وَالَّذِي أَعْتَقَدُهُ أَنَّ هَذِهِ
الْأَبْيَاتُ مَفْتَعَلَةٌ عَنْهُ وَمَنْسُوبَةٌ^(٣) إِلَيْهِ ، فَإِنَّهَا لَا تَنْصَدِرُ إِلَّا مِنْ نَزْعِ
رَبِيقَةٍ^(٤) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) أَثَرُ : أَهْرَاقُ .

(٢) كَذَا جَاءَ فِي النُّسخَةِ (ك) ، وَجَاءَ فِي النُّسخَةِ (ن) : « قَتَلَ » .

(٣) لِأَنَّهُ أَوْصَى بِعَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ غَيْرًا ، وَلِأَنَّهُ حَارَبَ قُرَيْشًا فِي مَنْ حَارَبَ بِالْمَدِينَةِ ،
وَلِأَنَّ أَلِيَّتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ قَصِيدَةٍ مَعْرُوفَةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ
قَيْسٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ سَعْدٍ بْنِ سَهْمٍ الْقُرَشِيِّ قَالَهَا فِي وَقْتٍ أَحَدُ قَبِيلِ أَنْ يَسْلَمَ ، وَقَدْ حَارَبَهُ
حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ بِقَصِيدَةٍ قَالَ فِيهَا :

فَعَبْتُ يَا بَنِي الزُّبَيْرِ وَقَتُّهُ كَانَ مَنَا الْفُضْلُ لِمَا لَوْعَدُ

ثُمَّ أَسْلَمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَاحْتَلَفَ فِي شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنْ لَسَانِي وَاتَّقِ مَا قَتَلْتُ إِذْ أَنَا بِوَر

(٤) الرِّبْقَةُ : الْعُرْوَةُ فِي الْحَبْلِ .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان يسمى يومئذ « العائد بالبيت » .

سنة أربع وستين

ذكر مسير مسلم بن عقبة إلى مكة

لحصار عبد الله بن الزبير ، ووفاة مسلم

والحصار الأول وإحراق الكعبة

قال ولما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شَخَص نحو مكة بمن معه لقتال ابن الزبير ، واستخلف على المدينة رَوْحَ بن زَنْبَاع الجُدَامِي . وقيل : عمرو بن معرذ الأشجعي . وكان خبر وقعة الحرّة قد أتى عبد الله بن الزبير مع المنصور بن مخزومة هلال الحرم ، فاستعد هو وأصحابه للحرب .

وسار مسلم حتى انتهى إلى المشلل^(١) فمات هناك ، ولما حضرته الوفاة أحضر الحصين بن نعيم السكوني وقال له يابِرْ دُعَةَ الحمار ، لو كان الأمر لي ما وكّيتك هذا الجند . ولكن أمير المؤمنين ولاك^(٢) ، ثم مات .

وسار الحصين فقدم مكة لأربع بقين من الحرم ، وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير [ولحق به من انهزم من أهل المدينة]^(٣)

(١) المشلل : جبل .

(٢) زاد ابن جرير في تاريخه ٤ ص ٣٨٢ قول مسلم بن عقبة : فاحفظ ما أوصيك به : هم الأخبار ، ولا ترح مسلم قريشا أبدا ، ولا تردن أهل الشام عن عهدهم ، ولا تقبلن إلا قلائد حتى تنجز ابن الزبير .

(٣) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

وقدم عليه نَجْدَةُ بن عامر الحنفى من اليمامة فى أناس من الخوارج يمنعون البيت .

فخرج ابن الزبير للقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر ، فبارز المنذر^(١) رجل من أهل الشام ، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة فماتا جميعا . وقاتل المسور بن مخرمة ، ومُضْعَب بن عبد الرحمن بن عوف قتالا شديدا حتى قُتلا ، وصابروهم ابن الزبير إلى الليل ، ثم انصرفوا عنه^(٢) ، ثم أقاموا عليه فقاتلوه بقية المحرم وصيفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الأول سنة أربع وستين أقذفوا البيت بالمجانيق ، وحرقوه بالنار ، وهم يرتجزون :

خطارة^(٣) مثل الفتيق^(٤) المزيد نرمى بها أغواد هذا المسجد واستمروا على القتال والحصار إلى آخر هذا الشهر ، فاتاهم نعى يزيد بن معاوية لهلال شهر ربيع الآخر .

ذكر وفاة يزيد بن معاوية

وشىء من أنجباره

كانت وفاته بمُخَوَّرين من قُرى حمص لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة أربع وستين ، وقيل : فى هذا الشهر من

(١) كذا جاء فى المخطوطة : وجاء فى تاريخ الطبرى : « ثم إن رجلا من الشام دعا المنذر إلى المبارزة . وجاء فى الكامل : « فبارز المنذر رجلا » .

(٢) وهذا فى الحصار الأول .

(٣) وكذلك جاء فى حديث العجاج لما حاصر ابن الزبير بمكة ونصب المشنق « خطارة كالجمل الفتيق » انظر لسان العرب فى خ ط و ء ف ن ق ، شبه وميها بخطر ان الفحل من الإبل تشبها مأخوذا من يبتهم .

(٤) الفتيق : الفحل المكرم من الإبل .

سنة ثلاث وستين ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقيل : تسع وثلاثين ، وقيل : أقل من ذلك إلى خمس وثلاثين .

وكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة^(١) أشهر وأياما ، على القول الأول في وفاته . وحُمل إلى دمشق فدفن بها في مقبرة الباب الصغير ، وصلى عليه ابنه معاوية .

وكان له من الأولاد معاوية وخالد^(٢) وأبو سُفْيَان عبد الله الأكبر أمهم أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وله أيضا عبد الله الأصغر^(٣) ، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وهو الإسوار^(٤) وله أيضا عبد الله أصغر الأصاغر ، وعمير^(٥) وأبو بكر وعتبة وحرب ومحمد لامهات شتى ؛ قيل : وله يزيد والربيع .

وكتبه عتبة^(٦) بن أوس ثم زمل بن عمرو العُذْرِيّ .

وكان نقش خاتمه : «ربنا الله» .

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ

حاجبه خالد مولا ، وقيل : صفوان .

قاضييه أبو إدريس الخولاني .

(١) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في الكامل ج ٣ ص ٢١٧ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٣٨٤ : « وستة أشهر وقيل : ثمانية أشهر » والظاهر أنها ثمانية أشهر ، لأن مبيعة يزيد كانت في رجب ، وجاء في التنبيه والإشراف للمصموي ص ٢٦٤ : « وكانت أيامه ثلاث سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما » .

(٢) كان خالده يكنى « أبا هاشم » وقيل إنه أسلم علم الكيمياء .

(٣) كان من أرمي العرب .

(٤) الإسوار : الجبل الرمي .

(٥) كذا جاء في المخطوطة وجاء في الكامل وتاريخ الطبري : « عمرو » .

(٦) كذا جاء في المخطوطة ، وجاء في التنبيه والإشراف ص ٢٦٥ : « وكتب له عبيد بن أوس الضحاني وزمل بن عمرو المذني وسرجون بن منصور » .

عُمَّالَه على الأمصار [من] ^(١) تسقدم ذكرهم . . الأمير بمصر
مَسْلَمَة بن مُخَلَّد ^(٢) ، ثم تُوُفِّي ^(٣) ، فولأها يزيدُ سعيد ^(٤) بن
يزيد الأزدي من أهل فلسطين . . القاضي بها من قبيل مَسْلَمَة ويزيدُ
عابس ^(٥) بن سعيد ، وجمع له بين القضاء والشرطة ، وكان أمياً
لا يكتب ولا يقرأ .

ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية

وكنيته « أبو عبد الرحمن » و « أبو ليلى » ^(١) ، وأمه أم هاشم
بنت أبي هاشم بن عُثْبَة بن رَبِيعَة ، وهو الثالث من ملوك بني أُمَيَّة ،
بُويع له بالشام في النصف من ربيع الأول سنة أربع وستين .

(١) ثبت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تقب في النسخة (ك) .
(٢) مسلمة بن مخلد الخزرجي الأنصاري ، ولد معاوية مصر بعد عزل عقبة بن عامر
الجهني عنها في سنة سبع وأربعين ، وهو أول من أحدث للشار بالمساجد والجوامع .
(٣) توفى مسلمة لخمس بقين من شهر رجب سنة اثنين وستين ، وكانت ولايته على
مصر خمس عشرة سنة وأربعة أشهر .

(٤) سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن حوف الأزدي ، لما ولاه يزيد إمرة مصر
دخلها في مستهل شهر رمضان ؛ فتلقاه أهل مصر ووجوه الناس وفيهم عمرو الخولاني ، فلما
رآه قال ، « يغفر الله لأمر المؤمنين ! أما كان قبلاً حانة شاب كلهم مثلك يول علينا
أحدهم ؟ » ولم يزل أهل مصر على البغض له حتى توفى يزيد ، فاستجابوا لدعوة بن الزبير ،
فاعتزل سعيد بمصر ولايته بستين .

(٥) كان مسلمة بن مخلد قد خرج إلى الإسكندرية في سنة ستين ، واستخلف على مصر
عابس بن سعيد ، ثم قدم مسلمة من الإسكندرية فجمع لعابس مع الشرطة القضاء في أول سنة ٦١
ثم توفى عابس في سنة ثمان وستين .

(٦) قال المسعودي في التنبيه والإشراف : « معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا
عبد الرحمن ، وإماماً كنى أبا ليل يقرئها له لجزءه عن القيام بالأمر ، وكانت العرب تفعل
ذلك بالماجز من الرجال ، وفيه قال الشاعر :

إني أرى فتنة تغفل مراجلها والملك بعد أبي ليل لمن غلبا

وقيل : بل هذا الشعر قديم يحمل به الشاعر في أيامه .

قال^(١) : ولما كان في آخر إمارته أمر فؤدي : « الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال « أما بعد ، فإني ضعفت عن أمركم ، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر رضي الله عنهما فلم أجده ، فابتغيت ستة من أهل الشورى فلم أجده ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختروا له من أحببتم » . ثم دخل منزله وتغيّب حتى مات ، فقيل : مات مسموما ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ثم طعن^(٢) الوليد فمات من يومه . وقيل : إنه لما كبر تكبيرين مات قبل انقضاء الصلاة ، فتقدم مروان بن الحكم فصلى عليه .

وقيل : إنه أوصى أن يصلى بالناس الضحك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة .

وقيل له عند الموت : ! اعهد إلى خالد بن يزيد ، فقال : والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أنقلد وزرها من بعدى^(٣) ! ولم يكن معاوية هذا ولد .

وكان نقش خاتمه : « الدنيا غرور »^(٤) .

وكانت وفاته لخمس بقرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين .

(١) ابن الأثير في الكامل ٣ ص ٣١٩ .

(٢) طعن : أصابه الطاعون .

(٣) جاء في الكامل أن معاوية بن يزيد قال : « لا أتزود مرارتها وأترك لبنى أمة حلاوتها »

(٤) كذا جاء في الأصل وجاء في التنبيه والإشراف : « وكان نقش خاتمه : « بالله ثقة

معاوية » . . وكتب له زمل بن عمرو القزري وسليمان بن سعيد الخثعمي وسريون النصراني ،

وقاضيه : أبو إدريس الخولاني ، وحاجبه : صفوان مولا . .

وكانت مدة ولايته إلى حين وفاته أربعين يوما ، وقال المدائني :
ثلاثة أشهر ، وقال ابن إسحاق : عشرين يوما .
ومات وله ثلاث وعشرون سنة ، وقال العتبي : سبع عشرة سنة .
والله تعالى أعلم .

فلنذكر أخبار من بُويع بالعراق وخُراسان في زمن هذه الفِتن ، بعد
وفاة يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد إلى أن خلاص الأمر بالحجاز
والعراق وخُراسان لعبد الله بن الزُبَيْر .

ذكر أخبار من بُويع بالعراق

أولم يتم أمره إلى أن بُويع

لعبد الله بن الزُبَيْر وما كان بالعراق من الوقائع في خلال ذلك
كان أول من بُويع بالعراق بعد وفاة يزيد بن معاوية عُبيد الله بن
زياد بن أبيه ، وذلك أنه لما أتاه الخبر بوفاة يزيد ، وبلغه ما الناس
فيه بالشام من الاختلاف ، أمر فتودى : « الصلاة جامعة » ، فاجتمع
الناس ، فصعد المنبر ، فنعى يزيد وعرض بثَلْبِهِ ^(١) ، لأن يزيد كان
قد كرهه قبل موته ، وصرَّح بلعنه بسبب قتل الحسين بن علي ،
حتى خافه عُبيد الله على نفسه ، ثم قال عُبيد الله : « يا أهل البصرة
إن مُهاجَرنا إليكم ، ودارنا فيكم ، [ومولدى فيكم] ^(٢) ، ولقد وُكِّيتكم
وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ، ولقد أحصى اليوم
ثمانين ألف مقاتل ، وما أحصى ديوان عمالكم [إلا تسعين ألفا ،
ولقد أحصى اليوم مائة ألف وأربعين ألفا ، وما تركت لكم ذا

(١) الثاب : اليوم والجب . (٢) الزيادة من الكامل ج ٣ ص ٢٢٠ .

ظِنَّةُ أَخَافَهُ عَلَيْكُمْ ^(١)] إِلَّا وَهُوَ فِي سَجْنِكُمْ ، وَإِنْ يَزِيدُ قَدْ تُؤْتَى ،
 وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ بِالشَّامِ ، وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ أَكْثَرُ النَّاسِ عِدْدًا ، وَأَعْرَضَهُ
 فِتْنَاءً ، وَأَغْنَاهُ عَنِ النَّاسِ ، وَأَوْسَعَهُمْ بِلَادًا ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَجُلًا
 تَرْضَوْنَهُ لِدِينِكُمْ وَجَمَاعَتِكُمْ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَاضٍ بِمَا رَضَيْتُمُوهُ [لِدِينِكُمْ
 وَجَمَاعَتِكُمْ] ^(٢) ، فَإِنْ اجْتَمَعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى رَجُلٍ تَرْضَوْنَهُ دَخَلْتُمْ
 فِيهِمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ كُنْتُمْ عَلَى جَدِيلَتِكُمْ ^(٣)
 حَتَّى تُعْطُوا حَاجَتَكُمْ ، فَمَا بِكُمْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبُلْدَانِ جَاحَةٌ :
 وَمَا يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْكُمْ .

فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ ، وَقَالُوا : قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَاتِكَ ، وَمَا نَعْلَمُ أَحَدًا
 أَقْرَبَى عَلَيْهَا مِنْكَ ، فَهَلُمَّ ^(٤) نَبَايِعَكَ ، فَقَالَ : لِحَاجَةٍ لِي فِي ذَلِكَ .
 فَكُرِّرُوا عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْتِي عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ ثُمَّ انصَرَفُوا
 وَمَسَّحُوا أَيْدِيَهُمْ بِالْحَيْطَانِ ، وَقَالُوا : أَيُّظَنُ ابْنُ مَرْجَانَةَ إِنَّا نُنْقَادُ لَهُ
 فِي الْجَمَاعَةِ وَالْفِرْقَةِ .

قَالَ : وَلَمَّا بَايَعُوهُ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ عَمْرِو بْنِ مِسْمَعٍ
 وَسَعْدِ بْنِ قُرْحَةَ التَّمِيمِيِّ ^(٥) يَدْعُوهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ لَهُ ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا صَنَعَ أَهْلُ
 الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى الْكُوفَةِ وَكَانَ خَلِيفَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَيْهَا
 عَمْرِو بْنُ حُرَيْثٍ ، فَجَمَعَ النَّاسَ ، وَقَامَ الرِّسُولَانِ فَخُطِبَا وَذَكَرَا ذَلِكَ
 لِلنَّاسِ ، فَقَامَ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ وَهُوَ ابْنُ رُوَيْمٍ ، فَقَالَ

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، وسقطت من النسخة (ك) .

(٢) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ك) وسقطت من النسخة (ن) .

(٣) الجديلة : الحالة الأولى .

(٤) « هلم » كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء مثل « تعال » .

(٥) كذا في الأصل وفي تاريخ الطبري « التميمي » ..

الحمد لله الذي أراحنا من ابن سُمَيَّة ، أنحن نبياعه ؟ لا ولا كرامة .
وحصَّبهما الناس بعده ، فشرقت هذه المقالة يزيد بن رُويم بالكوفة
ورفعته ، ورجع الرسولان إلى عُبَيْد الله ، فقال أهل البصرة : أيخلعه
أهل الكوفة ونوكلّيه نحن ؟ ! فضعف سطرانه عندهم ، فكان يأمر
بالأمر فلا يُقضى ويرى الرأي فيردّ عليه ، ويأمر بحبس المخطئ
فيحال بين أعوانه وبينه .

ثم جاء البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلي التميمي ، فوقف في السوق
وبيده لواء ، وقال : أيها الناس ، هلموا إليّ ، إني أدعوكم إلى ما لم يذعُكم
إليه أحد ، أدعوكم إلى العائد بالحرم ، يعني عبد الله بن الزُبَيْر .
فاجتمع إليه ناس ، وجعلوا يبايعونه ، فبلغ الخبر ابن زياد ، فجمع
الناس فخطبهم وذكرهم بما كان من بيعته وقال : إني بلغني أنكم مسحتم
أكفكم بالحيطان وباب المسجد ، وقلتم ما قلتم ، وإني آمر بالأمر
فلا ينفذ ، ويردّ على رأيي ، ويحال بين أعواني وبين طلبتي ، ثم
هذا سلمة بن ذؤيب يدعوكم إلى الخلاف عليكم ، ليفرق جماعتكم ،
ويضرب بعضكم رقاب بعض ^(١) ! .

فقال الأحنف والناس : نحن نأتيك بسلمة ، فاتّوه ، فإذا
جمعه قد كثف والفتق قد اتسع ، ففقدوا عن ابن زياد فلم يأتوه
فلما رأى ذلك أرسل إلى الحارث بن قيس بن صُهبان الجهضمي
الأزدي ، فأحضره وسأله الهرب به ، فقال : يا حارث ! إن أبي
أوصاني إن احتجت إلى الهرب يوما ما أن أختاركم ، فقال الحارث ^(١)

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) .

قد اخترنا أباك فلم نجد عنده ولا عندك مكافأة ، وما أدري كيف أتأتى لك إن أخرجتك نهاراً أخاف أن تقتل وأقتل ، ولكني أقيم معك إلى الليل ، ثم أزدفك خلفي لئلاً نعرف ، فقال عبيد الله : نِعْمَ مارأيت ، فأقام عنده ، فلما كان الليل حَمَلَه خلفه ، وكان في بيت المال تسعة عشر ألف ففرق ابن زياد بعضَها في مَوَالِيه ، وادَّخَرَ الباقي لآل زياد ،

قال : وسار الحارث بعبيد الله ، فكان يمرّ به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحرورية ، حتّى انتهوا إلى بني ناجية ، فقال بنوا ناجية : من أنت ؟ قال : الحارث بن قيس . وعرف رجل منهم عبيد الله ، فقال : ابن مرّجانة ! وأرسل سهما فوقع في عمامته ومضى به الحارث حتّى أنزله في داره بالجهازم ؛ فقال له ابن زياد : « يا حارث ، إنك قد أحسنت ، فاصنع ما أشير به عليك . قد علمت منزلة مسعود بن عمرو ، وشرفه وسنّه ، وطاعة قومه له ، فهل لك أن تذهب بي إليه فأكون في داره ، فبهي وسط . الأزد ؟ فإنك إن لم تفعل فُرق عليك أمر قومك ، فأخذ الحارث فدخل على مسعود فلم يشعر حتّى رآهما ، فقال للحارث : أعوذ بالله من شر ما طرقتني به ، قال : ما طرقتك إلا بخير ، ولم يزل الحارث يلطف بمسعود في أمره حتّى قال له : أخرجني من بيتك بعد ما دخله عليك ؟ فأمره مسعود فدخل بيت أخيه عبيد الغافر بن عمرو ، ثم ركب مسعود من ليثته ومعه الحارث وجماعة من قومه ، فطافوا بالأزد فقالوا : إن ابن زياد قد قُتِل . وإنما لأناس من أن تُلطخوا به . فأصبحوا في السلاح ، وفقد الناس بن زياد فقالوا : ما هو إلا في الأزد . [وقيل : إن الحارث لم يكلم

مسعوداً ، بل أمر عبید الله ^(١) [فحمل معه مائة ألف درهم وأتى بها أم بسطام امرأة مسعود وهي بنت عم الحارث ومعه عبید الله ، فاستأذن عليها ، فأذنت له .] فقال : قد أتيتك بأمر تسودين به نساء العرب ، وتتعجلين به الغنى ، فأخبرها الخبر ^(٢) وأمرها أن تدخل ابن زياد البيت ، وتلبسه ثوباً من ثياب مسعود ، ففعلت ، فلما جاء مسعود أخذ برأسها يضربها ، فخرج عبید الله والحارث عليه ، وقال ، لقد أجارتني وهذا ثوبك على ، وطعامك في بطني ، وشهد الحارث ، وتلفظوا به حتى رضى . فلم يزل ابن زياد في بيته حتى قتل مسعود ، فسار إلى الشام على ما ذكره إن شاء الله .

قال : ولما قُتل ابن زياد بقي أهل البصرة بغير أمير . فاختلفوا فيمن يؤمرونه عليهم ، ثم تراضوا بقيس بن الهيثم السلمي ، وبنعمان بن سفيان ليختارا من يرتضيان لهم ، وكان رأى قيس في بني أمية ، ورأى النعمان في بني هاشم ، فقال النعمان : ما أرى أحداً [أحق بهذا الأمر] ^(٢) من فلان ، (لرجل من بني أمية) . وقيل بل ذكر عبد الله بن الأسود الزهرى ، وكان هو قيس فيه ، وإنما قال النعمان ذلك خديعة ومكرأ بقيس ، فقال قيس : قد قللتك أمري ورضيت من رضيت ، ثم جاء ^(٣) إلى الناس ، فقال قيس بن الهيثم : قد رضيت من رضى النعمان .

(١) الزيادة من ابن الأثير ج ٣ ص ٣٢١ .

(٢) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ك) ، ولم تثبت في النسخة (ن) .

(٣) كذا جاء في النسخة (ك) ، وجاء في النسخة (ن) « خرجا » .

ذكر ولاية عبد الله بن الحارث البصرة

قال : ولما اتفق قيس والنعمان ، ورضى قيس بمن يؤمره النعمان ، أشهد عليه النعمان بذلك ، وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا . ثم أتى عبد الله بن الأسود ، وأخذ بيده واشترط عليه ، حتى ظن الناس أنه يبايعه ، ثم تركه .

وأخذ بيد عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو الملقب : « ببه » ^(١) واشترط عليه مثل ذلك ، ثم حمد الله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وجق أهل بيته وقرباته ، ثم قال : « أيها الناس ، ما ننقمون من رجل من بني عم نبيكم وأمه هند بنت أبي سفيان ، فإن كان الأمر فيهم فهد ابن أختهم » : ثم أخذ بيده وقال ، قد رضيت لكم هذا . فنادوا : قد رضينا ، وبايعوه . وأقبلوا به إلى دار الإمارة حتى نزلها . وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين .

ذكر مقتل مسعود بن عمرو الأزدي

وهرب عبيد الله بن زياد إلى الشام

قال : ثم إن الأزدي وربيعة جددوا الحلف الذي كان بينهم ، وأنفق ابن زياد مالا كثيراً فيهم حتى تم الحلف ، وكتبوا بينهم بذلك كتابين : فلما تحالفوا اتفقوا على أن يردوا ابن زياد إلى دار الإمارة ، فساروا ورئيسهم مسعود بن عمرو ، فقال لابن زياد : سر معنا ، فلم

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٩٨ والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٢٢٢ وشرح ابن عيسى للمفصل ج ١ ص ٣٢ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٤٠٣ وما في (يب) و (جلب) في لسان العرب وناج العروس ، ربيعة في الأصل : حكاية صوت صبي .

يفعل ، وأرسل معه مَوَالِيه على الخيل ، وقال لهم لا يَحْدُثُنَّ خَيْرٌ ولا شر إلا أنبأتموني به .

فجعل مسعود لا يأتى سكة ولا يتجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الموالى إلى ابن زياد بالخبر ، وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا سكة البربد ، وجاء مسعود فدخل المسجد وصعد المنبر ، وعبد الله ابن الحارث في دار الإمارة ، فقيل له ، إن مسعود وأهل اليمن وربيعه قد ساروا وسيهيج بين الناس شر ، فلأصلحت بينهم وركبت في بنى تميم ، فقال : أبعدهم الله ، والله لا أفسدت نفسى في صلاحهم ، وسار مالك بن مسمع نحو دور بنى تميم حتى دخل سكة بنى العذوية ، فحرق دورهم نارا في نفسه منهم .

وجاء بنو تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا : يا أبا بحر ، إن ربيعة والأزد قد تحالفوا وقد ساروا إلى الرحبة فدخلوها ، فقال ، لستم بأحق بالمسجد منهم ، فقالوا : قد دخلوا الدار ، فقال : لستم بأحق بالدار منهم ، فأتته امرأة بجمر وقالت له : مالك وللرياسة ؟ إنما أنت امرأة تنجم .

ثم أتوه فقالوا : إن امرأة منا قد نزعَت خلاخيلها ، وقد قتلوا الصباغ الذى على طريقك ، وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد . وقد دخل مالك بن مسمع سكة بنى العذوية فحرق ، فقال الأحنف : أقيموا البينة على هذا ، ففى بعض هذا ما يحل به قتالهم ! فشهدوا عنده على ذلك ، فقال الأحنف : أجد عباد بن حصين ؟ قالوا لا : ثم قال : أجد عباد ؟ قالوا لا . قال : أهاهنا عيس بن ظلق قالوا : نعم ، [فدهاه] (١)

(١) ثبتت الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

فانتزع معجراً^(١) من رأسه ففقد في رمح ثم دفعه إليه ، فقال :
سر ، فسار وصاح الناس : « هاجت زبراء » (وزيراء أمة للأحنف
كثروا بها عنه)^(٢) .

فسار عيس إلى المسجد ، فقاتل الأزد على أبوابه ، ومسعود يخطب
على [المنبر]^(٣) . ثم أتوه فاستنزلوه وقتلوه ، وذلك أول شوال
سنة أربع وستين ، وانهزم أصحابه .

وكان ابن زياد قد تهيأ لما صعد مسعود المنبر ليحجىء دار الإمارة ،
ف قيل له إن مسعود قد قُتل ، فركب ولحق بالثمام :

وأما مالك بن يسلم فأتاه ناس من مصر فحاصروه في داره وحرقوه .
ولما هرب ابن زياد تبعوه فأعجزهم ، فنهبوا ما وجدوا له ، ففنى
ذلك بقول واقد بن خليفة التميمي .

يارب جبّار شديد كَلْبَةٍ قد صار فينا تاجه وسلّبه
منهم عبيد الله حين تسلّبه جِيَادُهُ وبزْدُهُ ونسْنهْبُهُ
يوم التقى مِقْبِنُنَا^(٤) ومقْبِنُهُ لولم يُنْسَجْ ابن زياد هربه

وقد قيل في قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما قدمناه . وهو أنه
لَمَّا استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو وأجاره ، ثم سار ابن زياد إلى

(١) المعبر هنا : الحمامة .

(٢) « زبراء » جارية سليطة كانت للأحنف ، وكانت إذا غضبت قال الأحنف
« هاجت زبراء » . ثم سارت مثلاً لكل من هاج غضبه .

(٣) الزيادة من ابن الأثير والطبري .

(٤) المقْبِن جماعة الخيل والفرسان .

الشام وأرسل معه مسعود مائة من الأزد حتى قدموا به إلى الشام ،
ولما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها ، فقال بنو تميم وقيس :
لا نرضى إلا رجلا ترضاه جماعتنا ، فقال مسعود : قد استخلفني
ولا أدع ذلك أبدا ، وخرج حتى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعت
تميم إلى الأحنف ، فقالوا له : إن الأزد قد دخلوا المسجد قال : إنما هو
لهم ولكم ، قالوا : قد دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر .

وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله
إلى الشام ، فزعم الناس أن الأحنف بعث إليهم : إن هذا الرجل الذي
قد دخل القصر هو لنا ولكم عدو ، فما يمنعكم منه ؟ ! فجاءت عصابة
منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبائع من أتاه ، فرمأه
عليج يقال له مسلم من أهل فارس ، كان قد دخل البصرة وأسلم
ثم صار من الخوارج ، فأصاب قلبه فقتله ، فقال الناس : قتله
الخوارج . فخرج الأزد إلى تلك الخوارج ، فقتلوا منهم وجرحوا ،
وطردوهم عن البصرة ، ثم قيل للأزد : إن تميما قتلوا مسعودا ،
فأرسلوا يسألون ، فإذا ناس من تميم تقوله ، فاجتمعت الأزد عند
ذلك ، فرأسوا عليهم زياد بن عمرو أخا مسعود ، ومعهم مالك بن
مسمع في ربيعة ، وجاءت تميم إلى الأحنف يقولون : قد خرج القوم ،
وهو لا يتحرك ، فأتته امرأة جهم فقالت : اجلس على هذا ، (أي إنما
أنت امرأة) ، فخرج الأحنف في بني تميم ومعهم من بالبصرة من
قيس ، فالتقوا ، فقتل منهم قتلى كثيرة ، فقال لهم بنو تميم :
« يا معشر الأزد ، الله الله في دماننا ودمائكم ، بيننا وبينكم القرآن ،
ومن شتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيعة فاختاروا

أفضل رجل فينا فاقتلوه ، وإن لم تكن لكم بيئة فينا تحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم له قاتل ، وإن لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم . وسفر بينهم عبيد الله بن مغموع عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فطلبوا عشر ديات ، فأجابهم الأحنف إلى ذلك ، وأصطلحوا عليه .

قال : وأما عبد الله بن الحارث « بَبَّه » فإنه أقام يصلى بالناس حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله أميرا من قبل ابن الزبير .

وقيل : كتب ابن الزبير إلى عمر بعهدة على البصرة ، فأتاه الكتاب وهو متوجه إلى العمرة ، فكتب عمر إلى أخيه عبيد الله يأمره أن يصلى بالناس ، فصلى بهم حتى قدم عمر ، فبقى عمر أميرا شهراً ، ثم قدم الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي فعزله ووليها الحارث .

وقيل : بل اعتزل عبد الله بن الحارث « بَبَّه » أهل البصرة بعد قتل مسعود ، فكتب أهل البصرة بعد قتل مسعود إلى ابن الزبير : وكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلى بالناس ، فصلى بهم أربعين يوماً .

هذا ما كان من أمر البصرة ، فلنذكر خبر أهل الكوفة .

ذكر خبر أهل الكوفة

وما كان من أمرهم [بعد ابن زياد] ^(١)

إلى أن بويع ابن الزبير

كان من خبرهم أنهم لما حَصَبُوا رُسُلَ ابن زياد على ما ذكرناه
عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث ، واجتمع الناس وقالوا :
نُؤمِّرُ علينا رجلاً إلى أن يجتمع الناس على خليفة ، فاجتمعوا على
عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فجاءت نساء هَمْدَانِ يَبْكِينَ الحسين
ابن علي رضي الله عنهما ورجالهم متقلدو السيوف ، فأطافوا بالمنبر ،
فقال محمد بن الأشعث : جاء أمر غير ما كنا فيه . وكانت كندة
تقوم بأمر عمر بن سعد ، لأنهم أخواله ، فاجتمعوا على عامر بن مسعود
ابن أمية بن خلف بن وهب الجمحي ، فخطب أهل الكوفة فقال :
إن لكل قوم أشربةً ولذات فاطلبرها في مظانها ، وعليكم بما يحِلُّ
ويُحْمَدُ ، واكسروا شرابكم بالماء ، وتواروا عني بهذه الجُدُرَانِ .

فقال ابن همام ^(٢) :

اشرب شرابك وانعم غير محسود

واكسره بالماء لاتعص ابن مسعود

إن الأمير اه في الخمر مأدبة

فاشرب هنيئاً مريئاً غير تصريح ^(٣)

(١) ثبتت هذه الزيادة في النسخة (ن) ، ولم تثبت في النسخة (ك) .

(٢) هو عبد الله بن همام السلولي .

(٣) التصريح : شرب دون الرى .

من ذا يحرم ماء المزن خالطه

من قعر خابية ماء العناقيد

إني لأكره تشديد الرواة لنا

فيها ويعجبني قول ابن مسعود

وكثير من الناس يظن أن ابن مسعود المذكور في هذا الشعر

هو عبد الله بن أم عبد ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك .

قال : ولما بايعه أهل الكوفة كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأقره

عليها ، فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ، ثم استعمل

عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري على الصلاة ،

وإبراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج ، واستعمل محمد بن

الأسعفت بن قيس على الموصل .

ذكر خبر خراسان

وما كان من أمر سلم بن زياد وبيعتة

وخبر عبد الله بن خازم

كان من خبر خراسان أنه لما بلغ سلم بن زياد وهو العامل عليها

موت يزيد بن معاوية كتم ذلك ، فقال له ابن عرادة :

يأيها الملك المغلق بابك حدثت أموراً شأنهن عظيم

قتلن بحرّة والذين بكابل وزيد أغلن شأنه المكنوم

أبني أمية إن آخر ملوككم جسد بجوازين ثم مقيم

طَرَقَتْ مَنِيَّتُهُ وَعِنْدَ وَسَادِهِ كُوبٌ وَزِقٌ رَاعِفٌ مَرْتُومٌ (١)
وَمُرْنَةٌ تَبْكِي عَلَى نَشْوَانِهِ بِالصَّنَجِ تَقْعُدُ مَرَّةً وَتَقُومُ

فلما ظهر شعره أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ،
ودعا الناس إلى البيعة على الرضاح حتى تستقيم أمور الناس على خليفة ،
فبايعوه ، ثم نكثوا به بعد شهرين ، فلما خلعه خرج عنهم واستخلف
المهلب بن أبي صفرة ، فلما كان بسرخص لقيه سليمان بن مرثد
أحد بني قيس بن ثعلبة بن ربيعة ، فقال له : أضاقت عليك نزار
حتى خلقت على خراسان رجلا من اليمن ، يعني المهلب . فولاه
مرؤ الروز ، والفارياب ، والطارقان ، والجزجان . ووُلِّيَ أَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
ابن زُفَرٍ (وهو صاحب قصر أوس بالبصرة) هَرَاةً ، فلما وصل سلم
إلى نيسابور لقيه عبد الله بن حازم ، فقال له : من وليت خراسان ؟
فأخبره فقال : « أما وجدت من مُضَرٍّ من تستعلمه ، حتى فرقت
خراسان بين بكر بن وائل واليمن ! اكتب لي عهدا على خراسان » ،
فكتب له وأعطاه مائة ألف درهم .

وسار ابن خازم إلى مرو ، وبلغ خبره المهلب ، فأقبل فاستخلف
رجلا من بني جُشَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمٍ ، فلما وصلها ابن
خازم منعه الجُشَمِيُّ ، وجرت بينهما مناوشة ، فأصابته الجُشَمِيُّ
رَمِيَّةً فِي جَبْهَتِهِ ، وتحاجزا ، ودخلهما ابن خازم ، ومات الجُشَمِيُّ
بعد ذلك بيومين .

(١) زق راعف : يسيل من الامتلاء .

ثم سار ابن خازم إلى مرو فقاتله سليمان بن مرثد أياما ، فقتل
سليمان ، ثم سار بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا
فقتل عمرو بن مرثد ، وأنهم أصحابه ، فلاحقوا بهرة بأوس بن
ثعلبة ، ورجع ابن خازم إلى مرو .

وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل إلى هرة ، وانضم
إليها من كان بكور خراسان من بكر ، فكثر جمعهم ، وقالوا لأوس
ابن ثعلبة : نبياعك على أن تسير إلى ابن خازم وتخرج مضمرا من
خراسان ، فأبى عليهم ^(١) فهُمُوا ^(٢) بمبايعه غيره ، فأجابهم ،
فبايعوه ، فسار إليهم ابن خازم فنزل على واد بينه ^(٣) وبين هرة ،
فأشار البكريون بالخروج من هرة وعمل خندق ، فقال أوس :
بل نلزم المدينة فإنها حصينة ، وأطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا
ما نريد ، فأبوا عليه ، وخرجوا فخذقوا خندقا ^(٤) . وقتلهم ابن
خازم نحو سنة .

فنادى هلال الضبي وهو من أصحابه فقال : « إنما تقاتل إخوانك
وبنى أبيك ، فإن نلت منهم الذي تريد فما في العيش خير ، فلو
أعطيتهم شيئا يرضون به : وأصلحت هذا الأمر ! » فقال : والله
لو خرجنا إليهم عن خراسان ما رضوا ^(٥) » ! فقال هلال : لا والله

(١) فقال لهم : هذا يفي ، وأهل اليمن عذولين ، أقيدوا بكانكم هذا ، فإن
ترككم ابن خازم ، وما أراه يفعل ، فارضوا بهذا الناحية ، وغدوا وما هو فيه .
(٢) قال له بنو صهيب : لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضر في بلد ، وقد قتلوا
بن مرثد ، فإذا أبيتنا إلى هذا وإلا أمرنا علينا غيرك .

(٣) عبارة الطبري : « بين عسكره وبين هرة » .

(٤) عبارة الطبري « وخرجوا من المدينة فخذقوا خندقا » .

(٥) زاد الطبري « ولو استطاعوا أن يخرجوك من الدنيا لأخرجوك » .

لا أقاتل معك أنا ولا رجل يطيعني حتى تُعَلد إليهم ! قال - فأنت رسول إليهم فأرضهم .

فأتى هلال إلى أوس بن ثعلبة ، فتأشده الله والقرابة في نزار ، وأن يحفظ . دماءها ، فقال : هل لقيت بني صُهب : قال : لا ، قال : فآلبهم . وبنو صُهب هم موالى بنى جحدر ، وهم الذين أَلزموا أوس ابن ثعلبة بالقتال ، فخرج هلال من عند أوس فلقى جماعة من رؤساء أصحابه ، فأخبرهم ما أتى له ، فقالوا له : هل لقيت بني صُهب ؟ فقال : لقد عظم أمر بني صُهب عندكم ! فأتاهم يكلّمهم ، فقالوا : والله لولا أنك رسول لقتلناك . قال : فما يرضيكم شيء ؟

قالوا : « واحد من اثنين ^(١) ، إما أن تخرجوا من حراسان ^(٢) ، وإما أن تقيموا وتخرجوا لنا كل سلاح وكراع وذهب وفضة » . فرجع هلال إلى ابن خازم ، فقال : ما عندك ؟ فأخبره ^(٣) الخبر فقال : إن ربعة لم تنزل غضاباً على ربّها منذ بعث نبيه من مضر !

وأقام ابن خازم يقاثلهم ، فلما طال مقامه ناداهم يوماً : يا معشر ربعة ، أرضيتم بنى من حراسان بخندقكم ؟ ! فأحفظهم ذلك ، فتنادوا للقتال ، فنهاهم أوس عن الخروج بجماعتهم ، فعصوه ، وخرجوا ، فقاتلوا ساعة ، ثم انهزموا ، حتى انتهوا إلى خندقهم ، وتفرقوا عينا وشمالا ، وسقطوا في الخندق ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وهرب أوس بن ثعلبة وبه جراحات ، وحلف ابن خازم لا يوثق بتأسير

(١) في تاريخ الطبري : « واحدة من اثنين » .

(٢) زاد الطبري قولهم : « ولا يعرفها لمضر داع » .

(٣) وقال له : « وجدت إخواناً قطعاً للرسم » .

يومه ذلك إلا قتله وسار أوس بن ثعلبة إلى سجستان فمات بها أو قريباً منها ، وقتل من بكر يومئذ ثمانية آلاف ، وغلب ابن خازم على هرة واستعمل عليها ابنه محمداً وضم إليه شماس بن دينار الطاردي ، وجعل بكير بن وشاح الثقفي على شرطته ، ورجع ابن خازم إلى مرو . وفي هذه السنة بعد موت يزيد خالف أهل الري ، وكان عليهم الفرخان الرازي ، فوجه إليهم عامر بن مسعود وهو أمير الكوفة محمد بن عُمير بن عطاردي بن حاجب بن زرارة بن عيسى التميمي الداري فهزمه أهل الري ، فبعث إليهم عامراً عتّاب بن ورقاء التميمي ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل الفرخان وأهزم المشركون . هذا ما كان من أخبار العراق وخراسان بعد وفاة يزيد ، فلنذكر أخبار عبد الله بن الزبير ، وما تبخلل أيامه من أخبار غيره التي حدثت في أعماله .

ذكربيعة عبد الله بن الزبير

وما حدثت في أيامه من الوقائع والحوادث المتعلقة به
والكائنات (١) في أعمال ولايته

هو أبو خُبَيْب (٢) ، وقيل : أبو بكر (٣) عبد الله بن الزبير ابن العوّام بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العزّي بن قُصَيّ ، يجتمع نسبه ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قُصَيّ ، وأمه أسماء

(١) كذا جاء في (ك) و(هـ) في النسخة (ن) « والمكاتبة » .

(٢) « أبو خبيب » كنية عبد الله بن الزبير بأكثر أولاده « خبيب » ، ومن ذلك قول الشاعر :

أرى الحاجات عند أبي خبيب تكبد ولا أمة في البلاد

(٣) كناه النبي صلى الله عليه وسلم بكنية جده أبي أمية . أي بكري الصديقي .

بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وهى ذات النطاقين ^(١) ، وهو أول مولود ولد بالمدينة من المسلمين ^(٢) بعد الهجرة .

وكان ابتداء أمره فى البيعة له ما قدمناه ؛ من خروجه من المدينة لما توفى معاوية بن أبى سفيان ، ووصوله إلى مكة ، وأنه أقام بالبيت وقال : أنا العائد بهذا البيت .

فلما قُتِل الحسين بن على رضى الله عنهما فى سنة إحدى وستين كما ذكرنا ، قام عبد الله فى الناس فعظم قتله ، وعاب أهل العراق عامة ، وأهل الكوفة خاصة ، فحيد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن أهل العراق غدروا فُجْرًا إلا قليلا ، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق ، وإنهم دعوا حسينًا لينصروه ويؤثروا عليهم ، فلما قدم عليهم ثاروا عليه ، فقالوا له : إما أن تضع يدك فى أيدينا فنبيث بك إلى ابن زياد بن سمية فيمضى فيك حكمه ، وإما أن تُخارب ، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل فى كثير ، وإن كان الله لم يُطْلِع على الغيب أحدا أنه يقتول ، ولكنه اختار المينة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسينًا ، وأخرى قاتله . لعمرى لقد كان من خلافهم إياه ، وعصيانهم ، ما كان فى مثله واعظ . وناب عنهم ، ولكنه قدر نازل ، وإذا أراد الله أمرًا لم يُدْفَع ، أفبعد الحسين يُطمأن إلى هؤلاء القوم ، ويصدق قولهم ، ويُقبل لهم عهد ؟ لا والله لانراهم لذلك أهلا ، أم والله لقد

(١) ذكر المؤلف حديث الهجرة فى الجزء ١٦ من نهاية الأرب فقال ص ٣٣٣ : قطعت أساء قطعة من نطاقها فأوكأت بها الجراب ، وقطعة أخرى صيرها عصا لغم القرية ، فلذلك سميت أساء « ذات النطاقين » .

(٢) الله قال ابن عبد البر فى الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠١ : « من المهاجرين » .

قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أحقَّ بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أُمُّ الله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الحذاء ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تَطْلَاب الصَّيد - يعرض بيزيد - ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (١) .

فثار إليه أصحابه ، وقالوا : أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحدٌ إذ هلك الحسينُ ينازعك هذا الأمر . وقد كان عبد الله قبل ذلك يبايع سراً ، فقال لهم : لاتعجلوا . هذا وعمرو بن سعيد عامل مكة ، وهو أشدُّ شيء على عبد الله بن الزبير ، وهو مع ذلك يُداري ويرفق . فلما استقرَّ عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة أعطى الله عهداً ليوثقته في سلسلة ، فبعث إليه سلسلةً من فضة مع ابن عضادة (٢) الأشعري ومسعدة وأصحابهما ليأتوه به فيها ، وبعث معهم بُرنسٌ جَزَّ ليلبس به عليها لئلا تظهر للناس .

فاجتاز أبو عضادة بالمدينة وبها مروان بن الحكم ، فأخبره بما قديم له ، فأرسل مروان معه ولدين له ، أحدهما عبد العزيز ، وقال : إذا بلغته رسول يزيد الرسالة فتعرضا له ، وليتمثل أحدهما بهذا الشعر :

فخذها فليست للعزيز بخطة وفيها مقال لا مريء متذلِّل

أعامر إن القوم ساموك خطة وذلك في الجيران عز لا بمعزل (٣)

أراك إذا ما كنت للقوم ناصحا يقال له بالدلو أدبر وأقبل

(١) من الآية ٥٩ من سورة مريم .

(٢) في تاريخ الطبري « عضادة » وفي الكامل « عطاء » .

(٣) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٥ : « وذلك في الجيران عز لا بمعزل » .

فلما بلغه الرسلُ الرسالة أنشد عبد العزيز الأبيات ، فقال ابن الزبير : يا بني مروان قد سمعتُ ما قلتما فأخبراً أباكما :
 إني لمن نبعة صُمٌ مكاسرها إذا تناوحتِ القصباء والعُشُرُ
 فلا أَلين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرر الماضغ الحجرُ
 وامتنع من رسل يزيد .

فقال الوليد بن عُتبة وناس من بنى أمية ليزيد : لو شاء عمرو ابن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث إليك به ، فعزل يزيد عمرا واستعمل الوليد بن عُتبة على الحجاز ، فأقام الوليد يريد غرة عبد الله فلم يجده إلا مُتَحَدِّراً ممتنعاً .

وثار نَجْدَةُ بن عامر الحنفى باليمامة حين قُتل الحسين ، وكان الوليد يفيض بالناس من المعروف ، ويقف ابن الزبير وأصحابه ونَجْدَةُ وأصحابه ، ثم يفيض ابن الزبير وأصحابه ، ونجدة بأصحابه ، لا يُفيض واحد منهم بإفاضة أحد . وكان نَجْدَةُ يلقي عبد الله بن الزُّبَيْر ويكثر حتى ظنَّ الناس أنه سيبايعه .

ثم [كُتِبَ] ^(١) عبد الله بن الزبير إلى يزيد في شأن الوليد فعزله يزيد كما تقدم ، واستعمل عثمان بن محمد بن أبي سفيان . وكان من خبر أهل المدينة في خلافهم يزيد ، ووقعة الحرّة ، والحصار الأول ما قدمناه .

فلما مات يزيد بن معاوية بلغ الخبير عبد الله بن الزبير والحُصَيْن ابن ثُمَيْر ومن معه من عسكر الشام يحاصرونه ، وقد اشتد جصارهم ،

(١) الزيادة من ابن الأثير والطبري .

فقال لهم عبد الله وأهل مكة : عَلَّامٌ تقاتلون وقد هلك طاغيتكم ؟ فلم يُصدِّقوهم ، فلما بلغ الحُصَيْنَ خبر موت يزيد بعث إلى ابن الزبير فقال : موعد ما بيننا الليلة الأبطح ، فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحُصَيْنَ ، فجاء حَمَامُ الحرم يلتقط رَوْثَ فرس الحُصَيْنَ ، فكفَّ الحُصَيْنُ فرسه عن الحمام ، وقال : أخاف أن يقتل فرسي حَمَامُ الحرم . فقال له ابن الزبير : تتخرجون من هذا وأنتم تقاتلون المسلمين في الحرم ، فكان فيما قال له الحُصَيْنُ : « أنت أحقُّ بهذا الأمر ، هَلُمَّ فلنبايعك ، ثم أخرج معي إلى الشام ، فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فوالله لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمن الناس ، وتهدر الدماء التي كانت بيننا وبينك ، وبين أهل الحرة » ، فقال له أنا لا أهدر الدماء ، والله لا أرضى أن أقتل بكل رجلٍ منهم عشرة . وأخذ الحُصَيْنُ يُكَلِّمُه سرا وهو يجهر ويقول : وَالله لا أفعل ، فقال له الحُصَيْنُ : قبح الله من يعدُّك بعد هذا داهياً أو أريباً ، قد كنت أخذتُ لك رأياً ، وأنا أكلمك سراً ، وتكلمني جهراً ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعدُّني القتل والهلكة . ثم فارقه ورحل هو وأصحابه نحو المدينة .

وندم ابن الزبير على ما صنع ، فأرسل إلى الحُصَيْنِ يقول : أما المسير إلى الشام فلا أفعله ، ولكن بايعوا لي هناك ، فإني مؤمنكم وعادل فيكم ، فقال الحُصَيْنُ : إن لم تقدم بنفسك لا يعشَى الأمر ، فإن هنالك ناساً من بني أمية يطلبون هذا الأمر . وسار الحُصَيْنُ إلى المدينة فخرج معه بنو أمية إلى الشام .

وبويح عبد الله بن الزبير بمكة لسبع بقين من رجب سنة أربع وستين ، واجتمع لعبد الله بن الزبير الحجاز والكوفة والبصرة والجزيرة وأهل الشام ، إلا أهل أُرْدُن ومصر .

ثم بويح مروان بن الحكم بالشام ، فكان من أمره في وقعة مَرَج راهط . ومسيره إلى مصر واستيلائه عليها ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره .

ذكر فراق الخوارج عبد الله

وما كان من أمرهم

وفي سنة أربع وستين فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكة عبد الله بن الزبير ، وكانوا قد قاتلوا معه أهل الشام .

وكان سبب قدومهم عليه أنه لما اشتد عليهم عُبيد الله بن زياد بعد قتل أبي بلال ، اجتمعوا وتذاكروا فأشار عليهم نافع بن الأزرق أن يلحقوا بابن الزبير ، وقال : إن كان على رأينا جاهدنا معه ، وإن كان على غير رأينا دافعنا عن البيت ، فلما قدموا عليه سُرَّ بمقدمهم وأخبرهم أنه على مثل رأيهم من غير استفسار ، فقاتلوا معه أهل الشام ، ثم اجتمعوا بعد وفاة يزيد وقالوا : إن الذي صنعتم بالأمس لغير رأى ، تقاتلون مع رجل لا تدرون ، لعله ليس على مثل رأيكم ، وقد كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ، وينادي « يا ثاراتِ عثمان » فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان ، فنظر فإذا أصحابه حوله قليل فقال : إنكم أتيتموني حين أردت القيام ، ولكن اثتوني عشية النهار حتى أعلمكم ؛ فأنصرفوا .

وبعث ابن الزبير إلى أصحابه ، فاجتمعوا عنده بأيديهم العهد .

فقال ابن الأزرقي : إن الرجل قد أزمع خلافكم ، فتقدم إليه نافع بن الأزرقي وعبيدة بن هلال ، فقال عبيدة : بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه عمل بكتاب الله حتى قبضه الله ، واستخلف الناس أبا بكر ، واستخلف أبو بكر عمر ، فكلاهما عمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم إن الناس استخلفوا عثمان ، ونقصه ، وقبح أفعاله ، وتبرأ منه ، ووالى قتلته ، ثم قال : فما تقول أنت يا ابن الزبير : ؟! فحمد بن الزبير الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد فهمت الذى ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو فوق ما ذكرت ، وفوق ما وصفت ، وفهمت الذى ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وقفت وأصبت ، وفهمت الذى ذكرت به عثمان ، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني ، كنت معه حيث نقم [القوم] ^(١) عليه واستعتبوه فلم يدع شيئا إلا أعتبهم منه ، ثم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه يأمر فيه بقتلهم ، فقال لهم : ما كتبته ، فإن شئتم فهاتوا بينتكم ، فإن لم تكن حلفت لكم . فوالله ما جاعوه ببينة ، ولا استخلفوه ، ووثبوا عليه فقتلوه ، وقد سمعت ما عبته به ، فليس كذلك ، بل هو لكل خير أهل ، وأنا أشهدكم ومن حضرني أني ولي لابن عفان : وعدوا أعدائه . قالوا : فبرئ الله منك ، قال : بل برئ الله منكم .

وتفرق القوم ، فأقبل نافع بن الأزرقي الحنظلي ، وعبد الله بن صفار السعدي ، وعبد الله بن إياض : وحنظلة بن أبيه ، وبنو الماحوز ، عبد الله وعبيد الله والزبير من بني سليط . بن يربوع ، وكلهم

من تميم ، حتى أتوا البصرة ، وانطلق أبو طالوت من بني بكر بن وائل ، وأبو قُدَيْثٍ عبد الله بن ثور من قيس بن ثعلبة ، وعطية ابن الأسود اليشكري ، إلى اليمامة ، فوثبوا بها مع أبي طالوت ، ثم اجتمعوا بعد ذلك على تَجْدَةِ بن عامر الحنفى وتركوا أبا طالوت .

فأما نافع بن الأزرق ومن معه فلأنهم قدموا البصرة فتذاكروا الجهاد وفضيلته ، وخرج في ثلثمائة ، وذلك عند وثوب الناس بابن زياد ، وكسر الخوارج باب المسجن وخرجوا ، واشتغل الناس عنهم بحرب الأزد وربيعه وتميم ، فلما استقر أمر عبد الله بن الحارث بالبصرة تجرد الناس للخوارج وأخافوهم ، فلحق نافع بالأهواز في شوال سنة أربع وستين واشتدت شوكته ، وكثرت جموعه ، وأقام بالأهواز .

وحيث ذكرنا الخوارج ، فلانذكر ماكان من أمرهم في أيام عبد الله ابن الزبير إلى نهايته ، ثم نذكر مامسوى ذلك .

ذكر مقتل نافع بن الأزرق

أمير الخوارج وغيره منهم

وفي سنة خمس وستين اشتدت شوكة نافع بن الأزرق ، وهو الذى تنسب إليه الأزارقة من الخوارج ، وكثرت جموعه ، وأقبل بهم نحو الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث أمير البصرة مُسَلِّم ابن عُبَيْس بن كُرَيْب بن ربيعة ، فخرج إليه فدفعه عن أرض البصرة حتى بلغ دَوْلَاب من أرض الأهواز ، فاقتتلوا هناك فقتل مسلم أمير أهل البصرة ونافع بن الأزرق رئيس الخوارج ، وكان مقتلهم فى جمادى الآخرة . فأمّر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى ، وأمرت

الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمي ، فاققتلوا فقتل الحجاج وعبد الله ، فامر أهل البصرة ربيعة بن الأجدم التميمي ، وأمرت الخوارج عبيد الله ابن الماحوز ، واقتتلوا حتى أمسوا وقد ملوا القتال ، وكره بعضهم بعضا ، فبينما هم كذلك إذ جاءت سرية للخوارج لم تشهد القتال فهزمت جيش البصرة ، وقتل أميرهم ربيعة ، فأخذ الراية حارثة بن بدر فقاتل ساعة بعد أن ذهب الناس عنه ، ثم سار ونزل الأهواز ، وبعث ابن الزبير الحارث بن أبي ربيعة على البصرة كما ذكرناه ، فأقبلت الخوارج نحو البصرة حتى قربوا منها ، فأبى أهلها الأخنف بن قيس وسألوه أن يتولى حربهم ، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة .

ذكر معاربة المهلب الخوارج

وقتل أميرهم عبيد الله بن الماحوز .
كان المهلب قد قديم من قبل عبد الله بن الزبير لولاية خراسان فخرج إليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الخوارج ، فأبى عليهم ، فكلمه الحارث بن ربيعة ، فاعتذر بولاية خراسان ، فوضع الحارث وأهل البصرة كتابا عن ابن الزبير إلى المهلب . يأمره بقتال الخوارج ، وأتوه به ، فلما قرأه قال : والله ما أسير إليهم إلا أن يجعلوا إلي ما غلبت عليه ، ويعطوني من بيت المال ما أقوى به من معي ، فأجابوه إلى ذلك .

واختار المهلب من أهل البصرة اثني عشر ألفا ، منهم محمد بن واسع ، وعبد الله بن رباح الأنصاري ، ومعاوية بن قرة المزني ، وأبو عمران الجوني وغيرهم . وخرج إلى الخوارج وهم عند الجسر الأصفر فحاربهم ودفعهم عنه ، وتبعهم حتى بلغوا الأهواز ، واقتتلوا هناك .

ودامت الحرب ، وقُتِلَ الْمُعَارِكُ بنُ أُنَى صُفْرَةَ أَخُو الْمُهَلَّبِ ، ثُمَّ هُزِمَ
جَيْشُ الْمُهَلَّبِ وَثَبِتَ هُوَ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَنْهَزَمَ ، ثُمَّ عَادُوا
لِلْقِتَالِ ، وَأَبْكَى بِلَاءُ حَسَنًا فَهَزَمُوهُ ، فَبَلَغَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ الْبَصْرَةَ
وَجَاءَتْ أَهْلُهَا وَأَسْرَعَ الْمُهَلَّبُ حَتَّى سَبَقَ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى تَلٍّ عَالٍ ،
ثُمَّ نَادَى : إِيَّيْ عِبَادَ اللَّهِ ؛ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ أَكْثَرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ
فَعَادَ إِلَى الْخَوَارِجِ وَقَدْ أَمَّنُوا ، وَدَارَ بَعْضُهُمْ خَلْفَ الْجَيْشِ الَّذِي
أَنْهَزَمَ ، فَأُلْوَقِعَ بِهِمُ الْمُهَلَّبُ وَقَتَلَ رِئِيسَهُمْ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْمَاحُوزِ ، فَاسْتَخَلَفُوا
الزُّبَيْرَ بْنِ الْمَاحُوزِ ، وَعَادَ الَّذِينَ تَبِعُوا الْمُنْهَزِمِينَ ، فَوَجَدُوا الْمُهَلَّبَ
قَدْ وَضَعَ لَهُمْ خِيَلًا فَرَجَعُوا مِنْهُمْ مَنْ ، وَأَقَامَ الْمُهَلَّبُ مَوْضِعَهُ حَتَّى
قَدَّمَ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ .

وقيل : كَانَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ
الْمُهَلَّبَ لَمَّا دَفَعَ الْخَوَارِجَ عَنِ الْبَصْرَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَهْوَازِ أَقَامَ بِقِيَةِ
سَنَتِهِ يَجْعِي كُورَ دَجْلَةَ وَرَزَقَ أَصْحَابَهُ ، وَأَتَاهُ الْمَدَدُ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى
بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا .

قال : ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مُضْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ لَمَّا وَلى الْعِرَاقَ نَائِبَهُ عُمَرُ
ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ عَلَى فَارَسَ ، وَوَلَّاهُ حَرْبَ الْأَزْرَاقَةِ بَعْدَ أَنْ تَوَجَّهَ
الْمُهَلَّبُ إِلَى الْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةِ عَلَى مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فلما بلغ الخوارج ولايته تقدموا إلى إصطخر ، وأميرهم
يوم ذاك الزُّبَيْرُ بْنُ الْمَاحُوزِ ، فَغَدِبَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ ابْنَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي خَيْلٍ ،
فَاقْتَتَلُوا فَقُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَقَاتَلَ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْخَوَارِجَ
فَقُتِلَ مِنْ فَرَسَانِهِمْ سَبْعُونَ ^(١) رَجُلًا ، وَأَنْهَزَمَ الْخَوَارِجُ وَقَصَدُوا نَجْوَى

أصبهان ، فأقاموا حتى قَوُّوا واستعدوا وأقبلوا حتى مروا بفارس
وبها عمر ، فقطعوها من غير الموضع الذي هو به حتى أتوا الأهواز .
فكتب إليه مُصعب يأومه في تمكينهم من قطع جهته ، فسار عمر من
فارس في أثرهم ، وخرج مُصعب فعمسكروا عند الجسر الأكبر .

وبلغ الخوارج وهم بالأهواز إقبال عمر عليهم ، فقطعوا أرض
جُوخَى والنهر وأنات وأتوا المدائن ، وبها كَرْدَم بن مَرْثَد الفزاري ،
فشنوا الغارة على أهل المدائن ، يقتلون الرجال والنساء والولدان ،
ويشققون أجواف الحوامل ، فهرب كَرْدَم ، وأقبلوا إلى ساباط .
ووضعوا السيف ، وأفسدوا إفسادا عظيما .

وأتوا أرض الكوفة فخرج إليهم الحارث بن أبي ربيعة أميرها ،
فنجسها حتى أتوا المدائن فأتبعهم الحارث عبد الرحمن بن مخنف في ستة
آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة ، فتبعهم حتى وقعوا في أرض
أصبهان ، فرجع ولم يقاتلهم .

وقصدوا الرِّى وعليها يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشَّيباني
فقاتلهم ، فأعان أهل الرِّى الخوارج ، فقتل يزيد وهرب ابنه حَوْشَب .

ولما فرغ الخوارج من الرِّى شخصوا إلى أصبهان فحاصروها
وبها عَتَاب بن وَرْقَاء ، فصبر لهم وقاتلهم : فكمن له رجل من الخوارج
وضربه بالسيف على حبل عاتقه فصرعه : فاحتله أصحابه وداووه
حتى برئ ، وداوم الخوارج حصارهم حتى نفدت أطعمتهم وأصابهم
الجهد : فقام عَتَاب في أصحابه . وحرَّضهم على أن يصدقوهم
القتال ، فأجابوه إلى ذلك : وخرج بهم إلى الخوارج وهم آمنون .

فقتلواهم حتى أخرجوهم من معسكرهم ، وقتلوا أميرهم الزبير بن الماحوز .

ففرغت الخوارج إلى أبي نعمة قَطْرِيَّ بن النجاعة المازني فبايعوه ، وأصاب عتاب ومن معه من عسكره ماشعوا ، وسارت الخوارج عن أصبهان إلى كرمان ، فأقاموا بها حتى اجتمع إلى أميرهم قَطْرِيَّ جموع كثيرة ، وجبى الأموال وقوى ، ثم أقبل إلى أصبهان ، ثم أتى أرض الأهواز فأقام بها ، فبعث مُضْعَب إلى المهلب فأمره بقتال الخوارج : وبعث إلى عامله بالموصل والجزيرة إبراهيم بن الأشتر : فقدم المهلب البصرة ، وانتخب الناس وسار نحو الخوارج ، وأقبلوا إليه حتى التقوا بسولاف ، فاقتلوا ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس ، وذلك في سنة ثمان وستين .

هذا ما أمكن إيراده من أخبار الخوارج في أيام ابن الزبير فلنذكر خلاف ذلك .

ذكر خبر الثوابين وما كان من أمرهم

وأخبارها إلى أن قتلوا

وإنما ذكرنا خبر الثوابين في هذا الموضع في أخبار عبد الله بن الزبير : لأن ظهورهم ومقتلهم كان في أيامه ، ومن بلد داخل تحت حكمه ، ونحن نذكر مبدأ أمرهم ، وقد ذكرهم ابن الأثير الجزري رحمه الله في تاريخه الكامل في حوادث سنة أربع وستين ، وستة خمس وستين . قال : ولما قُتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كما ذكرنا تَلَاقت الشيعة بالتلاؤم والندم على ما صدر منهم ، من استدعائهم الحسين

وخللانه حتى قُتل ، ورأوا أنهم لا يغسل عنهم الغارَ والإثم الذي ارتكبهوا إلا قتل من قتله أو القتل فيه .

فاجتمعوا بالكوفة إلى خمس نفر من رموس الشيعة ، وهم : سليمان بن صُرَد الخزاعي ، وكانت له صحبة ، والمسيب ابن نجبة الفزارى وكان من أصحاب علي وخيارهم ، وعبد الله ابن مسعود بن ثُفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ، نيم بكر بن وائل ، ورفاعة بن شداد البجلي ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله : « أما بعد ، فإننا ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن ، فترغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمِرْكُمْ مَبِيتَكُمْ ﴾ فيه مَنْ تَذَكَّرَ ^(١) وإن أمير المؤمنين قال : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا ^(٢) ، فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن ابنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله ، وأعذر إلينا قسائلنا نصره عودا وبدعا ، وعلانية وسرا ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا ، لانحن نصرناه بأبدينا ولا جدلنا عنه بالسنتنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرتنا ، فما عُدُّنا عند ربنا وعند لقاء نبينا ، وقد قُتل فينا ولده وحبيبه ، وذريته ونسله ! لا والله لا عذر دُونَ أن تقتلوا قاتله والموالين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك :

(١) من الآية ٣٧ من سورة فاطر .

(٢) هنا ينتهي ما مقط من النسخة (ن) مع توالي الترميم بها ، ولعل هناك مرفصحين ستمنا فلم ينتبه عليهما المرقم ، وقد أبتنا هذا من النسخة (ك) .

وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن : أيها القوم ، ولّوا عليكم رجلا منكم ، فإنه لا بُدَّ لكم من أمير تفرعون إليه ، وراية تحفون بها .

فقام رفاعة بن شداد فقال : « أما بعدُ فإن الله قد هداك لأضوب القبول ، وبدأت بإرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموح منك مستجاب إلى قولك ، وقلت : ولّوا أمركم رجلا تفرعون إليه وتحفون برايته ، وقد رأينا مثل الذي رأيت ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مَرْضِيًّا وفينا مستنصحا وفي جماعتنا محبا ، وإن رأيت ورأى ذلك أصحابنا ولينا هذا الأمر شيخ الشيعية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا المسابقة والقَدَم سليمان بن صُرَد المحمود في بأسه ودينه الموثوق بحزمه .. »

وتكلم عبد الله بن وائل وعبد الله بن سعد بن نحو ذلك ، وأثريا على سليمان والمُسَيَّب ، فقال المسيب : قد أصبتم قولوا أمركم سليمان بن صرد .

فتكلم سليمان بن صُرَد بكلام كثير حضوم فيه على القيام وطلب ثأر الحسين وقتل قَتْنَتِه أو القتل دون ذلك .

وكتب إلى سعد بن حُذَيْفَةَ بن اليمان يُعْلِمُهُ بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم هو ومن معه من الشيعة بالمدائن ، فقرأ سعد الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك .

وكتب سليمان أيضا إلى الثنَّي فَأَجَابَهُ : إِنَّا مَعَشَرَ الشَّيْعَةِ حَمَدْنَا اللَّهَ عَلَى مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ مُوَافِقُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْأَجَلِ الَّذِي ضَرَبْتَ .

قال وكان أول ما ابتدعوا به أمرهم بعد قتل الحسين في سنة إحدى وستين ، فما زالوا في جمع آلة الحرب ودعاء الناس ، في السر إلى أن هلك يزيد بن معاوية في سنة أربع وستين ، فجاء إلى سليمان أصحابه فقالوا : قد مات هذا الطاغية ، والأمر ضعيف ، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث ، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة - ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ثم ندعو الناس إلى أهل هذا البيت ^(١) . فقال لهم سليمان : « لا تتعجلوا » ، إلى قد نظرت فيما ذكرتم ، فرأيت قتل الحسين هم أشراف الكوفة وفرسان العرب ، ومتى علموا ذلك كانوا أشد عليكم ، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزراً لعدوهم ولكن بثوا دُعائكم وادعوا إلى أمركم » ؛ ففعلوا فاستجاب لهم ناس كثير .

ثم إن أهل الكوفة أخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير ، فلما مضت ستة أشهر من وفاة يزيد قدم المختار بن أبي عبيد إلى الكوفة في النصف من شهر رمضان ، وقدم عبد الله بن زيد الخطمي الأنصاري أميراً على الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير الخثعمي ^(٢) من شهر رمضان ، وقدم إبراهيم بن محمد بن طلحة معه على الخراج .

فأخذ المختار بن أبي عبيد يدعو الناس إلى قتال قتلة حسين ويقول :

(١) زاد ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ٢٢٤ قولهم : « المستأثر عليهم المدفوعين

عن حنهم » .

(٢) في الكامل « بقين » .

جثتكم من عند المهدي محمد بن الحنفية وزيراً أميناً ، فرجع إليه طائفة من الشيعة ، وكان يقول : إنا يريد سليمان أن يخرج فيقتل نفسه ومن معه ، وليس له خبرة بالحرب .

وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد أن سليمان يريد الخروج بالكوفة عليه ، وأشير عليه بحبسه ، وخوف عاقبة أمره إن تركه ، فقال عبد الله إنهم قاتلونا قاتلناهم ، وإن تركونا لنطلبهم ، إن هؤلاء القوم يطلبون قتلة الحسين ، ولست ممن قتله ، لعن الله قاتله ، ثم صعد إلى المنبر فقال بلغني أن طائفة منكم أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عنهم فقبل إنهم يطلبون بدم الحسين ، فرحم الله هؤلاء القوم ، فقد والله دُلْتُ على مكانهم ، وأمرت بأخذهم ، فأبَيْتُ ، وقلت إن قاتلوني قاتلتهم ، وعَلَّامٌ يقاتلوني ؟ فوالله ما أنا قتل حسيناً ، ولقد والله أصببت بمقتله رحمة الله عليه ، وإن هؤلاء القوم آمنون ، فلا يخرجوا ظاهرين ، ولبسировوا إلى من قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم - يعني عبيد الله بن زياد - فأنا لهم ظهير ، هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقال خياركم وأماثلكم ، فقد توجه إليكم وقد فارقه على ليلة من جسر منبج ، فقتاله والاستعداد له أولى من أن تجعلوا بأمسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضاً ، فيلقاكم عدوكم وقد رفقتم فنهلك ، وتلك أمنيته ، وقد قدم عليكم أعدي خلق الله لكم ، من ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يُفْلَعان عن قتل أهل العفاف والدين ، هو الذي قتلكم ومن قبله أتيتم ، والذي قتل من تناذون بدمه ،

قد جاءكم فاستقبلوه ويحدكم وشوكتكم واجعلوها إبه ولا تجعلوها^(١) بأنفسكم إني لكم ناصح .

وكان مروان بن الحكم قد بويع بالشام على ما نذكره ، وبعث عبيد الله بن زياد إلى الجزيرة ، وأمره إذا فرغ منها أن يسير إلى العراق .

قال : فلما فرغ عبد الله بن يزيد من كلامه قال إبراهيم بن محمد ابن طلحة : « أيها الناس ، لا يفرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن ، والله لئن خرج علينا خارج لنقتله ، ولئن استيقنا أن قوما يربلون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق والطاعة » .

فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ، ثم قال : يا ابن الناكثين ، أنت تهددنا بسيفك وحشمك ! أنت والله أذل من ذلك ، إنا لآلئوك على بغضنا وقد قتانا أباك وجدك ، وأما أنت أيها الأمير فقد قلت قولاً سيديداً . فقال له إبراهيم والله لنقتلن ، وقد داهن هذا ، يعني عبد الله بن يزيد ، فقال له عبد الله بن وائل : ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ؟ ما أنت علينا بأمير إذا أنت أمير هذه الجزيرة : فأقبل على خراجك ، ولئن أفسدت أمر هذه الأمة فقد أفسده والداك ، وكانت عليهما دائرة السوء . فشتهم جماعة ممن مع إبراهيم ، ونزل الأمير عن المنبر ، وتهده إبراهيم بأنه يكتب إلى ابن الزبير يشكوه ، فجاءه عبد الله في منزله فاعتذر إليه ، فقبل عذره .

ثم خرج أصحاب سليمان بن صرد ينشرون السلاح ظاهرين إلى سنة خمس وستين ، فعزم سليمان على الشيوخ ، وبعث إلى رموس أصحابه وتواعدوا للخروج في مستهل شهر ربيع الآخر ، وخرجوا في ليلة الوعد إلى النخيلة ، فدار سليمان في الناس ، فلم يعجبه عددهم ، فأرسل إلى حكيم بن متقذ الكندي والوليد بن عصبين الكناني فناديا في الكوفة بالثارات الحسين ! فكانا أول من دعايا لثارات الحسين .

فأصبح من الغد وقد أتاه زحوما في عسكره ، ثم نظر في ديوانه فوجدهم سنة عشر ألفا ببيعة ، فقال ! سبحان الله ! ما وافانا من ستة عشر ألفا إلا أربعة آلاف ! فقبل له إن المختار يشبط . الناس عنك وقد تبعه ألفان . فقال ، بقي عشرة آلاف ! ما هؤلاء بمؤمنين !

فأقام بالنخيلة ثلاثا ، يبعث إلى من تخلف عنه ، فخرج إليه زحور من ألف رجل ، فقام إليه المسيب بن نجبة : فقال : رحمك الله ، إنه لا ينفعك الكلام ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، فلا تنتظرن أحدا ، وخذ في أمرك . قال : نعم مارأيت .

ثم قام سليمان في أصحابه فقال : « أيها الناس ، من كان إنما خرج إرادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا وزحزح منه . فرحمة الله عليه حيا وميتا : ومن كان يريد الدنيا فوالله ما يأتي في ! نأخذه ولا غنيمة نغنمها : ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع ، ما هو إلا سيوفنا على عواقبنا ، وزاد قدر البلغة : فمن كان ينوى غير هذا فلا يصحبنا » .

فتنادى أصحابه من كل جانب : إنا لا نطلب الدنيا ، وليس لها

خرجنا ، إنما خرجنا لنطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم .

فلما عزم على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل : إني قد رأيت رأيا ، إن يكن صوابا فالله الموفق ، وإن يكن ليس بصواب فالرأي ما تراه ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقتلته كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد ورموس الأرباع والقبائل ، فأين تذهب من ههنا وتدع الأوتار ^(١) . فقال أصحابه : هذا هو الرأي .

فقال سيمان : أنا لا أرى ذلك ، إن الذي قتله وعبأ الجنود إليه وقال : « لا أمان له عندي دُونَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ فَأَمْضَى فِيهِ حَكْمِي » ، هذا الفاسق ابن الفاسق ، عُبيد الله بن زياد ، فسيروا على بركة الله إليه ، فإن يُظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون منه : ورجونا أن يدين لكم أهل مصركم في عافيته ، فينظرون إلى كل من شَرِكَ في دَمِ الحسين فيقتلونه ولا يغشون ، وإن تُستشهَلُوا فإِنَّمَا قَاتَلْتُمُ الْمُحَلِّينَ ، وما عند الله خير للأبرار ، فاستخبروا الله وسيروا .

وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صُرَد ، فأتياه في أشراف أهل الكوفة ، ولم يصحبهم من له شَرِكٌ في دم الحسين خوفا منهم ، فلما أتياه قال له عبد الله بن يزيد : إن المسلم أخو المسلم ، لا يَخُونُهُ ولا يَغْشَاهُ ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفرجونا في أنفسكم ،

(١) الأوتار : جمع وتر ، بمعنى ثار .

ولاتنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى ننتهيا
 فإذا سار عدونا إلينا خرجنا إليه بجماعتنا فقاتلناه . وجعل سليمان
 وأصحابه خراج جوخي إن أقاموا ، وقال إبراهيم مثل ذلك ، فقال سليمان
 قد مَحَضْتُمَا النصيحة واجتهدتما في المشورة فذهبن بالله وله ، ونسأله
 العزيمة على الرشد ، ولانرانا إلا سائرين ، فقال عبد الله : فأقيموا
 حتى نعبئ معكم جيشا كثيرا ، فتلقوا عدوكم بجمع كثيف ،
 وكان قد بلغهم إقبال عبيد الله بن زياد من الشام في الجنود .

فلم يلقهم سليمان ، وسار عشية الجمعة لخمس مضين من شهر
 ربيع الآخر سنة خمس وستين ، فتخلف عنه ناس كثير ، فقال ما أحب
 من تخلف منكم معكم ولو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا إن الله
 كره انبعاثهم فثبظهم وخصكم بفضل ذلك .

ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين ، فصاحوا صيحة واحدة ،
 وبكوا بكاء شديدا ، وترحموا عليه ، وتابوا عنده من خذلانه وترك
 القتال معه ، وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون .

ثم ساروا وقد ازدادوا حنقا ، وأخذوا صوب الأنبار ، وساروا
 حتى أتوا قرقيسيا على تعبئة ، وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن
 بها عند فراره من وقعة مرج راحط . على ما نذكره إن شاء الله تعالى
 في أخبار مروان بن الحكم .

فبعث إليه سليمان ، وعرفه ماهو وأصحابه عليه من قصد بن
 زياد ، فبعث إليهم بجزور ودقيق وعلف ، وخرج إليهم وشيعهم
 وعرض عليهم أن يقيموا عنده بقرقيسيا ، وقال : ابن زياد في

عدد كثير ، فأتوا الشام ، وساروا مجدين ، وقال لهم زفران ابن زياد قد بعث خمسة أمراء من الرقة فيهم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع وأدهم بن محرز وجبله بن عبيد الله^(١) الخثعمي ، فأتوا إلا المسير .

فانتهوا إلى عين الوردة ، فنزلوا غربيها ، وأقاموا خمسا ، واستراحوا وأراحوا .

وأقبل أهل الشام في عساكرهم ، حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة ، فقام سليمان في أصحابه فخطبهم وحرّضهم على القتال وذكرهم الآخرة ثم قال : إن أنا قُتِلْتُ فأمر الناس المسيب ابن نجبة ، فإن قُتِلَ فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل ، فإن قُتِلَ فالأمير عبد الله بن وائل ، فإن قُتِلَ فالأمير رفاعه بن شداد ، رحم الله أمرا صدق ما عاهد الله عليه .

وبعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ، وقال : سرّ حتى تلقى أول عساكرهم ، فشنّ عليهم الغارة ، فإن رأيت ما تحب وإلا فارجع . فصار يومه وليلته . ثم نزل ، فأقْبى بأعرابي ، فسأله عن أدنى العسكر منه ، فقال : أدناها منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع ، وهو على ميل ، وقد اختلف هو والحصين ، ادّعى كل واحد منهما أنه على الجماعة ، وهما ينتظران أمر عبيد الله .

فسار المسيب ومن معه مسرعين ، حتى أشرفوا على القوم ، وهم على غير أهبة ، فحملوا في جانب عسكرهم ، فانهزم العسكر ،

(١) في الكامل ج ٣ - ٢٤٢ : « عبيد الله » .

فأصاب المسيب منهم رجالا وأكثروا فيهم الجراح ، وأخذوا دواب ، وترك الشاميون معسكرهم وانهزموا ، فغتم أصحاب المسيب ما أرادوا ، ثم انصرفوا إلى سليمان .

وبلغ الخبر ابن زياد ، فسرّح الحصين في اثنتي عشر ألفا ، فخرج أصحاب سليمان إليه ، لأربع بقين من جمادى الأولى ، وعلى ميمنتهم عبدالله بن سعد ، وعلى ميستهم المسيب ، وسليمان في القلب . وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبدالله ، وعلى ميسترته ربيعة بن المخارق الغنوي .

فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على مروان بن الحكم ، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع مروان وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم وأنهم يخرجون من العراق من أصحاب عبدالله ابن الزبير ثم يردّ الأمر إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبى كل منهم ، وحمل بعضهم على بعض ، فانهزم أهل الشام وكان الظفر لأصحاب سليمان إلى الليل .

فلما كان الغد صبح الحصين ثمانية آلاف أمده بهم عبيد الله ، فقاتلهم أصحاب سليمان عامة النهار قتالا شديدا لم يحجز بينهم إلا الصلاة حتى حجز بينهم الليل ، وقد كثر الجراح في الفريقين .

فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من قبل ابن زياد : فاقتتلوا يوم الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، ثم كثر أهل الشام عليهم ، وعطفوا من كل جانب ،

فنزول سليمان وتادى : « عباد الله ، مَنْ أَرَادَ الْبُكُورَ إِلَى رَبِّهِ وَالتَّوْبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ فَلْيَلَّهِ » ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ ، فَنَزَلَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ وَفَعَلُوا كَفْعَهُ ، وَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَكْثَرُوا فِيهِمُ الْجِرَاحَ ، فَبَعَثَ الْحَصِينُ الرَّجَالَ تَرْمِيهِمُ بِالنَّبْلِ ، وَاکْتَنَفَتْهُمْ الْخَيْلُ ، فَقُتِلَ سُلَيْمَانُ ابْنُ صُرَدَ ، رَمَاهُ يَزِيدُ بْنُ الْحَصِينِ بِسَهْمٍ فَوْقَ ثَمٍ وَثَبَ ثُمَّ وَقَعَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ سَنَةً ، وَكَانُوا قَدْ سَمَوْهُ « أَمِيرَ التَّوَابِينِ » .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ الْمَسِيْبُ بْنُ نَجْبَةَ ، وَتَرَحَّمَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ رَجُلًا كَثِيرًا .

فَأَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا ، وَقَرَأَ ﴿ فَمَنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ ^(١) وَخَفَّ بِهِ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَعَهُ مِنَ الْأَزْدِ ، فَبَيَّنْمَاهُمْ فِي الْقِتَالِ إِذْ أَتَاهُمْ فَرَسَانِ ثَلَاثَةٌ مِنْ سَعْدِ بْنِ حَذِيفَةَ ، يَخْبِرُونَ بِمَسِيرِهِ فِي سَبْعِينَ وَمِائَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدَائِنِ ، وَيَخْبِرُونَ بِمَسِيرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مَعَ الْمُشْنَى بْنِ مَخْرَمَةَ الْعَبْدِيِّ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ : لَوْ جَاعُوا وَزَحْنُوا أَحْيَاءُ ! وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، قَتَلَهُ ابْنُ أَخِي رَبِيعَةَ بْنِ مَخَارِقَ ، وَحَمَلَ خَالِدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ يَطْعَنُهُ بِالسَّيْفِ ، فَخَلَصَهُ أَصْحَابُهُ ، وَقُتِلَ خَالِدُ بْنُ سَعْدٍ .

فَجِئَءَ بِالرَّايَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَاَلٍ ، وَقَدْ اضْطَلَّى الْحَرْبُ فِي عَصَابَةِ مَعَهُ ، فَأَخَذَهَا ، وَقَاتَلَ مَكْبِيًّا ، وَذَلِكَ وَقْتُ الْعَصْرِ ، وَمَا زَالَ يَمُقَاتِلُ حَتَّى

(١) مِنَ الْآيَةِ ٢٢ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

قَتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رَجَالًا ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ تَعَطَّفُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَسَاءِ تَوَلَّى قِتَالَهُمْ أَهْلَهُمْ بَيْنَ مَحْرُزِ الْبَاهِلِيِّ ، فَحَمَلَ فِي خَيْلِهِ وَرَجَلِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ابْنِ وَأَلٍ وَهُوَ يَتَلَوُّ ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الْآيَاتِ (١) ، فغَاظَ ذَلِكَ أَهْلَهُمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ فَأَبَانَ يَدَهُ ثُمَّ تَنَحَّى عَنْهُ ، وَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّكَ وَدِدْتَ أَنَّكَ عِنْدَ أَهْلِكَ ، قَالَ ابْنُ وَأَلٍ بِشَسْ مَاظَنَنْتَ ، وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَدَّكَ مَكَانَهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا فِي يَدِي ، لِيُعْظَمَ وَزْرُكَ وَأَجْرِي ، فغَاظَهُ ذَلِكَ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ مَازَالَ عَنْ مَكَانِهِ ، وَكَانَ ابْنُ وَأَلٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعِبَادِ .

فلما قتل أنثورا رفاعة بن شداد البجلي وقالوا خذ الراية ، فقال ارجعوا بنا لعلَّ الله يجمعنا ليوم شر لهم ، فقال عبد الله بن عوف ابن الأحمر : « هَلَكْنَا وَاللَّهِ لَشَنْ أَنْصَرَفْتَ لِرُكْبَنِ أَكْسَانِنَا فَلَا نَبْلُغُ فَرَسَنَا حَتَّى نَهْلِكَ عَنْ آخِرِنَا ، وَإِنْ نَجَا مِنَّا نَاجَ أَخَذْتَهُ الْأَعْرَابُ فَتَقَرَّبُوا بِهِ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُ صَبِيرًا ! هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتْ الْغُرُوبَ فَتَنَقَّاتْلَهُمْ عَلَى خَيْلِنَا ، فَإِذَا غَسَقَ اللَّيْلُ رَكِبْنَا خَيْوَلَنَا أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَسَرْنَا حَتَّى نُصْبِحَ وَنَسِيرَ عَلَى مَهَلٍ ، يَحْمِلُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَحَرِيمَهُ (٢) وَنَعْرِفُ الْوَجْهَ الَّذِي نَأْخُذُهُ » .

فقال رفاعة نعم مارأيت وأخذ الراية ، وقاتلهم قتالا شديداً
وتقدم عبد الله بن عزيز الكناني (٣) فقاتل أهل الشام قتالا

(١) الْآيَاتِ ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ .

(٢) فِي الْكَامِلِ ج ٣ ص ٣٤٤ : « وَجَرِيحُهُ » .

(٣) كَذَا جَاءَ فِي الْأَصْلِ مِثْلَ الْكَامِلِ ، وَجَاءَ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ : « لَكُنْتِي » .

شديداً ، ومعه ولده محمد وهو صغير ، فسلمه لبني كنانة من أهل الشام ليوصلوه إلى الكوفة . فعرضوا عليه الأمان : فأبى ، ثم قاتلهم حتى قُتل .

وتقدم كريب ^(١) بن زيد الحمير عند المساء في مائة من أصحابه فقاتل قتالا شديداً ، فعرض ابن ذى الكلاع عليه وعلى أصحابه الأمان ، فقال قد كنا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة ، وقتلهم حتى قُتوا .

وتقدم صخير بن هلال المزني في ثلاثين من مُزينة ، فقاتلوا حتى قتلوا . فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم ، وسار رفاة بالناس ليلاته ، وأصبح الحصين فلم يرهم ، فما بعث في أثرهم ، وساروا حتى أتوا قرقيسيا فأقاموا عند زفر بن الحارث ثلاثاً ، ثم زودهم وساروا إلى الكوفة .

وأما سعد بن حذيفة بن اليمان فإنه سار من المدائن بمن معه حتى بلغ هبت ، فأثاه الخبر : فرجع فلقى المثنى بن مخزوم العبدى في أهل البصرة ، فأخبره ، فأقاموا بصندوداء حتى أتاهم رفاة : فاستقبلوه ، وبكى بعضهم إلى بعض ، وأقاموا يوماً وليلة ، ثم تفرقوا ، فسارت كل طائفة منهم إلى جبهة .

قال : ولما بلغ رفاة الكوفة كان المختار بن أبي عبيد مجوساً : فأرسل إليه المختار : « أما بعدُ فإنكم خرجتم بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضى فعلهم حتى قُتلوا ^(٢) »

(١) في الكامل « كريب بن يزيد » .

(٢) كذا جاء في الأصل مثل الكامل ، وفي تاريخ الطبرى « حين قتلوا » .

أَمَّا وَرَبُّ الْبَيْتِ مَا خَطَا خَطَ مَنْكُمْ خُطْوَةً وَلَا رِبَابِيَّةَ ^(١) إِلَّا كَانَ
ثَوَابُ اللَّهِ لَهُ أَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا ، إِنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ قَضَىٰ مَاعِلِيَهُ ، وَتَوَفَّاهُ
اللَّهُ فَعَجَلَ رُوحَهُ مَعَ التَّيْبِيِّينَ وَالصَّدِيقِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ،
وَلَمْ يَكُنْ بِصَاحِبِكُمْ الَّذِي بِهِ تَنْصَرُونَ إِلَيَّ . أَنَا الْأَمِيرُ الْمَأْمُورُ وَالْأَمِينُ
الْمَأْمُونُ ، وَقَاتِلِ الْجَبَّارِينَ ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، وَالْمَقِيدُ مِنَ
الْأَوْتَارِ ، فَأَعِدُوا وَاسْتَعِدُوا وَأَبْشُرُوا ، وَأَدْعُواكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
نَبِيِّهِ ، وَالطَّلَبِ بِدَمِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَالِدْفَعِ عَنِ الضُّعْفَاءِ ، وَجِهَادِ
الْمُحَلِّينَ ، وَالسَّلَامَ . . .

وَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُخْتَارِ مَا نَذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

• • •

جُزُوبُ مَعِينُ التَّارِيخِ لَأَهْلِ التَّارِيخِ

(١) كَذَا جَهْلِي الْأَصْلُ مِثْلُ الْكَافِلِ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ « لِإِرْثَارَتِهِ » .

تم الجزء العشرون بتقسيم هذه النسخة المطبوعة ، وفي التقسيم المخطوطي اختلاف :

جاء في آخر النسخة (ك) وهي الجزء ١٨ برقم ٥٤٩ معارف عامة - في دار الكتب المصرية المصورة :

آخر الجزء الثامن عشر من نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .
رحمه الله تعالى .

يتاوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء التاسع عشر ذكر أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي والحمد لله رب العالمين

وأما النسخة (ن) - وهي الجزء ٢٧ ، ولعله صححه ١٧ برقم ٥٥٣ معارف عامة - المصورة بدار الكتب المصرية فقد جاء في الجانب الأخير من آخر ورقة ما يأتي :

« طالع الفقير إلى الله تعالى ناصر بن سليمان بن غازي الأيوبي
غفر الله له ولجميع المسلمين يارب العالمين » .

المحقق

محمد دلت محمود فتح الله

رئيس قسم اللغويات بكلية اللغة العربية

فهرس

الجزء العشرين

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويزى

الصفحة	
١	ذكر خلافة على بن أبى طالب
١	ذكر صفته
٣	ذكر نبذة من فضائله
١٠	ذكر بيعته على
٢١	ذكر تفريق على عماله وخلاف معاوية
٢٦	ذكر ابتداء وقعة الجمل
٣٩	ذكر مسير على الى البصرة
٤٣	ذكر ارسال على الى أهل الكوفة
٥٤	ذكر مراسلة على طلحة والزبير وأهل البصرة
٥٧	ذكر اجتماع قتلة عثمان بذى قار وتشاورهم
٥٩	ذكر مسير على رضى الله عنه
٨٥	ذكر مقتل طلحة
٨٩	ذكر مقتل الزبير بن العوام
١٠٠	ذكر وقعة صفين وابتداء أمرها
١٠٨	ذكر ارسال على الى معاوية وجوابه
١١١	ذكر المودعة بين على ومعاوية فى شهر المحرم
١٢١	ذكر الحسروب التى كانت بصفين بعد الأيام الستة
١٤٤	ذكر رفع أهل الشام المطابع
١٥٦	ذكر اجتماع الحكمين
١٦٠	ذكر أخبار الحوارج
١٦١	ذكر خبرهم بعد صفين
١٦٤	ذكر خبرهم عند توجيه الحكمين
١٦٦	ذكر اجتماع الحوارج بعد الحكمين
١٧٤	ذكر قتال الحوارج
١٨٠	ذكر أخبار من خرج بعد أصحاب النهروان

الصفحة

١٨٢	ذكر خلاف الحرث بن راشد التميمي
١٩١	ذكر ما اتفق في مدة خلافته
١٩٨	ذكر خبر عبد الله بن الحضرمي
٢٠٥	ذكر مقتل علي بن أبي طالب
٢٢١	ذكر أزواج علي
٢٢٤	ذكر خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب
٢٣٣	ذكر أخبار سعد بن أبي وقاص ووفاته
٢٣٥	ذكر أخبار سعيد بن زيد

الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الخامس

٢٣٩	ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية وصلحه معه
٢٤١	ذكر مقتل محمد بن أبي حذيفة
٢٤٦	ذكر ملك عمرو بن العاص مصر
٢٥٣	ذكر سرايا معاوية الى بلاد علي بن أبي طالب
٢٥٨	ذكر مسير بسر بن أرطاة
٢٦٥	ذكر الغزوات والفتوحات
٢٦٦	ذكر غزو السند
٢٦٨	ذكر غزو القسطنطينية
٢٧١	ذكر غزو جزيرة أروار
٢٧٢	ذكر أخبار الخوارج
٢٧٨	ذكر خبر المستورد الخارجي
٢٨٥	ذكر عروة بن أديه وأخيه مرداس بن أديه
٢٨٨	ذكر الحوادث في أيام معاوية بن أبي سفيان
٢٨٩	ذكر صلح معاوية وقيس بن سعدة بن عبادة
٢٩٠	ذكر استعمال معاوية المغيرة بن شعبه على الكوفة
٢٩٠	ذكر استعمال بسر بن أرطاة
٢٩٤	ذكر قدوم زياد بن أبيه
٢٩٧	ذكر وفاة عمرو بن العاص
٣٠٠	ذكر عزل عبد الله بن عامر عن البصرة
٣٠٢	ذكر استلحاقي معاوية بن أبي سفيان

الصفحة

٣١٦	ذكر عمال زياد بن أبيه
٣٢٠	ذكر وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب
٣٢٥	ذكر ولاية زياد الكوفة
٣٢٦	ذكر ما قصده معاوية
٣٢٨	ذكر وفاة الحكم بن عمرو الغفاري
٣٣٠	ذكر مقتل حجر بن عدى
٣٤٢	ذكر وفاة زياد بن أبيه
٣٤٦	ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على خراسان
٣٥٠	ذكر مراسلة معاوية زيادا في شأن البيعة
٣٥١	ذكر ارسال معاوية الى مروان بن الحكم
٣٥٣	ذكر من وفد الى معاوية من أهل الأمصار
٣٥٥	ذكر مسير معاوية الى الحجاز
٣٦٠	ذكر استعمال سعيد بن عثمان بن عفان
٣٦٢	ذكر عزل الضحاك عن الكوفة
٣٦٣	ذكر عزل عبيد الله بن زياد
٣٧٢	ذكر شيء من سيرته وأخباره
٣٧٤	ذكر صفة معاوية وأولاده وأزواجه
٣٧٦	ذكر بيعة يزيد بن معاوية
٣٧٨	ذكر ارسال الوليد بن عتبة
٣٨٢	ذكر استعمال عمرو بن سعيد على المدينة
٣٨٤	ذكر مقدم الحسين الى مكة
٣٨٨	ذكر استعمال عبيد الله بن زياد على الكوفة
٣٩٧	ذكر ظهور مسلم بن عقيل
٤٣٩	ذكر ما تكلم به الحسين رضى الله عنه
٤٦١	ذكر تسمية من قتل مع الحسين بن علي
٤٦٣	ذكر ما كان بعد مقتل الحسين
٤٧٢	ذكر ورود الخبر بمقتل الحسين
٤٧٦	ذكر ما ورد من الاختلاف
٤٨٢	ذكر مقتل أبي بلال مرداس
٤٩٧	ذكر وفاة يزيد بن معاوية
٤٩٩	ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية

الصفحة

٥٠١	ذكر أخبار من بويج بالعراق
٥٠٦	ذكر ولاية عبد الله بن الحارث البصرة
٥٠٦	ذكر مقتل مسعود بن عمرو الأزدي
٥١١	ذكر خبر أهل الكوفة
٥١٢	ذكر خبر خراسان
٥١٦	ذكربيعة عبد الله بن الزبير
٥٢١	ذكر فراق الخوارج عبد الله
٥٢٣	ذكر مقتل نافع بن الأزرق
٥٢٤	ذكر محاربة المهلب الخوارج
٥٢٧	ذكر خبر التوابين وما كان من أمرهم